الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة السانيا وهران

كلية الآداب واللغات والفنون — قسم اللغة والأدب العربي

البــحـــث اللـــغــــوي عنـــد محـــمــــد الأمـيــن الشنقيــطـــي

مقاربة لسانية

بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة والأدب العربي

تخصص لسانيات

إعداد الطالب:

جلول دواجي عبد القادر

إشراف الأستاذة الدكتورة:

مطهري صفية

لـجنــة الــمنــاقشـــة:

أ. د بكري عبد الكريم	أ ت ع	جامعة	وهران رئيسا
أ.د مطهري صفية	أ ت ع	جامعة وهران	مشرفة ومقررة
أ.د لزعر مختار	أ ت ع	جامعة مستغانم	عضوا مناقشا
د الطيبي أمينة	أستاذة محاضرة أ	جامعة سيدي بلعباس	عضوة مناقشة
د. غربي مصطفى	أستاذ محاضر أ	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا
أ د. بن عيسى عبد الحليم	أستاذ	جامعة وهران	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:1434هـ/1435هـ - 2013م/2014م

إهداء

ينفذ الحبر، تنتهي الأوراق، تتوقف الأنفاس، تشخص

الأبصار أمام لفظة "والدي"،

كيف لا وآيات ربي لم تترك لي فيهما شيئا،

إلى الوالدين العزيزين، أمد الله في حياتهما،

إلى الزوجة الكريمة،

إلى ابنتي الكتكوتة رحمة،

إلى العائلة صغيرا وكبيرا،

إلى من علمني أبجديات العربية من الصغر إلى الآن

معلمي وأساتذتي ومشايخي ومحبي العربية،

إلى الأصدقاء والخلان وكل من يعرفني،

إلى الوطن الأبي الجزائر،

إلى فلسطين الجريحة،

أهدي ثمرة جهدي هذه.

كلمة شكر:

يقول النبي عليه الصلاة والسلام: **"لا يشكر اللّه من لا يشكر الناس".**

اعترافا بالجميل وبكل تواضع أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذة الدكتورة المشرفة

مطهري صفية،

في إشرافها على هذا العمل التي لم تبخل علي بتوجيهاتها وبنصائحها واقتراحاتها الصائبة والوجيهة ولم تبخل علي أيضا بالكتب والمراجع النادرة منها والمفقودة، وأعطتني من وقتها الثمين الكثير برغم التزاماتها الكثيرة، ولولاها لما وصلت الدراسة إلى صورتها الأخيرة فلها مني ألف شكر.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على رسوله محمد الأمين، خير خلق الله من آدم إلى يوم الدين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد،

إن الإنسان إذا تكلم عرفت هويته الحضارية والإنسانية، فالإنسان بلغته يتحدد مركزه في المجتمع، لأن اللغة هي تعبير عن الفكر بل هي الفكر كله، وهي وسيلة للاتصال والتخاطب، تنقل الأفكار والمشاعر بين بني البشر، وأداة اتصال وحاملة رسائل ومعلومات، فلقد استطاعت اللغة أن تقوم مقام الوسيط الاجتماعي بين الباث والمتلقي، ونجحت في تحقيق الاتصال والتواصل بين أولي العقول والألباب، بل إن من هؤلاء من له القدرة على التأثير في نفوس سامعيه لأنه يمتلك مهارة الكلام ويستعمل اللغة بمرونة وسهولة وعن طواعية في مختلف المجالات، ولقد صدق ابن جني عندما عرفها بتعريف جامع مانع شائع بأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم.

فالعلوم إنما تنال شرفها من شرف ما تتعلق به، ولا شك أنّ القرآن الكريم هو أشرف الكتب، ومنه فإن علوم العربية من أشرف العلوم لأنها ما وضعت ولا ألّف فيها العلماء إلاّ لفهم وفقه كتاب الله تعالى.

ومن هنا كانت نعمة الله تعالى عليّ عظيمة أن درجني في مسلك المشتغلين بهذه اللغة المباركة وعلومها، ويسّر لي أن أخوض في شخصية من أعظم الشخصيات في القرن الماضي وهي شخصية الشيخ العالم والموسوعة والبحر **محمد الأمين الشنقيطي** فهو شخصية متعددة العلوم والفنون، فمعظم العلوم اللغوية والقرآنية وكل ما تعلق بالأصول والكلام اجتمعت في هذا الرجل، فعقدت العزم على البحث في الظواهر اللغوية بمختلف مباحثها وموضوعاتها عند هذا الشيخ، فاستشرت أستاذتي المشرفة الأستاذة الدكتورة صفية مطهري في الموضوع فوافقت على ذلك بحكم تخصصها في ميدان اللغويات وعلم الدلالة، وبعد عدة جلسات حول عنوان البحث استقر الرأي عند العنوان الآتي: **البحث اللغوي عند محمد الأمين الشنقيطي مقاربة لسانية.**

ومنذ أن وافقت اللجنة العلمية للقسم على الموضوع ذهبت إلى جمع كل ما له علاقة بشخصية الشنقيطي، من كتبه ومؤلفاته وكل ما كتب عن الرجل من كتب ورسائل أكاديمية وتسجيلات صوتية وأخرى مرئية، فأحطت بسيرة الرجل وعصره وأعماله، وشرعت في البحث وفق الخطة التي رسمتها مع أستاذتي المشرفة.

ومن الأسباب التي دفعتني إلى الخوض في هذا الموضوع ما يلي:

1. المساهمة في دراسة علوم القرآن الكريم خصوصا العلوم اللغوية واللسانية بمختلف مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والمعجمية، ويمثل البحث من طرف خفي خدمة كتاب الله تعالى ولغته المباركة ومساهمته في إثراء المكتبة اللغوية بمثل هذا اللون من الدراسات.
2. إبراز جهود المفسرين المعاصرين في تفسير كتاب الله وهذا دليل على أن تأخر المفسر لا يقصيه ولا يبعده من دائرة فهم المعنى الحقيقي للنص القرآني، وكذا الضلاعة في أدوات التفسير والإبداع والتميز فيها.

3. تساهم هذه الدراسة في اطلاع الباحثين على دور الخلفية اللغوية والأدبية في التفسير، وهو جانب مهم يعمق بحق فقه كتاب الله وفهم معانيه وعلى قدر الدربة والملكة تكون الدقة في إيجاد المعاني وتوضيحها وترجيح الصواب من الوجوه المختلفة كما عرفها الشنقيطي.

4. الموضوع يتيح للباحث الاطلاع على أمات الكتب في مختلف الفنون لتشعب مناحي البحث اللغوي خصوصا عندما يتعلق بشخصية موسوعية مثل شخصية الشنقيطي.

5. مساهمة البحث بصورة مباشرة في الكشف عن وجوه متعددة من إعجاز القرآن والإشارة إلى علو قدره في البلاغة وتفرده بالبيان جملة وتفصيلا وهو يعمق الإيمان بهذا الكتاب ويدعو إلى الفخار به.

أما **الإشكالية** المعالجة في هذا البحث فتقوم على مجموعة من الأسئلة: كيف نظر العلماء اللغويون للبحث اللساني وما مدى تطبيقه على التفاسير القرآنية المعاصرة؟ هل استطاع الشنقيطى أن يلم بالبحث اللساني من جميع مستوياته وما الذي أضافه له أو حقق له التميز؟ وما هي الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والمعجمية التي تحدث عنها وأبدى رأيه فيها؟ وهل وافق الشنقيطي أقرانه من اللغويين والمفسرين الأوائل أم خالفهم الرأي في إصدار الأحكام في شتى القضايا؟ كل هذه القضايا تصب في صلب الموضوع وهذا ما عالجه البحث بالوقوف عند كل سؤال ومحاولة الإجابة عنه وضبط قضاياه وتذليل مفاهيمه ليحقق النفع لكل طالب أراد البحث وتحرى مدارجه وليكون مولودا جديدا في المكتبة يغرف ويستفيد منه كل باحث بعدي.

واقتضى منا البحث أن يكون في مقدمة ومدخل وأربعة فصول فخاتمة، أما **<u>المدخل</u>** فعنوناه بـ: **محمد الأمين الشنقيطي، قراءة في سيرته وآثاره**، وتطرقنا فيه بالتفصيل إلى البيئة التي عاش فيها الشيخ وسيرته من ولادته إلى وفاته مع ذكر شيوخه وتلامذته ومنهجه في التحصيل العلمي ورحلاته وما خلفه من كتب ومحاضرات نفع بها الأمة وخدم بها اللغة والدين، وبهذا نال شرف تقدير المسئولين له في حياته وبعد موته رحمه الله.

وثنينا **<u>بالفصل الأول</u>** فكان بعنوان: **وحدات النظام اللساني ومستوياته البحثية**، ويمثل الجانب النظري في البحث، وفيه تطرقنا إلى أهم ما يحتاجه الباحث في التحليل اللساني عند تحليل أي نص وأي خطاب، من حيث المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي والمعجمي، وهذا ما يصطلح عليه في اللسانيات المعاصرة بأدوات التحليل اللساني.

وثلثنا **<u>بالفصل الثاني</u>** الذي عنوناه بـ: **تجليات الظواهر الصوتية في أعمال الشنقيطي**، تناولنا معظم الظواهر الصوتية التي تحدث عنها الشيخ بصفة مباشرة أو غير مباشرة في كتبه مع التمثيل والاستشهاد بما ذكره الشيخ وإبداء رأيه الشخصي في كل قضية، ومن المباحث الصوتية التي تواترت في كتب الشيخ الهمز والتسهيل والإدغام والتشديد والتخفيف والمد والقصر والإشباع والتنوين وتركه والإعلال والإبدال والإقلاب والتماثل والتجانس والتباعد والوقف والابتداء والإشمام وحديث عن المقاطع الصوتية.

وأما **<u>الفصل الثالث</u>** فعنوناه بـ: **الشنقيطي والمستوى التركيبي**، وقسمنا المستوى التركيبي إلى صرفي ونحوي، واستعرضنا أهم القضايا الصرفية والنحوية الواردة في كتب الشيخ وإبداء رأيه

فيها مع التمثيل عن كل قضية من هذه القضايا، أما المستوى الصرفي فتناولنا فيه المشتقات بأنواعها والفعل المتصرف والجامد واللازم والمتعدي والصحيح والمعتل والميزان الصرفي والتذكير والتأنيث والنسبة والممنوع من الصرف والإفراد والتثنية والجمع.

أما القضايا النحوية فذكرنا أهم مسائل النحو في كتب الشيخ ورأيه فيها، منها ما يتعلق بالأسماء ومنها ما يتعلق بالأفعال ومنها ما يتعلق بالأدوات والحروف والضمائر وكذا مسائل الإعمال والتعلق والحذف والتقديم والتأخير والإعراب.

وعنونا **<u>الفصل الرابع</u>** بـ: **الشنقيطي وعلاقة الدلالة بالمعجم**، وقسمناه إلى مستويين اثنين: دلالي ومعجمي، وتطرقنا إلى أهم القضايا الدلالية والمعجمية التي ساقها الشيخ وتحدث عنها في آثاره، وإبداء رأيه فيها مع التمثيل عن كل قضية، ومن المسائل الدلالية ذكرنا المنطوق والمفهوم والعام والخاص والمطلق والمقيد والتأويل والمحكم والمجمل والمبين والناسخ والمنسوخ والسياق والحقيقة والمجاز والقصر والحصر...وغيرها.

ومن قضايا المعجم ذكرنا الترادف والاشتراك والتضاد والحقول الدلالية.

وبهذا الفصل نكون قد أحطنا بكل ما يتعلق بالبحث اللغوي عند محمد الأمين الشنقيطي.

وختمنا البحث **<u>بخاتمة</u>** ضمناها أهم ما توصلنا إليه من نتائج طيلة فصول هذه الدراسة.

واعتمدنا في هذا العمل عل المنهج الوصفي الذي يعنى بوصف الظواهر اللغوية سواء كانت قضية صوتية أو صرفية أو نحوية أو دلالية أو معجمية ورصد مظاهر تواردها في البحث الشنقيطي، كما اعتمدنا المنهج التحليلي الذي يرد المسائل الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والمعجمية إلى أصولها ومصادرها الرئيسية وذلك عند توثيق بعض المسائل ومناقشة بعض الآراء التي وردت في أعمال الشيخ فمن غير المنطقي أن لا يرجع الشيخ إلى مصادر التراث اللغوي والأدبي الأولى، وأما المنهج التاريخي فاعتمدناه عند التاريخ لحياة وعصر وبيئة الشيخ الشنقيطي في مدخل هذه الدراسة، وأما المنهج الاستقرائي فاعتمدناه عند قراءة كتب الشيخ ومحاضراته واستظهار موضع الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والمعجمية لتحليلها ومناقشتها، ويسمى اجتماع هذه المناهج في هذه الدراسة الواحدة بالمنهج التكاملي.

ولا بد من الإشارة إلى الصعوبات التي رافقت عملية البحث منذ أن كان فكرة حتى استوى على ساقه في صورته الحالية، ومن هذه الصعوبات تداخل المادة الغوية بعضها ببعض مما يتطلب قراءة كل الكتب التي كتبها الشنقيطي بدقة وبالتالي قراءة المصنفات التي نهل منها الشيخ أيضا في سبيل الوقوف على القضايا المتعلقة بالبحث اللغوي مما صعب علينا عملية التصنيف والتصفيف فضلا عن تداخل المستويات اللغوية، فبعض القضايا قد نتحدث عنها في المستوى الصوتي وفي المستوى الصرفي والدلالي مما أوقعنا في مرات في التكرار وإعادة الأمثلة والشواهد في غير ما مرة، ومن الصعوبات أيضا اجتماع الكثير من العلوم والفنون في شخص الشنقيطي وقد يحيلنا في الكثير من المرات إلى الرجوع إلى مصادر التراث العربي للتأكد والزيادة في فقه المعنى الذي يريد توصيله خصوصا ما تعلق بعلم الكلام والمنطق وعلم الأصول ونحو ذلك.

فهذا ما قمت به والله يعلم أني لم أدخر وسعا ولم آل جهدا في أن يخرج هذا البحث المتواضع في صورة مرضية تليق بموضوعه الذي يتناول عدة علوم اجتمعت في شخص الشيخ الشنقيطي، فإن وفقت فذلك من فضل الله علي وتيسيره ثم بتوجيهات الناصحين والمخلصين من أساتذتي وإخواني الباحثين وأخص بال\كر الأستاذة المشرفة الدكتورة صفية مطهري، وإن كان هناك تقصير أو خطأ أو سهو أو زلل فحسبي أنني اجتهدت وما قصرت ولعل الله أن ييسر لي بعد ذلك أمرا لتدارك ما فات ويهيئ لي من يسد ما قد يوجد من عجز أو تقصير والحمد لله أولا وآخرا وهو المعين والهادي إلى سواء السبيل.

وفي النهاية لا يفوتني أن أتوجه بالشكر والتقدير لكل من أعان وأسهم ولو بالدعاء الخالص أو الكلمة الطيبة في سبيل أن يخرج هذا البحث المتواضع في صورته الأخيرة.

وهذه الدراسة ما هي إلا لبنة في صرح الدراسات اللغوية واللسانية الحديثة التي نرجو أن يكتمل بناؤها وعلى الباحثين والدارسين اللغويين أن يتجهوا إلى بابها فهي باب واسع ونفعها عميم عظيم ولا ندعي الكمال في هذا البحث المتواضع فالكمال لله وحده ولكنه جهد المقل وعمل العبد الفقير نأمل أن لا يكون عمل المخل وندعو الله عز وجل أن يجعل هذه الدراسة في ميزان حسناتنا وأن ينفعنا بها والدارسين من بعدنا.

جلول دواجي عبد القادر

في 2014/03/25م.

المدخـــــل:

محمد الأمين الشنقيطي

قراءة في سيرته وآثاره

1- بيئة الشنقيطي: ولد الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ونشأ وتربى وترعرع ودرس في بلاد شنقيط وهو الاسم القديم لموريتانيا (الجمهورية الإسلامية الموريطانية)، وشنقيط معناها باللغة المحلية عند شعبها: العيون التي تشرب منها الخيول أو رباط الخيل، أما إذا رُدت الكلمة إلى أصل عربي فإنها أتت من: سن قيط ومعناهما طرف جبل قيط، وهو جبل في المنطقة، وكانت تعرف أيضا بـ: صحراء الملثمين أو بلاد التكرور.[1]

أما اسم موريتانيا وهو اسمها الحالي فقد أقرته فرنسا عام 1899م بعد احتلالها لهذا البلد، وهي كلمة لاتينية الأصل مركبة من مقطعين:

مور: وتعني الإنسان الأسمر ذي الصفات العربية.

تانيا: وتعني البلاد أو الأرض، أي بلاد السمر، وقد استخدمت من فرنسا هذا الاسم بهدف تكريس فكرة أن هذه البلاد كانت سابقا للرومان والفرنجة، ويقال: إن الإغريق هم من أطلقوا عليها موروسيا ومن هذا الاسم جاء اسمها الحالي.[2]

بلاد شنقيط أو موريتانيا[3] أو الجمهورية الإسلامية الموريتانية، تقع غرب إفريقيا على شاطئ المحيط الأطلسي يحدها من الشمال كل من الصحراء الغربية والجزائر ومن الجنوب السنغال ومالي، ومن الشرق مالي، تقدر مساحتها بـ 1.030.700 كلم^2، بحدود برية طولها 5074 كلم، وهي مقسمة إلى 13 ولاية، عاصمتها نواكشوط، لغتها الرسمية: العربية، دينها الإسلام كما أقره دستورها، ونظام الحكم فيها جمهوري، يقدر عدد سكانها بـ 3.291.000 نسمة حسب إحصاءات 2009م، عملتها الأوقية الموريتانية، استقلت عن فرنسا في 28 نوفمبر 1960م، من أهم مدنها نواذيبو، ألكوجيت، أتار، شنقيط، تيجكجة، أزوفي، نواكشوط، وغيرها،[4] يطلق عليها بلد المليون شاعر وفيها آلاف المخطوطات النفيسة وهي واحة من الفصاحة والبلاغة، تزيدها جمالا وبهاءً طبيعتها الساحرة بين زرقة المحيط وصفرة الرمال إضافة إلى فطرة أهلها المجبولة على الضيافة الأصيلة والكرم المتوارث والتقاليد والتراث الغني الزاخر.

إن بلاد شنقيط ضاربة في التاريخ إذ تعود أول آثار السكن البشري بالمنطقة إلى العصر الحجري الوسيط حيث استقرت بها قبائل من السود قادمة من الجنوب ومن الشرق، وشكلت الساكنة الأولى في موريتانيا، في حين يرى البعض أن العناصر البربرية البيضاء كانت هي السباقة لسكن المنطقة، وهو ما تؤكده الآثار الأركيولوجية، وبعدها حل أمازيغ صنهاجة بالمنطقة في الألفية الأولى بعد الميلاد، وسيطروا على الطرق التجارية الصحراوية.[5]

حظيت موريتانيا بزيارة الرحالة ابن بطوطة إلى مدينتها (ولاته) وهي منطقة تقع في شرق البلاد في رحلته المشهورة التي بدأها من مدينة طنجة عام 725هـ فوصف التجارة فيها، وذكر القوافل الآتية من البلدان المجاورة لشراء الملح، يقول: "يجلب إليهم تمر درعة وسجلماسة، وتأتيهم

---

[1] - تللو نبيل: الموسوعة الجغرافية العالمية المصورة، دول العالم، دار علاء الدين، سورية، دمشق، ط1، 2005م، الكتاب الأول، ص 509.

[2] - المرجع نفسه، الكتاب الأول، ص 509.

[3] - يراجع مقلد محمد يوسف: موريتانيا الحديثة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1960م، ص 41.

[4] - بوحجر آمنة: موسوعة المدن العربية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، 2001م، ص 547.

[5] - الموسوعة الحرة: ويكيبيديا، (موريتانيا). ....www.wikipedia.org/wiki

القوافل من بلاد السودان فيحملون الملح، ويباع الحمل منه (بولاته) بثمانية مثاقيل إلى عشرة، ويباع في مدينة مالي بعشرين مثقالا، وربما وصل إلى أربعين مثقالا، وبالملح يتصارفون كما يتصارف بالذهب والفضة".[1]

وفي القرن الرابع الميلادي استقر العرب في المنطقة، ومع الفتح العربي الإسلامي لشمال إفريقيا أيام الأمويين في القرن السابع الميلادي دخلت موريتانيا في الإسلام، وارتبط تاريخها بتاريخ المغرب العربي، فشكلت جزءا من دولة المرابطين والموحدين والأشراف السعديين.[2]

ويؤكد المؤرخون أيضا أن نواكشوط كانت جزءا من الإمبراطوريتين الكبيرتين، غانا ومالي، من القرن الثالث إلى القرن الخامس عشر الميلاديين، وقد نزل البرتغاليون هذه البلاد في القرن الخامس عشر الميلادي وتنافست عليها خلال القرن السابع والثامن عشر الميلاديين كل من بريطانيا وفرنسا وهولندا، حيث احتلت فرنسا هذا البلد عام 1902م، وفرضت عليها الحماية عام 1903م، وبهذا أصبحت موريتانيا جزءا من إفريقية العربية الفرنسية، وكان زافير كوبولاني أول حاكم للمحمية، وقد أصبحت موريتانيا مستعمرة فرنسية عام 1920م.[3]

وفي عام 1946م قامت فرنسا بإصلاحات دستورية أدت إلى إنشاء تجمع إفريقي ينتمي إليه إقليم موريتانيا، لكن التطورات الداخلية السريعة في إفريقيا وتفاقم المشكلات في الجزائر وائتلاف الأحزاب المغاربية في مؤتمر طنجة عام 1958م أدت إلى إعادة النظر في المشروع الفيدرالي والتوجه نحو إعطاء الإقليم استقلالا ذاتيا مع صدور قانون يقضي بإنشاء مجلس حكومي تنتهجه الجمعية الإقليمية ويرأس الحكومة المندوب الفرنسي الذي له صلاحيات واسعة، وقد انتخبت الجمعية الإقليمية الموريتانية في مارس 1957م وتشكلت الحكومة في ماي من العام نفسه وعين نائبا لرئيسها المحامي المختار ولد داده الذي سيكون أول رئيس لموريتانيا فيما بعد.[4]

وفي 28 نوفمبر 1958م أعلنت الجمهورية الإسلامية الموريتانية كدولة ذات حكم ذاتي بعد عرض فرنسا استفتاء على مستعمرات ما وراء البحار على خيار الاستقلال أو الاتحاد الفرنسي، وأفرز الاستفتاء الزخم الشعبي القوي المطالب بالاستقلال وتبنيه من القوى الوطنية والأحزاب السياسية المحلية،[5] ونالت موريتانيا استقلالها عن فرنسا عام 1960م.[6]

وبعد الاستقلال اتبعت موريتانيا نهجا جديدا بالابتعاد عن فرنسا والانفتاح على دول عربية تقدمية كالجزائر ومصر، ثم الصين الشعبية بعد قيام العلاقات معها، وابتعدت عن المنظمات الفرانكفونية، وشاركت في قمة عدم الانحياز عام 1964م بالقاهرة، وتبلورت سياسة عربية للدولة، وقطعت عام 1967م علاقاتها الدبلوماسية مع واشنطن ولندن بسبب دعمهما لإسرائيل، وساندت القضية الفلسطينية، ثم حققت المصالحة مع المغرب عام 1969م، وانتهت فترة حكم الرئيس

---

[1] - ابن بطوطة (أبو عبد الله بن إبراهيم اللواتي): رحلة ابن بطوطة دار الفكر، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 658.

[2] - تللو نبيل: الموسوعة الجغرافية العالمية المصورة، دول العالم، الكتاب الأول، ص 509.

[3] - الصفدي سفيان: الموسوعة التاريخية لدول العالم وقادتها، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2000م، ص 169.

[4] - الزيدي مفيد: موسوعة التاريخ العربي المعاصر والحديث، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2004م، ص 263 وما بعدها.

[5] - المرجع نفسه، ص 265 وما بعدها.

[6] - يراجع: عطية الله أحمد: القاموس السياسي، طبعة دار النهضة، القاهرة، 1980م، ص 1566، ومعهد البحوث والدراسات العربية: الجمهورية الإسلامية الموريتانية، دراسة مسحية شاملة، جامعة الدول العربية، القاهرة، 1978م، ص (ز) وما بعدها.

المختار ولد داده بقيام انقلاب عسكري في 10 يوليو 1978م بعد أزمة اقتصادية واجتماعية عانتها البلاد.[1]

وفي عام 1984م استولى العقيد معاوية ولد سيد أحمد الطايع رئيس أركان الجيش على السلطة، وتم انتخابه رئيسا لموريتانيا 1992م وأعيد انتخابه سنة 1997م وفي سنة 2005م قامت جماعة من الضباط المستائين من الفساد في الجيش ومؤسسات الدولة بالانقلاب على الرئيس ولد الطايع، واختاروا العقيد علي ولد محمد فال مدير الأمن الوطني رئيسا للبلاد، وفي 2007م جرت انتخابات رئاسية تنافسية ديمقراطية لأول مرة في تاريخ موريتانيا، وتم انتخاب سيدي ولد الشيخ عبد الله رئيسا للجمهورية، وفي 2008م اعتقل بعد انقلاب عسكري، وفي 2009م جرت انتخابات رئاسية فاز فيها الرئيس محمد ولد عبد العزيز.[2]

الناظر إلى موريتانيا يجد موقعا جغرافيا مناسبا لخلق شعب مزيج بين الأفارقة السود في جنوب البلد والشعوب البيضاء في الشمال، ففي موريتانيا مزيج من شعبين ذوا ثقافتين متعايشتين يجمعهما الإسلام هما: البيضان والأفارقة الزنوج تعيشان في المدن الكبرى، ويسكن الأفارقة أيضا ذوو الأصول السينيغالية بمحاذاة النهر لأنهم مزارعون، بينما يوجد البيضان في المناطق الأخرى لأنهم في الأصل بدو في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية، فـ 80% من الموريتانيين هم عرب بربر (البيضان) والعرب السمر(الحراطين) يشتركان في اللهجة التي يتكلمون بها وهي اللهجة الحسانية وتبقى 20% عبارة عن أفارقة وزنوج وتضم هذه المجموعة (الولوف والسننكي والبولار).[3]

ينص الدستور الموريتاني على أن تكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية رغم أن اللغة الفرنسية هي اللغة السائدة في الدوائر الحكومية والانجليزية قليلة الانتشار، والاسبانية أقل انتشارا من ذلك وهناك لهجات عدة يتكلم بها الشعب الموريتاني منها:

1- الحسانية: وهي اللهجة العربية السائدة في موريتانيا وهي من أقرب اللهجات إلى اللغة العربية الفصحى.

2- البولارية: لهجة زنجية تتكلمها أقلية قبيلة البولار (الفولاني).

3- السوننكية: لهجة زنجية تتكلمها أقلية قبيلة السونونكي (السراغولي).

4- الولوفية: هي ذاتها اللهجة الزنجية السارية في السنغال وتتكلمها أقلية قبيلة الوولف السنغالية المتجنسة في موريتانيا.

5- لهجة أزناك: وهي لهجة أمازيغية شبه منقرضة كانت في الأصل لغة القبائل البربرية الموريتانية، ولا يتحدثها الآن سوى مئات في أقصى غرب موريتانيا.

6-البمبارية: هي ذاتها اللهجة الزنجية السائدة في دولة مالي ويتكلمها القليل من السكان في المناطق الموريتانية المحاذية لمالي.[4]

---

[1] - الزيدي مفيد: موسوعة التاريخ العربي المعاصر والحديث، ص 231.

[2] - الموسوعة الحرة: ويكيبيديا، (موريتانيا)......www.ar.wikipedia.org/wiki

[3] - الموسوعة الحرة: ويكيبيديا، (موريتانيا). الموقع الالكتروني نفسه.

[4] - الموسوعة الحرة: ويكيبيديا، (موريتانيا). الموقع نفسه.

موريتانيا بلد عضو في اتحاد المغرب العربي وفي جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي والإتحاد الإفريقي وحركة عدم الإنحياز ودول الإتحاد من أجل المتوسط ومنظمة الأمم المتحدة وغيرهما من المنظمات الإقليمية الدولية.

هذه نبذة مختصرة عن عصر وبيئة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي الذي أنجبته موريتانيا، فقد عرفنا بعصره وبيئته قبل التعريف به لأهمية البيئة في تكوين العلماء ونبوغهم.

2- سيرة الشنقيطي وحياته: لا يشك أحد في أن الترجمة هي الحكاية والتاريخ لحياة شخصية ما سواء كان شاعرا أو أديبا أو عالما بالحديث عن شخصه وحقيقته وبيان لمنزلته ومكانته، وبالحديث أيضا عن سيرته العلمية بطلبه العلم وتتلمذه على شيوخه في بقعة واحدة أو بقاع كثيرة من الأرض، وتلامذته الذين ساهم في تعليمهم وإجازتهم ومصنفاته التي ساهم في نشرها وأودعها عقول الناس وخلفها في رفوف المكتبة العلمية، فإذا كانت الترجمة بهذا المفهوم فإننا سنحاول في هذا المبحث أن نجمع الشتات المتناثر عن حياة العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي- شخصية بحثنا هذا- المروي منه والمدون، لأن الترجمة هي مفتاح فهم التراث الذي خلفه هذا العالم وسبيل لمعرفة منهجه العلمي، وبالتالي فهم تراث الأمة ومعرفة منهجها على مدار عصورها المتتالية وأجيالها المتوالية، بل الترجمة هي رد للجميل من التلميذ لشيخه ولون من ألوان الوفاء بالعهد وإيفاء الحقوق عليهم، بل هو نوع من الدعاء لهم والترحم عليهم جزاء ما قدموا وأفادوا، فلا ينبغي أن نكون كما قال القاضي عياض عن بعض مشايخه "ما لكم تأخذون العلم عنا وتستفيدون منا، ثم تذكروننا ولا تترحموا علينا"[1]، فلا يمكن إغفال تراجم هؤلاء العلماء ولا يمكن أن يستهان بها في عملية البحث لأنه كما قال السخاوي: "من ورخ مؤمنا فكأنما أحياه"[2].

وترجمة العالم لنفسه أو ترجمة الآخرين له من أبناء وتلامذة وأصدقاء على سبيل المثال قديم في التاريخ العربي، فلقد ترجم الكثير لنفسه وصارت تراجمهم مرجعا رئيسا لكل من كتب عنهم فيما بعد، ومن هؤلاء مثلا: الشيخ الرئيس ابن سينا (أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي) (ت 428هـ) و العماد الأصفهاني (عماد الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله بن أله) (ت 597هـ)، ولسان الدين بن الخطيب (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله السلماني القرطبي)(ت 776هـ)، وابن خلدون (ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم الحضرمي)(ت 808هـ)، والسيوطي (جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر الخضيري الأسيوطي أو السيوطي) (ت 911هـ) ومثلهم فعل شيخنا محمد الأمين الشنقيطي في كتابه "رحلة الحج إلى بيت الله الحرام"، فهذا الكتاب فيه جوانب مهمة من حياة الشيخ رحمه الله.

[1] - الشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار الجكني: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، المجلد 10، بيروت، لبنان، الطبعة 3، 2006م، ص 268.

[2] - المصدر نفسه، ص 268.

ولقد سلكنا إزاء التعريف بمحمد الأمين الشنقيطي كل مسلك، وحصلنا على المادة من كل سبيل ممكنة وأخذنا بكل سبب متاح، وهذا من أجل أن نوفي الشيخ حقه من جميع الجوانب، ونلم بكل ما له صلة به وبمسيرته العلمية، ومن تلك السبل: المطالعة واستخدام الأجهزة التكنولوجية المعاصرة.

أما المطالعة فجمعت كتبا كثيرة تحمل في بطونها ترجمة ـ تطول أو تقصر- عن حياة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، ومن هذه الكتب نذكر ما يلي:

1- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:** وهو كتاب هام للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، وأخص بالذكر الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2006م، والتي حققها الشيخ محمد عبد العزيز الخالدي، ففي الجزء العاشر أورد الشيخ عطية محمد سالم ـ تلميذ الشنقيطي- محاضرة بعنوان: "مع صاحب الفضيلة والدنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله" ص 267.

2- **نثر الورود على مراقي السعود:** الذي قام بشرحه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، تحقيق وإكمال الدكتور محمد ولد سيدي ولد حبيب الشنقيطي، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، الطبعة الثالثة، 2002م، ص 17.

3- **رحلة الحج إلى بيت الله الحرام:** للشيخ الشنقيطي، طبعة دار ابن تيمية، القاهرة، مصر، وفيه ترجمة بقلم تلميذه الشيخ عطية محمد سالم، ص 11.

4- **الشنقيطي ومنهجه في التفسير في كتابه: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:** وهي رسالة ماجستير أعدها أحمد سيد حسانين إسماعيل الشيمي، بجامعة القاهرة، كلية دار العلوم، قسم الشريعة عام 2001م، ص 61.

5- **ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (صاحب أضواء البيان):** لعبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، الطبعة الأولى، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 1991م.

6- **بحوث في أصول التفسير ومناهجه:** لفهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، مكتبة التوبة، الطبعة الرابعة، الرياض، السعودية، 1419هـ.

7- **اتجاهات التفسير في القرن 14هـ:** هي رسالة دكتوراه أعدها فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، من كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام 1402هـ.

8- **حلية طالب العلم:** لبكر بن عبد الله أبي زيد، دار العاصمة للنشر والتوزيع، ط1، 1416هـ.

9- **أدب الرحلة في بلاد شنقيط خلال القرنين 13 و 14 هـ (مقاربة وتنظير):** رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في اللغة العربية وآدابها، أعدها محمد بن أحمد بن المحبوبي، إشراف محمد بن شريفة 1995م، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب، الرباط.

10-**السلفية وأعلامها في موريتانيا:** للطيب بن عمر الحسين، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1416هـ/1995م.

11-**علماء ومفكرون عرفتهم:** لمحمد المجذوب، دار الشواف للنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 1992.

12-**القول السديد في كشف حقيقة التقليد:** لمقتدى حسن الأزهري.

13-**محاسن الإسلام والرد على أباطيل خصومه:** لساعد عمر غازي.

وأهم ترجمة للشيخ تلك التي كتبها عنه تلميذه عطية محمد سالم، تلك الترجمة تعد المصدر الرئيس والمرجع الوحيد لكل من أراد أن يترجم للشنقيطي أو يكتب عنه، وهي ترجمة بمنزلة الأصل وغيرها بمثابة الفرع، وذلك لما لها من السبق والخصوصية والأهمية والشمولية بما ليس لغيرها في بابها، وكيف لا يتوفر لها ذلك وكاتبها الشيخ عطية قد حظي من شيخه بما لم يحظ به غيره؟[1] وتليها في الأهمية رسالة الماجستير التي أعدها أحمد سيد حسانين إسماعيل الشيمي بعنوان" الشنقيطي ومنهجه في التفسير" حيث كان له الفضل في ملاقاة الشيخ عطية سالم وابني الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (محمد) الابن الأكبر (عبد الله) الابن الأصغر، مما نجم عن هذه اللقاءات سماع وجمع الأخبار من مصادرها الأصلية المباشرة[2]، هذا عن ثمار المطالعة.

وهناك وسيلة أخرى لجأنا إليها وهي استخدام مختلف الوسائل التكنولوجية المعاصرة كالاتصالات عن بعد، ومحاورة بعض المثقفين والعلماء بالنقال والأنترنيت والفاكس، أتت هذه الوسيلة أكلها بالحصول على الكثير من الأشرطة السمعية والبصرية أهمها شريط مصور قامت به قناة "المجد" السعودية وهو عبارة عن بحث ميداني في موريتانيا مع تلامذة الشيخ وأصدقائه وأبنائه وأعمامه وأبناء أعمامه،[3] ومن ثمار هذه الوسيلة كذلك تحميل العديد من الكتب والدوريات والمقالات والمداخلات وكذا صور متنوعة للشيخ من مواقع إلكترونية مختلفة أنارت لنا جوانب مهمة من حياة الشنقيطي وأخباره وأحواله، وهذا كله من مصادر ترجمته، وفيما يلي قطوف من حياته وسيرته بدءا بنسبه وانتهاءً بوفاته رحمه الله.

أ- اسمه ونسبه: يقول تلميذه الشيخ عطية محمد سالم في ترجمة الشنقيطي التي سمعها منه مباشرة: "هو محمد الأمين، وهو علم مركب من اسمين وذكر محمد تبرك، واللقب آبا بمد الهمزة وتشديد الباء من الإباء واسم أبيه: محمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن أحمد نوح بن محمد بن سيدي أحمد بن المختار من أولاد الطالب أوبك، وهذا من أولاد كريز بن الموافي بن يعقوب بن جاكن الأبر، جد القبيلة الكبيرة المشهورة المعروفة بالجكنيين ويعرفون بـ (تجكانت)"[4].

فمحمد والأمين والمختار هي أسماء لا تخلو منها أسر البلاد العربية والإسلامية، ولا سيما بلاد شنقيط، فمحمد كما قال عطية سالم تبرك بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، والأمين أيضا لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه كان يلقب بالصادق الأمين، والمختار تيمن بشخص الرسول الأعظم أيضا لأن الله اختاره واصطفاه وفضله على جميع أنبيائه ورسله لحمل رسالة الإسلام إلى العالمين، مصداقا لقوله تعالى:" **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض**"[5]، وفي هذا

---

[1] - الشيمي أحمد سيد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير في كتابه "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" إشراف الدكتور أحمد يوسف سليمان مخطوط ماجستير، جامعة القاهرة، كلية العلوم قسم الشريعة، القاهرة، 2001م، ص 56.

[2] - المصدر نفسه، ص 58.

[3] - قام بالحوار والبحث الأستاذ عبد الرحمن العمري، صحفي بقناة المجد الفضائية، وحصلت على نسخة منه، وهو محفوظ لدي.

[4] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2006، ج10، ص 274.

[5] - البقرة، الآية 253.

الصدد يقول محمد المجذوب: "والأمين كالمختار من الأسماء التي كثيرا ما تقرن باسم محمد عند الشنقيطيين تبركا وتيمنا وتعبيرا لهم عن حبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم"[1].

يلقب الشيخ الشنقيطي بعدة ألقاب منها:[2]

- **الشنقيطي:** وهذا نسبة إلى مسقط رأسه ببلاد (شنقيط) وهي ما تعرف اليوم بالجمهورية الإسلامية الموريتانية.
- **الجكني:** نسبة إلى (بني جاكن) أو (بني جاكان) التي تسمى باسم جدها الأكبر (جاكن الأبر)، ومن ثم يعرف أهل هذه القبيلة بـ (الجكنيين).
- **اليعقوبي:** نسبة إلى جده الأول عبد القادر الذي كان يلقب باليعقوبي نسبة إلى يعقوب بن جاكن الأبر.

ما يعرف عن والده محمد المختار سوى اسمه، وهو جكني من قبيلة (بني جاكان)، كما أنه ابن عم زوجته (والدة الشنقيطي)، حيث يجتمع نسبهما في جدهما لأبيهما المعروف بـ (أحمد نوح)، وقد ولد والد الشنقيطي ببلاد شنقيط وتوفي بها وقت كان ابنه محمد الأمين دون العاشرة من عمره، حيث كان ولا يزال آنذاك يحفظ جزء (عم) وقد ترك له ثروة من الحيوان والمال، فانتقل إلى بيت أخواله ليقوموا على رعايته وتربيته.[3]

أما أمه فجنكية أيضا، وولدت ببلاد شنقيط، واسم أبيها (محمد المختار) كاسم زوجها، وقد عمرت والدة الشنقيطي بعد وفاة زوجها، دون أن تتزوج غيره، حيث تفرغت للعناية بالشنقيطي كأشد ما تكون عناية الأم بولدها، ثم كانت وفاتها ببلادها بعد أن جهزت ولدها لطلب العلم وتحصيله، بل هيأت له كل سبله وذلك بعد أن أتم مرحلة البلوغ في السادسة عشر من عمره، وبمساعدة أخواله فرحا به وترغيبا له.[4]

كان الشنقيطي وحيد والديه، حيث إنهما لم ينجبا غيره، فلم يكن لديه أخ أو أخت، ومن ثم فقد وجد من الوالدين الرعاية والعناية، بل إنهما كانا يعملان على تهيئة كل الأجواء المحيطة به لتكون في خدمته إلى الحد الذي كانا يفرغان له الدار وقت نومه وراحته عقب فراغه من طلب العلم وتحصيله[5]، هذا عن أسرته.

أما عن قبيلته فهو ينتسب إلى (الجنكيين) وقبيلة (بني جاكان) التي يرجع نسبها إلى (حمير[6]) [7] ومن الصفات التي يمتاز بها الجكنيون: الأصالة والعلم والكرم والفروسية،[8] وما إلى ذلك من كريم

---

[1] - المجذوب محمد: علماء ومفكرون عرفتهم، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط3، 1986م،ج1، ص 171.

[2] - الشيمي أحمد سيد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير في كتابه "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، ج1، ص 77، ويراجع أيضا: آل الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله: مشاهير علماء نجد وغيرهم، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ط2، 1394هـ، الرياض، ص ص517-521.

[3] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج 10، ص 276.

[4] - الشيمي أحمد سيد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير في كتابه، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،ج1، ص 72.

[5] - المرجع نفسه،ج1، ص 73.

[6] - هذه رواية ذكرها عطية محمد سالم في أضواء البيان، وذكرها ابنه أيضا محمد الابن الأكبر، غير أن صاحب مخطوط الماجستير من جامعة القاهرة الأستاذ الشيمي أحمد سيد حسانين إسماعيل يذكر بأن الجنكيين ينتسبون إلى غالب وغالب هو أحد أجداد الرسول صلى الله عليه وسلم، فالشنقيطي كما يذكر صاحب المخطوط يلتقي نسبه مع الرسول صلى الله عليه وسلم، ودافع عن رأيه بأدلة كثيرة، يراجع الشيمي أحمد سيد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير، ج1، ص ص 64-66.

[7] - ينظر الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج10، ص 275، وذكر هذا أيضا الشيخ الشنقيطي أحمد المختار في شريط مصور من قناة المجد الفضائية، عنوان الحصة (حياة إنسان) وخصصت الحلقة للحديث عن الشنقيطي رحمه الله.

[8] - الشيمي أحمد سيد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير في كتابه، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،ج1، ص 66- 70.

السجايا، وحميد الأخلاق وأجمل الشيم، يلمسها كل من زارها وحل بهم ونزل عندهم، أو حتى من سمع أو قرأ عنهم، فهم مجبولون ومطبوعون عليها إلى يومنا هذا الذي قضت فيه الحضارة المادية على هذه القيم.

ولد محمد الأمين الشنقيطي عام 1035هـ وقيل 1325هـ، وما يلاحظ على التاريخين طول المدة التي بين الأول والثاني، فقد يقبل الاختلاف في التاريخ إذا كان الفارق عاما أو عامين، لكن أن يقبل أحدهما والفارق عشرين سنة فهذا من ضروب المستحيل، التاريخ الأول ذكره عطية سالم في مقدمة "أضواء البيان" وفي تقديمه لسيرة الشيخ في كتابه "رحلة الحج إلى بيت الله الحرام"، وأما الثاني فذكره عبد الرحمن السديس في كتابه "ترجمة للشيخ محمد الأمين الشنقيطي" والتزم به آخرون في كتبهم ومقالاتهم، والحقيقة إن الرأي الصائب هو التاريخ الثاني، فمولد الشنقيطي كان عام 1325هـ الموافق لـ 1907م، لأن الأستاذ أحمد سيد حسانين إسماعيل الشيمي قال في مخطوط رسالته التي أعدها :"وقع تصحيف فيما أورده الشيخ عطية سالم من أن مولد الشنقيطي كان عام 1305هـ، وذلك في معرض ترجمته الموجزة لشيخه من خلال رحلة حجه الأول إلى بيت الله الحرام، وقد دفعني هذا التصحيف إلى توثيق تاريخ مولد الشنقيطي بسؤال كل من: تلميذه الشيخ عطية، وولديه الدكتور محمد المختار والدكتور عبد الله، حيث أكدوا جميعهم أنه ولد عام 1325هـ.[1]

وكان مسقط رأسه – رحمه الله – عند ماء يسمى (تنبه) من أعمال مديرية (كيفا) من القطر المسمى بشنقيط وهو دولة موريتانيا الإسلامية الآن،[2] وتكتب أيضا (كيفة) وهي عاصمة ولاية لعصابة، ثاني ولاية من الجمهورية اليوم[3]، و"تنبه" هي بئر ماء، و"كيفة" اسم لبئر مشهور بملوحة المياه بالرغم من ذلك فإنها تعد إحدى المناهل العظيمة التي تردها الإبل، فتنعم بشربها ويكثر لبنها، كما أنها ملقط عظيم للصمغ العربي ذي الجودة العالية،[4] والقرية التي ولد فيها هي قرية (قرو).[5]

ب- نشأته وتعلمه: نشأ محمد الأمين الشنقيطي يتيما، فقد مات أبوه وهو دون العاشرة من سنه، فتكفلت أمه بتربيته عند أخواله، وهم بنو عمومة والده، حيث يقول عن نفسه: " توفي والدي وأنا صغير أقرأ في جزء (عم) وترك لي ثروة من الحيوان والمال، وكانت سكناي في بيت أخوالي وأمي ابنة عم أبي، وحفظت القرآن على خالي عبد الله بن محمد المختار بن إبراهيم بن أحمد بن نوح جد الأب المتقدم،[6] ثم ماتت أمه بعد أن أتم مرحلة البلوغ.[7]

---

[1] - الشيمي أحمد سيد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير في كتابه، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،ج1، ص 92، وسمعت هذا أيضا من ابنه الدكتور محمد في مقابلة أجرتها معه قناة المجد الفضائية.

[2] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج 10، ص 275، والمعلومة نفسها أوردها ابنه محمد في الشريط المسجل الذي قامت بتصويره قناة المجد، وعنوان الشريط، "حياة إنسان" حلقة مخصصة للشيخ الشنقيطي.

[3] - الموسوعة الحرة، ويكيبيديا (موريتانيا)................................. www.wikipedia.org

[4] - الشيمي أحمد سيد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير في كتابه، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،ج1، ص 93.

[5] - المرجع نفسه،ج1، ص 93.

[6] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج 10، ص 276.

[7] - الشيمي أحمد سيد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير في كتابه، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،ج1، ص 97.

كان بيت أخواله مدرسته الأولى حيث كان جميع مشايخه ومدرسيه هم أهله وذووه من أخواله وزوجاتهم وأبنائهم، وفي تلك المدرسة بدأ يتكون الشنقيطي الطفل الصغير فينمو جسده ويتبلور عقله، ويتكون فكره، وتتضح بوادر ومعالم شخصيته، ليصير فيما بعد جزءا من كل، ووحدة صغيرة في بناء كبير هو بناء قبيلته (بني جاكان).[1]

حفظ الشنقيطي القرآن الكريم على خاله عبد الله وعمره عشر سنوات، ثم يواصل قائلا : "تعلمت رسم المصحف العثماني عن ابن خالي سيدي محمد بن أحمد بن المختار، وقرأت عليه التجويد في مقرئ نافع برواية ورش من طريق أبي يعقوب الأزرق وقالون من رواية أبي نشيط، وأخذت عنه سندا بذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم وذلك وعمري ستة عشر سنة،[2] وهذا بعد أن تعلم قواعد حفظ الحروف الهجائية بحركاتها ونطقها وكتابتها وقراءتها حيث يقول :" كنت أميل إلى اللعب أكثر من الدراسة حتى حفظت الحروف الهجائية وبدؤوا يقرؤونني إياها بالحركات ، ب فتحة بَ، ب كسرة بِ، وهكذا.، ت ..ث، فقلت لهم أوكل هذه الحروف هكذا؟ قالوا نعم، فقلت كفى، أستطيع قراءتها كلها على هذه الطريقة كي يتركونني، فقالوا: اقرأها فقرأت بثلاث حروف أو أربعة وتنقلت إلى آخرها بهذه الطريقة، فعرفوا أني فهمت قاعدتها، واكتفوا مني بذلك وتركوني، ومن ثم حبّبت إلي القراءة.[3]

ومن خلال هذا يتضح أن سكان بلاد شنقيط كانوا يحرصون كل الحرص على تعليم أبنائهم منذ الصغر، وصقل مواهبهم حتى يشبوا عالمين متعلمين، فلقد كانوا يتخذون العلم مطية رغم الطبيعة القاسية، فكانوا يعيشون في كثب الصحراء المسدودة من كل باب ولا سلاح لهم إلا الذاكرة فكانوا يكتبون على ألواح من الخشب وبعيدان من الحطب وبنقرة من الحجر، فكانوا يحفظون المدونات كلها رغم ترحالهم، كانوا على رواحلهم يدرسون، وفي بواطنهم يدرسون، وفي ترحالهم يدرسون، وكان العلم هو هم أبناء هذه البيئة،[4] والرجل عندهم إذا كان غير متعلم إذا خطب لا يزوج، فكان هذا حافزا من الحوافز على التعلم.[5]

لقد كان الشنقيطي في طفولته طفلا مدللا من قبل أمه وأخواله وبنو أخواله وزوجات أخواله لأنه كان يتيما من جهة، ومن جهة أخرى رغد العيش الذي كان يعيشه مع أخواله الميسورين وثروته التي تركها له أبوه، وهذا ما دفعه إلى ميله للهو واللعب ككل الأطفال، وهذا ما جعل تلميذه عطية سالم يقول عنه:"فكان في مكان التدلل والعناية"[6]

وفي هذه الظروف العائلية الميسورة التي كان فيها الشنقيطي الطفل مدللا، كان يجتهد في خلق الأعذار التي من شأنها أن تصرفه عن الدراسة والطلب، وتسلمه إلى المرح واللعب، ومن ذلك عدم صبره على حفظ الحروف الهجائية كما ذكرنا، فكان ذكيا يجد الحيلة للخروج والإفلات من المأزق مؤثرا اللعب قبل أي شيء آخر إلى درجة أن خاله رفض إجازته في حفظ القرآن لصغر سنه من

---

[1] - المرجع السابق، ج1، ص 96.
[2] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج 10، ص 276.
[3] - المصدر نفسه، ج 10، ص 280.
[4] - الشيخ محمد الشنقيطي: ابن عم الشنقيطي في حوار لقناة المجد الفضائية، عنوان الشريط "حياة إنسان".
[5] - الدكتور محمد المختار: ابن الشيخ، شهادة في شريط لقناة المجد الفضائية بعنوان حياة إنسان.
[6] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج10، ص 280.

جهة، ونصبه الفخ للطيور من جهة ثانية، حيث قال له: "لا أستطيع أن أعطيك الإجازة لصغرك حتى تترك وضع الفخ للطيور"،[1] ثم أعطاه الإجازة عندما رآه أهلا لذلك.

بعد حفظ الشيخ لكتاب الله تعالى، قام بحفظ بعض المتون، ودرس بعض المختصرات في النحو والفقه والأدب والتاريخ والسيرة، منها دراسة لرجز (محمد بن بوجة) المعروف باسم (البحر) الذي تعرض فيه لكل كلمة جاءت في القرآن مرة أو مرتين أو ثلاث مرات إلى سبع وعشرين مرة من الكلمات المشتبهة وأفرد كل عدد بفصل.[2]

ومن العلوم الأخرى التي درسها يقول الشنقيطي: "وقد درست بعض المختصرات في فقه الإمام مالك كرجز الشيخ ابن عاشر، كما درست دراسة واسعة في الأدب على زوجة خالي أم ولد الخال أي أن ولد خاله كان يعلمه العلوم الخاصة بالقرآن وأمه تعلمه الأدب"[3]

وعن العلوم التي تعلمها من زوجة خاله يضيف: "كما أخذت عنها مبادئ النحو كالأجرومية وتمرينات ودروس واسعة في أنساب العرب وأيامهم، والسيرة النبوية، ونظم الغزوات لأحمد بدوي الشنقيطي وهو يزيد عن 500 بيت، وشروحه لابن أخته المؤلف المعروف بحماد، ونظم عمود النسب للمؤلف، وهو يعد بالآلاف وشرحه لابن أخته المذكور على خصوص العدنانيين لأنه مات قبل شرح ما يتعلق بالقحطانيين".[4]

هذا في بيت أخواله، أما عن بقية العلوم والفنون فقال: **<u>عن الفقه المالكي:</u>** "وهو المذهب السائد في البلاد، درست مختصر خليل، بدأت دراسته (الفقه المالكي) فيه على الشيخ محمد بن صالح إلى قسم العبادات، ثم درست عليه **<u>النصف من ألفية ابن مالك</u>**، ثم أخذت بقية الفنون على مشايخ متعددة في فنون مختلفة، وكلهم من الجكنيين، ومن مشاهير العلماء في البلاد منهم:

1- الشيخ محمد بن صالح المشهور بابن أحمد الأفرم.
2- الشيخ أحمد الأفرم بن محمد المختار.
3- الشيخ العلامة أحمد بن عمر.
4- الفقيه الكبير محمد النعمة بن زيدان.
5- الفقيه الكبير أحمد بن مود.
6- العلامة المتبحر في الفنون أحمد فال بن آده، وغيرهم من المشايخ الجكنيين"[5].

والشنقيطي مع هؤلاء العلماء والفقهاء درس عنهم الكثير من العلوم منها: **<u>النحو والصرف والأصول والبلاغة وبعض التفسير والحديث.</u>**[6]

وهناك علوم حصلها من غير الشيوخ، بل كون فيها نفسه بنفسه، يقول عنها:" أما **<u>المنطق وآداب البحث والمناظرة فقد حصلناه بالمطالعة".</u>**[7]

---

[1] - الدكتور محمد المختار: ابن الشيخ، شهادة في شريط لقناة المجد الفضائية بعنوان حياة إنسان.
[2] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج 10، ص 277.
[3] - المصدر نفسه، ج 10، ص 277.
[4] - الشنقيطي محمد الأمين: رحلة الحج إلى بيت الله الحرام، دار ابن تيمية، القاهرة، مصر، د ط،، د ت، ص 15.
[5] - المصدر نفسه، ص 15.
[6] - نفسه، ص 15.
[7] - نفسه، ص 15.

وعن هذه العلوم التي حصلها بالقراءة والمطالعة يقول الشيخ محمد المجذوب:" كان على الشيخ رحمه الله ألا يكتفي بما تلقاه عن شيوخه وشيخاته، فراح يكب بنفسه على مختلف الأسفار، وفي ما درس وفي ما لم يدرس، ومن هنا توافر له التضلع الملموس في علمي المنطق وأصول البحث والمناظرة، مما لا يكاد يضاهيه فيه الأقلون".[1]

كل هذه العلوم نالها بعد حفظه للقرآن الكريم ورسمه وتجويده، وكان عمره لا يتجاوز السادسة عشر عاما، ثم سافر لطلب العلم في بلاد الجكنيين كما ذكرنا، وعن هذه الرحلة العلمية يحدثنا بقوله: "لما حفظت القرآن وأخذت الرسم العثماني وتفوقت فيه على الأقران، عنيت بي والدتي وأخوالي أشد عناية، وعزموا على توجيهي للدراسة في بقية الفنون، فجهزتني والدتي بجملين، أحدهما عليه مركبي وكتبي، والآخر عليه نفقتي وزادي، وصحبني خادم ومعه عدة بقرات، وقد هيأت لي مركبين كأحسن ما يكون من مركب، وملابسي كأحسن ما تكون، فرحا بي وترغيبا لي في طلب العلم، وهكذا سلكت سبيل الطلب والتحصيل".[2]

ج- منهجه في التحصيل العلمي: البيئة الموريتانية حباها الله بالعلم خصوصا في قبيلة جاكان، حتى إنه ليضرب بها المثل في طلب العلم والتحصيل فيقال:"بلد المليون شاعر"، ويقال "العلم جكني"، فكثيرا من الأسر في بلاد شنقيط جبلت على الذكاء والفهم الثاقب منذ الصغر، ومثل هذا كان الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، فلقد توسم فيه أشياخه العلم وكثرة الحفظ وسرعته والذكاء وحب القراءة والإطلاع والتحصيل من الصغر منذ أن كان يحفظ الحروف الهجائية، وبعدها حفظ القرآن ورسمه وتجويده، فكان يفوق أنداده في سرعة الحفظ وكثرة التحصيل.

انتهز الشيخ محمد الأمين الشنقيطي هذه الأمور التي وهبها الله إياه مع رعاية أخواله (بنو عمومته)، وكذا البيئة المعينة على تلقي طلب العلم، فانكب على الدراسة وترك كل ما يشغله عنها، قضى ليله ونهاره في التحصيل العلمي، وفر بنفسه مجاهدا في سبيل العلم، وكان المكان الأبرز لذلك هو المحضرة.[*]

المحضرة هي مؤسسة تربوية علمية جامعة، التعليم فيها مجاني، وعلى طريقة الموريتانيين، وليست ممنهجة منهجا يمكن تطبيقه على كل الطلاب، وإنما كل طالب له أن يكتب حسب قدرته، ولو كان له لوحان لأمكن ذلك فهو حر، وكل طالب يكتب حسب قدرته واستيعابه لهذا الفن وتجمع المحبرة عددا كثيرا من الطلاب.[3]

وساهمت المحاضر في نشر العلوم الإسلامية واللغة العربية في موريتانيا وفي غرب إفريقيا بصفة عامة.[4]

---

[1] - محمد المجذوب: علماء ومفكرون عرفتهم، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط3، 1406هـ/ 1986م، ج1، ص 173.

[2] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج 10، ص 280.

[*] - لمزيد من التفصيل عن ماهية المحاضر وتطورها يراجع، الصوفي محمد الأمين، المحاضر الموريتانية وآثارها التربوية في المجتمع الموريتاني: مخطوط ماجيستر، جامعة الملك سعود بالرياض، كلية التربية، 1406هـ.

[3] - محمد الشنقيطي: ابن عم الشيخ الشنقيطي، قناة المجد، شريط يتناول حياة الشنقيطي بالتفصيل بعنوان (حياة إنسان).

[4] - عن أهم المحاضر في موريتانيا يراجع كل من:

1- المختار بن حامد: حياة موريتانيا، الدار العربية للكتاب، تونس، 1990م، ج.2

2- الخليل النحوي: بلاد شنقيط، المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، .1987

3- محمد المختار بن أباه: الشعر والشعراء في موريتانيا، الشركة الوطنية للتوزيع، تونس ، .1987

4- مقلد محمد يوسف: شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1987، بيروت، 1962م.

والمحضرة عبارة عن مجمع علمي يلجأ إليه الطالب بكتابة الأحرف على لوح من الخشب وعود من الحطب ودواة من الحجر، ملون ماؤها بالفحم، وبهذه القساوة من الطبيعة كان يبذل الولد الشيخ محمد الأمين الشنقيطي إلى أن أصبح أستاذ المحضرة.[1]

ومن المحاضر التي توجه إليها الشيخ كما يقول أحد أبناء عمومته "محضرة العلوشي" في الحوض الغربي حيث درس النحو هناك، ودرس بعض العلوم الأخرى في محاضر الجنوب الموريتاني، وهو ما يعرف عندهم بمحاضر الشرق.[2]

لقد كانت العلوم والفنون تدرس في المحاضر الشنقيطية إفرادا أي فنا بعد فن وعلما بعد علم، ولأن الشنقيطي كان متميزا في النجابة والتحصيل والفهم والحفظ والذكاء، وما لاحظه عليه شيوخ المحضرة من بديهة حاضرة وهمة عالية ومواهب متفتقة وطاقات فكرية سيالة، أوصاه أشياخه بالقران، يقول عنه تلميذه الشيخ عطية: "وقد مضى - رحمه الله - قدما في طلب العلم حيث ألزمه بعض مشايخه بالقران، فصار يقرن بين كل فنيين حرصا على سرعة تحصيله، وتفرسا له في القدرة على ذلك"[3].

كان الشيخ الذي يقيم في بلاد شنقيط لتعليم الناس يطلق عليه "المرابط" لإقامته الدائمة لنشر العلم، ولا يأخذ المرابط من طلاب العلم شيئا، وإن كان ميسورا ساعد المحتاجين من طلبته، وقد يساعد أهل ذاك المكان الغرباء من الطلاب، فينزلون حول بيته ويبنون لهم خياما أو مساكن مؤقتة، ويكون لهم مجلس علم للدرس والمناقشة والاستذكار[4]، والعلم كان وقتذاك في المحاضر إفرادا وقرانا، فقد يكون الشيخ مختصا في علم واحد أو فن واحد يتعلم عنه الطلاب، وهذا ما يسمى بالإفراد حيث لا يستطيع الطالب الجمع بين علمين في آن واحد، ولا يحق له الانتقال إلى علم ثان حتى يفرغ من دراسة الفن الأول، وهذا هو الإفراد، أما القران فهو الجمع بين فنين مختلفين كالنحو والبلاغة مثلا، ولا يتأتى هذا إلا لمن آتاه الله سرعة التحصيل والحفظ وقوة الذاكرة وسعة الفكر مثل الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، فقد نصحه مشايخه بهذا عندما رأوا فيه هذا الخير الوفير، ومن أوتي هذا أوتي خيرا كثيرا .

يبدأ الطالب في المحضرة مفردا أو مقرنا من أمثال الشنقيطي بكتابة المتن في اللوح الخشبي، فيكتب قدر ما يستطيع حفظه ثم يمحوه، ثم يكتب قدرا آخر حتى يحفظ مقرأ من الفن حسب التقسيم المعهود، فمثلا: النحو، تعتبر الألفية أربعة مقارئ، ويعتبر متن خليل في الفقه نحوا من ذلك.[5]

بعد الحفظ تقدم المتون المحفوظة للدراسة والشرح، فيقوم الشيخ بشرح متن كل فن - كل حسب تخصصه - يشرحه شرحا وافيا بقدر ما عنده من تحصيل دون أن يفتح كتابا أو يحضر في مرجع (علم محفوظ)، ثم يقوم هؤلاء للاستذكار فيما بينهم ومناقشة ما قاله الشيخ، وقد يأخذون بعض الشراح لمقابلته على ما سمعوه أو يرجعون إلى بعض الحواشي، ولا يجتازون ذلك المكان من

---

[1] - محمد الشنقيطي: ابن عم الشيخ الشنقيطي، قناة المجد، شريط يتناول حياة الشنقيطي بالتفصيل بعنوان (حياة إنسان).

[2] - فال بن محمد: أحمد عمومته الشيخ الشنقيطي، قناة المجد، شريط يتناول حياة الشنقيطي بالتفصيل بعنوان (حياة إنسان).

[3] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج10، ص 281.

[4] - الشنقيطي محمد الأمين: رحلة الحج إلى بيت الله الحرام، ص 16.

[5] - المصدر نفسه، ص 17.

الدرس حتى يروا أنهم قد حصلوا كل ما فيه، وليس عليهم من سرعة أو إنهاء كتاب وتحصيل ما في الباب.[1] ومن الطرائف أنهم ذكروا عن بعض الطلاب ممن عرفوا بالذكاء والقدرة على التحصيل، أنه كان لا يزيد في متن خليل على سطرين فقط فقيل له: لم لا تزيد وأنت قادر على التحصيل فقال: لأنني عجلان لأعود إلى أهلي، فقالوا له، إن العجلان يزيد في حصته، فقال: أريد أن أتقن ما أقرأ حتى لا أحتاج إلى إعادة دراسته فأتأخر.[2]

ويحدث الشيخ تلميذه عطية سالم عن منهجه في الدرس والتحصيل قائلا: "جئت للشيخ في قراءتي عليه فشرح لي كما كان يشرح، ولكنه لم يشف ما في نفسي على ما تعودت، ولم يرو لي ظمئي وقمت من عنده وأنا أجدني في حاجة إلى إزالة بعض اللبس وإيضاح بعض المشكل وكان الوقت ظهرا، فأخذت الكتب والمراجع فطالعت حتى العصر فلم أفرغ من حاجتي، فعاودت حتى المغرب فلم أنته أيضا، فأوقد لي خادمي أعوادا من الحطب أقرأ على ضوئها كعادة الطلاب وواصلت المطالعة وأتناول الشاهي الأخضر كلما مللت أو كسلت والخادم بجواري يوقد الضوء حتى انبثق الفجر وأنا في مجلسي لم أقم إلا لصلاة فرض أو تناول طعام وإلى أن ارتفع النهار وقد فرغت من درسي وزال عني لبسي، ووجدت هذا المحل من الدرس كغيره في الوضوح والفهم فتركت المطالعة ونمت، وأوصيت خادمي أن لا يوقظني لدرسي في ذلك اليوم اكتفاء بما حصلت عليه واستراحة من عناء البارحة"[3].

إن شخصية الشنقيطي في المحضرة كانت جذابة وكان محببا إلى الناس، فبعد قراءة الدرس وحفظه يقوم بنظم الدرس المنثور في شكل نظم تعليمي ويوزعه على الناس يقرؤونه، لأن في المحضرة من ليس من الطلاب، بل كان يترك بعض وقته لنشاطه مع أصحابه، وبعضا آخر من الوقت في الأمور الهزلية من قصص ونوادر للترويح عن أنفسهم ووقتا قليلا من التعلم لكن يجعل فيه بركة وفيه يتعلم الكثير من العلوم.[4]

يدل هذا أن الشيخ اختار المنهج الأقوم السليم والسبيل الأسلم لطلب العلم وهو ملازمة المحاضر، وحضور حلقات العلم، وحبه لأشياخه وطاعتهم وملازمتهم ومساءلتهم إذا ما استغلقت عليه بعض المباحث وبعض الأبواب في بعض العلوم، فكان أحد خريجي هذه المحاضر وأحد طلاب العلم الذين أداروا ظهورهم للدنيا، لا يلهيهم عن طلب العلم تجارة ولا بيع ولا شيء آخر من هذا القبيل، واتجهوا إلى فضاءات العلم وساحات المعرفة أينما كانت في بلاد شنقيط إلى أن صار مثلا يحتذى به وشخصية من الطينة النادرة.

د- الشنقيطي والشعر: كان الشيخ موهوبا بقول الشعر منذ الصغر، فلقد أنشأ منظومة شعرية في أنساب العرب معروف بـ: **(خالص الجمان في ذكر أنساب بني عدنان)**، حيث يقول على لسان تلميذه: " وقد ألفه قبل البلوغ، ثم دفنه بعد البلوغ، لأنه كان بنية التفوق على الأقران، وعندها لامه

---

[1] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج10، ص 279 وما بعدها.
[2] - المصدر نفسه، ج10، ص 280.
[3] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج10، ص281 وما بعدها.
[4] - الشيخ بن الشيخ أحمد: ابن عم الشيخ، محاورة مع قناة المجد يتناول حياة الشيخ الشنقيطي في قصته بعنوان"حياة إنسان".

شيوخه على ذلك وقالوا له: كان من الممكن تحويل النية وتحسينها لإمكان الإفادة منه بوجه أو آخر".[1]

فدلالة هذا أن الشيخ كان لا يقبل علما لا تكون فيه نية خالصة لوجه الله تعالى، فالمنظومة نظمها قبل البلوغ، والصبي قبل البلوغ مرفوع عنه القلم، فرغم أن نظمه هذا كان بنية التفوق على الأقران لا بنية التعليم عرف أن مثل هذا العمل مبتور من نية الإخلاص لله، من أجل هذا قام بدفنه وغمره.

ومما نظمه أيضا الإضافات التي زادها عل رجز (محمد بن بوجة) المشهور عندهم بالبحر، وهو نظم يعنى بضبط المصحف وتلاوته[2]، وعن قول الشعر يحدث قائلا: "قدمت على بعض المشايخ لأدرس عليه ولم يكن يعرفني من قبل، وسأل عني من أكون، وكان في ملإ من تلامذته فقلت مرتجلا:

هذا فتى من بني جاكان قد نزلا	**به الصبا على لسان العرب قد عدلا**
رمت به همـــة عليـــاء نحـــوكم	**إذا شـــام برق علـــوم نوره اشتـعلا**
فجاء يرجو ركاما من سحـائبـه	**تكسو لسـان الفـتى أزهـاره حلــلا**
إذا ذاق ذرعا بجهل النحو ثم أبى	**ألا يميـز شكـل العيـن من (فعــلا)**
قد أتى اليوم صبـا مولعـا كلفـا	**(بالحـمـد للــه) لا أبــغي له بــدلا[3]**

يشير الشنقيطي في البيت ما قبل الأخير إلى أن عين الفعل من أعقد المشكلات في الصرف العربي، فجاء قاصدا التعلم والتعمق في النحو والصرف ومعرفة أهم التغيرات التي تطرأ على عين الفعل، وأنواع الأفعال بالنسبة للعين ثم يصرح في البيت الأخير إلى ضرورة دراسته للامية الأفعال المبدوءة بالحمد لله على يد هذا الشيخ.

فالشيخ كان شاعرا قبل النضج والبلوغ، وهذه الأبيات يلاحظ من خلال أسلوبها أنها محاولة مبدئية في نظم الشعر، تجري على لسان فتى لا يزال في طور الحداثة، فتنم عن استعداد صالح للتقدم.[4]

ومما نظمه أيضا رجز في فروع مذهب ابن مالك يختص بالعقود من البيوع والرهون وهو آلاف متعددة.[5]

ولقد كان الشنقيطي الشاب من المولعين بطلب العلم والانشغال التام به حتى أنساه العلم حياته الزوجية، فلما فوتح في أمر الزواج راح ينشد بأنه يؤثر العلم على الزواج في جملة من الأبيات يقول فيها:

دعاني الصالحون إلى النكاح	**غداة تزوجت بيض المــــــلاح**
فقــالـوا تــزوجـت ذات دل	**خلوب اللفظ جائلة الوشـــــاح**
كأن لــحاظها رشقـات نبــل	**تذيـق القلــب ألوان الجـــراح**

[1] - الشنقيطي محمد الأمين: رحلة الحج إلى بيت الله الحرام، ص 27.
[2] - الشيمي أحمد سيد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير، ج1، ص 120.
[3] - الشنقيطي محمد الأمين رحلة الحج إلى بيت الله الحرام، ص 18.
[4] - المجذوب محمد: علماء ومفكرون عرفتهم، ج1، ص 175.
[5] - الشنقيطي محمد الأمين: رحلة الحج إلى بيت الله الحرام، ص 27.

فقلت لهم دعوني إن قلبي	**من الغي الصراح اليوم صاحي**
ولي شغل بأبكار عذارى	**كأن وجوهها ضوء الصباح**
أراها في المهارق لابسات	**براقع من معانيها الصحاح[1]**

رفض الشنقيطي الزواج بالعذارى الفاتنات لأن له ما يشغله عنهن وهو العلم والدواة، إنه مشغول بمتعة العلم عن الأنس بالزوجة حتى ليصرفه التفكير بالمعاني الغوامض عن حاجة نفسه، التي هي أشد ما تكون تفتحا إلى ذلك الإنس.[2]

وبالرغم من هذا فالشعر عنده قليل وهو القادر عليه والمعروف بالعلم الغزير، وهذا دليل على أن الشنقيطي كان يتورع عن قول الشعر ويتباعد عنه، وعندما سأله تلميذه الشيخ عطية محمد سالم فأجاب إجابة مقنعة قائلا: "لم أره من صفة الأفاضل وخشيت أن أشتهر به، وتذكرت قول الشافعي فيما ينسب إليه:

لولا الشعر بالعلماء يزري	**لكنت اليوم أشعر من لبيد**

ولأن الشاعر يقول في كل مجال والشعر أعذبه أكذبه فلم أكثر منه لذلك".[3]

فالشنقيطي رغم قدرته على النظم كان لا يخوض كثيرا في قوله، ولكن هذا لا يعني أنه ليس حفاظة له بل منذ الصغر كان يحفظ المنظومات والأرجاز والقصائد الطوال، فعندما تتصفح كتبه تجده يتمثل بأبيات لشعراء الجاهلية والإسلام وبني أمية وبني العباس وبني قومه شنقيط، فلا يخلو مبحث من الاستشهاد بالشعر.

هـ- <u>الشنقيطي والزواج:</u> انكب الشنقيطي على طلب العلم إلى أن جاءته الفرصة، وعزم على الزواج امتثالا لأمر الله وإتيانا لسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فتزوج الزوجة الأولى وهي أم أولاده جميعا، وقد توفيت عنه، ثم تزوج الثانية ولم ينجب منها وتوفيت عنه كذلك، فتزوج الثالثة غير أنه فارقها ولم ينجب منها أيضا، ثم كان أن تزوج الرابعة والأخيرة، وقد توفي هو عنها ولم ينجب منها كذلك،[4] وكل زوجاته ثيبات ولم يتزوج بكرا قط في حياته.[5]

وربما أول ما بكر به الشنقيطي من الأولاد أنثى وهي لا تزال مقيمة في بلادها شنقيط، وعدم شهرتها هو طبيعة البيئة المحافظة عندهم، وهذا هو المعروف عنها فقط[6]، ثم رزق الابن الثاني وهو ذكر واسمه محمد مختار كاسم جده لأبيه، وهو دكتور كان يعمل أستاذا ورئيسا لقسم الأصول بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وله تآليف عديدة[7]، وهو الآن ما يزال مقيما مع أولاده في بيت والده الشنقيطي بباب الكومة بالقرب من الحرم النبوي الشريف على ساكنه أفضل الصلاة وأتم التسليم.[8]

---

[1] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج10، ص 281، والمجذوب محمد: علماء ومفكرون عرفتهم، ج1، ص 175.
[2] - المجذوب محمد: علماء ومفكرون عرفتهم، ج1، ص 175.
[3] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج10، ص 283.
[4] - الشيمي أحمد سيد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير، ج1، ص 135.
[5] - المرجع نفسه، ج1، ص 135.
[6] - نفسه، ج1، ص 135.
[7] - نفسه، ج1، ص 138.
[8] - نفسه، ج1، ص 139.

وأما الابن الثاني فهو الدكتور عبد الله، العميد السابق وكان أستاذا ورئيس قسم التفسير بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،[1] وله كذلك تآليف ودراسات عديدة.

هؤلاء هم أولاد الشيخ الشنقيطي، فالإنسان التقي الورع الداعية إلى الله الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر الآكل من عمل يده حلالا طيبا، يبارك الله له في رزقه وأهله وأجله، ويرى مبشرات السعادة في دار الدنيا قبل الآخرة، فالشنقيطي طعامه حلال وشرابه حلال وملبسه حلال فكيف لا يستجاب له، ويرزق بصلاح الذرية، خصوصا ابنيه عبد الله ومحمد، فهما خيرا خلف لخير سلف.

و- أخلاقه: لقد كان للشنقيطي من الأخلاق الفاضلة والسجايا الحميدة، ما لا يخفى على أحد ممن لازمه وخالطه بصفة مباشرة، فضلا عمن أخذ عنه وتلقى عليه وتعلم منه ورآه، وكذلك يشهد له بالخير كل من سمع عنه وتلقى علمه وقرأ كتبه، وليس من رأى كمن سمع.

يقول تلميذه الشيخ عطية محمد سالم: "أما من الناحية الشخصية في تقويمه الشخصي لسلوكه وأخلاقه وآدابه وكرمه وعفته وترفع نفسه وما إلى ذلك، فهذا يستحق أن يفرد بحديث، وإني لا أستطيع الآن تصويره ولا يسعني في هذا الوقت تفصيله، وما كان - رحمه الله - يحب أن يذكر عنه شيء في ذلك، ولكن على سبيل الإجمال: لو أن الفضائل والمكرمات والشيم وصفات الكمال في الرجال عنوان يجمعها لكان هو أحق به"[2].

ويضيف الشيخ عطية محمد سالم قائلا: "وإذا كان علماء الأخلاق يعنونون لأصول الأخلاق والفضائل بالمروءة فإن المروءة كانت شعاره ودثاره، وكانت هي التي تحكمه في جميع تصرفاته سواء في نفسه أو مع إخوانه وطلابه أو مع غيرهم من عرفهم أو لم يعرفهم، وقد قال فيه بعض الناس في حياته، إنه لا عيب فيه سوى عيب واحد، هو أننا نفقده بعد موته"[3]

إننا كذلك لا نستطيع أن نفي الرجل حقه في هذا الباب، لكونه رجل عظيم وسع علمه الآفاق، وانتشر في ربوع العالم شرقا وغربا، والرجل العظيم لا تكفيه الكتب والمؤلفات للحديث عن حياته وأخلاقه وعلمه فمن الجور أن نضع حياته في صفحة أو صفحتين، ولكن نقول كما قال عنه تلميذه الشيخ عطية: "قد تكفي الإشارة إذا لم تسعف العبارة"[4]

ولقد وصفه الشيخ عطية سالم بالوالد فيقول: "وفضيلة الوالد الشيخ محمد الأمين رحمه الله له شخصية متميزة وسيرة واضحة يعرفها كل من لقيه أو حضر مجلسه أو استمع درسه أو قرأ كتبه أو حتى سمع عنه، وقد طبقت شهرته الآفاق"[5]، ثم يضيف: "إنه حقا والدي حسا ومعنى، لقد عشت في كنفه سنوات معه في بيته، وتحت سقف واحد في غرفة واحدة أمدا طويلا، وقد وجدت منه رحمه الله العناية والرعاية كأحد أبنائه كأشد ما يرعى الوالد ولده، وقد أجد منه الإيثار على نفسه

[1] - المصدر السابق، ج1، ص 139.
[2] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج10، ص 296.
[3] - المصدر نفسه ، ج10، ص 296.
[4] - نفسه، ج10، ص 296.
[5] - نفسه، ج10 ص 272.

في كثير من أحبائه، مما يطول ذكره ولا ينسى فضله"[1]، ويجيز مهيبا مجلا لشيخه: "إنه لشيخي، وأعز علي من والدي"[2].

هذه شهادة المريد لشيخه، وقلما نجد شخصا يدلي بهذه الشهادة ويؤثر الشيخ على الوالد، فهذا لا نجده إلا لمن آتاه الله تلامذة مطيعين، مقرين بفضل العلم والتوجيه الأدبي والفضل الخلقي، فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده من أمثال الشنقيطي.

ونحن في صدد الحديث عن أخلاق الشنقيطي، نجد باحثا آخر قد أسهب في الحديث عن هذا الرجل ألا وهو الأستاذ الشيمي سيد أحمد حسانين إسماعيل في رسالته الموسومة "الشنقيطي ومنهجه في التفسير"، فهو قد جمع تلك الأخلاق ولخصها في خمسة مطالب وهي:

1- **<u>بعده عن الغيبة وإعراضه عن اللغو:</u>** يقول ابنه عبد الله:"كان رحمه الله لا يقبل شخصا يتكلم في شخص في مجلسه، بل يصف ذلك بأنه ضعف وخور، ثم يحذر من أكل الغيبة والنيل من أعراض المسلمين قائلا: "اعلموا أن أعراض المسلمين مسمومة فاتركوها ولا تتكلموا فيها، واعلموا أن الله تعالى بشع ذلك فقال سبحانه: "ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه"[3]، والله لو قتلتم أبنائي وأخذتم أموالي لسامحتكم، ولكن أن تأخذوا حسناتي فلا، فأخذ حسناتي وأنا شائب لا صبر لي عليه".[4]

ويقول تلميذه عطية محمد سالم: "لم يكن يغتاب أحدا أو يسمح بغيبة أحد في مجلسه، وكثيرا ما كان يقول لإخوانه (اتكاسيوا) أي من الكياسة والتحفظ من خطر الغيبة ويقول: "إذا كان الإنسان يعلم أن كل ما يتكلم به يأتي في صحيفته فلا يأتي فيها إلا الشيء الطيب"[5]

وعن تنزيه مجلسه عن اللغو وإعراضه عن فضول الكلام يضيف تلميذه الشيخ عطية سالم: "ومن صفاته الجليلة رحمه الله علينا وعليه تنزيه مجلسه عن كل ما لا يليق من اللغو وفحش القول ونحوهما".[6]

2- **<u>زهده في الدنيا وحذره منها:</u>** يقول الشيخ عطية: "وسمعته يقول (الشنقيطي): "لقد جئت معي من البلاد (شنقيط) بكنز عظيم يكفيني مدى الحياة، وأخشى عليه الضياع: فقلت: وما هو؟ قال: القناعة، وكان شعاره في ذلك قول الشاعر:

الجوع يطرد بالرغيف اليابس   فعلام تكثر حسرتي ووساوسي"[7]

ويقول ابنه عبد الله: "كان الشيخ يقول ناصحا: "لو كانت الدنيا ميتة لأباح الله منها سد الخلة، ونحن لا نريد إلا سد الخلة".[8]

---

[1] - المصدر السابق، ج10، ص 272.
[2] - نفسه، ص 272.
[3] - الحجرات:الآية 12.
[4] - الشيمي أحمد سيد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير، ج1، ص 111 عن ابن الشنقيطي عبد الله في مقابلة مسجلة.
[5] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج10، ص 297.
[6] - الشيمي سيد أحمد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير، ج1، ص 111 ضمن رد مسجل من عطية سالم إلى الباحث.
[7] - الشنقيطي محمد الأمين: رحلة إلى بيت الله الحرام، ص 37..
[8] - الشيمي سيد أحمد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير، ج1، ص 111 والخلة: الفقر والاحتجاج، وسد الخلة ما يفي بالحاجة الضرورية فقط .

ويؤكد هذا تلميذه الشيخ عطية بقوله: "والواقع أن الدنيا لم تكن تساوي عنده شيئا فلم يكن يهتم لها، ومنذ وجوده في المملكة وصلته بالحكومة حتى فارق الدنيا، لم يطلب عطاء ولا مرتبا ولا ترفيها لمرتبته ولا حصولا على مكافأة أو علاوة، ولكن ما جاءه من غير سؤال أخذه، وما حصل عليه لم يكن ليستبقيه بل يوزعه في حينه على المعوزين من أرامل ومنقطعين، وكنت أتولى توزيعه وإرساله من الرياض إلى كل من مكة والمدينة، ومات ولم يخلف درهما ولا دينارا، وكان مستغنيا بعفته وقناعته بل إن حقه الخاص ليتركه تعففا عنه كما فعل في مؤلفاته وهي فريدة من نوعها لم يقبل التكسب بها وتركها لطلبة العلم"[1]، وفي هذا يقول محمد المجذوب عنه: "ولا مندوحة عن الإشارة إلى أن الشيخ أحسن الله جزاءه وقف مؤلفاته كلها لوجه الله لم يرد عليها جزاء إلا من ربه، ولو شاء لساقت إليه المال الوفير الكثير"[2].

ويحدثنا أبو زيد بكر بن عبد الله الذي من الله عليه بملازمة الشيخ الشنقيطي نحو عشر سنين في المدينة المنورة[3] قائلا: "وقد كان شيخنا محمد الأمين الشنقيطي المتوفى في 12/17/ 1393هـ رحمه الله تعالى متقللا من الدنيا، وقد شاهدته لا يعرف فئات العملة الورقية، وقد شافهني بقوله: "لقد جئت من البلاد ـ شنقيط ـ ومعي كنز قل أن يوجد عند أحد وهو (القناعة)، ولو أردت المناصب لعرفت الطريق إليها، ولكني لا أوثر الدنيا على الآخرة ولا أبدل العلم لنيل المآرب الدنيوية"[4].

3- **عبادته وورعه وتقواه:** ويصور ابنه عبد الله هذا فيقول:" كنا إذا جئنا بالسيارة إلى محطة الوقود، وسمع بعض الأغاني تنبعث من هنا أوهناك، يكون عندئذ مثل المحروق، ويقول جاءنا السوء يا ولدي! اطلع اطلع، أعوذ بالله أعوذ بالله !!"[5]

وهناك مشهد حدث له مع ابنه عبد الله يقصه علينا بقوله:"كنت مرة أقرأ عليه القرآن قبل موته، فقال يا ولدي في القرآن آية تفرحني كثيرا، ثم بكى !! فقلت: ما هي؟ أهي قوله تعالى: **"ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا"**[6]، قال: لا، بل هي قوله تعالى: **"ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم"**[7]، فالكبائر إن شاء الله ما تقربها، والصغائر نترك منها ما استطعنا والله يقول: **"إن ربك واسع المغفرة"**[8]، فلما نظرت إليه وجدته يبكي يرحمه الله، ثم قال لي: يكفيك هذا"[9].

4- **خيريته وحبه للمسلمين:** كان الشنقيطي بمثابة الأب لشتى قبائل الجالية الشنقيطية من أبناء بلاده الذين كانوا يعيشون بالمدينة المنورة خاصة وغيرها من بلاد الحجاز عامة، كما كان يتولى الأرامل واليتامى، ويرعى المعوزين وأصحاب الحاجات، بل يروى عنه أن الناس كانت تأتيه من

---

1 - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج10، ص 296.
2 - المجذوب محمد: علماء ومفكرون عرفتهم، ج1، ص 188.
3 - أبو زيد بكر بن عبد الله: المجموعة العلمية، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، 1408هـ، ص 83 وما بعدها.
4 - المرجع نفسه ، ص 147.
5 - الشيمي سيد أحمد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير، ج1، ص 112، عن ابن الشيخ في محاضرة مسجلة.
6 - فاطر: الآية 32.
7 - النجم: الآية 31 و32.
8 - فاطر: الآية 31.
9 - الشيمي سيد أحمد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير، ج1، ص 113، عن ابن الشيخ في محاضرة مسجلة.

كل فج، من المشرق والمغرب، وعلى مختلف أجناسهم ومذاهبهم، سواء كانوا من السنة أو الشيعة أو غيرهما، فكان يعطي كلا منهم ما يستحق إن كانت عنده حاجتهم، أما إن كانت حاجتهم ليست عنده فإن هذا ما يدفعه إلى أن يكون شفيعا لهم هنا أوهناك لقضاء مطالبهم الكبيرة والصغيرة على السواء بل قد يدفعه حبه للمسلمين وخيريته لهم إلى مخالفة منهجه بأن يذهب إلى كبار التجار في المدينة المنورة فيقترض منهم على حساب نفسه ليعطي الفقراء والمحتاجين، ولو كان ذلك لنفسه ما فعله وما أقدم عليه لأنه ليس من طبعه ولا عادته، ولكنه فعل الخير وحب المسلمين[1]، لأنه كان مؤمنا والمؤمن يحب لغيره ما يحب لنفسه، بل كان يؤثر غيره على نفسه في بعض الأحيان، وكان يؤمن بأن الذي يفرج عن الناس الهموم يفرج الله عنه همومه، ومن مشى في حاجة أخيه مشى الله في حاجته، ومن نفس عن مؤمن كربة نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة..

<u>ز- مروءته وتواضعه وهيبته:</u> يقول الشيخ عطية محمد سالم: "إذا كان علماء الأخلاق يعنونون لأصول الأخلاق والفضائل بالمروءة، فإن المروءة كانت شعاره ودثاره، وكانت هي التي تحكمه في جميع تصرفاته سواء في نفسه أو مع إخوانه وطلابه أو مع غيرهم من عرفهم أو لم يعرفهم"[2]

ويضيف في هذا الباب قائلا:"أما مكارم أخلاقه ومراعاة شعور جلسائه فهذا فوق حد الاستطاعة، فمذ صحبته لم أسمع منه مقالا لأي إنسان ولو مخطئ عليه يكون فيه جرح لشعوره، وما كان يعاتب إنسانا في شيء يمكن تداركه، وكان كثير التغاضي عن كثير من الأمور في حق نفسه، وحينما كنت أسائله في ذلك يقول:

ليس الغبي بسيد في قومه ولكن سيد القوم المتغابي

ويضيف الشيخ عطية محمد سالم: "وأما عاداته فعادات بلاده وما يوجد في المدينة المنورة ومكة المكرمة من مكارم أو محاسن العادات، ولم يكن عادة يتميز بها عن الآخرين فيما نعرفه، وليست هناك تقاليد خاصة به وإنما هي السائدة من عادات الناس وتقاليدهم، اللهم إلا كرم أخلاقه وتواضعه مع أهله وغيرهم، كما أنه في حلق الدروس الخاصة به في بيته تكون جلسته مع الخاصة به في بيته تكون جلسته مع الحاضرين كأحدهم دون تميز في جلسة أو مكان أو غير ذلك، وإنما يتميز بما يلقيه رحمه الله من دروس وبيان"[3]

ويقول ابنه عبد الله: "والشيخ كان متواضعا بشكل عجيب إلى درجة أن الذي يراه ولم يكن يعرفه يحسبه أنه عامي"[4].

فهذا يدل دلالة واضحة على أن الشنقيطي ما كان يتكلف في حياته أو طعامه وشرابه أو جلوسه أو هيئته ولباسه، حتى لا يشار إليه بالبنان وتشخص فيه الأبصار بل كان يلجم نفسه عن الكبر والرياء فلا يرى نفسه فوق الناس بل كواحد من الناس بسيطا متواضعا، ومن تواضع لله رفعه ولأن البساطة فن العظماء.

---

[1] - المرجع السابق، ص 113، وما بعدها عن ابن الشيخ في محاضرة مسجلة.
[2] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج10، ص 296.
[3] - الشيمي سيد أحمد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير، ج1، ص 114، ضمن رده على رسالة الباحث.
[4] - المصدر نفسه، ص 114، عن ابنه عبد الله في محاضرة مسجلة.

ورغم أن الشنقيطي كان بسيطا في كل شيء إلا أنه كان شخصا مهابا جليلا ومحترما وقورا يجمع إلى هيبة العلماء جلال الحكماء، بل إن قوة شخصيته وحكمة منطقه تحمل كل من رآه على احترامه وتقديره سواء كان حاكما أو محكوما، طالب علم أو غيره، كبيرا كان أو صغيرا، على مختلف مستوياتهم ومواقعهم من المسؤولية.[1]

ولقد تجلت هيبته وحكمته في طلبه من الملك سعود بن عبد العزيز التنازل عن الحكم لأخيه الملك فيصل بناء على إجماع مؤتمر العلماء بالرياض على إنابة الشنقيطي عنهم في ذلك، فكان أن قام بالمهمة خير قيام، حيث كان لشخصيته القوية وكلمته الحكيمة أطيب الأثر في نفس الملك سعود، والذي أعلن عقب لقائه بالشنقيطي عن ثقته بنصيحة العلماء وامتثاله وخضوعه لمقرراتهم.[2]

وعندما سافر الشنقيطي ومن معه ضمن بعثة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وكان رئيسا لها إلى عشرة أقطار إفريقية بلغ به الأمر بأحد حكام هذه الدول أن أصر على عدم مفارقة الشنقيطي لا في حل ولا ترحال إلى درجة أن كان يحمله في سيارته الخاصة التي يقودها بنفسه إلى الأماكن المعدة للزيارة، وقد ظل هذا الحاكم على هذه الحال حتى غادر الشنقيطي حدود بلاده وذلك حتى يخفي عنه حقيقة الحكم الجائر الذي كان يمارسه في بلاده.[3]

ويقول الشيخ عطية محمد سالم وهو من طلابه: "وإن تفصيل ذلك لمتروك لمن خالطه عن قرب، وقد استعصى على المقال في ذلك ولكأني بقول القائل:

أهابك إجلالا وما بك سلطة　　　على ولكن ملء عين حبيبها[4]

هذه هي أخلاق الشنقيطي مضافا إليها: الأدب والحياء والكرم والعطاء والدقة والنظام والروح الخفيفة والإحساس الجياش مع حبه للرماية والصيد فضلا عن ذلك عنايته بالتربية والسلوك لأولاده وطلابه مما جعل ابنه عبد الله يقول عنه: "إن ما يستفاد من الشنقيطي في جانب السلوك، أكثر مما يؤخذ في جانب العلم"[5].

<u>ح- أعماله:</u> قام الشيخ بأعمال جليلة في بيئته التي عاش فيها، وكذا في رحلته إلى أرض الحجاز والاستقرار بها، وتنوعت هذه الأعمال من قضاء وتدريس وفتيا، ونشاط في مختلف الهيئات الإسلامية ومحاضرات في مختلف المؤتمرات والندوات، وهذا ما سنقوم بالحديث عنه في هذا المبحث:

<u>1- في بلاد شنقيط:</u> اشتغل الشنقيطي بعد أن اشتد عوده بالدرس والفتيا والقضاء حيث يقول عنه تلميذه الشيخ عطية محمد سالم: "كانت أعماله رحمه الله كعمل أمثاله من العلماء: الدرس والفتيا، ولكنه كان قد اشتهر بالقضاء وبالفراسة فيه، ورغم وجود الحاكم الفرنسي إلا أن المواطنين كانوا عظيمي الثقة فيه فيأتونه للقضاء بينهم ويفدون إليه من أماكن بعيدة أو حيث يكون نازلا"[6]

---

[1] - المصدر السابق ، ص 115.
[2] - نفسه، ص 115، ويراجع المجذوب محمد: علماء ومفكرون عرفتهم، ج1، ص 185.
[3] - يراجع الشيمي سيد أحمد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير، ج1،، ص115. والمجذوب محمد: علماء ومفكرون عرفتهم، ج1، ص 184 وما بعدها.
[4] - الشنقيطي محمد الأمين: "أضواء البيان"، ج10، ص 296.
[5] - الشيمي سيد أحمد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير، ج1، ص 116، عن ابنه عبد الله في محاضرة مسجلة.
[6] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج10، ص 283.

ويقول الشيخ محمد المجذوب: "كان المفتي والمرشد والواعظ والمصلح والقاضي ...يتقاضى إليه المختلفون فيستكتبهم الإقرار بقبول حكومته، ثم يثبت اعترافات كل من الخصوم على حدة، وبإزائها ردود الغريم، ثم يصدر حكما معللا مؤيدا بالأدلة الشرعية من مذهب الإمام مالك ....، فإذا وصل حكمه إلى المشايخ صدقوه، وإذا رد إلى الحكام نفذوه دون تردد، وكان يقضي على هذ النحو في كل قضية تعرض لديه إلا الدماء والحدود، إذ كان للدماء قضاؤها الخاص في أنظمة السلطة الفرنسية، فمحاكمها هي التي تنظر في كل ما كان ذا صلة بهذا الأمر، فإذا انتهى حكمها إلى الإعدام عرضته السلطة المختصة على (لجنة الدماء) وهي مؤلفة عادة من اثنين من كبار علماء الشريعة، وعلى موافقة هذه اللجنة يتوقف نفاذ الحكم، وكان الشيخ أحد هؤلاء المعتمدين لأعوام طويلة"[1]

2- رحلته إلى الحج:[2] الرحلة في طلب العلم أمر معهود في حياة العلماء والأمر كذلك بالنسبة للحج، فالعالم لابد له من إتمام أركان الإسلام بالحج إلى بيت الله الحرام طاعة لله وامتثالا لسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وقدوة لمن يكون بعده من تلامذة وأولاد وآخرين من عامة الناس، وهذا هو حال الشيخ الشنقيطي، فلما انتهى من رحلة طلب العلم بالمحاضر الشنقيطية كما أسلفنا عزم على الحج إلى بيت الله الحرام عن طريق البر وعلى نية العودة بعد أداء الفريضة، وكان كغيره في نفسه شيء غير قليل من رواسب الشبهات الملصقة بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وما أن وصل إلى البلاد حتى اتصل ببعض علمائها وقرأ بعض كتب الدعوة من مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وبعض رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله جميعا، وكان هذا كافيا لتنقية عقله وفكره مما شابه من تدنيس الخصوم وجلاء الحقيقة أمام ناظريه، وانقلب ثم عزمه على العودة إلى رغبة في البقاء.[3]

ويقول الشيخ عطية سالم عن هذه الرحلة: "لقد كان في بلاده كغيره يسمع الدعاية ضد هذه البلاد (الحجاز) باسم الوهابية، إلا أن بعض الصدف قد تغير من وجهات النظر (وإذا أراد الله أمرا هيأ له الأسباب)، ومن عجيب الصدف أن ينزل رحمه الله في بعض منازل الحج بجوار خيمة الأمير خالد السديري دون أن يعرف أحدهما الآخر، وكان الأمير خالد يبحث مع جلسائه بيتا في الأدب وهو ذواقة أديب وامتد الحديث إلى أن سألوا الشيخ لعله يشاركهم فوجدوه بحرا لا ساحل له، ومن تلك الجلسة وذلك المنزل تعدلت الفكرة، بل كانت تلك الخيمة بداية منطلق لفكرة جديدة، أوصاه الأمير خالد إن هو قدم المدينة أن يلتقي بالشيخين عبد الله المزاحم رحمه الله، والشيخ عبد العزيز بن صالح حفظه الله، وفي المدينة التقى بهما رحمه الله"[4].

---

[1] - المجذوب محمد: علماء ومفكرون عرفتهم،ج1، ص 176.

[2] - يذكر الشيمي سيد أحمد حسانين إسماعيل أن عدد حجات الشنقيطي هو ست وعشرون حجة على مدار ست وعشرين عاما هجريا قضاها بأرض الحجاز منذ وصوله إليها قادما من مسقط رأسه (شنقيط) لأداء حجه الأول (1367هـ/ 1948م) إلى أن توفي عقب أداء حجه الأخير عام (1393هـ/ 1974م)، يراجع: الشيمي سيد أحمد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير،ج1، ص 252 وما بعدها.

[3] - الرومي فهد بن عبد الرحمان بن سليمان، اتجاهات التفسير في القرن 14هـ، مخطوط دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، 1404هـ/ 1405م، ج1، ص 122.

[4] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج10، ص 284.

3- الشيخ في المدينة المنورة: بعد أن فرغ الشيخ من أداء مناسك الحج، قضى عدة أيام بمكة المكرمة قبل أن يتوجه إلى المدينة المنورة قاصدا زيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالتقى بالشيخين عبد الله المزاحم وعبد العزيز بن صالح، إنفاذا لما أوصاه به الأمير خالد السديري أمير (تبوك) آنذاك[1]، وفي المدينة التقى بهما رحمه الله وكان صريحا معهما في ما يسمع عن البلاد، وكانا حكيمين فيما يعرضان عليه ما عليه أهل هذه البلاد من مذهب في الفقه ومنهج في العقيدة، وكان أكثرهما مباحثة معه فضيلة الشيخ عبد العزيز بن صالح، وأخيرا قدم للشيخ كتاب "المغني" كأصل للمذهب، وبعض كتب شيخ الإسلام كمنهج للعقيدة، فقرأها الشيخ وتعددت اللقاءات وطالت الجلسات فوجد الشيخ مذهبا معلوما لإمام جليل من أئمة أهل السنة وسلف الأمة أحمد بن حنبل رحمه الله.[2]

ويضيف الشيخ عطية محمد سالم: "ورغب رحمه الله في هذا الجوار الكريم، وكان يقول: "ليس من عمل أعظم من تفسير كتاب الله في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم"، وتم ذلك بأمر من جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله، وكان الشيخان أقرب الناس إليه ودرس الشيخ عبد العزيز بن صالح الصرف والبيان عليه"[3]

4- تدريسه في المسجد النبوي: يعتبر التدريس في المسجد النبوي من أهم التدريس في كبريات جامعات العالم في نشر العلم، وهو الجامعة الأولى للتشريع الإسلامي منذ عهد النبوة، ....وقبل مجيء الشيخ رحمه الله كان قبله الشيخ الطيب رحمه الله الذي توفي سنة 1363هـ، فكان جلوس الشيخ رحمه الله للتدريس في المسجد النبوي امتدادا لمن كان قبله مع من كان من العلماء بالمسجد النبوي آنذاك من تلاميذ الشيخ الطيب وغيرهم، وكان درس الشيخ في التفسير ختم القرآن مرتين.[4]

وفي أولى منابر العلم والتدريس في أرض الحجاز تلقى الشيخ من أهل المدينة ومسؤوليها وعلمائها كل الاحترام والتكريم، وأتيحت له كل الظروف في سبيل نشر العلم والمعرفة، فكان نفعه رحمه الله للمقيم والقادم للقاصي والداني نفعا عظيما.[5]

5- تدريسه في الرياض: في سنة 1371هـ افتتحت الإدارة العامة للمعاهد في الرياض على معهد علمي تلاه عدة معاهد وكليتا الشريعة واللغة، واختير للتدريس في المعهد والكليتين نخبة من العلماء من داخل وخارج المملكة، وكان رحمه الله ممن اختير لذلك، فتولى تدريس التفسير إلى سنة 1381هـ حين افتتحت الجامعة الإسلامية بالمدينة.[6]

يقول محمد المجذوب: "وكان الشيخ في الفوج الأول من العلماء الذين تولوا التدريس بالجامعة، أما قبل ذلك فقد كان منصرفه إلى الرياض حيث دعي عام 1371هـ للتدريس في أول معهد علمي أنشأته الإدارة العامة آنذاك، ثم تلته معاهد فكليات للشريعة واللغة فتحول إليها، ولبث

---

[1] - الشيمي سيد أحمد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير، ج1، ص 217.
[2] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج10، ص 284.
[3] - المصدر نفسه، ص 284.
[4] - الشنقيطي محمد الأمين: رحلة الحج إلى بيت الله الحرام، ص 21 وما بعدها.
[5] - المصدر نفسه، ص 22.
[6] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج10، ص 287.

يدرس فيها مادتي التفسير والأصول... دونما انقطاع إلا لمرض، وإلا لأحايين محدودة كان يستدعى فيها هو والعلامة ابن باز للمحاضرة في معهد القضاء العالي الذي استحدث في الرياض عام 1386هـ برئاسة الشيخ عبد الرزاق عفيفي".[1]

وكانت مدة تدريسه بالرياض عشر سنوات دراسية يعود لقضاء العطلة بالمدينة، وما كان عمله في التدريس بالمعهد أو الكلية كغيره من المدرسين[2]، لأن الشيخ له اليد الطولى والمجهود الأكبر، فلم يدخر جهدا في تعليم ولم يتوان في توجيه أو نصح أو إرشاد أو دعوة في دروسه أو مجالسه أو محاضراته أو حلقاته مع التلاميذ أو الزملاء، فكان للجميع كالأب الرحيم والداعية الناصح الأمين، فبصماته كانت واضحة على من أخذ عنه وسمع منه وتلقى عنه من الطلبة المتخرجين والأجيال المتوالية من طلب العلم، والدارسين والباحثين من داخل القطر أو خارجه.

6- الشنقيطي وهيئة كبار العلماء: بعد وفاة شيخ بلاد الحجاز ومفتيها (المفتي الحفيد)[3]، الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، شكلت هيئة من سبعة عشر عالما سنة 1391 هـ / 1971م، ومنذ تأسيسها إلى اليوم وهي تمثل أكبر هيئة علمية ببلاد الحجاز خاصة، بل تعد من كبريات الهيئات الإسلامية في العالم عامة[4]، وسميت بهيئة كبار العلماء.

كان محمد الأمين الشنقيطي أحد أعضاء الهيئة منذ تأسيسها إلى أن وافاه الأجل طيلة حولين كاملين رافقه جملة من العلماء الأصدقاء، وعلى رأسهم الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ عبد الله بن آل صالح والشيخ محمد بن صالح العثيمين[5]، وتشرف الشنقيطي بأن يكون رئيسا لإحدى دوراتها فكانت له السياسة الرشيدة والنتائج الحميدة بشهادة فضيلة الشيخ عبد العزيز بن صالح حيث يقول: "ما رأيت قبله أحسن إدارة منه مع بعد نظر في الأمور وحسن تدبر العواقب"[6].

7- الشنقيطي ورابطة العالم الإسلامي: تعد رابطة العالم الإسلامي أكبر هيئة إسلامية عالمية تعنى بشؤون المسلمين وحل مشاكلهم في سائر ربوع العالم، ولا يحكم نشاط هذه الرابطة ولا يبين فلسفة مبادئها التي قامت عليها سوى ما تدعو إليه هتان الآيتان الكريمتان من كتاب الله تعالى، أما أولاهما فقوله تعالى: **"واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ..."**[7] وأما ثانيتها فقوله تعالى: **"وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان"**[8]، وفي ضوء هذا التوجيه القرآني السديد باشر الشنقيطي دوره في هذه الرسالة من خلال عضويته في مجلسها التأسيسي، حيث تجلت حكمته وسطعت حجته في العديد من المواقف الحرجة التي كادت تعصف بالرابطة وتهوى بها في هوة الخلاف والفرقة[9].

---

[1] - المجذوب محمد: علماء ومفكرون عرفتهم، ج1، ص 183.
[2] - الشنقيطي محمد الأمين: رحلة الحج إلى بين الله الحرام، ص 23.
[3] - المفتي الحفيد لأنه كان حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، زعيم الحركة الوهابية في الحجاز.
[4] - الشيمي أحمد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير، ج1، ص 224.
[5] - المرجع نفسه، ج1، ص 224.
[6] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، ص 291.
[7] - سورة آل عمران: الآية 103.
[8] - سورة المائدة: الآية 02.
[9] - الشيمي أحمد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير، ج1، ص 226.

ويحدثنا الشيخ عطية محمد سالم عن دور الشيخ الواضح في الرابطة فيقول: "في رابطة العالم الإسلامي كان عضو المجلس التأسيسي لم تقل خدماته فيه عن خدماته في غيرها، أذكر له موقفا حدثني به جنب الرابطة مأزقا كاد أن يدخل عليها شقاقا أو اختلافا، حينما قدم مندوب إيران وقدم طلبا باعتراف الرابطة بالمذهب الجعفري ومعه وثيقة من بعض الجهات العلمية الإسلامية ذات الوزن الكبير تؤيده على دعواه وتجيبه إلى طلبه، فإن قبلوا طلبه دخلوا مأزقا وإن رفضوه واجهوا حرجا فاقترحوا أن يتولى هذا الأمر فضيلته رحمه الله في جلسة خاصة فأجاب في المجلس قائلا: "لقد اجتمعنا على العمل على جمع شمل المسلمين والتأليف بينهم وترابطهم أمام خطر عدوهم ونحن الآن مجتمعون مع الشيعة في أصول هي: "الإسلام دين الجميع والرسول محمد صلى الله عليه وسلم رسول الجميع والقرآن كتاب الله والكعبة قبلة الجميع والصلوات الخمس والصوم وحج بيت الله الحرام ومجتمعون على تحريم المحرمات من قتل وشرب وزنا وسرقة ونحو ذلك، وهذا القدر كاف للاجتماع والترابط، وهناك أمور نعلم جميعا أننا نختلف فيها وليس هذا مثار بحثنا، فإن رغب العضو الإيراني بحثنا وإتباع الحق فيها فليختر من علمائهم جماعة ونختار لهم جماعة ويبحثون ما اختلفنا فيه ويعلن الحق ويلتزم به أو يسحب طلبه الآن، فأقر الجميع قوله وسحب العضو طلبه"[1].

8- في مسجد الشيخ المفتي الحفيد: كان الشيخ الحفيد محمد بن إبراهيم آل الشيخ حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب يدرس في مسجد مشهور بـ (دخنة) في الرياض مع من كان يدعوهم من كبار العلماء الذين كانوا يدرسون بالرياض آنذاك، حيث كانوا يلقون دروسهم في مختلف الفنون بهدف إفادة طلبة العلم والعامة على السواء ومن هؤلاء الشيخ الشنقيطي حيث بدأ درسه في قواعد الأصول لكبار الطلاب وخاصتهم، ثم حضور العوام بعد ذلك والحرص على التلقى عنه، وقضى الشنقيطي عشر سنوات كاملة من 1371هـ / 1951م إلى غاية 1381هـ / 1961م حيث رجع إلى المدينة المنورة للتدريس في الجامعة الإسلامية التي افتتحت هناك في ذلك العام.[2]

9- بيت الشنقيطي: واجه الشنقيطي موقفا حرجا لا يليق بمقام العلماء من أمثاله، اضطر الشيخ إلى شراء بيت لأن صاحب البيت الذي كان يؤجره له طالبه بالخروج منه والوقت كان ليلا، مما أدى بالشيخ بالمبيت في العراء تلك الليلة لعدم وجود غرف شاغرة في الفنادق ومن تلك الليلة رأى الشنقيطي أن هذا لا يليق بأصل المروءة فاشترى قطعتي أرض واحدة بمكة والأخرى بالمدينة وبنى عليهما منزلين قائلا: "هذا يعينني على الحج والعمرة وهذا يعينني على المدينة وغير هذا لا أريده".[3]

ذكرنا أن الشيخ كان مقيما بالرياض للتدريس طيلة عشر سنوات، فكان بيته أيضا منارة من منارات العلم والمعرفة وهذا دليل واضح أن الشيخ كان لا يبخل في أي زمان كان أو أي فضاء حل به، وكان يأتيه الطلبة يستزيدون من علمه ويغرفون من معينه ويسألونه عن كل شاردة وواردة في

[1] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان،ج10، ص 291.
[2] - الشيمي احمد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير، ج1، ص 225.
[3] - المرجع نفسه، ج1، ص 228 عن ابنه عبد الله في محاضرة مسجلة.

مختلف الفنون والعلوم، وخير العلم ما يؤخذ من أفواه الرجال من أمثال الشنقيطي، وكان حييا بل بلغ حياؤه وإحسانه إلى الحد الذي جعل ابنه عبد الله يترجل ماشيا من وإلى الحرم، لعدم وجود مكان له في السيارة حيث كان والده يقول له: "يا ولدي من العيب أن تنزل أحد من السيارة لمن سبق إليها"[1].

يقول الشيخ عطية سالم:"ولما كان الدرس في الأصول في المسجد (مسجد الرياض) عاما، وفي الطلبة من خواصهم، رغبوا في درس خاص في بيته رحمه الله، فكان لهم درس خاص بعد العصر، وكان بيته رحمه الله كمدرسة سواء لأبنائه الذين رافقوه للدراسة عليه وقد أملى شرحا على مراقي السعود في بيته على أخينا أحمد الشنقيطي "[2]

10- الشنقيطي في المؤتمر السنوي للحج: كان الشنقيطي أحد العلماء الذين يشاركون في مؤتمر الحج السنوي، وهو مؤتمر موسمي يعقد كل عام مرة يبحث في مشاكل وهموم المسلمين وما يطرأ على مجتمعاتهم من مستجدات وأمور جديدة وقضايا معاصرة، الأمر الذي يستلزم اجتماع علماء الأمة والتنسيق بين جهودهم، وإيجاد الحلول المناسبة والاتفاق على كلمة سواء بما يعود على جميع المسلمين بالخير الوفير والنفع العميم،[3] كما كانت الوفود تفد على حلقاته ومجالس علمه وسماع محاضراته حيث يقول الشيخ محمد المجذوب: "وهناك وفود الحجاج الزوار المتدفقين أبدا على مدينة الرسول صلوات الله عليه وسلامه عليه، وبينهم رجال العلم والفكر الذين لا يرون مندوحة عن الإلمام بالجامعة...، وقلما يحضر وفد من هؤلاء إلى الجامعة ثم لا يشهد محاضرات الشيخ، هذا إلى دروسه الأخرى التي يختص بها بعض أهل العلم في بيته، وقد جعل مواعيدها بعد العصر من كل يوم إلا أن يحول دونها الحوائل القاهرة"[4].

11- تنقلات في البعثات الدعوية: قام الشنقيطي برحلة علمية ودعوية نظمتها الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة التي كان يدرس فيها، والوجهة كانت باتجاه عشر دول إفريقية وهي: المدينة نقطة الإنطلاق فجمهورية السودان الديمقراطية، والنيجر، وداهومي (بنين حاليا) ومالي وساحل العاج (كوت ديفوار حاليا) وغينيا (غينيا بيساو حاليا) والسنغال ثم انتهت بجمهورية موريتانيا الإسلامية مسقط رأسه، ثم العودة إلى السودان مرة ثانية فالمملكة نقطة النهاية.[5]

ولم يكن الشنقيطي في هذه الرحلة وحيدا بل رافقه مجموعة من العلماء والدعاة من أصدقاء الشيخ وعلماء ذاع صيتهم داخل المملكة وخارجها، ودامت الرحلة أكثر من شهرين حين خرج الشنقيطي من المدينة المنورة في بداية العطلة السنوية للجامعة الإسلامية من عام (1385هـ/ 1965م)، ليعود الشنقيطي ومرافقوه إلى المدينة المنورة مرة ثانية في نفس العام[6].

وعن هذه الرحلة يقول محمد المجذوب: "وقد جرت عادة الجامعة من أوائل نشأتها إيفاد البعوث إلى أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي لدراسة أحوالها على الطبيعة، وكانت إحدى هذه

---

[1] - المصدر السابق ، ص 228، عن ابنه عبد الله في محاضرة مسجلة له.
[2] - الشنقيطي محمد الأمين: رحلة الحج إلى بيت الله الحرام، ص 23 وما بعدها.
[3] - الشيمي سيد احمد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير، ج1، ص 227.
[4] - المجذوب محمد: علماء ومفكرون عرفتهم،ج1، ص 184.
[5] - الشيمي سيد احمد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير، ج1، ص 241 وما بعدها.
[6] - المرجع السابق، ص 241.

البعثات برئاسة الشيخ، وقد بدأت بالسودان وانتهت بموريتانية موطنه الأصل، وحفلت بالكثير من نشاطه إذ كان موضع الحفاوة البالغة من حكام تلك الأقطار وعلمائها فلم يدع بلدا من تلك الدول العشر إلا بذل فيها من علمه ما أخذ بالألباب، حتى إن أولئك الحكام...لم يكد يفارقه في حل ولا ترحال، بل كان يحمله في سيارته التي يقودها بنفسه إلى الأمكنة المعدة لزيارته...حتى غادر حدود بلاده، وقد تهافت المشتغلون بالعلم على تسجيل محاضراته وأحاديثه حيث لا تزال تنتظر من يجمعها وينشرها للناس في كتاب"[1].

ط- الشنقيطي والمرض: يقول تلميذ الشنقيطي وابن عمه محقق كتاب "نثر الورود للشنقيطي" محمد ولد سيدي ولد حبيب الشنقيطي: "ذهبت إلى الحجاز سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة وألف، وبعد انتهائي من فريضة الحج بدا لي أني لا بد أن أقرأ (مراقي السعود)، ولما هممت بقراءته على الشيخ فإذا به مشغول جدا في تأليف (أضواء البيان) والتدريس في الجامعة الإسلامية والتدريس في الحرم مع ما يعتريه من الأمراض التي ألجأته أكثر من مرة إلى الذهاب إلى أوربا ومصر للعلاج"[2].

يشير هذا النص إلى أن الشيخ كان يعاني من المرض قبل (1388هـ/ 1968م) مما أدى بالشيخ إلى السفر إلى مصر ولندن للعلاج، مع أنه يوجد بون شاسع بين البلد مسافة ولغة ودينا وعادات وشعبا، وضرورة المرض ألجأته إلى هذين البلدين رغما عنه، فأما موقفه من لندن فنجد حالة من عدم الرضا والقبول من سفره إليها لكونها ليست من ديار الإسلام، بل قد دفعه ورعه إلى جعل هذا السفر بمنزلة الإثم الذي يلزمه التكفير عنه لا بطاعة عادية وإنما بحج أكبر، وهذا ما يحدثنا به تلميذه وابن قبيلته أحمد المختار الجكني الشنقيطي قائلا: "راجعت الشيخ رحمه الله في ترك الحج في السنة التي توفي فيها نظرا لسوء صحته، فقال: "دع عنك المحاولة فإن سفري إلى لندن أريد الشفاء بها، لابد أن أكفر عنه بحج"[3]، ويبدو أن الشيخ رأى وسمع في لندن أمورا لم يجدها في بلاد الإسلام.

أما عن علاجه في القاهرة فكان مقتنعا كل القناعة بسفره وراضيا كل الرضا عنه، لكونها بلد الإسلام والعلماء والدعاة فكان يرى نفسه كأنه في مسقط رأسه موريتانيا أو في المملكة، فالأجواء فيها كسائر بلاد العرب والإسلام.

وأخذت صحته تتدهور عاما بعد عام، وسرت الأسقام إلى جسمه فهدته، حيث يقول ابنه عبد الله: "في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف طلعت مع الشيخ للحج، ولما كان اليوم الخامس عشر (من ذي الحجة) أصيب بوعكة (انفلونزا) فأخذ (البنسيلين)، وكانت له حساسية شديدة ضد هذا الدواء، فنقل إلى مستشفى أهلي افتتح حديثا ثم نقلته الرابطة إلى مستشفى آخر فجلس وبات فيه ولما أصبح

[1] - المجذوب محمد: علماء ومفكرون عرفتهم، ج1، ص 134 وما بعدها.
[2] - الشنقيطي محمد الأمين: نثر الورود على مرافي السعود، تحقيق وإكمال تلميذه ولد سيدي ولد حبيب الشنقيطي، نشر محمد محمود محمد الخضر القاضي، توزيع دار المنارة، جدة، السعودية، ط3، 1423هـ / 2002م، ص 11 وما بعدها.
[3] - الشيمي سيد احمد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير، ج1، ص 248.

توضأ وصلى صلواته التي فاتته، ثم قال: "ما أظن هذا إلا أنه مرض الموت ثم نام فأعدناه إلى المنزل، ولم يلبث طويلا حتى مات"[1].

ي- وفاته: توفي الشنقيطي ضحى يوم الخميس السابع عشر من شهر ذي الحجة من عام 1393هـ/10 يناير من عام 1974م[2]، مات - رحمه الله – في حضن ابنه عبد الله وهو يضمه إليه.[3]

قام بتغسيل الشيخ ابنه عبد الله وتلميذه وابن عمه أحمد بن أحمد الجكني الشنقيطي ورجل ثالث من الصالحين ممن يقال إنه من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصلى عليه صديقه وقرينه رئيس الجامعة الإسلامية آنذاك الشيخ عبد العزيز بن باز في الحرم المكي بعد صلاة الظهر من ذلك اليوم، ودفن بمقبرة (المعلاة) بمنطقة (ربع الحجون)[4]، وقد أقيمت عليه صلاة الغائب ليلة الأحد العشرين من ذي الحجة 13/1393 يناير1974م) في الحرم النبوي الشريف، وصلى عليه آنذاك صديقه وقرينه الشيخ عبد العزيز آل صالح إمام وخطيب الحرم النبوي ورئيس المحاكم الشرعية بالمدينة المنورة وذلك بعد صلاة العشاء من ذلك اليوم[5]، كما أقيمت عليه صلاة الغائب أيضا بمسجد الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ثم تتابعت فيما بعد في سائر المساجد الأخرى في أرجاء المملكة[6].

واهتزت النفوس واقشعرت الأبدان لموت هذا الرجل العظيم الذي ترك فراغا علميا ودعويا في المملكة وخارجها، فتدفقت القرائح الشعرية ورثته بأجمل القصائد وأروع الأشعار منهم الشيخ عطية محمد سالم والشيخ محمد المجذوب وأحمد بن أحمد الجكني الشنقيطي وأحمد بن محمد عبد الله بن آل الشنقيطي ومحمد الأمين بن مختار الجكني الشنقيطي ومحمد بن عبد الله بن أحمد مزيد الجكني الشنقيطي ومحمد بن مدين الشنقيطي وعبد الله المنير وغيرهم[7].

ومن الأمور العجيبة التي حدثت بعد وفاة الشيخ نذكر ما يلي:

أ- يقول الشيخ عطية سالم قبل صلاة الغائب عليه بالمسجد النبوي أي في صلاة العشاء: "ومن غريب الصدف وحسن التفاؤل أن يقرأ الإمام في صلاة العشاء قوله تعالى: "**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا"**[8] إلى آخر السورة، وفي الركعة الثانية: "إن **الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمان ودا"**[9].

وقد سألت فضيلته عن هذه القراءة أهو قاصد لهذه الآيات ومختار لها أم جاءت عفوا؟ فقال حفظه الله: بل عفوا، فما الملاحظة عليها؟ قلت: إنها من أغرب الصدف لأنك صليت على الشيخ الأمين رحمه الله بعدها، فظننت أنك قصدت إليها، ولكنه من المناسبات الحسنة.[10]

---

[1] - الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين: محاضرة لابنه الأصغر عبد الله، وهو محفوظ عندنا.
[2] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج10، ص 269.
[3] - الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين: محاضرة لابنه الأصغر عبد الله، وهو محفوظ عندنا.
[4] - الشيمي سيد احمد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير، ج1، ص 144- 146.
[5] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج10، ص 269.
[6] - الشيمي سيد احمد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير، ج1، ص 146.
[7] - للإطلاع على هذه المرثيات يراجع: الشيمي سيد أحمد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير، ج1، ص ص 148- 154.
[8] - الكهف: 107- 108
[9] - مريم: 96.
[10] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج10، ص 269.

ب- كان الشيخ قد توقف عند كتابة وتفسيره قوله تعالى: **"أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون "**[1] في كتابه أضواء البيان"[2]، فبشرى له من ختام طيب ووقف يكون فيه من حزب الله المفلحين يوم القيامة، ومن البشائر أن آخر ما خطه في تفسيره هذه الآية قوله تعالى:**"ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم"**[3].

ج- الرؤى الصالحة التي رؤيت له[4]**:** وهي رؤى أربعة واحدة لأحد أقاربه والثانية والثالثة لابنه والرابعة لأحد تلامذته، وهته الرؤى تعبر بحق عن حسن خاتمة الشيخ ومآله الحسن في الدار الآخرة وهذه الرؤى رآها أصحابها قبل مماته والرابعة بعد مماته.

د- صلاة الحجيج عليه ودعائهم له: لقد من الله على الشيخ أن يصلي عليه الحجيج من كل بقاع العالم على اختلاف ألوانهم ولغاتهم وأوطانهم وأجناسهم وكلما كثر عدد المشيعين كلما دل ذلك على أن الرجل المصلى عليه صالح عظيم.

هـ- دعاء تلامذته والعلم الذي خلفه: فالشنقيطي تتلمذ على يديه خلق كثير، غرفوا من معينه ونهلوا من علمه، سواء في بلاد شنقيط أو في المملكة، وهؤلاء كلهم لا يزالون يدعون له بالرحمة والمغفرة والرضوان من قبل الرحمن، وما قرأت لتلميذه الشيخ عطية سالم إلا ويقول عبارة - رحمه الله - في جميع كتاباته عندما يذكر الشيخ الشنقيطي، وممن تخرجوا عليه نذكر على سبيل المثال[5]، الشيخ حماد الأنصاري والشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ عبد العزيز آل صالح والشيخ عبد الله الزاحم والشيخ محمد بن صالح العثيمين، وأحمد بن أحمد المختار الجكني الشنقيطي والدكتور بكر أبي زيد وعطية محمد سالم ومحمد المجذوب وغيرهم كثير ممن لا يحصى عددهم.

ولعل خير ما ينطبق على الشنقيطي قوله عليه الصلاة والسلام: **"إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له"**، فأما الصدقة فكان الشيخ من المسارعين إلى الإحسان إلى كل من احتاج مهما كان جنسه ولونه وموطنه ومذهبه فهو يتعامل معه كإنسان ليس إلا، وأما العلم فالشيخ ألف في فنون وعلوم مختلفة ولا يزال علمه يدرس في أكبر الجامعة العربية الإسلامية، وأما الولد الصالح فهو تلامذته الذين تخرجوا عليه بغض النظر عن أولاده الثلاثة، فكلهم يدعون له بالرضوان والفوز بالجنان، فرحمة الله تعالى عليه وتغمد روحه الطاهرة برحمته وأسكنه فسيح جناته.

ك- تقدير المسؤولين له في حياته وبعد مماته: عاصر الشنقيطي ملوكا وأمراء ومسؤولين عرفوا له قدره، ورعوه حق الرعاية حيث يقول الشيخ عطية سالم: "لقد كان بعمله ونصحه وجهده وعفته موضع تقدير من جميع المسؤولين وبالخصوص أصحاب الفضيلة آل الشيخ وصاحب الجلالة عبد العزيز وصاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد الرحمن وكان أشد الناس تقديرا

---

[1] - المجادلة: الآية 22.

[2] - الشيمي سيد احمد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير، ج1، ص 158.

[3] - المرجع السابق، ص 158، والآية من سورة الحجرات: 07 – 08.

[4] - الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين: محاضرة لابنه الأصغر عبد الله، وهي محفوظة عندنا.

[5] - للتفصيل في هذا المبحث يراجع: الشيمي سيد أحمد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير، ج1، ص ص187- 207.

له، وقد منحه جلالة الملك رحمه الله أمرا بالجنسية لجميع من ينتمي إليه وفي كفالته به وإكراما له"[1].

وأما الأستاذ الشيمي سيد أحمد حسانين إسماعيل فيقول[2]: "لقد عاصره منهم أربعة ملوك راحلين، عرفوا له قدره ولجأوا إلى مشورته، وأعملوا رأيه ألا وهم:

1- **<u>الملك عبد العزيز: (ت 1953هـ):</u>** فالشنقيطي كان له رغبة في جوار الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة لتفسير القرآن بالمسجد النبوي فكان له ما أراد بأمر من جلالة الملك عبد العزيز، واستمر في التدريس إلى أن وافاه الأجل.

2- **<u>الملك سعود:</u>** وهو سعود بن عبد العزيز تولى الحكم بعد وفاة أبيه، وواصل الملك في إكرام الشيخ سالكا بذلك نهج أبيه، إلى درجة أن أخذ بنصيحة ورأي الشيخ في التنازل عن العرش لأخيه الملك فيصل عام 1964م.

3- **<u>الملك فيصل:</u>** وهو فيصل بن عبد العزيز، ففي عهده نال الشنقيطي الحظوة التي نالها من الملك عبد العزيز وابنه سعود من قبل حيث توجه بأن كلفه برئاسة لجنة من كبار العلماء للإشراف على إصدار طبعة معتمدة من المصحف الشريف بالمدينة المنورة برواية ورش عن نافع من طريق أبي يعقوب الأزرق وذلك قبل رحيل الشنقيطي بعام، وقبل اغتيال الملك فيصل على يد شاب بثلاثة أعوام.

4- **<u>الملك محمد الخامس:</u>** وهو ملك المغرب، وهو الآخر عرف للشنقيطي مكانته وعلو قدره خصوصا لما زار الملك الرياض حيث استأذن في صحبة الشنقيطي إلى المدينة المنورة بل وراح الشيخ يلقي في حضرته محاضرة بالحرم المدني بعنوان**"اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا"**[3]

ومن الأمراء الذين عرفوا قيمته وقدره نذكر:[4]

1- **الأمير تركي السديري:** أمير منطقة (أبها) وقتئذ.

2- **الأمير خالد السديري:** أمير منطقة (تبوك) وقتئذ، وقد التقى به الشنقيطي مع أخيه تركي السالف الذكر أثناء حجه الأول عام (1367/ 1948م) في لقاء أدبي.

3- **الأمير عبد الله بن عبد الرحمن:** وهو شقيق الملك عبد العزيز، وكان للشنقيطي أكثر حبا وتقديرا، وكان أهدى للشنقيطي بيتا في الطائف وأذن للبنك الأهلي بالمدينة المنورة أن يعطيه ما يطلب من المال، لكن الشنقيطي رفض هذا وذاك لزهده وورعه وتقواه.

ومن تقدير المسؤولين الموريتانيين له بعد موته ومن باب تكريم الشيوخ والعلماء، سميت الكثير من فضاءات العلم والمرافق الثقافية باسمه، أشهرها جامعة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي بنواكشوط وهي مؤسسة للتعليم العالي هدفها تكوين وتخريج كوادر علمية ذات كفاءة عالية.

---

[1] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج10، ص 289.

[2] - الشيمي سيد أحمد حسانين: الشنقيطي ومنهجه في التفسير، ج1، ص ص 131- 184.

[3] - المائدة، الآية 03.

[4] - الشيمي سيد أحمد حسانين: الشنقيطي ومنهجه في التفسير/، ج1، ص 184 وما بعدها.

ل- **مكتبة الشنقيطي**[1]**:** اطلعنا على مختلف المصادر التي تناولت سيرة الشنقيطي، ولما وقفنا على المؤلفات التي خلفها الشيخ ما وجدنا باحثا ألم بجمعها مثل الباحث الشيمي سيد أحمد حسانين إسماعيل، حيث تطرق بالجمع والتفصيل لكل ما خلفه الشيخ من كتب محفوظة وكتب مطبوعة ومؤلفات مسجلة، وأخرى شعرية ومفقودة ومنسوبة له[2]، وهذا ما سنتناوله في هذا المبحث:

1- المخطوطات: وعددها سبعة منها خمسة كتبها ببلاد شنقيط (مسقط رأسه) واثنتان ببلاد الحجاز:

أ- مخطوطاته بمسقط رأسه: وعددها خمسة هي:

1- **ألفية في المنطق:** وهو نظم في فن المنطق يزيد على ألف بيت.

2- **تتمة نظمه على رجز في علوم القرآن:** وهو نظم مشهور في علوم القرآن لمحمد بن بوجة المعروف عند الشناقطة بـ(البحر)، حيث تناول فيه كل ماله علاقة بالضبط والرسم و التلاوة من خلال عرضه لكل كلمة متشابهة وردت في القرآن مرة أو مرتين إلى سبع وعشرين مرة.

3- **شرح على (سلم الأخضري) في المنطق:** وهو شرح أملاه على من طلبه منه أثناء إقامته بـ(النيجر) في طريق رحلته إلى الحج، وقد أشار الشيخ بنفسه إلى هذا في "رحلة الحج إلى بيت الله الحرام".[3]

4- **النظم الكبير في فروع مذهب مالك:** وهو رجز طويل من آلاف متعددة من الأبيات خاص بالعقود من البيوع والرهون.

ب- مخطوطاته بالحجاز: وعددها اثنان:

1- **الإجابة الصادرة عن صحة الصلاة في الطائرة:** رسالة يبين فيها حكم المسافر بالطائرة لمن طلب منه ذلك، وهي في حوزة ابنه الدكتور عبد الله حتى الآن.

2- **هل الخلق مرزوق ببركته صلى الله عليه وسلم أو أن للرزق أسبابا أخرى؟:** وهو سؤال من أحد أمراء شنقيط، وهي رسالة فيها إجابة عن السؤال في أحد عشر صفحة، وملخصها أن الحكمة التي من أجلها خلق العالم ورزق هي إلهية ربانية وليست نبوية، وهذه الرسالة في حوزة ابنه الدكتور عبد الله أيضا.

2- المؤلفات المطبوعة: وهي:

أ- أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن: وهو أدل أعمال الشنقيطي الموسوعية، بل يعد أضخمها وأكملها وأعمها وأشملها، فسر فيها الشيخ ثمانية وخمسين سورة بدءا بالفاتحة وانتهاء بالمجادلة في سبعة أجزاء، وبعد وفاته أتم تلميذه الشيخ عطية سالم تفسيره من حيث انتهى الشيخ استجاب لتكليف الشيخ عبد العزيز بن باز، فقام بتفسير ست وخمسين سورة بدءا بالحشر وانتهاء بالناس، في جزئين اثنين هما الثامن والتاسع.

---

[1] - يراجع كل من: الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان،ج1، ص 291، والرحلة إلى بيت الله الحرام، ص 27، والمجذوب محمد: علماء ومفكرون عرفتهم، ج1، ص 186، والرومي فهد بن عبد الرحمن بن سليمان: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر هجري، ج1، ص124، والشيمي سيد أحمد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير، ج1، ص 256.

[2] - للتفصيل في الموضوع يراجع: الشيمي سيد أحمد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير، ج1، ص ص 256- 321.

[3] - الشنقيطي محمد الأمين: رحلة إلى بيت الله الحرام، ص 81.

ب- آداب البحث والمناظرة: وهو في جزئين في علم المنطق.

ج- الإسلام دين كامل: وهو عنوان محاضرة ألقاها الشيخ بالحرم المدني بحضرة الملك محمد الخامس ويطلب منه أيضا، فنشر فيها آية **"اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا"**، ضمنها عشر مسائل عليها مدار الدنيا وخير الآخرة.

د- بيان الناسخ والمنسوخ من آي الذكر الحكيم: وهو رسالة مختصرة في ست صفحات شرح فيها الشيخ عشرة أبيات للسيوطي من كتابه "الإتقان في علوم القرآن"، كان قد أملاها على تلميذه الشيخ عطية سالم.

هـ- دفع ايهام الاضطراب عن آيات الكتاب: أبان فيه مواضع قد يبدو تعارضها عند بعض الناس، وأزال هذه الشبهة بما يجلو هذا العارض، وهو من أخص ما كتب في علوم القرآن كما يقول تلميذه عطية سالم.[1]

و- رحلة الحج إلى بيت الله الحرام: وهو كتاب صدر بعد وفاته، فكانت طبعته الأولى سنة (1403هـ/ 1983م)، سرد فيها بالتفصيل أحداث الرحلة التي قادته من بلاد شنقيط إلى الحجاز لحج بيت الله الحرام، كما ضمنه مباحث عديدة ومسائل مفيدة في علوم الدين واللغة والمنطق والتراجم والسير وغيرها.

ز- الرق أصله ومشروعيته: وهو عبارة عن محاضرة ألقاها الشنقيطي بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، تناول فيها شبهة الرقيق ورفع اللبس عن ادعاء استرقاق الإسلام للأحرار، وهو كتيب من القطع الصغير.

ح- المثل العليا: وهو محاضرة ألقاها الشيخ في افتتاح الموسم الثقافي للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام (1385هـ/1965م) وطبعت في كتيب، ومضمون المحاضرة بيان المثالية في العقيدة والتشريع والأخلاق.

ط- مذكرة الأصول على روضة الناظر: وهو كتاب شرح فيه كتاب (روضة الناظر وجُنة المناظر) لابن قدامة الحنبلي شرح فيه الشيخ أصول الحنابلة والمالكية والشافعية وأصول الحنفية في أحاديث قليلة عند مواطن الخلاف، والكتاب من مقررات كليتي الدعوة والشريعة.

ي- المصالح المرسلة: وهي محاضرة ألقاها تلميذه عطية سالم نيابة عن شيخه الشنقيطي ضمن محاضرات الموسم الثقافي للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام (1390هـ/1970م) بين فيها ضوابط المصالح المرسلة بين الإفراط والتفريط، وطبعت في كتيب من قبل الجامعة.

ك-المنظوم وشرحه في فن المنطق: طبع هذا الكتاب طبعة تعليمية لطلبة الجامعة، ومنذ ذلك الحين لم يطبع طبعة تجارية يمكن من خلالها نشره خارج بلاد الحجاز بعيدا عن هذا الغرض التعليمي.

ل- منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز: وهو عبارة عن رسالة تتضمن إبطال إجراء المجاز في آيات الأسماء والصفات، وإيفاؤها على الحقيقة بعيدا عن التشبيه والتأويل والتعطيل كما

---

[1] - الشيمي سيد أحمد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير، ج1، ص 276.

هو الشأن عند المتكلمين، فالمجاز وإن كان أسلوبا من أساليب اللغة فليس كل ما جاز لغة جاز قرآنا.

م- منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات: وهي محاضرة طبعتها الجامعة الإسلامية التي كان يحاضر فيها الشيخ وكان ألقاها عام (1382هـ 1963م)، فعرف بمنهج السلف في الاعتقاد وفهم أسماء الله وصفاته، وأن الخوض والبحث والتعمق وكثرة السؤال حول أسماء الله وصفاته ليعد من البدع التي يكرهها السلف.

ن- منهج التشريع الإسلامي وحكمته: هي محاضرة ألقاها الشيخ في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في افتتاح الموسم الثقافي عام (1384هـ/1964م) بين فيها أهمية وكمال وشمول منهج التشريع الإسلامي، والسعادة في الدارين الأولى والآخرة لمن تمسك والتزم به، قام بطبعها مركز شؤون الدعوة الإسلامية في خمسة وعشرين صفحة.

س- نثر الورود على مراقي السعود: وهو شرح على كتاب"مراقي السعود لمبتغي الرقي والصعود" للشيخ عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي الشنقيطي، وهذا الشرح أملاه الشيخ على تلميذه وابن عمه أحمد بن محمد الأمين بن أحمد المختار الجكني الشنقيطي عام (1374هـ/1954م) في بيت الشنقيطي بالرياض بناء على طلبه الذي قصد إليه عند أدائه حجة الإسلام آنذاك، غير أنه لم يشرح المنظومة كاملة بل بقي خمس المنظومة تقريبا بدون شرح أي مائة وثمانية وخمسين بيتا، وبعد وفاة الشنقيطي أتمه تلميذه وابن عمه المذكور، وطبع لأول مرة عام (1415هـ/1995م) ، وقام بتحقيقه الدكتور محمد المختار الابن الأكبر للشيخ ونال به درجة الماجستير بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام (1401هـ/1981م)

ملاحظة: قام بكر بن عبد الله أبو زيد تلميذ الشيخ الشنقيطي بجمع محاضرات الشيخ الآتية في كتاب طبعه مجمع الفقه الإسلامي بجدة عام 1423هـ، وهذه المحاضرات هي على التوالي[1]:

1- الإسلام دين كامل.
2- المصالح المرسلة.
3- منهج التشريع الإسلامي وحكمته.
4- منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات.
5- المثل العليا في الإسلام.
6- فتوى في تحريم التعليم المختلط.
7- بيان الناسخ والمنسوخ من آي القرآن الكريم.

3- التسجيلات: وهي الدروس والمحاضرات التي ألقاها الشيخ في جلساته ومناظراته الخاصة والتي سجلت في أشرطة وأقراص مضغوطة لا تزال محفوظة عند ولديه محمد المختار وعبد الله أو عند تلامذته من أمثال الشيخ عطية سالم، وعدد هذه الأشرطة المسجلة يقرب ألف شريط[2]، فلو

---
[1] - يراجع: أبو زيد بكر عبد الله: آثار الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي، دار علم الفوائد، مكة، السعودية، ط1، 1426هـ.
[2] - الشيمي سيد أحمد حسانين: الشنقيطي ومنهجه في التفسير، ج1، ص 302 وما بعدها.

قدر لهذه المسموعات أن تدون لألفت مصنفات ضخمة ومؤلفات كثيرة يغرف منها طلبة العلم في مختلف بقاع الأرض.

4- المفقودات: من مؤلفات الشيخ المفقودة نظمه الذي نظمه بنية التفوق على الأقران قبل البلوغ في بلاد شنقيط، ثم بدا له ذلك من سوء النية وعدم إخلاص النية لله فقام الشيخ بدفنه، وهذا النظم عنوانه **(خالص الجمان في ذكر أنساب بني عدنان)**[1]، هذا هو المؤلف الوحيد المفقود.

5- المؤلفات المنسوبة له: هناك مؤلفات ظهرت بعد وفاة الشيخ قام أصحابها بأخذ أجزاء من تفسير "أضواء البيان"، ثم إعطاء عناوين لها مقرونة ومنسوبة للشنقيطي، ويشيرون بداخلها إلى طبيعة عملهم فيها من حيث التقديم والتحقيق أو الترتيب والتعليق أو الفهرسة والتصنيف أو لون آخر من ألوان التصرف المختلفة، والمطلع على هذه المؤلفات يحسبها من تآليف الشيخ، والحقيقة أنها ليست له ولا هي من صنيعه بل هي مقتطفات من أعماله مع التصرف فيها والتعليق عليها والكلام فيها[2]، ومن هذه المؤلفات:

أ- **الإقليد في الأسماء والصفات والاجتهاد والتقليد:** وهو نقل لنص المسألة الثالثة من تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم في (أضواء البيان)، وجاء الكتاب في مائة وعشر صفحات، وتم تحقيقه من قبل شريف بن محمد فؤاد بن هزاع.

ب- **القول السديد في كشف حقيقة التقليد:** وهو نفس موضوع ومادة الكتاب السابق مع اختلاف في العنوان واسم المحقق، وجاء الكتاب في مائة وعشر صفحات، واكتفى ناشره مقتدى حسن الأزهري بوضع العنوان والتقديم له.

ج- **محاسن الإسلام والرد على أباطيل خصومه:** وهو نقل لنص تفسير قوله تعالى:**"إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم"**[3] من (أضواء البيان) للشيخ، وجاء الكتاب في مائة وخمس صفحات، واكتفى محققه ساعد عمر غازي بوضع العنوان والتقديم له، ثم ترجمة موجزة للشنقيطي بقلم تلميذه عطية محمد سالم بالإضافة إلى تخريج الآيات والأحاديث وبعض التعليقات.

د- **الحاكمية في تفسير أضواء البيان:** وهو كتاب يدور موضوعه حول مسألة (الحكم بما أنزل الله)، وجاء الكتاب في أربع وستين صفحة من القطع الصغير جمع شواهده بالأدلة من الكتاب والسنة عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس.

وخلاصة القول: إن الشنقيطي لم يكن من المكثرين في التأليف لكثرة مشاغله بالتدريس والإفتاء وتفريج هموم الناس، وتنقلاته داخل وخارج المملكة للعلاج أو للدعوة وإلقاء المحاضرات، فكل ذلك لم يسهل له التفرغ للتأليف إلا قليلا، على أن ما سجل وحفظ من كلامه لو نقل إلى الطروس (الكتب والصحف) لألف قائمة من المؤلفات.[4]

---

[1] - الشنقيطي محمد الأمين: رحلة الحج إلى بيت الله الحرام، ص 27.
[2] - الشيمي سيد أحمد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير، ج1، ص315.
[3] - الإسراء، الآية ص 09.
[4] - المجذوب محمد: علماء ومفكرون عرفتهم، ج1، ص 186.

ورغم هذا يبقى محمد الأمين الشنقيطي رجلا عظيما خالدا اسمه بخلود علمه الذي تركه ومصنفاته التي ألفها وسرت في جامعات ومعاهد التعليم في ربوع العالم، فالعلماء والدعاة من أمثال هذا الرجل لا يموتون ولا يموت ذكرهم، بل يصدق عليهم قوله تعالى: **"إنا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم"**[1]، ويصدق عليهم قول الشاعر:

وما من كـــاتب إلا ستبقى كـتـــابته وإن فنيــت يــداه

فلا تكتب بكفك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه[2]

بل يصدق عليهم قول آخر:

تــلك آثــارنا تــدل علينــا فانـظـروا بـعدنـا إلى الآثــار.

---

[1] - يس، الآية 12.

[2] - الأندلسي أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه: العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، ط2، 1958، ج2، ص 58.

الفصل الأول:

وحدات النظام اللساني ومستوياته البحثية

تمهيد: لعل خير ما نستهل به هذا المدخل آية عظيمة من كتاب الله وهي قوله تعالى: **"ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين"**[1] فالآية تدلنا على أن اللغة آية من آيات الله تعالى، ولولاها لما كان التخاطب والتحاور والاتصال والتواصل بين مختلف أجناس البشر.

فاللغة كما يعرفها ابن جني (ت 392هـ) (أما حدها فهي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)[2]، فهذا التعريف يتضمن خصائص ثلاثة للغة وهي:

1- اللغة ظاهرة صوتية:(هي أصوات) فهي الكلام المنطوق (من المتكلم)، المسموع (إلى السامع)، أي أنها نظام من الأصوات متعارف عليه من قبل جماعة معينة، وابن جني في تعريفه يستبعد أن تكون اللغة ظاهرة مكتوبة، فاللغة في جوهرها منطوقة لا مكتوبة.[3]

2- اللغة ظاهرة اجتماعية: (يعبر بها كل قوم) أي أن أي جماعة لا تستطيع أن تحقق التواصل إلا باللغة التي اصطلحوا على تعلمها ومعرفتها، فهي تنشأ من المجتمع وتحيا أو تموت فيه، ومن هنا فالواقع يثبت أن بعض اللغات حافظت على خصوصياتها الأولى كالعربية والعبرية، في المقابل هناك لغات زالت واندثرت وماتت ولم يعد لها ذكر ولا أثر سوى الاسم.

3- اللغة تحقق التواصل: (يعبر بها كل قوم عن أغراضهم) ويوافق هذا القول قول ابن خلدون: (ت 808هـ)"هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم"[4].

فهي نظام من الألفاظ له دلالة ويعبر عن أفكار الجماعة التي تعارفت على هذا النظام.

ومن هذا التعريف تفهم اللغة بأنها مجموعة من القواعد أو الأنظمة تصف مجموعة لا حد لها من الجمل، كل جملة منها لها معنى يقترن بسلسلة من الأصوات، والجملة تتألف من مجموعة من الكلمات، ومعنى الجملة يتوقف على معاني الكلمات التي منها تتألف، وعلى الطريقة التي بها تتركب وتنتظم.[5]

باختصار: اللغة هي مجموعة من الجمل، والجملة هي مجموعة من الكلمات المنسقة وفق قواعد معينة، والكلمة هي مجموعة من الأصوات، وبتعبير آخر الأصوات مادة الكلمة والكلمة مادة الجملة والجملة هي في الغالب مادة اللغة.[6]

إن أية لغة لا بد وأن تدرس من مستويات خمسة وهي: [7]

1- **المستوى الصوتي: La Phonologie:** فهو يدرس اللغة من زوايا مختلفة فإذا اهتم بتحليل الأصوات الكلامية وصنفها تصنيفا يراعي فيه كيفية إنتاجها وانتقالها واستقبالها، فهذا ما يصطلح

---

[1] - سورة الروم الآية 21.
[2] - ابن جني: أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999، ط4، ج1، ص 34.
[3] - محمود فهمي حجازي: المدخل إلى علم اللغة، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، د ط ،1978، ص 10.
[4] - ابن خلدون عبد الرحمان: تارخ ابن خلدون، ضبط خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1421هـ/2000م، ج1، ص 352.
[5] - محمد حسن عبد العزيز: مصادر البحث اللغوي في الأصوات والصرف والنحو والمعجم وفقه اللغة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1 1430 هـ /2009، ص20.
[6] - المرجع نفسه ، ص 20.
[7] - لمزيد من الاستزادة ينظر: محمد علي عبد الكريم الرديني: فصول في علم اللغة العام، ص 10و ص 23 وص63.

عليه بعلم الأصوات العام phonétiques، وإذا كان يدرس الأصوات من حيث وظيفتها فهو ما يعرف بعلم الأصوات الوظيفي phonologie، وإذا اهتم بدراسة التغيرات الطارئة على الأصوات وإبراز مسارها التاريخي فهو ما يطلق عليه علم الأصوات التاريخي synchronique – phonétique.

2- **المستوى الصرفي: morphologie**: أو ما يعرف بمستوى الصيغ اللغوية، أي ما يطرأ على الكلمة من تغيرات سواء في بنيتها أو نوعها أو تصريفها أو اشتقاقها، أي التغيرات التي تعتري صيغ الكلمة فتنتج معنى جديدا.

3- **المستوى النحوي: la syntaxe:** وهو ما يختص بتنظيم الكلمات في الجمل أو المجموعات الكلامية ودراسة تركيبها وفق قواعدها وقوانينها المقررة في اللغة.

4- **المستوى الدلالي: la sémantique**: ويعني بدراسة معاني الكلمات.

5- **المستوى المعجمي**: **la lexicographie:** ويستمد وجوده من علم دراسة تاريخ الكلمات وعلم الدلالة، يضاف إلى ذلك اهتمامه بكيفية نطق الكلمة، ومكان تغيرها وطريقة هجائها وكيفية استعمالها.

وفيما يلي تفصيل لجهود سادتنا العلماء العرب في بحث هذه العلوم والمستويات التي لها علاقة باللغة العربية.

1- المستوى الصوتي: نحو تأسيس الدرس الصوتي عند العرب:

أ- ماهية الصوت: جاء في (موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون) للتهانوي قوله: "الصوت بالفتح وسكون الواو ماهية بديهية لأنه من الكيفيات المحسوسة، وقد اشتبه عند البعض ماهيته بسببه القريب أو البعيد، فقيل الصوت هو تموج الهواء، وقيل هو قلع أو قرع، والحق أن ماهيته ليست ما ذكر بل سبب الصوت القريب التموج، وليس التموج حركة انتقالية من هواء واحد بعينه، بل هو صدم بعد صدم، وسكون بعد سكون، فهو حالة شبيهة بتموج الماء في الحوض إذا ألقي حجر في وسطه، وإنما التموج كان سببا قريبا لأنه متى حصل التموج المذكور حصل الصوت، وإذا انتفى انتفى"[1].

إن هذا التعريف يتفق تماما مع تعريف إبراهيم أنيس حيث يقول:"الصوت ظاهرة طبيعية ندرك أثرها دون أن ندرك كنهها"[2]، أي أن الصوت يسمع ولا يرى، فكل ما تلقته حاسة الأذن يسمى صوتا أيا كان.

ويعرفه الشيخ الرئيس ابن سينا بأنه "تموج الهواء ودفنه بقوة وسرعة بأي سبب كان"[3]

---

[1] - التهانوي محمد علي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، تقديم وإشراف ومراجعة، د.رفيق العجم، تحقيق علي دحروج، نقل النص من الفارسية إلى العربية، د.عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية د.جورج زيناتي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ، لبنان، ط1، 1996م، ج2، ص 1098 وما بعدها.

[2] - إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مطبعة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط6، 1981، ص 06.

[3] - ابن سينا أبو علي الحسين بن عبد الله: أسباب حدوث الحروف، تحقيق مهر حسان الطيان ومحي الدين علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط1، 1983 م، ص56.

من خلال هذه التعاريف يتبدى أن الصوت هو كل ما يسمع نتيجة احتكاك جسمين عن طريق القلع أو القرع لينتج عن هذا الاحتكاك اهتزازات صوتية تنتقل إلى الأذن عبر ناقل هو الهواء غالبا، ومنها إلى الجهاز الإدراكي في المخ ليعرف طبيعته ومصدره.

ب- أنواعه: إن أي صوت يصدر في العالم الخارجي، وتلتقطه الأذن ينقسم إلى قسمين: عام وخاص.

1- الصوت العام: هو الصوت الطبيعي، وهو الأثر السمعي الذي ينشأ من اتصال جسم بآخر[1]، أي ما يعرف في الفيزياء بأنه الذبذبات أو الاهتزازات الصادرة من الجسمين الملتقيين، وتنتقل خلال الوسط الناقل للصوت، كالهواء في شكل موجات متتابعة حتى تصل إلى آذان السامعين، فإذا انعدم هذا الاهتزاز أو تلك الذبذبات انعدم السمع أو فني الصوت[2].

ويدخل في هذا النوع مثلا: التصفيق باليدين أو احتكاك عجلات السيارة أو تمزيق قطع القماش أو الورق أو نشر قطع الخشب أو طلقات الرصاص والمدافع وصوت القنابل أو الرعد أو أصوات الآلات الموسيقية، أو جريان الماء من أعالي الجبل....وغيرها.

2- الصوت الخاص: وهو ما يطلق عليه بالصوت اللغوي أي الصوت الصادر من جهاز النطق الإنساني، وقد حاول الإنسان منذ القدم أن يعرف ما حوله في هذا الكون الفسيح واتخذ لذلك عدة وسائل كان أهمها الكلام الذي قوامه الأصوات.[3]

فالله تعالى وهب الإنسان آلة نطق بفضلها يستطيع النطق بعدد لا متناه من الألفاظ والجمل والتعبير عما يجول في خاطره وعقله ووجدانه، وهو بهذه العملية يحقق التواصل والتفاهم مع نظرائه من الجنس البشري عن طريق ما يسمى بالكلام.

فالصوت الإنساني هو ظاهرة مادية تتمثل في نشاط عضوي تقوم به أعضاء النطق، ونشاط طبيعي يحدث في الوسط الذي يفصل المتكلم عن السامع، ويسري فيه الصوت حتى يصل من الأول إلى الثاني، ونشاط ذهني يتمثل في الانطباع الإدراكي أي السماع.[4]

وفي مفهوم دقيق للتهانوي يقول: "اعلم أن ما يخرج من الفم إن لم يشتمل على حرف فهو صوت، وإن اشتمل ولم يفد معنى فهو لفظ، وإن أفاد معنى فهو قول، فإن كان مفردا فكلمة أو مركبا من اثنين ولم يفد نسبة مقصودة فجملة، أو أفاد فكلام"[5].

ج- جهود العرب في بحث الدرس الصوتي: لقد كانت الغاية من بحث الأصوات عند العرب القدامى دينية بحتة، وهي الحفاظ على النص القرآني من سوء قراءته وتلاوته وتشويهه وتحريفه كما هو الشأن عند الأمم الأخرى* ، فالهنود كان لهم كتابهم المقدس وهو "الفيدا" بلغة مقدسة عندهم هي اللغة السنسكريتية، فعكفوا على بحثه ودراسته من جميع جوانبه اللغوية ومنها الجانب

---

[1] - هلال عبد الغفار حامد: الصوتيات اللغوية، دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2009، ص 33.

[2] - المرجع نفسه، ص 33.

[3] - هلال عبد الغفار حامد: الصوتيات اللغوية، دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية، ص 40.

[4] - عبد العزيز محمد حسن: مصادر البحث اللغوي في الأصوات والصرف والنحو والمعجم وفقه اللغة، ص 45.

[5] - التهانوي محمد علي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون،ج2، ص 1099.

* للاستزادة أكثر ينظر: أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، دار عالم الكتب، القاهرة، الطبعة السادسة، 1988، ص 57.

الصوتي، ويعد "بانيني" من أول وأكبر اللغويين الهنود في العصر القديمة (ق م)، ونفس الشأن كان عند اليونان الذين لم يكن لهم كتاب يقدسونه مثل الهنود، فاستحبوا واختاروا كتابا هو كتاب "الإلياذة والأوديسة" لهوميروس، لأنه حافل بالقيم وما كان يفعله القدماء من طقوس وعقائد خاصة بالآلهة، فالكتاب يمجد الأبطال والآلهة الذين غامروا وضحوا في سبيل أن تحيا بلاد اليونان، لذا حفظوا هذا الكتاب وحافظوا عليه وعكفوا على دراسته من جميع المناحي، أما اللاتين (الرومان)، فأجمعوا على أن يكون كتابهم المقدس هو "الإنياذة" لفرجيل، وراحوا يقومون بدراسته لغاية دينية كما أسلفنا كونه يمجد ويقدس آلهة وأبطال الرومان، وكذلك فعل نظراؤهم السريان والصينيون وغيرهم من الأمم، ولما جاءت حضارة العرب أوجدت لهم وللمسلمين عامة كتابا مقدسا اتخذوه دستور حياتهم فغير جميع مناحي الحياة لديهم وجعلهم سادة وقادة للأمم، هذا الكتاب هو القرآن الكريم فراح العرب يتناقلونه ويتدارسونه ويتعلمون ما غمض عليهم منه، ويتلونه آناء الليل وأطراف النهار، فلما توسعت الرقعة الجغرافية للدولة الإسلامية وتوافد على الدين الجديد أمم لا تتحدث لغة القرآن، وأصاب لسان العرب ما أصابه من اللحن والتحريف والتشويش والتشويه، ومس اللحن حتى كتاب العرب المقدس، بدأ العرب في بحث الدرس الصوتي بالتقعيد والتقنين والتأصيل لحفظ القرآن ولغته.

لقد كان للعرب القدامى جهود مشكورة في الدرس الصوتي تنم عن فهم مبكر دقيق لطبيعة الصوت اللغوي، كما تدل على معرفة تامة بالجهاز النطقي وأعضائه، فقد عكفوا على دراسة أصوات لغتهم وتمكنوا من وصفها وصفا دقيقا ووضعوا القواعد والقوانين لتلك الأصوات وخصائصها وعلاقاتها مع بعضها[1]، وتتمثل هذه الجهود في ما يلي:

1- جهود أبي الأسود الدولي (ت69هـ): الكثير من الباحثين عندما يتطرق إلى محاولات العرب الأولى في بحث الأصوات يستهل حديثه بالخليل بن أحمد، إلا أنه من العدل والقسط أن يكون أبو الأسود الدولي أول من بحث في هذا الميدان الذي لم يكن مبحثا أو علما مستقلا كما استمر عليه الحال فيما بعد، فجهوده في هذا واضحة جلية لا نستطيع إغفالها وإن كان البعض يدرجها في منشأ علم النحو.

إن أبا الأسود الدولي كانت له محاولة لضبط النص القرآني بالشكل، حيث استحضر كاتبه وأمره بأن يتناول المصحف، وأن يأخذ صبغا يخالف لون المداد فيضع نقطة فوق الحرف إذا رآه يفتح شفتيه، وتحت الحرف إذا رآه قد خفض شفتيه، وبين يدي الحرف إذا رآه يضم شفتيه، أما إذا أتبع الحرف الأخير غنة فينقط نقطتين فوق بعضهما، أما الحرف الساكن فقد تركه[2]

لقد أمر أبو الأسود كاتبه بملاحظة حركة الشفتين خلال النطق، وهذا ما جعله يأتي بأمر جديد في لغة العرب ألا وهو رسم الحركات الفتحة والضمة والكسرة والتنوين وهذا ما يعرف بالصوائت les voyelles في اللسانيات المعاصرة.

[1] - محمد علاء جير: المدارس الصوتية عند العرب، النشأة والتطور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2006م، ص 04.

[2] - عمر أحمد مختار: البحث اللغوي عند العرب، دراسة لفظتي التأثير والتأثر، ص 79و ما بعدها.

2- جهود الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ)[1]: قام الخليل بن أحمد الفراهيدي بوضع معجم صوتي، رتب فيه المواد اللغوية وفق الترتيب الصوتي أي وفق مخارج الحروف من أقصى الحلق إلى الشفتين مرورا بالأعضاء الأخرى التي تساهم في إنتاج الأصوات، واستهل معجمه بمقدمة طويلة أوضح فيها منهجه في ترتيب المواد، وسبب تفضيله الترتيب المخرجي على الترتيب الألفبائي الذي وضعه نصر بن عاصم، وتحدث عن حروف العربية التسعة والعشرين التي رتبها على النحو الصوتي الآتي (ع ح هـ خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م) وهذه هي الحروف الصحاح، أما الألف اللينة والواو والياء والهمزة فهي حروف العلل.

كما قام الخليل ــ بعد عد أصوات اللغة العربية ــ بتوزيع هذه الأصوات على المخارج بادئا بأقصاها مخرجا وهو صوت العين ومنتهيا بالحروف الهوائية وهي الألف والواو والياء والهمزة، وهذا ما سنفصل فيه لاحقا في مبحث منفرد بعنوان "الصفات والمخارج".

3- جهود سيبويه (ت 188 هـ)[2]: يعد أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه من العلماء الذين خلدوا لنا مباحث هامة في الدرس الصوتي العربي، والسبب الذي دعاه إلى دراسة اللغة العربية وأصواتها بعد ما كان يدرس الآثار والفقه هو أنه كان يستملي على حماد بن سلمة يوما فلحن فكان لحنه سببا في طلبه علم العربية لكي لا يخطئه أحد من بعده، فشرع في طلب النحو، وصنف كتابه الذي لم يسبقه أحد إلى مثله، ولا لحقه أحد أبدا وذكرنا في الصفحات السابقة أن الدرس الصوتي لم يكن معروفا كعلم مستقل مثل علم النحو والفقه والتفسير، وإنما كان هذا العلم في سياق علوم أخرى كعلم التجويد والصرف والنحو واللغة بشكل عام، فهذا سيبويه خصص مبحثا خاصا في كتابه له علاقة بالدرس الصوتي العربي سماه: "هذا باب عدد الحروف العربية ومخارجها ومهموسها ومجهورها وأحوال مجهورها ومهموسها واختلافها"[3]

لقد درس سيبويه على علماء البصرة، وكان ملازما أكثر لشيخه الخليل، وأخذ عنه كثيرا، وكان الخليل يقول عنه: "مرحبا بزائر لا يمل"، كما أخذ عن يونس بن حبيب، وعيسى بن عمرو، وأبي زيد الأنصاري، وأبي الخطاب الأخفش الكبير وغيرهم.[4]

يقول سيبويه : "أصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفا، الهمزة والألف والهاء والحاء والغين والسين والظاء والذال والثاء والباء والميم واللام والراء والنون والطاء والدال والتاء والصاد والزاي والخاء والكاف والقاف والضاد والجيم والشين والفاء والواو"[5] وهذه أصول، وتحدث عن ستة أخرى يعتبرها فروعا [6]

---

[1] لمزيد من الاستزادة ينظر عمر أحمد مختار: البحث اللغوي عند العرب، ص 93 وما بعدها، وعبد العزيزمحمد حسين: مصادر البحث اللغوي، ص46.

[2] لمزيد من التفاصيل ينظر: محمد حسن عبد العزيز : مصادر البحث اللغوي في الأصوات والصرف والنحو والمعجم وفقه اللغة، ص48،وزبير دراقي: محاضرات في فقه اللغة، ص60،ومحمد علاء جير:المدارس الصوتية عند العرب، النشأة والتطور،ص 23، والحمد غانم قدوري: المدخل إلى علم أصوات اللغة العربية، ص 09

[3] - سيبويه (أبو بشير عمرو بن عثمان بن قنبر): الكتاب، ج4، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ودار الرفاعي بالرياض، ط2، 1402هـ/1982م، ص 431 .

[4] - ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج2، ص 228.

[5] - سيبويه: الكتاب، ج4، ص 431.

[6] - المصدر نفسه: ج4، ص432.

بعدها يتحدث عن مخارج الحروف وصفاتها التي سنتحدث عنها في الصفحات التالية، كما أنه عالج بعض المسائل الصوتية قبل ذلك في باب الإمالة والوقف والتقاء الساكنين[1].

4- جهود أبي الفتح عثمان ابن جني (ت 392 هـ): تحدث ابن جني عن حروف اللغة العربية وأصواتها، وذلك في كتابه "سر صناعة الإعراب" وتحدث عن مخارج الحروف ومدارجها.

ويلخص الدكتور أحمد مختار عمر المسائل الصوتية في كتاب ابن جني"سر صناعة الإعراب" كالآتي:

1- عدد حروف الهجاء وترتيبها ووصف مخارجها.
2- بيان الصفات العامة للأصوات وتقسيمها باعتبارات مختلفة.
3- ما يعرض للصوت في بنية الكلمة من تغيير يؤدي إلى الإعلال أو الإبدال أو الإدغام أو النقل أو الحذف.
4- نظرية الفصاحة في اللفظ المفرد ورجوعها إلى تأليفه من أصوات متباعدة المخارج.[2]

وينبه الدكتور أحمد مختار عمر إلى قضيتين هامتين في"سر صناعة الإعراب" وهما:

أ- إن ابن جني أول من استعمل مصطلحا لغويا للدلالة على هذا العلم وهو مصطلح "علم الأصوات".

ب- إن ابن جني يعتبر الرائد في هذه الدراسة، وكان على حق في قوله في كتابه "وما علمت أن أحدا من أصحابنا خاض في هذا الفن الخوض ولا أشبعه هذا الإشباع"[3]

وتفطن ابن جني أيضا إلى قيمة جهاز النطق في إصدار الأصوات فشبهه بالناي تارة وبوتر العود تارة أخرى لتوضيح عملية إنتاج الكلام وتقسيم أصواته بحسب مخارج النطق إلى صوامت وصوائت.[4]

5- جهود إخوان الصفا[5]: لقد أدرك "إخوان الصفا" حقيقة الصوت كمستوى من مستويات دراسة اللغة، فبحثوا في أنواعه ونشأته وخصائصه، ومراحل حدوثه من النطق به إلى سماعه وإدراكه.

يعرف الإخوان الصوت بأنه: "هواء يتقلب بين جسمين متصادمين بعنف فيصك الهواء الراكد في آلة السمع"[6]، ومن المباحث الصوتية التي تحدث الإخوان عنها أنواع الصوت، فهي عندهم متنوعة متعددة إذ يقولون: "الأصوات نوعان: حيوانية وغير حيوانية، والحيوانية أيضا نوعان:

---

1 - عبد العزيز محمد حسن: مصادر البحث اللغوي، ص 49.

2 - عمر أحمد مختار: البحث اللغوي عند العرب، ص 100 وما بعدها.

3 - ابن جني أبو الفتح عثمان: سر صناعة الإعراب، تح حسين هنداوي، دار القلم، دمشق،ط2، 1413هـ/1993م، ص56.

4 - الراجحي عبده: فقه اللغة في الكتب العربية، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط7، ص 133، وينظر زبير دراقي: محاضرات في فقه اللغة، ص 61.

5 هي جماعة سرية من العلماء المفكرين ظهرت في البصرة في القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) وسمت نفسها باسم (إخوان الصفا، وأهل العدل وأبناء الحمد")، وحول أشخاصها هناك تضارب، فقيل إن من أشخاصها: عبد الله بن المبارك (ت 182 هـ)، عبد الله بن محمد بن إسماعيل (ت 212هـ) وأحمد بن عبد الله (ت229هـ) وعبد الله بن سعيد بن الحسين (ت240 هـ) وغيرهم، وقد ضمنوا أفكارهم في اثنتين وخمسين رسالة، ورسالة جامعة اشتملت على حقائق هذه الرسالة بأسرها، ثم "جامعة الجامحة" أو "زبدة إخوان الصفا" التي تعتبر فهرست الرسائل جميعها وخلاصتها، وهذه الرسائل تضم كل علوم العصر، وتعهدت الجماعة بإخفاء شخوصها خيفة على حياتهم المهددة من ملوك ذلك العصر الذين عاشوا خلاله.
لمزيد من الحقائق عن هذه الجماعة ينظر: الفخراني أبو السعود أحمد: البحث اللغوي عند إخوان الصفا، مطبعة الأمانية، مصر، ط1، 1411هـ/ 1991م، ص12-10.

6 - رسائل إخوان الصفا: دار صادر، بيروت، تحقيق جميل صليبا، المجمع العلمي العربي، 1368هـ/ 1949م، د ط، ج2، ص 407.

طبيعية وآلية، فالطبيعية هي كصوت الحجر والحديد والخشب والرعد والريح وسائر الأجسام التي لا روح فيها من الجمادات، والآلية كصوت الطبل والبوق والزمر والأوتار وما شاكلها، والحيوانية نوعان: منطقية وغير منطقية، فغير المنطقية هي أصوات سائر الحيوان الغير الناطقة، وأما المنطقية فهي أصوات الناس"[1].

وتحدث الإخوان عن نشأة الصوت والمراحل التي يمر بها، والتي تختصر في أربعة مراحل هي:

1- **مرحلة حدوث الصوت وإصداره.**
2- **مرحلة إنتقاله.**
3- **مرحلة سماعه.**
4- **مرحلة إدراكه.**[2]

كما تحدث الإخوان كذلك عن الصوت اللغوي ومراحله التي يمر بها أيضا، وتحدثوا عن الصوت الجهير والخفي، والحاد والغليظ، والكبير والصغير، السريع والبطيء.[3]

6- جهود الشيخ الرئيس ابن سينا: (ت 428 هـ): لا نستطيع أن نغفل جهود الشيخ ابن سينا في مجال البحث اللغوي الصوتي، وهذا من خلال رسالته "أسباب حدوث الحروف" وكتابه "الشفا"، وله فيهما مواقف خاصة لا يشركه فيها أحد قبله ولا بعده من العلماء القدماء.

قسم ابن سينا رسالته " أسباب حدوث الحروف" إلى ستة فصول هي[*]:

الفصل الأول: سماه "سبب حدوث الصوت" حيث ذكر أن الصوت لا يحدث إلا عن قرع أو قلع، ويستعرض الحديث عن قضية الصوت مجيبا عن كثير من التساؤلات في كتابه "الشفاء".

الفصل الثاني: سماه "سبب حدوث الحروف" وفيه يتحدث عن المخارج والمحابس.

الفصل الثالث: خصصه ابن سينا لتشريح الحنجرة واللسان وكثير من الأمور حول هذا الفصل فيها في كتابه " القانون في الطب".

الفصل الرابع: يتحدث عن الحروف العربية ويبين كيفية صدور كل حرف منها ويصف العملية العضوية مع كل حرف وصفا مفصلا، ووصفه هذا ينفرد به وحده دون غيره، ورتب الحروف العربية ترتيبا مخرجيا كما فعل الخليل.

الفصل الخامس: خصصه ابن سينا لحروف سمعها في لغات أخرى غير اللغة العربية، ولكنه لم يذكر من أسماء تلك اللغات سوى الفارسية التي هي لغته الأولى والتي كان على علم وثيق بها، ومن بين تلك الحروف: السين الزائية، والزاي السينية، والزاي الظائية، الفاء الشبيهة بالباء، والباء المشددة.

---

[1] - المرجع السابق، ج1، ص 188.

[2] - للاستزادة أكثر حول ذا المبحث ينظر: الفخراني أبو السعود أحمد: البحث اللغوي عند إخوان الصفا، ص ص 83- 110.

[3] - المرجع نفسه، ص ص 111- 161.

[*] حول ملخص رسالة ابن سينا يراجع، أنيس إبراهيم: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1992م، ص 138-13، ويراجع عمر أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب، ص 102.

الفصل السادس: خصصه لبعض الأصوات التي تسمع من حركات غير نطقية، كالسين والطاء والتاء.

ومن القضايا المهمة التي توصل إليها ابن سينا من خلال بحثه للظاهرة الصوتية ما يلي:

1- تتضمن العملية الصوتية ثلاثة عناصر هي:

أ- وجود جسم في حالة تذبذب.

ب- وجود وسط تنتقل فيه الذبذبة الصادرة عن الجسم المتذبذب.

ج- وجود جسم يستقبل هذه الذبذبات.[1]

2- رتب ابن سينا أصوات العربية من الداخل إلى الخارج على النحو التالي:

الهمزة – الهاء – العين – الحاء – الخاء – الغين – القاف – الكاف – الجيم – الشين – الصاد – الزاي – الطاء – التاء – الدال – الثاء – الذال – الظاء – اللام – الراء – الخاء – الباء- الميم – النون – الواو الصامتة – الياء الصامتة – المصوتات: الألف الصغرى والكبرى – الواو الصغرى والكبرى – الياء الصغرى والكبرى.[2]

3- من خلال هذا الترتيب يفرق ابن سينا بين السواكن والعلل، فالتسمية الأولى صوامت والثانية مصوتات.[3]

4- من خلال هذا الترتيب يفرق بين نوعين من الواو والياء، فنوع أدرجه في الصوامت، ونوع أدرجه في المصوتات.[4]

5- فرق ابن سينا بين الحركة القصيرة والطويلة (الصغرى والكبرى).[5]

وخير ما نختم به جهود ابن سينا مقولة إبراهيم أنيس إذ يقول: " إنها (الرسالة) تعالج طرفا من الدراسة الصوتية اللغوية علاجا فريدا يختلف اختلافا بينا عن علاج سيبويه وأمثاله من علماء العربية، فقد جاء حديث ابن سينا في رسالته حديث العالم بأسرار الطبيعة حيث أشار إلى كنه الصوت وأسبابه، وحديث الطبيب المشرح حيث وصف أجزاء الحنجرة واللسان، وتميز كلامه بمصطلحات لا نعرف أن غيره من علماء العربية يشركه فيها"[6].

7- جهود علماء القراءات والتجويد: تعتبر جهود علماء القراءات والتجويد في القرنين الرابع والخامس الهجريين لبنة أساسية من لبنات أصالة الدرس الصوتي عند العرب، ففي هذا العصر استقل الدرس الصوتي بعلم خاص له علاقة بالنص القرآني وكيفية قراءته قراءة سليمة صحيحة يعرف بعلم التجويد، ولا يكاد كتاب من كتب علم التجويد يخلو من الأمور الثلاثة الآتية: أحدهما معرفة مخارج الحروف، والثاني معرفة صفاتها، والثالث معرفة ما يتجدد لها بسبب التركيب من الأحكام، وهي الموضوعات الرئيسية في أصوات العربية قديما وحديثا"[7].

---

[1] - عمر أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب، ص 103.

[2] - المرجع نفسه ، ص 108.

[3] - نفسه، ص 108.

[4] - نفسه، ص 109.

[5] - نفسه، ص 109.

[6] - أنيس إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص 136.

[7] - الحمد غانم قدوري، المدخل إلى أصوات العربية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1325هـ، 2004م، ص 10 وما بعدها.

وتعد قصيدة * أبي مزاحم الخاقاني البغدادي (موسى بن عبيد الله ت 325هـ) التي قالها في حسن أداء القرآن أول مصنف في علم التجويد، كما ذكر الجزري في كتابه "غاية النهاية في طبقات القراء"[1].

ومن المؤلفات التي ألفت في هذ العلم والتي ساهمت في تطور الدرس الصوتي عند العرب نذكر على سبيل المثال – لا الحصر – ما يلي:

أ- **كتاب الرعاية لتجويد القراء " لأبي محمد مكي القيسي":**[2] ولد مكي أبو محمد بن أبي طالب حموش القيسي بالقيروان سنة (345هـ) وتوفي في قرطبة سنة (437هـ)، وكان كثير الترحال في طلب العلم وكان كثير التأليف إذ بلغت مؤلفاته زهاء التسعين في التفسير وعلوم العربية وعلوم القرآن، ومن أهم كتبه: "الكشف عن وجوه القراءات وعللها" وكتاب " الإبانة عن معاني القرآن" وكتاب "مشكل إعراب القرآن".

يقول مكي أبو محمد القيسي في كتابه "الرعاية لتجويد القرآن": "..... قويت نيتي في تأليف هذا الكتاب وجمعه في تفسير الحروف ومخارجها، وصفاتها وألقابها، وبيان قويها وضعيفها واتصال بعضها ببعض، ومناسبة بعضها لبعض، ومباينة بعضها لبعض ليكون الوقوف على معرفة ذلك عبرة في لطف الله الكريم وعونا لأهل تلاوة القرآن".[3]

ب- **كتاب "مخارج الحروف وصفاتها" لابن الطحان (عبد العزيز بن علي بن محمد المقري الاشبيلي)[4]:** ولد الرجل باشبيلية سنة (496هـ) ثم رحل إلى فاس ومراكش ثم إلى المشرق، زار البقاع المقدسة للحج ودخل العراق وزار مصر والشام، توفي بحلب سنة (565هـ).

إن كتاب ابن الطحان يعتبر مصنفا مهما في علم التجويد ولطالب القراءات، وهو كتاب وجيز في أربعة فصول، كل فصل منها من بضع صفحات لا تتجاوز العشرة، تحدث في الفصل الأول عن مخارج الحروف، وفي الفصل الثاني عن صفاتها، والثالث عن معاني هذه الصفات، والرابع عن مخارج الحروف التي يراد اختلاس حركاتها تخفيفا، وترتيبه للحروف وتوزيعها على المخارج يوافق ما جاء في كتاب سيبويه إلا أحرفا قليلة، كما أن تعريفاته للصفات لا تخرج عما قاله فكأنه ملخص له.[5]

ج- **"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري(الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي)[6]:** ولد الشيخ بدمشق سنة (751هـ) تعلم بها ثم رحل إلى القاهرة، كان رحالة كثير الرحلات، ثم استقر به المقام بشيزار، حيث تولى فيها القضاء ومات بها سنة (833هـ) له تآليف كثيرة منها، "تحبير

---

* هذه القصيدة مطلعها " أقول مقالا معجبا لا ولي الحجر ... ولا فخر إن الفخر يدعو إلى الكبر. وتتألف من واحد وخمسين بيتا، ينظر أحمد غانم قدوري: المدخل إلى أصوات العربية، ص 15(في هامش الصفحة).

[1] - الحمد غانم قدوري، المخل إلى أصوات العربية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1325هـ، 2004م، ص 15.

[2] - ينظر ترجمته في: نزهة الألباء في طبقات الأدباء: الأنباري كمال الدين أبو البركات، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة، دت، دط، ص 25 وما بعدها، والأعلام للزركلي، ج7، ص 286.

[3] - مكي أبو طالب القيسي، الرعاية في تجويد القرآن، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار عمار، الأردن، 1984، ص 50 وما بعدها.

[4] - ينظر ترجمته في: غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، مكتبة الخانجي، مصر، 1933، ج1، ص 395، والأعلام للزركلي، ج4، ص 22.

[5] - عبد العزيز محمد حسن، مصادر البحث اللغوي في الأصوات والصرف والنحو والمعجم وفقه اللغة، مع نماذج شارحة، ص 55.

[6] - الزر كلي خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1980، ط5، ج1، ص 227.

التيسير في القراءات" وكتاب "طيبات النشر في القراءات العشر" وهي منظومة من ألف بيت، وكتاب "منجد المقرئين" وكتاب "غاية النهاية في طبقات القراء".

يتحدث ابن الجزري في كتابه "النشر" عن القرآن ورسمه ونزوله وجمعه وأشهر القراء والقراءات الشاذة، كما يتحدث عن "مخارج الحروف" و" صفات الحروف" كما عرف أيضا بعلم التجويد بأنه إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها ومراتبها، ورد الحرف إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره، وتصحيح لفظه، وتلطيف النطق به على حال صيغته وكمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف.[1]

وهناك مِلفات أخرى تتنوع طولا وقصرا، نظما ونثرا توالت وتتالت بعد القرنين الرابع والخامس الهجريين، وهي تعد ثروة ومصدرا غنيا وأصيلا للدراسات الصوتية العربية منها[2]:

- التحديد في الإتقان والتجويد لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت 444هـ).
- الموضح في التجويد لعبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب القرطبي (ت461هـ).
- نهاية الإتقان في تجويد القرآن لشريح بن محمد الرعيني (ت 539هـ).
- التجريد في علم التجويد لسهل بن محمد الحاجي (ت 543هـ).
- التمهيد في معرفة التجويد لأبي العلاء الحسن بن أحمد العطار الهمذاني (ت569هـ).

نقول: إن الفضل يعود إلى هؤلاء العلماء ـ علماء القراءة والتجويد ـ في تطور الدرس الصوتي العربي، فبإسهاماتهم ومؤلفاتهم كانوا قد حافظوا على النص القرآني قراءة وأداء وتلاوة، وبالتالي فهو حفاظ على حياة اللغة العربية وحروفها وأصواتها وتراكيبها من اللحن والتزييف.

د- **<u>الجهاز الصوتي الإنساني:</u>** على دارس الأصوات أن يعرف أعضاء النطق التي تساهم في إنتاج الأصوات من حيث تكوينها، ومن حيث كيفية استعمالها في تكوين الأصوات الكلامية أي من حيث وظائفها، ولهذا عكف العلماء العرب القدامى على معرفة هذا الجهاز المصدر للأصوات معرفة تكاد تكون دقيقة لما توصل إليه العلم الحديث وبخاصة علم التشريح، فلو أتيح لأولئك الأفذاذ ما أتيح لنا في عصر التقنية والآلة والمجهر وآلات التصوير لأرونا عجبا في هذا المجال، ورغم ذلك تكاد نتائجهم تتطابق وتتفق مع ما جاء به علماء الأصوات في عصرنا إلا في بعض الاختلافات البسيطة.

لقد أطلق العلماء القدامى على جهاز النطق عدة تسميات منها: الآلة والمدرج والممر والمذهب، وأما المحدثون فاصطلحوا عليه بتسميات منها جهاز النطق أو الجهاز النطقي أو جهاز التصويت أو الجهاز الصوتي أو جهاز الكلام أو أعضاء النطق أو الأعضاء الصوتية.[3]

فالجهاز الصوتي عند الإنسان هو نفسه عند جميع البشر، أي هو واحد أو نفسه عند الآدميين، لكنه في الاستعمال متنوع إلى ما لا نهاية لارتباطه بالفرد المتكلم أكثر من ارتباطه بالنظام الصوتي

---

[1] - ابن الجزري: (أبو الخير محمد بن محمد): النشر في القراءات العشر، تصحيح علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، دت، ص 212.

[2] - الحمد غانم قدوري: المدخل إلى علم أصوات العربية، ص 16.

[3] - المرجع السابق، ص 132، وما بعدها.

[3] دراقي زبير: محاضرات في فقه اللغة، ص 62.

الذي لا يتعدى ثلاثين حرفا في معظم اللغات، وكل متكلم يدخل فيه بحسب سنه وجنسه وحجمه ألوانا كثيرة من الإبداع والتنويع"[1].

لقد وعى علماء العرب القدامى حقيقة هذا الجهاز الذي حبا الله به الإنسان، وجعل فيه المرونة والليونة لإحداث عدد لا يحصى من الأصوات التي تحقق التواصل والتفاهم بين بني البشر، ويتألف هذا الجهاز من عدة أعضاء تساهم كلها في إنتاج الأصوات سنحاول تعدادها بين ما ذكره القدامى وما توصل إليه المحدثون، وهي كالآتي من الداخل إلى الخارج[2]:

أ- **الرئتان:** الرئة جسم مطاطي قابل للتمدد والانكماش، وتؤدي الرئتان وظيفة مهمة في الكلام وهي دفع الهواء وجذبه، والهواء هو مصدر القوة في عملية الكلام، ويحدث الكلام في عملية الزفير[3]، وبدون الرئتين لا يتم التنفس ولا الكلام.

ب- **القصبة الهوائية:** وسماها العرب بالقصبة الرئوية، لاتصالها بالرئتين أو قصبة الحلق وهي عبارة عن أنبوبة من الغضاريف على شكل حلقات غير مكتملة من الحلق أو غير كاملة الاستدارة، ويتصل بعضها بواسطة نسيج غشائي مخاطي[4]، وتتفرع القصبة الهوائية من جزئها الأسفل إلى شعبتين: كل شعبة ترتبط برئة وتنتهي من الأعلى بالحنجرة، وتكون للصوت بمثابة فراغ رنان، ولا سيما إذا كان الصوت عميقا، وغضاريفها صلبة من الأمام ومن الداخل.[5]

ج- **الحنجرة:** هي تجويف غضروفي صغير مكون من عدد من الغضاريف التي تضم في داخلها الوترين الصوتيين، ويمكن تحسس الحنجرة عند النتوء البارز في وسط الرقبة[6]، ويختلف حجمها عند الكبار والصغار، وعند الذكور والإناث، فهي عند الكبار أكبر من الصغار، وهي عند الذكور أكبر من الإناث، وتتكون الحنجرة من عدة غضاريف منها: الغضروف الدرقي والغضروف الحلقي، والغضروفان الهرميان، والغضروفان المخروطيان والغضروفان القرنيان، ومن أجزائها أيضا لسان المزمار والأوتار الصوتية[7].

د- **البلعوم:** والبعض يطلق عليه الحلق وبعضهم يطلق عليه مؤخرالفم، ويقصد به الفراغ الواقع بين الحنجرة وأقصى اللسان، ويقسمه علماء العربية والتجويد إلى ثلاثة أقسام: أقصاه ووسطه وأدناه،[8] ومن الحلق تخرج الأصوات التي جمعها الشاعر في قوله:

همز فهاء ثم عين حاء .... مهملتان ثم غين خاء.[9]

---

[1] زبير دراقي: محاضرات في فقه اللغة، ص62.

[2] للاستزادة أكثر حول هذا الموضوع يراجع: أنيس إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص 16، هلال عبد الغفار حامد:الصوتيات اللغوية، ص 51، الرديني محمد علي عبد الكريم: فصول في علم اللغة العام، ص 131، دراقي زبير: محاضرات في فقه اللغة ص 62، حركات مصطفى: الصوتيات والفونولوجيا، ص 46، عكاشة محمود: أصوات اللغة، ص 23، محمد علاء جبر: المدارس الصوتية عند العرب، النشأة والتطور، ص 98، الصالح صبحي: دراسات في فقه اللغة، ص 276، الحمد غانم قدوري: المدخل إلى علم أصوات العربية، ص 48.

[3] - أيوب عبد الرحمان: أصوات اللغة، مطبعة الكيلاني، ط1، 1968، ص 40.

[4] - هلال عبد الغفار حامد: الصوتيات اللغوية، ص 55

[5] -.الرديني محمد علي عبد الكريم، فصول في علم اللغة العام، ص 134.

[6] - الحمد غانم قدوري: المخل إلى علم أصوات العربية، ص 50.

[7] - للتفصيل في هذا الموضوع يراجع: الحمد غانم قدوري، المدخل إلى علم أصوات العربية، ص 50، وعكاشة محمود، أصوات اللغة، ص 25.

[8] - الرديني محمد علي عبد الكريم: فصول في علم اللغة العام، ص 136.

[9] - هلال عبد الغفار حامد: الصوتيات اللغوية، ص 62.

هـ- تجويف الفم: يضم تجويف الفم أكثر أعضاء آلة النطق، فهو يبدأ من نهاية تجويف الحلق العليا عند مؤخرة اللسان المقابلة للهاة وينتهي بالشفتين، ويتكون هذا التجويف من:

1- **سقف الفم أو الحنك الأعلى:** ويبدأ باللثة وهي اللحم الذي فيه منبت الأسنان ثم يلي اللثة جزء محزز ثم يأخذ بالتقعر ويزول التحزز منه، وهو جزء عظمي صلب مبطن بنسيج لحمي لين، يسميه بعض الدارسين بمنطقة الغار، أما اللهاة فهي لحمة مسترخية في آخر سقف الفم تقابل أقصى اللسان.[1]

2- اللسان: هو أهم أعضاء النطق، وعليه المعول في إبراز كثير من الأصوات، ولولا اللسان لم يكن إخراج الأصوات وسلامتها، ويقوم اللسان بالمشاركة في إنتاج الأصوات بحركته الكثيرة في الفم، وعند عدم الكلام يستقر في قاع الفم[2]، ويقسم دارسو الأصوات اللسان إلى عدة أقسام لتسهيل تحديد مخارج الأصوات، وكان سيبويه قد استخدم: طرف اللسان ووسطه وأقصاه وحافته وهي جانبه، وهي مصطلحات لا تزال صالحة للاستخدام في التراث الصوتي العربي[3].

3- الأسنان: الأسنان موضعها الفم مصفوفة في الفكين العلوي والسفلي[4]، ولها وظيفة أساسية من الناحية الصوتية، ويمكن إدراك أهميتها عندما نسمع كلام إنسان فقد بعض أسنانه، إذ نلاحظ أن الأصوات تخرج من فمه مشوهة ....وعدد الأسنان اثنتان وثلاثون موزعة على الوضع التالي:

1. **الثنايا:** (أربعة، في كل فك اثنتان)، تقع في الجزء الأمامي من الفم من أعلى وأسفل.
2. **الرباعيات:** وهي أربع، اثنتان في كل فك، وتلي الثنايا من الجانبين.
3. **الأنياب:** وهي أربع، تلي الرباعيات علوا أو سفلا.
4. **الأضراس:** وهي عشرون، منها الضواحك، وهي التي تبدو عند الضحك، ومنها الطواحن ومهمتها طحن الطعام أو مضغه، ومنها النواجذ، وهي ما نسميها بالعامية ضروس العقل.[5]

وبعض الدارسين في علم الأصوات يوزعها على أربع مجموعات هي:

- **القواطع:** وهي ثمانية، أربعة في كل فك، ومن هذه القواطع أربع تسمى ثنايا، ثنتان في كل فك، وتلي الثنايا أربع من كل جانب واحدة تسمى الرباعيات.
- **الأنياب:** وهي أربعة أسنان حادة مدببة أطول من سابقتها (القواطع)، اثنتان في كل فك.
- **الأضراس الأمامية:** وهي ثماني أسنان عريضة، منها أربعة في كل فك، والضرس التي تلي الناب تسمى ضاحكة.
- **الأضراس الخلفية:** وهي اثنتا عشرة سنا، عريضة وغليظة.[6]

4- الشفتان: عضوان متحركان يلعبان دورا هاما في النطق، ودور الشفة السفلى أهم من العليا[7]، فهما تنفرجان حينا وتستديران أو تنطبقان حينا آخر، وهكذا نلحظ تغييرا في شكل الشفتين

[1] - الحمد غانم قدوري: المدخل إلى علم أصوات العربية، ص 57.
[2] - هلال عبد الغفار حامد: الصوتيات اللغوية، دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية، ص 68.
[3] - الحمد غانم قدوري: المدخل إلى علم أصوات العربية، ص 57، وما بعدها.
[4] - عكاشة محمود: أصوات اللغة، ص 45.
[5] - هلال عبد الغفار حامد: الصوتيات اللغوية، دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية، ص 65 وما بعدها.
[6] - يراجع عكاشة محمود: أصوات اللغة، ص 45 وما بعدها وبشر كمال: الأصوات العربية، دار المعارف، مصر، 1980م، ص 70، أيوب عبد الرحمن: أصوات اللغة، ص 58.
[7] - حركات مصطفى: الصوتيات والفونولوجيا، ص 49.

أثناء النطق، وتختلف عادات المتكلمين في استغلال حركة الشفتين والانتفاع بها، (كثرة حركة الشفتين عند الشعوب أو الاقتصاد مثل العرب)[1].

5- تجويف الأنف: هو منطقة الفراغ الذي تقع في الرأس فوق البلعوم الأنفي، وتفصلها عنه فتحتان بيضاويتان يفصل بينهما حاجز رأسي يشبه الفاصل الموجود بين فتحي الأنف، وتسمى هاتان الفتحتان الخيشومين الخلفيين، ويصلان البلعوم الأنفي بالفراغات الأنفية[2]، أما في مجال إنتاج الأصوات فإن التجويف الأنفي يشترك في إنتاج أصوات الغنة.[3]

وقد تنبه علماء اللغة القدامى وبالخصوص علماء القراءات والتجويد إلى دور التجويف الأنفي في إنتاج الأصوات، ومن هؤلاء العلماء سيبويه في "كتابه"، ومكي بن أبي طالب القيسي في كتابه "الرعاية" وأبو عمرو الداني في كتابه "التحديد"[4].

إن الجهاز الصوتي بأعضائه هذه، سواء أكانت صغيرة أو كبيرة، عضلية أو عظمية، متحركة أو ثابتة تساهم بالقليل أو بالكثير في إنتاج الأصوات، وهذه الأعضاء متكاملة متلازمة بحيث إذا تعطل عضو منها اختل الكلام وصدر الصوت مشوها واستحال الاتصال والتفاهم والتواصل.

<u>هـ- مخارج الأصوات:</u> المخرج لغة جاء في لسان العرب: "الخروج نقيض الدخول والمخرج موضع الخروج"[5]، واصطلاحا هو "موضع خروج الحروف، أو عبارة عن الحيز المولد للحرف"[6] أو بمعنى آخر هو"نقطة اعتراض مجرى الهواء من أجل النطق بالصوت، وهو أكثر المصطلحات في التراث اللغوي العربي وصفا لنقطة النطق"[7]

لقد اختلف العلماء العرب القدامى والمحدثون في إحصاء مخارج أصوات اللغة العربية بصوامتها وصوائتها، بل الاختلاف نجده عند المحدثين أنفسهم.

فالخليل في كتابه "العين" ذكر عدد المخارج سبعة عشر[8]، وأما سيبويه فذكر بأنها ستة عشر مخرجا[9]، ووافقه ابن جني على ذلك فقال: "اعلم أن عدد مخارج الحروف ستة عشر"[10]، أما قطرب والجرمي والفراء ذهبوا إلى أن عددها أربعة عشر مخرجا[11]، وكان هذا التقسيم نبراسا للمتأخرين من العلماء ولا سيما المحدثين الذين لم يكادوا يزيدون عليه شيئا ذا بال، فقد استمدوا منه تقسيمهم للأصوات مجموعات متشابهة تكاد لا تخرج عما ذكره ابن جني وسيبويه[12] مثلما فعل إبراهيم أنيس[13] وكمال بشر[14].

---

1 - أنيس إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص 18 وما بعدها.
2 - عكاشة محمود: أصوات اللغة، ص 40 وما بعدها.
3 - الحمد غانم قدوري: المدخل إلى علم أصوات العربية، ص 59.
4 - يراجع أقوال هؤلاء العلماء في كتاب"الحمد غانم قدوري" المدخل إلى علم أصوات العربية، ص 59 وما بعدها.
5 - ابن منظور (محمد بن مكرم بم منظور الإفريقي) لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان،ط1، ج2، ص 249 مادي "خرج"
6 - المرصفي عبد الفتاح السيد العجمي: هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، دار الفجر الإسلامية، المدينة المنورة، ط1، 2001، ص 61.
7 - حجازي محمود فهمي: مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص 47.
8 - الفراهيدي الخليل بن أحمد : العين، ص 64 وما وبعدها.
9 - سيبويه: الكتاب: ج2، ص 405.
10 - ابن جني: سر صناعة الإعراب،ج1،ص 52.
11 - انظر في تفصيل الخلاف: محمد مكي، نهاية القول في علم التجويد، ص 31.
12 - هلال عبد الغفار حامد: الصوتيات اللغوية، ص 169.
13 - أنيس إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص 44.
14 - بشر كمال: علم اللغة، القسم الثاني(الأصوات)، 1970، ص ص 113 - 121.

وليس من شأننا هنا أن نخوض في هذه الموازنة بين القدماء والمحدثين، فهذا سيكلفنا وقتا طويلا، وهذا لوحده يحتاج إلى دراسة مستقلة، ومع ذلك سنحاول أن نوفق بين جهود هؤلاء وأولئك في شيء من التركيز والاختصار.

والوسيلة التي حددها العرب لمعرفة مخرج الحرف هي أن تأتي بهمزة قبله ثم ننطق به ساكنا أو مشددا، فحيث ينقطع الصوت فثم مخرج الحرف[1]، ومخارج الحروف العربية هي[2]:

1- **الأحرف الجوفية الهوائية:** وهي أحرف المد الثلاثة التي تسمى أحرف اللين، ويراد بالجوف الذي تنسب إليه فراغ الحلق والفم حيث ينقطع مخرجها، وسميت هوائية لأنها تنتهي بانقطاع هواء الفم.

2- **الأحرف الحلقية:** وهي الهمزة والهاء والعين والخاء والغين والخاء، وللحلق ثلاثة مخارج، الهمزة والهاء من أقصى الحلق مما يلي السين والعين والحاء لوسطه مما يلي الصدر، والغين والخاء لأدناه مما يلي الفم.

3- **الأحرف اللهوية**: وهما القاف والكاف.

4- **الأحرف الشجرية**: وهي: الجيم والشين والياء غير المدية، وشجر الفم هو ما بين وسط اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى.

5- **الأحرف الذلقية**: وهي: اللام والنون المظهرة والراء، وذلق اللسان طرفه.

6- **الأحرف النطعية**: وهي ثلاثة: الطاء والدال والتاء، والنطع هو سقف غار الحنك الأعلى.

7- **الأحرف الأسلية:** وهي ثلاثة: الصاد والسين والزاي، والأسلة هي ما دق من اللسان وتسمى صفيرية أيضا.

8- **الأحرف اللثوية:** وهي ثلاثة: الظاء والذال والثاء، وتسمى لثوية لخروجها من اللثة.

9- **الأحرف الشفوية أو الشفهية:** وهي أربعة: الفاء والباء والميم والواو غير المدية.

10- **الأحرف الخيشومية:** وهي النون الساكنة، والتنوين حين إدغامها بغنة أو إخفائها، والنون والميم المشددتان.

و- صفات الحروف: الصفة من الوصف وهو مصدر، والصفة الحلية والوصف وصفك الشيء بحليته ونعته[3]، واصطلاحا هي كيفية عارضة للحرف عند حصوله في المخرج، وتتميز بذلك الحروف المتحدة بعضها عن بعض[4].

إن مبحث الصفات هو من المباحث المكملة لمبحث المخارج، فهما مبحثان يحددان هوية الصوت الفيزيولوجية والفيزيائية، ولأجل هذا عنى علماء العربية قديما وحديثا بصفات الأصوات، ويعد سيبويه أول من تطرق بالدرس لصفات الحروف العربية في مؤلفه "الكتاب"، وإن كان الخليل بن أحمد الفراهيدي قد استخدم بعض المصطلحات المعبرة عن صفات صوتية، ولكن أكثر

---

[1] - وافي علي عبد الواحد: فقه اللغة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، 1972، ص 166 وما بعدها.

[2] للاستزادة أكثر يراجع: وافي علي عبد الواحد: فقه اللغة،ة ص 165، صالح صبحي، دراسات في فقه اللغة، ص 278، والحمد غانم قدوري: المدخل إلى علم أصوات العربية، ص 95، أنيس إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص 44.

[3] - ابن منظور: لسان العرب، ج9، ، ص 356. مادة (وصف).

[4] - نصر محمد مكي: نهاية القول المفيد في علم التجويد، مراجعة الشيخ علي محمد الضباع، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1349هـ) ص 43.

هذه المصطلحات اندثرت، ولم يتسرب منها إلى كتب علماء العربية وكتب التجويد إلا القليل، من ذلك: حروف الذلاقة والصتم، حروف الطلاقة (الطلق) والضخامة، الصلابة والخفوت "الحروف الصحاح" وحروف العلل (المعتلة)، صفة الهت، الهشاشة واللين.[1]

وهذه الصفات التي ذكرها الخليل لم يذكرها سيبويه في "كتابه" فهو الذي اتجه اتجاها آخر في دراسة الصفات أكثر شمولا وأوضح تعبيرا وأبعد أثرا في الدرس الصوتي، فذكر من الصفات: الجهر والهمس، الشديد والرخو، بين الشدة والرخاوة، والانحراف، والغنة، والتكرار، واللين، والحرف الهاوي، والإطباق، والانفتاح.......[2] أي عددها سبع عشرة صفة.

وصارت هذه الصفات فيما بعد مجال بحث الدارسين في العربية والقراءة والتجويد، ولم يشذ منها إلا القليل[3]، تكللت جهود هؤلاء العلماء بتقسيم صفات الحروف إلى قسمين:

صفات عامة وصفات خاصة أو الصفات الزوجية والأحادية أو الصفات التي لها أضداد والتي لا أضداد لها أو الصفات المميزة والمحسنة وهي واحدة وإن تغيرت المسميات.

أولا: الصفات العامة (الزوجية) (المميزة):

1- **الجهر والهمس:** يعرف الصوت المجهور بأنه الصوت الذي يتذبذب الوتران الصوتيان عند النطق به، ويسمى الصوت الذي لا يتذبذب الوتران عند النطق به مهموسا.[4]

والأصوات العربية المهموسة عشرة مجموعة في قولك: (سكت فحثه شخص) والأصوات المجهورة ما عداها وهي تسعة عشر صوتا.[5]

2- **الشدة والرخاوة:** الشدة تمام انحصار الصوت عند إسكانه، والرخاوة هي جريه عند إسكانه، والتوسط هو منزلة بين تمام الانحصار وتمام الجري، وحروف الشدة ثمانية يجمعها قولك (أجدك قطبت)، وحروف التوسط ثمانية كذلك، يجمعها قولك (لم يروعنا)، وحروف الرخاوة ما عدا ذلك.[6]

3- **الإطباق والانفتاح:** الإطباق هو انحصار صوت الحرف بين اللسان والحنك الأعلى لارتفاع ظهر اللسان إلى الحنك الأعلى حتى يلتصق، والانفتاح هو جريان النفس لانفراج ظهر اللسان عند النطق بالحرف وعدم إطباقه على الحنك الأعلى، وحروف الإطباق أربعة وهي (ص ض ط ظ)، والبقية هي حروف منفتحة[7]

---

[1] - للاستزادة أكثر يراجع: الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، ج1، ص ص 52 - 59.

[2] - سيبويه: أبو عمر بن عثمان الكتاب، ج4، ص ص 434- 436.

[3]- من علماء العربية نذكر المبرد في كتابه "المقتضب" وابن السراج في كتابه "الأصول في النحو"، وابن جني (أبو الفتح عثمان في كتابه "سر صناعة الإعراب"، ومن علماء التجويد نذكر: الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد) في كتابه "التحديد في الإتقان والتجويد"، والقرطبي عبد الوهاب بن محمد في كتابه "الموضح في التجويد"، والعطار (أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني) في كتابه "التمهيد في معرفة التجويد" وابن الجزري (أبو الخير محمد بن محمد) في كتابه"النشر في القراءات العشر"، وأما مكي بن أبي طالب القيسي في كتابه "الرعاية تجويد القراءة" فذكر أربعا وأربعين لقبا لصفات الحروف.

[4] - الحمد غانم قدوري: المدخل إلى علم أصوات اللغة العربية، ص 101 وما بعدها.

[5] - وافي علي عبد الواحد: فقه اللغة، ص 167.

[6] - المرجع نفسه، ص 167.

[7] - صالح صبحي: دراسات في فقه اللغة، ص 282، ووافي على عبد الواحد، فقه اللغة، ص 167.

4- **الاستعلاء والاستفال:** الاستعلاء هو ارتفاع مؤخرة اللسان إلى أعلى الحنك عند النطق بالحرف.[1] وعكسه الاستفال وهو عدم ارتفاع اللسان إلى أعلى الحنك، والحروف المستعلية هي (خ ص ض ط ظ غ ق)، ما عدا هذه الحروف فهي مستفلة.[2]

5- **الذلاقة والإصمات:** صفتان خاصتان بالصوامت فقط، فالذلاقة هي طلاقة اللسان وخفته، والصمت ضده[3]، والحروف المذلقة ستة تجمعها عبارة (مر بنفل)، وحروف الصمت هي ما عدا ذلك،[4] (أي من الحروف الصامتة لا الصائتة).

6- **التفخيم والترقيق:** التفخيم أو التجليد أو التسمين هو تعظيم الحرف في النطق حتى يمتلئ الفم بصداه، والترقيق جعل جسم الحرف نحيلا فلا يمتلئ الفم بصداه، والحروف المفخمة هي حروف الإطباق (ص ض ط ظ) مضافا إليها (ف خ غ) وتسمى الحروف المتبقية حروفا مرققة[5].

ثانيا: الصفات الأحادية: (الخاصة، الفردية، المحسنة): هي تلك الصفات التي ليس لها مقابل ولا ضد، وهي كثيرة منها:

1- **الانحراف:** هي صفة استخدمها سيبويه لحرف اللام حين يقول: "ومنها المنحرف، وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة، وهو اللام"[6]

2- **التكرار: (التكرير):** وهو ارتعاد طرف اللسان بالراء[7]، ويحصل ذلك بأن طرف اللسان يطرق اللثة طرقا لينا يسيرا مرتين أو ثلاثا[8]، يقول سيبويه: "ومنها المكرر، وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام فتجافى للصوت كالرخوة، ولو لم يكرر لم يجر فيه الصوت فيه، وهو الراء"[9].

3- **القلقلة:** هي اضطراب الحرف عند النطق به ساكنا[10]، وحروف القلقلة عند علماء التجويد خمسة تجمع في (طبق جد)، واشترطوا في حصول القلقلة اجتماع الشدة والجهر فيه.[11]

4- **الهت:** وهي صفة لحرف الهاء عند ابن جني حيث يقول: "ومن الحروف المهتوت وهو الهاء، وذلك لما فيها من الضعف والخفاء"[12]

5- **التفشي:** لغة هو الانتشار والانبثاث، واصطلاحا هو كثرة انتشار خروج الريح بين اللسان والحنك عند النطق بالشين.[13] وخص سيبويه حرف الشين بهذه الصفة.[14]

---

[1] - ابن جني: أبو الفتح عثمان: سر صناعة الإعراب، ج1، ص 71.
[2] - صالح صبحي: دراسات في فقه اللغة ص 282، ووافي علي عبد الواحد: فقه اللغة، ص 168.
[3] - وافي علي عبد الواحد: فقه اللغة، ص 168.
[4] - صالح صبحي: دراسات في فقه اللغة، ص 283، وما بعدها.
[5] - زبير دراقي: محاضرات في فقه اللغة، ص 69، والرديني محمد علي الكريم: فصول في علم اللغة العام، ص 160.
[6] - سيبويه: (أبو بشر عمرو بن عثمان): الكتاب، ج4، ص 435.
[7] - مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية في تجويد القرآن، ص 170.
[8] - أنيس إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص 67.
[9] - سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان): الكتاب، ج4، ص 435.
[10] - نجا إبراهيم: التجويد والأصوات، مطبعة السعادة، القاهرة، 1972، ص 76.
[11] - ابن الحاجب (عثمان بن عمر): الإيضاح في شرح المفضل، تحقيق موسى بناي العليلي، مطبعة العاني، بغداد، 1983، ج2، ص 448.
[12] - ابن جني (أبو الفتح عثمان): سر صناعة الإعراب، ص 74.
[13] - مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية في تجويد القرآن، ص 109.
[14] - سيبويه (عثمان بن عمر): الكتاب،ج4، ص 448.

6- الصفير: هي صفة خاصة بحروف ثلاثة (س ص ز)، وأول من استخدمها سيبويه حيث قال: "وأما الصاد والسين والزاي فلا تدغمن في هذه الحروف التي أدغمت فيهن، لأنهن حروف الصفير، وهن أندى في السمع"[1]، والصفير هو: "حدة الصوت كالصوت الخارج عن ضغط ثقب[2]، وبمعنى آخر هو "صويت يصحب هذه الأحرف يشبه صفير الطائر"[3].

7- الغنـة: هي الصوت الذي يخرج من الأنف أو الخياشيم كما في كتب علماء العربية والتجويد، أو بالتجويف الأنفي في مفهوم علماء الأصوات المحدثين[4]، وحروفها الميم والنون والتنوين.[5]

8- الاستطالة: وهي صفة لحرف اللام، يقول ابن الجزري: "الحرف المستطيل هو الضاد المعجمة، سميت كذلك لأنها استطالت عن الفم عند النطق بها حتى اتصلت بمخرج اللام"[6].

9- اللين: استخدم سيبويه هذه الصفة لحروف المد الثلاثة وهي الألف والواو والياء[7]، أما من جاء بعد سيبويه فحاول تحديد الطبيعة الصوتية لهذه الأصوات بدقة، ومن هؤلاء مكي بن أبي طالب القيسي في كتابه" الدعاية في تجويد القرآن" حيث قال: "حروف المد واللين ثلاثة أحرف : الألف، الواو الساكنة، التي قبلها ضمة، والياء الساكنة التي قبلها كسرة، ....وحرفا اللين هما الواو الساكنة التي قبلها فتحة والياء الساكنة التي قبلها فتحة"[8].

10-الحرف الهاوي: وصف سيبويه الألف بأنه الهاوي فقال: "ومنها الهاوي وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو، لأنك تضم شفتيك في الواو، وترفع في الياء لسانك قبل الحنك وهي الألف"[9].

هذه بعض الصفات الأحادية لحروف اللغة العربية، وهي غير محدودة، إذ هناك صفات أخرى ذكرها العلماء القدامى مثل: الجرس(الألف الساكنة)، الخفية (هـ ا و ي) والجوف (ء ا و ي) والمستعينة (ع)، والراجع (م)، والمصوتة (أ و هـ) ....وغيرها[10].

<u>ز- الظواهر الصوتية في اللغة العربية:</u> تنفرد اللغة العربية بمجموعة من الظواهر والتغيرات والتبدلات والأحكام الصوتية التي حاول علماء اللغة العربية والقراءة والتجويد التطرق إليها بالبحث والدرس والتحليل حتى توصلوا إلى كثير من المصطلحات والمفاهيم النظرية التي يتم نقلها إلى حيز الإجراء والتطبيق على الدرس اللغوي العربي، ومن هذه الظواهر:

---

[1] - المصدر السابق، ج4، ص 464.
[2] - ابن الطحان: (عبد العزيز بن علي السماتي): مخارج الحروف وصفاتها، تحقيق محمد يعقوب تركمستاني، ط1، بيروت 1404هـ،1984م، ص 94.
[3] - المرادي (الحسن بن قاسم): شرح الواضحة في تجويد الفاتحة، تحقيق عبد الهادي الفضلي، دار القلم بيروت، د ت، ص 36.
[4] - الحمد غانم قدوري: المدخل إلى علم أصوات العربية، 124.
[5] - صالح صبحي: دراسات في فقه اللغة، ص 283.
[6] - ابن الجزري: (أبو الخير محمد بن محمد): التمهيد في علم التجويد، ص 25.
[7] - سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان)، الكتاب، ج4، ص 176.
[8] - مكي بن أبي طالب القيسي: الدعاية في تجويد القرآن، ص 101.
[9] - سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان)، الكتاب، ج4، ص 435.
[10] - محمد علاء جبر، المدارس الصوتية عند العرب، النشأة والتطور، ص 119وما بعدها.

1- **الإظهار:** لغة هو البيان واصطلاحا هو إخراج كل حرف من غير غنة أو إشمام حرف بآخر أو إقلاب أو قلقلة أو تشديد، وتظهر النون الساكنة في حالتين: "الأولى عند الوقوف عليها، والثانية عند التقائها بأحد حروف الحلق التي تسمى حروف الإظهار النوني وهي (ء،هـ،ع،ح،غ،خ)[1]، ومن أمثلة هذه الظاهرة في القرآن الكريم قوله تعالى: "وينئون"[2] "وأنهار"[3] "أنعمت"[4] "وانحر"[5] "فسينغضون"[6] "والمنخنقة"[7]

2- **الإخفاء:** لغة الستر وفي اصطلاح القراء نطق الحرف بصفة هي بين الإظهار والإدغام عارية من التشديد مع بقاء الغنة في الحرف الأول، وبمعنى آخر هو حالة بين الإدغام والإظهار تبقى معها صفة الغنة[8]، ويتحقق الإخفاء مع خمسة عشر حرفا هي: (ص ذ ث ك ج ش ق د ط ز ف ت ض ظ)[9] مثل "ومن تاب"[10]، "ومن ثقلت"[11]، "ومن دابة"[12].

3- الإدغام: هو في اللغة إدخال الشيء في الشيء واصطلاحا هو عبارة عن إدماج الحرف الأول في الثاني والحرف الأول يسمى مدغما والثاني مدغما فيه، وضد الإدغام هو الإظهار[13]، مثل "من وال"[14] و"من ربهم"[15]

4- الإقلاب (القلب): لغة هو التحويل أي تحويل الشيء عن وجهته واصطلاحا جعل حرف مكان حرف[16]، وبتعبير آخر هو تحويل الحرف إلى غيره دون إدغامه، ويتحقق بقلب النون أو التنوين ميما خالصة وإخفائها بغنة دون إدغام إذا وقع بعدهما الباء فقط نحو "أَنْبِئْهُم"[17] "أن بورك"[18] "سميع بصير"[19] [20].

5- المد والقصر: المد إطالة الصوت بحرف المد، والقصر إبقاء حرف المد على ما فيه من المد الطبيعي، فالمد زيادة والقصر ترك الزيادة، فالأول يطلق عليه المد الفرعي والثاني يطلق عليه المد الطبيعي.

---

1 - المرجع السابق، ص 125.
2 - سورة الأنعام من الآية 26.
3 - سورة محمد من الآية 15.
4 - سورة الفاتحة من الآية 07.
5 - سورة الكوثر من الآية 02.
6 - سورة الإسراء من الآية 51.
7 - سورة المائدة من الآية 03.
8 - هلال عبد الغفار حامد، الصوتيات اللغوية، ص 552.
9 - المرجع نفسه، ص 552.
10 - سورة الفرقان من الآية 71.
11 - سورة القارعة من الآية 06.
12 - سورة الأنعام من الآية 38.
13 - التهانوي محمد علي، موسوعة كشاف اصطلاح الفنون، ج1، ص 128، وما بعدها.
14 - سورة الرعد من الآية 11.
15 - سورة البقرة من الآية 05.
16 - محمد علاء جبر، المدارس الصوتية عند العرب، النشأة والتطور، ص 130.
17 - سورة البقرة من الآية 33.
18 - سورة النمل من الآية 08.
19 - سورة الحج من الآية 75.
20 - هلال عبد الغفار حامد، الصوتيات اللغوية، ص551.

فالطبيعي هو الذي لا تقوم ذات حرف إلا به وهو بمقدار حركتين مثل: "إن الله مع الصابرين"[1].
الصابرين"[1].

والفرعي هو المد الزائد على طبيعة الحرف، ويمد بمقدار ثلاث حركات إلى ست على حسب اختلاف القراء، مثل "جاء"[2]، "يشاء"[3]، "وقالوا آمنا"[4] [5].

6- الوقف: هو "السكوت على آخر الكلمة اختيارا لجعلها آخر الكلام"[6]، وهذا التعريف يتوافق مع ما أقره علماء العربية ومنهم أبو علي الفارسي أن الحروف التي يوقف عليها لا تكون إلا ساكنة، كما أن الحروف المبتدأ بها لا تكون إلا متحركة".[7]

وذكر علماء التجويد أنماطا كثيرة للوقف على آخر الكلمة منها:[*]

- الوقف بالسكون مثل : "وإلى ربك فارغبْ"[8].
- الوقف بالواو مثل: "إليه أدعو"[9].
- الوقف بالياء مثل: "وادخلي جنتي"[10]:
- الوقف بالهاء أو التاء الساكنتين مثل: "الحاقة ما الحاقة"[11]، "ويجعلون لله البنات سبحانه"[12]
- الوقف بهاء السكت مثل " *و* إني ظننت أني ملاق حسابيه "[13].

7- الروم والإشمام: الروم هو النطق بالحركة بصوت خفي أو النطق ببعض الحركة، ويكون في الضمة والكسرة[14]، في حين يعرف الإشمام بأنه حالة من حالات الوقف على الصوت في الكلمة المرفوعة وهي أن تقف على الصوت دون إتباعه حركة الضم، وإنما تضم شفتيك فقط أو هو الإشارة إلى حركة الرفع من غير تصويت[15].

وخلاصة القول: إن علماء العربية اهتموا بدراسة الأصوات العربية دراسة جليلة إذ تطرقوا إلى تشريح ووصف آلة النطق وحددوا مخارج الحروف وصفاتها وكشفوا عما يعتريها من تغيرات وتبدلات وظواهر، كل هذا شارك فيه كل العلماء من قراء ومجودين ونحويين وصرفيين ولغويين

---

[1] - سورة البقرة من الآية 153.
[2] - سورة النساء من الآية 43.
[3] - سورة البقرة من الآية 90.
[4] - سورة البقرة من الآية 14.
[5] - للاستزادة أكثر، يراجع هلال عبد الغفار حامد، الصوتيات اللغوية، ص555.
[6] - الاسترباذي رضى الدين، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد محي الدين عيد الحميد وآخرون، مطبعة حجازي، القاهرة، 1358هـ، ج2، ص 271.
[7] - الفارسي أبو علي: التكملة، تحقيق كاظم بحر المرجان، مطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، العراق، 1981، ص 187.
[*] - عن الوقف و أنماطه ينظر: محمد علاء جبر: المدارس الصوتية عند العرب، ص 134.
[8] - سورة الشرح من الآية 08.
[9] - سورة الرعد من الآية 36.
[10] - سورة الفجر من الآية 30.
[11] - سورة الحاقة من الآية 01.
[12] - سورة النحل من الآية 57.
[13] - سورة الحاقة من الآية 20.
[14] - ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ج2، ص 121.
[15] - الصيغ عبد العزيز: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر دمشق، ط1، 2000م، ص 247.

وفلاسفة إلى أن أصبح الدرس الصوتي علما قائما بذاته له أصوله ومناهجه ومبادئه من القرن الرابع الهجري إلى زماننا هذا.

2- المستوى التركيبي: ملامحه في علمي الصرف والنحو: يجمع هذا المستوى بين علمين من علوم العربية وهما علما: الصرف والنحو، وفي هذا المبحث سنحاول بشيء من الاختصار والتركيز أن نتتبع جهود العلماء في هذين العلمين وبيان أهمية المستوى التركيبي في علم اللغة كونه المستوى الثاني في التحليل اللغوي.

أولا ـ المستوى الصرفي: لم يكن الصرف في كتب القدامى علما قائما بذاته، بل ظل إلى فترة طويلة يدرس في كتب اللغة والنحو، حيث كانت المسائل والمباحث مختلطة بعضها ببعض حتى انفصل عنه أخيرا واستقل بكتبه التي كانت تقتصر على مسائله، ورغم هذا الانفصام راح النحاة يصرون على الجمع بين النحو والصرف، في مؤلفاتهم إلا أن علماء اللغة المحدثين يؤكدون على ضرورة دراسة كل مستوى منهما على حدة.

1- ماهية الصرف والتصريف: لغة جاء في لسان العرب مادة "صرف" "الصرف رد الشيء عن وجهه، صرفه يصرفه صرفا فانصرف، وصارف نفسه عن الشيء صرفها عنه، لقوله تعالى: "ثم انصرفوا" أي رجعوا عن المكان الذي استمعوا فيه، وقيل انصرفوا عن العمل بشيء مما سمعوا ....وصرفت الصبيان قلبتهم،.... والصرف أن تصرف إنسانا عن وجه يريده إلى مصرف غير ذلك،.... وتصريف الرياح صرفها من جهة إلى جهة، وكذلك تصريف السيول والخيول والأمور والآيات..."[1]

إن مدلول الصرف في المعاجم العربية يحيل إلى التغيير والتحويل والتبديل والانتقال من حال إلى حال، واصطلاحا فله تعريفات كثيرة منها:

- "هو علم بأصول تعرف به أحوال أبنية الكلام التي ليست بإعراب ولا بناء".[2] وهذا التعريف يتفق مع تعريف الشريف الجرجاني حيث يقول: "الصرف هو علم يعرف به أحوال الكلام من حيث الإعلال"[3]، وهو أيضا: "الحقل اللغوي الذي يدرس بنية الكلمة"[4]، وهذا ما يتفق مع تعريف المحدثين لهذا العلم فهو عندهم: "وصف القواعد التي تكون البنية الداخلية للكلمات"[5].
- "هو علم جليل القدر عظيم النفع، يبحث في بنية الكلمة وهيئتها، يهتم بمشتقات اللغة وصيغها ويعنى بما يطرأ على الكلمات من تغيير لفظي"[6]، ويعرفه ابن هشام (ت 761هـ) بقوله: "هو تغيير بنية الكلمة لغرض معنوي أو لفظي".[7]

---

[1] - ابن منظور (محمد بن مكرم الإفريقي المصري)، لسان العرب، ج9، مادة (صرف)، ص 189.

[2] - التهانوي: محمد علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، ج1، ص 20.

[3] - الشريف الجرجاني: (أبو الحسن علي): التعريفان، المطبعة الخيرية، مصر، ط1، 1306هـ، ص58.

[4] - يونس علي محمد محمد: المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، بيروت لبنان، ط2، 2007م، ص 256.

[5] - Dubois jean et autres, dictionnaire de linguistique, édition la rousse, paris, 1984 p326.

[6] - ابن الأنباري (أبو البركات): الوجيز في علم التصريف، تحقيق علي حسين البواب، دار العلوم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،دط، دت، ص 06.

[7] - ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن احمد بن عبد الله): أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، ط1، 1428هـ، 2007م، ص310.

من خلال هذه التعريفات يتضح أن الصرف هو علم يدرس بنية الكلمة وما يطرأ عليها من تغيرات لفظية أو معنوية، من حيث تغير حرف العلة، والزيادة والاشتقاق والحذف والقلب والإبدال مع مراعاة الصدور والأعجاز والأصول (السوابق واللواحق والجذور).

أما الفرق بين الصرف والتصريف فهما لفظان مترادفان لعلم يدرس بنية الكلمة وما يعرض لها من تغير لفظي أو معنوي،[1] ويذكر التهانوي في كشافه أن "علم الصرف يسمى علم التصريف أيضا"[2].

ومن أقدم من استعمل لفظة "الصرف"عنوانا لكتاب هو أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري (ت 518هـ)، حيث ألف كتابا بعنوان "نزهة الطرف في علم الصرف".[3]

2- <u>المستوى الصرفي وميدانه:</u> يحدد الميداني (ت 518هـ) في كتابه "نزهة الطرف في علم الصرف" المجال الذي يبحث فيه علم الصرف إذ يقول: "التصريف لا يختص بالأفعال دون الأسماء، بل يطلق عليهما جميعا، فالاسم له واحد وجمع، وتعريف وتنكير، ونسبة، وتصغير، كما للفعل ماض ومستقبل وأمر ونهي وفاعل ومفعول، ويطلق عليه حكم الصحة والإعلال كما يطلق على الفعل".[4]

فموضوع علم الصرف انطلاقا من هذا القول هو الكلمة لا غير، أي الكلمة في حالة الإفراد لا في حالة التركيب، فعلم الصرف يدرس الكلمة وهي مستقلة، يدرس هيئتها ووزنها، وهو ما يطلق عليه بالبنية، ويقتصر علم الصرف البحث في نوعين من الكلمة دون النوع الثالث، الاسم المعرب، والفعل المتصرف، دون الحرف، ودون الأسماء المبنية (كالأسماء الموصولة وأسماء الإشارة) ودون الأفعال الجامدة.

وتعرف الكلمة بأنها "اللفظ الموضوع بمعنى مفرد"[5]، من هنا فخصائص الكلمة أربعة هي:

1- **الكلمة لفظة:** هي لفظة تشمل المهمل والمستعمل، ويطلق اللفظ على كل ما هو منطوق حقيقة كزيد، أو تقديرا كالضمائر المستترة.[6]

2- **الكلمة تدل على معنى:** فكل لفظة لا تدل على معنى ليست بكلمة فإذا كان للفظة معنى فهي كلمة، ولكنها إذا تجردت منه فليست بكلمة وإنما لفظة.

3- **الإفراد:** الإفراد هنا هو "المعنى الذي لا يدل جزء لفظه على جزئه سواء كان ذلك المعنى جزءا نحو معنى (ضرب) الدال على المصدر والزمان، أو لا جزء له كمعنى ضرب ونصر[7]،

---

[1] - عبد العزيز محمد حسن، مصادر البحث اللغوي في الأصوات والصرف والنحو والمعجم وفقه اللغة، ص 71.

[2] - التهانوي محمد علي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، ج1، ص20.

[3] - عبد العزيز محمد حسن: مصادر الحث اللغوي في الأصوات والصرف والنحو والمعجم وفقه اللغة، ص 72.

[4] - الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري): نزهة الطرف في علم الصرف، تحقيق أسود محمد عبد المقصود الدرويش، دار الطباعة الحديثة، مصر، 1982م، ص68 وما بعدها.

[5] - الشريف الجرجاني: التعريفات، ص98.

[6] - الأزهري خالد: شرح التصريح على التوضيح، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة البابي الحلبي، د ت، د ط، ج1، ص 20.

[7] - الاستراباذي رضى الدين، شرح الرضى على الكافية، تحقيق يوسف حسن عمر، منشورات جامعة بنغازي، ليبيا، 1978م، ج1، ص22.

كما يعني الإفراد أيضا ما يتلفظ به مرة واحدة وإن دل على متعدد، نحو مفتاح ومفاتيح، وبنت وبنات، وشاعر وشعراء .....الخ.[1]

4- **الوضع:** أورد العلماء في تعريف الكلمة هذه الخاصية للاحتراز من الألفاظ التي تدل على الطبع لا الوضع، كصوت الشخير "أخ" وصوت السعال "أح" والألفاظ المصحفة التي يغلط فيها كثير من المتكلمين فهي ليست كلمات في الاصطلاح، لأن دلالتها على المعاني لم تكن بالتواضع، والألفاظ المهملة لأنها تدل على معنى، لكن عقلا لا وضعا.[2]

وقد قسم النحاة العرب الكلمة من حيث المعنى إلى ثلاثة أقسام: اسم وفعل وحرف.

فالاسم: لغة ما دل على مسمى، واصطلاحا كلمة دلت على معنى في نفسها ولم تقترن بزمان نحو (زيد شجاع)، فإن كلا من (زيد) و(شجاع) كلمة دلت على معنى في نفسها، فـ(زيد) دل على ذات مسمى به، و(شجاع) دلت على ذات موصوفة بهذا الوصف وهو الشجاعة، وكل منهما لم يقترن بزمان.[3] ويتميز الاسم بخمس علامات وهي:[4] 1- الجر 2- التنوين 3- النداء 4- "ال" غير الموصولة 5- الإسناد إليه.

و أما الفعل: لغة هو نفس الحدث الذي يحدثه الفاعل من قيام وقعود ونحوهما، واصطلاحا كلمة دلت على معنى في نفسها واقترنت بأحد الأزمنة الثلاثة التي هي الماضي، والحال، الاستقبال، وهو ثلاثة أقسام:

أ- الماضي: وهو ما دل على حدث وقع قبل زمان المتكلم نحو خرج وأكرم.

ب- المضارع: وهو ما دل على حدث يقع في زمان التكلم أو بعده نحو يخرج ويكرم.

ج- الأمر: وهو ما دل على حدث يطلب حصوله أو استمراره نحو أخرج، اجتهد.[5]

ويعرف الفعل بأربعة علامات[6] هي: 1- تاء الفاعل متكلما 2- تاء التأنيث 3 – ياء المخاطبة 4- نون التوكيد شديدة أو خفيفة.

وأما الحرف: لغة هو الطرف واصطلاحا هو كلمة دلت على معنى في غيرها نحو (لم) فإنه كلمة دلت على معنى النفي، وهذا المعنى لا يظهر إلا في غيره وهو الفعل (لم يقم زيد)، كان معناه نفي القيام عن زيد.[7]

ويعرف الحرف بأنه لا يحسن فيه شيء من العلامات التسع التي للاسم والفعل كـ"هل" و"في" و"لم"[8]، وقسم النحاة الحروف إلى: عاملة وغير عاملة[9]، فالعاملة هي التي إذا دخلت على الاسم أو الفعل أثرت في إعرابه، وغيرته من حالة إعرابية إلى حالة أخرى مغايرة لما كان عليه الاسم أو

---

1 - زيوان فاتح: دروس ميسرة غي علم الصرف العربي، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1427هـ، 2006م، ص08.
2 - يونس علي محمد محمد: المعنى وظلال المعنى، ص 274.
3 - الوصابي (أبو عبد الله أحمد بن ثابت بن سعيد): التحفة الوصابية في تسهيل متن الأجرومية، دار الآثار، صنعاء، ط1، 1427هـ، 2006، ص 14.
4 - ابن هشام الانصاري: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ص04 وما بعدها.
5 - الوصابي (أبو عبد الله أحمد بن ثابت بن سعيد): التحفة الوصابية في تسهيل متن الأجرومية، ص 14 وما بعدها.
6 - ابن هشام الأنصاري: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ص 05 وما بعدها.
7 - الوصابي (أبو عبد الله أحمد بن ثابت بن سعيد): التحفة الوصابية في تسهيل متن الأجرومية، ص 15.
8 - ابن هشام الأنصاري: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ص 06.
9 - زيوان فاتح: دروس ميسرة في علم الصرف العربي، ص09.

الفعل قبل دخول الحرف عليه، وأما الغير عاملة فهي الحروف التي إذا سبقت الاسم أو الفعل لا تعمل فيه مثل (قد) و (هل)[1] هذا من حيث الإعمال.

أما من حيث الاختصاص فقسم الحرف إلى ثلاثة أقسام:

1- حرف مختص بالاسم مثل حروف الجر والنواسخ وإن وأخواتها.
2- حروف مختصة بالفعل مثل حروف النصب والجزم والشرط.
3- حروف مشتركة بين الاسم والفعل مثل حروف العطف وحروف الاستفهام وحروف النفي.[2]

3- <u>الميزان الصرفي:</u> هو مقياس وضعه المتقدمون من علماء العربية لتعرف به أحوال أبنية الكلام في ثمانية أمور: الحركات والسكنات، الأصول والزوائد، والتقديم والتأخير، والحذف وعدمه،[3] والميزان هذا من أحسن ما عرف من مقاييس في ضبط اللغة العربية، ويطلق عليه في الكتب القديمة مثالا، [4] فالمثل هي الأوزان.

يتركب الميزان الصرفي من ثلاثة أحرف توصل إليها العرب بعد استقراء وبحث طويلين، هذه الحروف هي الفاء، والعين، واللام، (ف ع ل) وجعلوا هذا المركب مقابلا للكلمة المراد وزنها، فالفاء تقابل الحرف الأول والعين تقابل الحرف الثاني واللام تقابل الحرف الثالث، بحيث يكون شكل الكلمة مطابقا لشكل الكلمة الموزونة من حيث الحركات والسكنات والوزن وما إلى ذلك، فمثلا: نَجَحَ على وزن فَعَلَ.

وتكمن أهمية هذه الأداة التي توصل إليها العلماء فيما يلي:[5]

1- تحديد المزيد والمجرد من الكلمات مثل: كتب، وكاتب، واستكتب.
2- معرفة الإعلال بالقلب مثل: قال وباع على وزن فعَل، ونحو خاب وهاب على وزن فعِل.
3- معرفة الإعلال بالنقل مثل: يصون، على وزن يفعُل، ويبيع على وزن يفعَل.
4- معرفة الإعلال بالقلب والنقل معا مثل: يخاف ويهاب على وزن يفعِل.
5- معرفة الإبدال بتاء الافتعال وشبهه مثل: اصطبر على وزن افتعل.
6- معرفة التغيير الذي يكون بالإدغام مثل: شدّ ومدّ على وزن فعَل، وود على وزن فعِل.

4- <u>جهود القدامى في البحث الصرفي:</u> يعد أبو بكر بن محمد بن بقية المازني (ت 247هـ) من أوائل الرواد الذين أفردوا كتابا في علم التصريف، والموسوم بـ "التصريف" وهو أول كتاب وصلنا مطبوعا في هذا العلم، وإن كان قبله علماء ألفوا في هذا المجال، لكن لم يصل من مؤلفاتهم ولا مؤلف برأي المختصين في هذا العلم المعاصرين[6]، وقد شرحه ابن جني (ت 292هـ) وسمى شرحه (المنصف).

---

[1] -المرجع نفسه، ص 09.
[2] - المرجع السابق، 09.
[3] - الأزهري الشيخ خالد: شرح التصريح على التوضيح، ج2، ص358.
[4] - الراجحي عبده: التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص 11.
[5] - للاستزادة أكثر ينظر:يونس علي محمد محمد: المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، ص 279 وينظر أيضا: زيوان فاتح: دروس ميسرة غي علم الصرف العربي، ص 34.
[6] - أو عناني مختار: الأصيل والحديث عند رواد المدارس الصرفية، مطبوعات جامعة وهران، كلية الآداب واللغات والفنون، وهران، 1420هـ، 1990م، ط1، ص50.

والموضوعات الصرفية التي تناولها المازني في كتابه تسعة موضوعات هي: 1- الأبنية والأوزان 2- الزيادة 3- الإعلال 4- الإبدال 5- القلب 6- الحذف 7- النقل أو الإعلال بالنقل 8- الإدغام اللائق بالتصريف 9- بناء مثال من مثال.

وكان المازني قد تأثر تأثرا كبيرا بما جاء في كتاب سيبويه من موضوعات صرفية متناثرة حيث ذكره في مواطن كثيرة في مؤلفه "التصريف".[1]

ومن بعد المازني جاء أبو الفتح عثمان بن جني وشغف بالتصريف حتى قيل عنه: لم يكن في شيء من علومه أكمل منه في التصريف، فإنه لم يصنف أحد في التصريف ولا تكلم فيه أحسن ولا أدق كلاما منه[2]، وذلك من خلال كتابه "التصريف الملوكي" الذي يلتقي ويتطابق مع "التصريف للمازني" في موضوعات كثيرة.[3]

ويستمر التأليف في علم التصريف بعد المازني وابن جني، وتعددت المؤلفات والمصنفات منها: كتاب"التكملة" لأبي علي الفارسي (ت 377هـ)، و"نزهة الطرف في علم الصرف" للميداني النيسابوري (ت 518هـ)، وكتاب "الممتع في التصريف " لابن عصفور علي بن مؤمن بن محمد الاشبيلي (ت 696هـ)، وكتاب "الشافية في التصريف" لابن الحاجب جمال الدين أبو عمرو المصري (ت 646هـ)، وشرحها الرضي الاستراباذي محمد بن الحسن (ت 684هـ)، وكتاب "كفاية المبتدئ في التصريف" للبركلي (محمد محي الدين محمد بن بير الرومي) (ت 981هـ) وكتاب "شذا العرف في فن الصرف " لأحمد الحملاوي (ت 1351هـ) وغيرهم.[4]

5- **موضوعات علم الصرف:** يبحث علم الصرف في موضوعات شتى منها: [*]

1- المجرد والمزيد 2- حروف الزيادة 3- الإبدال 4- الحذف 5- الإعلال 6- القلب 7- التصغير 8- النسب 9- المقصور 10- الممدود 11- المنقوص 12- جمع التكسير 13- المصدر ومشتقاته 14- اسم الفاعل 15- اسم المفعول 16- اسما المكان والزمان 17- اسم المرة 18- التقاء الساكنين 19- الوقف 20- اسم الآلة 21- الاشتقاق الكبير والصغير والأكبر 22- الإفراد والتثنية والجمع 23- الجامد والمتصرف 24- جمع القلة 25- جمع الكثرة 26- صيغ المبالغة 27- الصفة المشبهة 28- التعجب 29- التفضيل 30- تخفيف الهمز ....الخ

جمعنا هذه الموضوعات من كتب علماء اللغة القدامى أمثال سيبويه والمازني وابن جني، وكذا العلماء الذين جاءوا بعدهم كابن عصفور وابن الحاجب الميداني، إلا أن كثيرا من هذه الموضوعات يشترك فيها هؤلاء جميعا، وبعض الموضوعات الأخرى يذكرها البعض ويغفلها البعض، وبعضهم من يدرج بعض الموضوعات في علمي النحو والأصوات والحقيقة هي من مباحث علم الصرف في عصرنا، وسيكون لنا عودة بالتعريف والتفصيل في هذه المباحث في الفصول اللاحقة عند الحديث عن الظواهر الصرفية عند الشنقيطي.

---

[1] - المرجع نفسه، ص08 وما بعدها.

[2] - عبد العزيز محمد حسن: مصادر البحث اللغوي في الأصوات والصرف والنحو والمعجم وفقه اللغة، ص 74.

[3] - بوعناني مختار: الأصيل والجديد عند رواد المدارس الصرفية، ص 17.

[4] - بوعناني مختار: الأصيل والجديد عند رواد المدارس الصرفية، ص 13- 32، وينظر عبد العزيز محمد حسن: مصادر البحث اللغوي ص 81-84.

[*] - ينظر كتب الصرف الآتية: ابن الأنباري (أبو البركان): الوجيز في علم التصريف، والميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري): نزهة الطرف في علم الصرف، الاستراباذي (رضي الدين): شرح الرضي على الكافية، والراجحي عبده: التطبيق الصرفي.

ثانيا ـ المستوى النحوي: إن النحو والصرف يشكلان في مجموعهما ما يعرف بالتركيب، فإذا كان الصرف يدرس الكلمة مستقلة عن التركيب فإن النحو يدرس علاقات هذه الكلمات بعضها ببعض، وهذا ما سنذكره في هذا المبحث باختصار وتركيز.

1- ماهية النحو: يعرف ابن جني النحو بقوله: "هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذ بعضهم عنها رد به إليها، وهو في الأصل مصدر شائع، أي نحوت نحوا كقولك: قصدت قصدا، ثم خص بها انتحاء هذا القبيل من العلم "[1].

من خلال هذا التعريف الجامع للنحو يتضح أن النحو لغة هو القصد والطريق، واصطلاحا هو إتباع طريقة العرب في كلامهم دون الخروج عن قواعدهم التركيبية التي أورثها وخلفها العرب الخلص لأجيالهم اللاحقة بالرواية ثم بالتدوين فيما بعد، ومن خرج عن هذه القواعد يعتبر شاذا وإن كان عربيا، ومن احترم هذه القواعد فهو من العرب وإن كان من غير العرب.

وعلم النحو يسميه البعض علم الإعراب أيضا وهو علم يعرف به كيفية التركيب العربي، صحة وسقاما وكيفية ما يتعلق بالألفاظ من حيث وقوعها فيه من حيث هو هو أولا وقوعها فيه[2]، وهذا التعريف يتفق مع تعريف آخر: "إنه علم يعرف به أحوال أواخر الكلام إعرابا وبناء"[3].

ويذكر العلماء أن موضوع النحو هو اللفظ الموضوع مفردا كان أو مركبا وهو الصواب، وقيل إن موضوعه هو الكلمة والكلام....وقيل إن موضوعه هو المركب بإسناد أصلي[4].

2- واضعه (واضع النحو العربي): هناك آراء كثيرة ومتشعبة ومتضاربة حول أول واضع للنحو العربي، سواء عند القدامى أو المحدثين، فهناك من يذكر أن الإمام علي هو واضع النحو العربي، وهناك من يقول: إنه أبو الأسود الدؤلي، ورأي ثالث يذكر نصر بن عاصم ورأي رابع يوعزه إلى عبد الرحمان بن هرمز، ورأي خامس يرده إلى زياد بن أبيه ورأي سادس يقول عمر بن الخطاب، لكن تكاد الآراء تستقر عند الرأي الثاني، أي أبو الأسود الدؤلي.[*]

يقول أحمد مختار عمر: "أما كيف نشأ النحو؟ ومن ألف فيه؟ فهذان السؤالان ما نظن أن في أيدينا الإجابة عنهما أو الرد عليهما بحسم، وأغلب الظن أنهما سيظلان معلقين حتى نعثر على مادة جديدة تكشف عن بداية النحو العربي، وتضع حدا للإرهاصات والتنبؤات حولها "[5].

وعن ابتداء النحو يذكر ابن النديم في كتابه "الفهرست" عدة أقوال تؤكد أن أول واضع للنحو هو أبو الأسود الدؤلي، بأمر من الإمام علي كرم الله وجهه، حيث يقول:

---

[1] - ابن جني (أبو الفتح عثمان): الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ج1، ص35.

[2] - التهانوي محمد علي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، ج1، ص23.

[3] - إبراهيم مصطفى: إحياء النحو، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط2، 1413هـ - 1992م، ص 01.

[4] التهانوي محمد علي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، ج1، ص24.

[*] - ينظر: مرتاض عبد الجليل: الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008م، ص 102.

[5] - عمر أحمد مختار: البحث اللغوي عند العرب، مع دراسته لقضية التأثير والتأثر، ص 83.

1. "قال أبو جعفر بن رستم الطبري: إنما سمي النحو نحوا لأن أبا الأسود الدؤلي قال لعلي عليه السلام وقد ألقى إليه شيئا في أصول النحو، قال أبو الأسود: فاستأذنته أن أصنع نحو ما صنع فسمي ذلك نحوا"[1].

2. "قال أبو عبيدة: أخذ النحو عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أبو الأسود، وكان لا يخرج شيئا مما أخذه عن علي كرم الله وجهه إلى أحد حتى بعث إليه زياد: اعمل شيئا يكون للناس إماما ويعرف به كتاب الله، فاستعفاه من ذلك حتى سمع أبو الأسود قارئا يقرأ: " أن الله بريء من المشركين ورسوله "بالكسر، فقال: ما ظننت أن أمر الناس آل إلى هذا، فرجع إلى زياد فقال (أنا) أفعل ما أمر به الأمير: فليبغني كاتبا لقنا يفعل ما أقول، فأتي بكاتب من عبد القيس فلم يرضه، فأتى بآخر ....فقال أبو الأسود: إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، وإن ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف، وإن اتبعت ذلك شيئا من الغنة فاجعل النقطة نقطتين، فهذا نقط أبي الأسود "[2].

3. "وقال بعض العلماء: إن نصر بن عاصم أخذ عن أبي الأسود"[3].

4. "إنه مر بأبي الأسود سعد ... كان قد قدم البصرة مع جماعة أهله، فدنوا من قدامة بن مظغون وادعوا أنهم أسلموا على يديه وأنهم بذلك من مواليه، فمر سعد هذا بأبي الأسود وهو يقود فرسه، فقال مالك يا سعد: لم لا تركب؟ قال: إن فرسي ضالع، أراد ضالعا، قال: فضحك به من حضره، فقال أبو الأسود: هؤلاء الموالي قد رغبوا في الإسلام ودخلوا فيه فصاروا لنا إخوة فلو عملنا لهم الكلام، فوضع باب الفاعل والمفعول به"[4].

5. "ورأيت ما يدل على أن النحو عن أبي الأسود ما هذه حكايته، وهي أربعة أوراق أحسبها من ورق الصيني ترجمتها: هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول من أبي الأسود رحمة الله عليه، بخط يحي بن يعمر"[5]

تدلنا هذه الأقوال التي أوردها ابن النديم في "فهرسته" أن أبا الأسود هو أول واضع للنحو العربي، بأمر من الإمام علي أو بإشارة وموافقة من والي البصرة آنذاك زياد بن أبيه، والظاهر أن أبا الأسود قام بعمليتين اثنتين في التأسيس للنحو العربي: الأولى: اكتشافه لحركات الإعراب، الفتحة والكسرة والضمة والتنوين، والثانية تتجلى في تأليفه لأول كتاب في النحو أشرنا إليها في الرابع من الأقوال السابقة الواردة في "فهرست" ابن النديم.

3- **مراحله:** لمن يستقرئ تاريخ النحو ويتصفح المتون التي ظهرت في القرون الأولى يتوصل إلى أن النحو العربي مر بمراحل خمسة هي على التوالي:[6]

---

[1] - ابن النديم (أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق البغدادي): الفهرست، تحقيق رضا تجدد بن علي زين العابدين الحائري المازندراني، طبعة فلوجل1971، ص45.

[2] - ابن النديم (أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق البغدادي): الفهرست، تحقيق رضا تجدد بن علي زين العابدين الحائري المازندراني، طبعة فلوجل1971، ص45.

[3] -المصدر نفسه، ص47.

[4] -المصدر نفسه، ص46.

[5] - نفسه، ص46.

[6] - الحباس محمد: محاضرات في فقه اللغة، دار غبريتي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1 2006م، ص110.

أ- **مرحلة البدايات:** تبدأ هذه المرحلة من القرن الأول الهجري أي من زمن أبي الأسود الدؤلي إلى غاية منتصف القرن الثاني الهجري أي إلى غاية الخليل بن أحمد الفراهيدي، ومن ميزات هذه المرحلة أن النحو كان جزءا من العلوم الإسلامية، والهدف منه حفظ المقدس من خطإ الأعاجم وخطر اللحن.

وذكرنا في الصفحات السابقة أن العلماء يكادون يجمعون على أن واضع النحو هو أبو الأسود الدؤلي (ت 69هـ) والسبب في ذلك هو فشو اللحن ودخوله إلى لغة العرب بل مس القرآن أيضا، فقد ورد أن أبا الأسود سمع رجلا يقرأ: "أن الله بريء من المشركين ورسوله" بكسر اللام، فقال: "لا أظن يسعني إلا أن أضع شيئا أصلح به نحو هذا"، فوضع النحو.[1]

عمل أبو الأسود على نقط المصحف الشريف بالحركات (الضمة والكسرة والفتحة) حتى فرغ منه، ثم قام بوضع المختصر المنسوب إليه بعد ذلك.[2]

وتتلمذ على أبي الأسود جماعة يسميها النحاة بالطبقة الأولى في النحو ومن هؤلاء:

- **عبد الرحمن بن هرمز: (الملقب بالأعرج):[3] (ت 117هـ):** هو واحد من القراء في المدينة، أخذ القراءة عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأخذ عنه نافع أحد القراء السبعة وشيخ ورش صاحب الرواية المشهورة في بلاد المغرب العربي كما كان محدثا، وهو أحد تلامذة أبي الأسود في النحو لكن لم تنتقل إلينا آراؤه النحوية لأن النحو في ذاك الزمن كان في مرحلته الجنينية، وهو أول نحوي بالمدينة المنورة.
- **نصر بن عاصم بن أبي سعيد الليثي:(ت 89هـ):** تلميذ أبي الأسود في القراءة والنحو، أخذ عنه البصري أبو عمرو بن العلاء، ويقول عنه: القطفي: إنه أول العلماء في النحو وأنه أول من وضع النحو وسببه أنه أول من أخذه عن أبي الأسود وفتق فيه القياس، وأنه كان أنبل من أخذ عن أبي الأسود فنسب إليه ولذا يقال له الدؤلي، وأنه أحد القراء الفصحاء..."[4]، وإليه ينسب وضع نقاط نقاط الإعجام في العربية بإشارة من الحجاج بن يوسف، وهو مثله مثل عبد الرحمن بن هرمز لم تصلنا آراؤه في النحو لأن النحو كان في مرحلته الأولى.
- **عبد الله بن إسحاق الحضرمي (ت117هـ)[5]:** كان نحويا قارئا، أخذ القراءة عن نصر بن عاصم ويحي بن يعمر البصريين، ويعتبر أول نحوي ذكر سيبويه آراءه النحوية في كتابه، يقول عنه ابن سلام: "كان أول من بعج النحو ومد القياس والعلل وكان عبد الله أشد تجريدا للقياس"[6]
- **يحي بن يعمر (ت 129هـ):[1]** أخذ النحو عن أبي الأسود، ولقي ابن عباس وعبد الله بن عمر، له مجموعة من القراءات تناولها مكي القيسي في "مشكل إعراب القرآن"، وتناولها ابن جني

[1] - اللغوي أبو الطيب (عبد الواحد بن علي): مراتب النحويين، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1955م، دط، ص 08.

[2] - ابن الأنباري (أبو البركات عبد الرحمن بن محمد): نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998م، ص18.

[3] - ينظر ترجمته: الزبيدي أبو بكر: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1973م، ص26. والقفطي علي بن يوسف: إنباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق أبو الفضل، دار الكتب القاهرة، د ت، د ط، ج3، ص173 وما بعدها، والتواتي بن التواتي: المدارس النحوية، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008م، ص21.

[4] - القطفي علي بن يوسف: إنباه الرواة على أنباء النحاة،ج3،ص 343، والزبيدي أبو بكر: طبقات النحويين واللغويين، ص 244.

[5] - ينظر ترجمته في: ابن الأنباري (أبو البركات عبد الرحمن بن محمد: نزهة الألبا في طبقات الأدباء، ص 27.)

[6] - الجمحي (محمد بن سلام): طبقات الشعراء، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1968، ص 09.

ودافع عنها، وكان لهذه القراءات تأثير في الدراسات النحوية،[2] قال محمد بن سلام "كان مأمونا عالما بما يأتي، يروى عنه الفقه عن ابن عمر وابن عباس وروى عنه قتادة وإسحاق بن سويد وغيرهم من العلماء وأخذ ذلك عنه أيضا ميمون الأقرن وعنبسة الفيل ونصر بن عاصم الليثي وغيرهم".[3]

إضافة إلى هؤلاء التلاميذ الذين تتلمذوا على يد أبي الأسود وأصبحوا فيما بعد أساتيذ علموا أجيالا من العلماء في النحو وعلوم اللغة، هناك تلامذة آخرون من مثل ميمون الأقرن وعنبسة بن معدان الملقب بالفيل وأبو عمرو بن العلاء وغيرهم.

ب- <u>مرحلة التطور والنضج:</u> بدأت هذه المرحلة من الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه، ويعتبر سيبويه خير من يمثل هذه المرحلة من خلال مصنفه المشهور "الكتاب"، ومن ميزات هذه المرحلة أن النحو تنقل من فكرة حفظ اللسان من الخطأ واللحن إلى فكرة تحليل النحو تحليلا علميا مثل العلوم الأخرى المستقلة بذاتها، كما اتسمت الدراسات النحوية بالعمل الميداني والعملي انطلاقا من كلام العرب الفصحاء، ولم تهتم حاليا بالتأصيل والتنظيم.[4] ومن أعلام هذه المرحلة:

- **الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ):**[5] يعتبر الخليل إمام مدرسة البصرة في النحو، كان السباق إلى استخراج مسائل النحو وتصحيح قياسه، أخذ النحو والقراءة عن أبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر وسمع الفصيح وجمع الغريب، حتى نبغ في اللغة نبوغا لا يعرفه التاريخ لغيره[6]، والخليل وإن اشتهر وذاع صيته في تصحيح القياس وتعليل النحو واستنباط مسائله إلا أنه لم يترك مؤلفا مشهورا، ويظهر أن جهوده كلها في اللغة وأثره في النحو يتجلى فيما نقله عنه بكل أمانة تلميذه سيبويه في كتابه.[7]
- **سيبويه (عمر بن عثمان بن قنبر) (ت 180هـ):**[8] فارسي الأصل أخذ النحو عن الخليل ولازمه حتى توفي هذا الأخير، كما أخذ عن يونس بن حبيب وعيسى بن عمر الثقفي وأبي الخطاب الأخفش الأكبر، وأخذ عنه على الخصوص الأخفش الأوسط وقطرب، كتب مصنفه في النحو "الكتاب" وهو أول مؤلف يصلنا في النحو.[9]

ويضاف إلى هذين العالمين كل من **أبي عبد الرحمن يونس بن حبيب البصري (ت 182هـ)** الذي أخذ منه كل من سيبويه والخليل، وكبير الأخافشة الثلاثة المشهورين **أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد الأخفش (ت 177هـ)** وهو كذلك أخذ عنه صاحب "الكتاب" سيبويه، وكان يذكره بكنيته (أبو الخطاب)، **والكسائي علي بن حمزة (ت 189هـ)** الذي عاصر سيبويه وناظره.

---

[1] - ينظر ترجمته في: أخبار النحويين والبصريين، ص22، وابن الأنباري (أبو البركات عبد الرحمن بن محمد): نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص25، والجمحي (محمد بن سلام): طبقات الشعراء، ص05.

[2] - التواتي بن التواتي: المدارس النحوية، ص25.

[3] - الجمحي محمد بن سلام: طبقات الشعراء، ص05.

[4] - الحباس محمد: محاضرات في فقه اللغة، ص110.

[5] - ينظر ترجمته في: ابن الأنبا ري (أبو البركات عبد الرحمان بن محمد): نزهة الألبا في طبقات الأدباء، ص 49، ياقوت الحموي: معجم النحاة، ج2، ص350،، الزبيدي (أبو بكر): طبقات النحويين واللغويين، ص66.

[6] - التواتي بن التواتي: المدارس النحوية، ص34.

[7] - المرجع نفسه، ص37.

[8] - ينظر ترجمته في: ابن الأنبا ري (أبو البركات عبد الرحمان بن محمد: نزهة الألبا في طبقات الأدباء)، ص 60، والقفطي (علي بن يوسف): إنباه الرواة على أنباء النحاة، ج2، ص350، الزبيدي (أبو بكر): طبقات النحويين واللغويين، ص66.

[9] - الحباس محمد: محاضرات في فقه اللغة، ص100.

ج- **مرحلة التأثر بعلم الكلام:** وتبدأ هذه المرحلة من الأخفش الأوسط (تلميذ سيبويه) وتنتهي بالمبرد، وفي هذه المرحلة دخل الفكر التأملي في النحو العربي كالبحث في أصل اللغة وعلاقة اللغة بالفكر[1]، ومن أعلام هذه المرحلة نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

- **الأخفش الأوسط (ت 215هـ):**[2] وهو أبو الحسن سعيد بن مسعدة، تلميذ سيبويه بالرغم من من أنه كان يكبره في السن، وهو الذي كان سببا في إخراج كتاب سيبويه إلى الوجود حيث احتال عليه تلميذاه أبو عثمان أبو بكر بن محمد المازني والجرمي أبو عمرو صالح بن إسحاق (ت 225هـ) فأقرأهما كتاب سيبويه وأخرجاه إلى الناس خشية أن ينسبه الأخفش إلى نفسه قبل هذه الحيلة وهما اللذان ساهما في نشره والتشهير به، ولم يسند كتاب سيبويه إليه إلا بطريق الأخفش فإن كل الطرق تستند إليه.[3]

يعتبر الأخفش الأوسط أول نحوي تأثر بعلم الكلام، فقد روي عن المازني أن الأخفش كان أعلم الناس بالكلام وأخذهم بالجدل، وكان غلام أبي شمر المرجئي المعتزلي، ومن علامات تأثره بعلم الكلام أنه كان أول من تكلم في أصل اللغة جريا وراء المتكلمين والأصوليين، فعلم الكلام عند المسلمين كان يتبع نفس المناهج التي تتبعها الفلسفة اليونانية، فهما يتفقان في أنهما يبحثان في الطبيعة وما وراءها كما يتفقان في التأمل الشخصي وعدم اهتمامهم بالمنهج الإجرائي الذي يعتمد القياس الذي عرفه المسلمون، بأنه إلحاق شيء بشيء في الحكم الجامع.[4]

وفي هذه المرحلة راح النحاة يبحثون في مسائل ميتافيزيقية فلسفية مثل اصطلاحية أو توقيفية اللغة، وهذه المسائل لا علاقة لها بالفكر اللساني أو الدرس النحوي.

د- **مرحلة التأثر بالمنطق اليوناني:** وتبدأ هذه المرحلة من تلامذة المبرد وخاصة ابن السراج (ت316هـ) الذي تعاطى المنطق كتعاطيه النحو ثم تلامذته مثل الزجاجي (ت337هـ) وأبي علي الفارسي (ت377هـ) والرماني (ت384هـ).[5]

ففي القرن الرابع الهجري نقلت كتب اليونان إلى العربية، فأحبها المسلمون وعكفوا على مطالعتها، فانتشرت فلسفة اليونان في الإسلام وأقبلت المعتزلة والقدرية والجهمية وغيرهم عليها، وأكثروا من النظر فيها فتوسعوا فيما أرادوا منها من تقوية الحجة والجدل فيما كانوا فيه[6]، فالمنطق فالمنطق اليوناني طغى على جميع الفنون والعلوم ومنها النحو العربي حتى قال بعض أهل العلم في ذلك العصر: "كنا نحضر عند ثلاثة مشايخ من النحويين، فمنهم من لا نفهم من كلامه شيئا، ومنهم من نفهم بعض كلامه دون البعض، ومنهم من نفهم جميع كلامه، فأما من لا نفهم كلامه

---

[1] - المرجع نفسه، ص110.
[2] - ينظر ترجمته في: ابن الأنبا ري (أبو البركات عبد الرحمان بن محمد: نزهة الألبا في طبقات الأدباء)، ص 120، الزبيدي (أبو بكر): طبقات النحويين واللغويين، ص66.
[3] - الحباس محمد: محاضرات في فقه اللغة، ص104.
[4] - المرجع نفسه، ص104.
[5] - الحباس محمد: محاضرات في فقه اللغة، ص110.
[6] - زيدان جرجي: تاريخ آداب اللغة العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1425هـ، 2005م، ج2، ص230.

شيئا فأبو الحسن الرماني، وأما من نفهم بعض كلامه دون البعض فأبو علي الفارسي، وأما من نفهم جميع كلامه فأبو سعيد السيرافي"[1].

من خلال هذا القول يتبين أن النحو العربي كان متأثرا تأثرا بالغا بالمنطق اليوناني، لذلك كان يعسر على بعض الشيوخ المتأثرين به إفهام تلامذتهم فكان نحوهم غامضا ومعقدا، ومن خلال هذا القول يتبين أعلام هذه المرحلة من النحاة.

هـ- مرحلة الانحطاط والتقليد: تبدأ هذه المرحلة في القرن الخامس الهجري، وفيها كسدت الدراسات النحوية مثلها مثل العلوم الإسلامية، ولم ينبغ فيه إلا بعض الشواذ كعبد القاهر الجرجاني مؤسس علم البلاغة العربية، وصاحب كتاب "دلائل الإعجاز"، والرضي الاستراباذي صاحب كتابي: "شرح شافية ابن الحاجب في الصرف" و"شرح كافية ابن الحاجب في النحو".[2]

فأما أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني النحوي فإنه كان من أكابر النحويين، أخذ عن أبي الحسين محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الوارث، وكان يحكي عنه كثيرا، لأنه لم يلق شيخا مشهورا في علم العربية غيره لأنه لم يخرج عن جرجان في طلب العلم، وإنما طرأ عليه أبو الحسين فقرأ عليه.[3]

وأما الرضي محمد بن الحسن الاستراباذي فلم يذكر المترجمون عنه سوى اسمه وشرحه للكافية والشافية لابن الحاجب أبي عمر عثمان جمال الدين بن عمر المصري.

4- **مدارسه:** يعرف الدكتور أحمد مختار عمر المدرسة النحوية فيقول: "ماذا تفهم من المصطلح "مدرسة نحوية"؟ ....إن هذا المصطلح يعني في نظرنا وجود جماعة من النحاة، يصل بينهم رباط من وحدة الفكر والمنهج في دراسة النحو، ولا بد أن يكون هناك الرائد الذي يرسم الخطة، ويحدد المنهج، والتابعون أو المريدون الذين يقتفون خطاه ويتبنون منهجه، ويعملون على تطويره والدفاع عنه، فاستمرار النظرية أو المنهج ودوامها عبر السنين شرط أساسي لتكون المدرسة التي لا يمكن أن تستحق هذا الاسم، أو يعترف بوجودها بمجرد مولد النظرية أو خلقها حتى تعيش ويكتب لها البقاء لبعض الوقت بين المريدين"[4].

يوضح هذا التعريف بأنه لا وجود لمدرسة إذا لم تكن لها أسس تبنى عليها، ومن الأسس التي ذكرها الدكتور أحمد مختار عمرالرواد المؤسسون، والفكرة المعتمدة، والخطة المرسومة أو المنهج المتبع، والأتباع أو المريدون المؤمنون بفكر المدرسة، ويضاف إلى هذه الأسس أسس أخرى ضرورية، وهي: الزمان والمكان والمرجعية الفكرية والإجراءات التطبيقية، وبهذه العناصر يكتمل وجود المدرسة.

وهناك عدة مدارس ساهمت في تطوير النحو العربي والارتقاء به كعلم فرض وجوده إلى جانب العلوم العربية والإسلامية في القرون الهجرية الأولى، ويذكر الدارسون والمختصون أن مدارس علم النحو كثيرة ومتعددة منها:

---

[1] - ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص 276 وما بعدها.
[2] - الحباس محمد: محاضرات في فقه اللغة، ص110.
[3] - ابن الأنباري، نزهة الألبا في طبقات الأدباء، ص 314 .
[4] - عمر أحمد مختار: البحث اللغوي عند العرب، دراسة لقضية التأثير والتأثر، ص 128.

1- **مدرسة البصرة:** كانت البصرة في القرون الهجرية الأولى موطن العلوم العقلية، نشأ فيها علم الكلام، وظهر فيها الدعاة الأوائل لمذهب المعتزلة الذي لعب دورا في تاريخ الفكر الإسلامي، والبصرة كما يعرف عنها حكمت المنطق، وأخضعت الأصول إلى أحكام العقل إن وجد تعارض بين النقل والعقل، واصطنعت أساليب المتكلمين في تثبيت أصل أو توضيح القواعد، وفي البصرة كذلك اختلطت الثقافات، وقد استفادت البصرة من ثقافات الأعاجم عن طريق الاختلاط وعن طريق الترجمة والتعريب.[1]

ويتفق العلماء القدماء والمحدثون أن أول من فكر في وضع قواعد النحو هم البصريون، فمدرستهم كانت وستظل معينا ومنهلا لكل الأجيال في البحث اللغوي والدراسات النحوية على وجه الخصوص، فلقد أفنى علماؤها وأعلامها عمرهم في البحث والتنقل والسفر والتوثيق خدمة للغة العربية، وحفاظا على النص القرآني من الزيف والتحريف واللحن، ومن هؤلاء الأفذاذ نذكر على سبيل المثال لا الحصر، أبو الأسود الدؤلي وعبد الرحمان بن هرمز ونصر بن عاصم الليثي ويحي بن يعمر وعنبسة بن معدان المعروف بالفيل، وميمون الأقرن وعبد الله بن إسحاق الحضرمي وأبو عمرو بن العلاء والأخفش الأكبر وعيسى بن عمر الثقفي والخليل بن أحمد الفراهيدي وحماد بن سلمة ويونس بن حبيب وسيبويه والأخفش الأوسط والزجاج والمبرد وقطرب والسيرافي وأبي علي القالي...[2]

واعتمدت هذه المدرسة على منهج علمي دقيق يختص بالمواصفات التي لخصها الدكتور صالح بلعيد كالآتي:[3]

1- يتشدد (منهجهم) في القياس ويطلب الكثرة التي حددت في التواتر، وتعني كثرة الدوران على الألسنة.

2- لا يقيس على الشاهد الواحد والرواية النادرة.

3- لا يأخذ عن كل قبيلة، لأن القبائل لا تتساوى في الفصاحة، فأخذوا عن القبائل الموغلة في البداوة "أكلة اليرابيع وحرشة الضباب"

4- يستبعد الاستشهاد بالقراءات الشاذة إلا إذا كان هناك شعر أو كلام عربي يدعمها.

5- يقف عند الشواهد الموثوق بها، ويستعمل القياس ويهدر الشواذ.

6- يستبعد الاحتجاج بالحديث.

7- يضع شروطا للراوي وهي:

أ- الوثوق من مصدر الوارد من لغة العرب.

ب- تحري القائل (الراوي).

ت- التأكد من أمانة الناقل وحفظه ودقة علمه.

ث- عدم الاعتداد بالراوي الواحد.

---

[1] - بلعيد صالح: في أصول النحو، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005م، ص 146.

[2] - مرتاض عبد الجليل: الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية، ص ص 154- 161.

[3] - بلعيد صالح: في أصول النحو، ص 147.

2- مدرسة الكوفة: تؤكد كتب التاريخ أن الكوفة كانت موطن الروايات والأخبار والأشعار، وكثر فيها رواة الحديث وكذا المفسرون وأهل القراءات، فكان الكسائي رأس المدرسة النحوية وهو من القراء السبعة، وفي مراحل متأخرة حاول مريدو هذه المدرسة البحث في قضايا النحو، بعدما جف روح البحث عندهم في الفقه، ولكنهم وجدوا المدرسة البصرية قد أغنت اللغة بوضع الأصول والحدود، فانصب جهدهم على أن يبرزوا في ساحة البحث بمخالفة البصرة من تلك الأركان.[1]

ومن أعلام هذه المدرسة[2]: أبو جعفر الرؤاسي المتوفى ما بين 187 هـ و 193هـ، وهو أستاذ الكسائي أبو الحسن علي بن حمزة (ت 197 هـ)، وأبو بكر يحي بن زياد الملقب بالفراء (ت207 هـ) وأحمد بن يحي النحوي بن زياد المعروف بثعلب (ت 191 هـ)، وأبو عبد الله إبراهيم بن محمد المعروف بنفطويه (ت 320هـ) وغيرهم.

ومن خصائص منهج هذه المدرسة يقول الدكتور صالح بلعيد:[3]

1- وسعوا الرواية حيث احتجوا بكل مسموع من العرب دون تحفظ، وما كان يهمهم التواتر وكذلك التزيد في كثرة الرواية والتساهل في نسبتها إلى قائليها.

2- قاسوا على الشاذ والمثال الواحد والنادر، كما اعتدوا بأقوال المتحضرين من العرب واحتجوا بلهجات عرب الأرياف الذين وثقوا في لغتهم وسبق أن رفضها البصريون.

3- غلبوا الطابع التسجيلي، فاحترموا اللهجات تأثرا بالقراءات القرآنية، فاحتجوا بجميع القراءات.

3- مدرسة بغداد: عندما احتدم النزاع الفكري وبخاصة النحوي بين أعلام المدرسة البصرية وأعلام مدرسة الكوفة نشأت حلقة جديدة في بغداد في القرن الرابع الهجري، حاولت هذه الحلقة المزج بين خلافات هاتين المدرستين، أي أن هذه الجماعة تعلمت على علماء الكوفة ثم درست علم البصريين بعد ذلك فجمعوا العلمين كما تؤكده مصادر النحو*.

ومن أعلام هذه المدرسة[4]:** ابن سراج (ت 316هـ)، والزجاج أبو بكر أحمد بن الحسين (ت 311هـ) وأبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان (ت 299هـ) وأبو بكر بن شقير (ت 315هـ)، وأبو بكر بن خياط (ت 320هـ)، وعلي بن سليمان الأخفش الأصغر(ت315هـ).

ومن خصائص هذه المدرسة:[5]

- كثرة التعليلات والتأويل.
- الانتخاب من أفكار البصرة والكوفة.
- الترجيح لمذهب البصرة على الكوفة.

---

[1] - بلعيد صالح: في أصول النحو، ص 149.
[2] - الزبيدي أبو بكر محمد بن الحسين الأندلسي: طبقات النحويين، ص 125.
[3] - بلعيد صالح: في أصول النحو، ص 150.
* ينظر: الزجاجي: الإيضاح في علل النحاة، تحقيق مازن مبارك، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1974، ص 79.
[4] - التواتي بن التواتي : المدارس النحوية، ص 105.
** ينظر تراجم هؤلاء الأعلام في : ابن الأنباري: نزهة الألبا في طبقات الأدباء.
[5] - بلعيد صالح: في أصول النحو، ص 154 وما بعدها.

4- مدرسة الأندلس: يقول الدكتور صالح بلعيد عن هذه المدرسة: "ففي الفردوس المفقود (يقصد الأندلس) قامت حضارة علمية راقية انتخبت الموشحات وأبدعت في فنون القول والعمارة وأعطت للنحو العربي علماء متميزين لهم صيتهم في المشرق مثل ابن مالك وابن حيان وغيرهم، ويبقى أن هذه المدرسة لها صفة لا توجد في المدارس السالفة، وهي أنها بحثت في النحو بدافع خدمة العربية والدين الإسلامي، فبدأت تدرس النحو الكوفي على يد جودي بن عثمان** (ت198هـ) الذي تأثر بمذهب الكوفة، ثم ظهر اتجاه البصرة على يد الأفشتيق* (ت307هـ) الذي علم كتاب سيبويه وقال: "من لم يتعلم كتاب سيبويه لا يعرف شيئا"، وفي القرن الخامس الهجري دخل المذهب البغدادي ثم في القرون التالية بدأت ملامح المدرسة الأندلسية تظهر في النحو بوضع المتون وشروحها، وهي مختصرات تيسيرية للتعليم مثل: المقدمة الجزولية لأبي موسى عبد العزيز الجزولي البربري النحوي، وعرفت بالقانون في النحو، والدرة الألفية في علم العربية المعروفة بألفية ابن معط.[1]

وفي هذا القول يستعرض الدكتور صالح بلعيد المسار التاريخي والمحلي لمدرسة الأندلس النحوية، وهذا بعد رحلة علماء الأندلس إلى المشرق ودراستهم للنحو من مشايخ البصرة أو الكوفة أو بغداد ثم عادوا إلى الأندلس فآثروا التعليم في بيئتهم منهم من درس نحو الكوفة، ومنهم من درس نحو البصرة ومنهم من آثر التعليم بنحو بغداد إلى أن تشكلت مدرسة الأندلس بأعلامها ومتونها وشروحها مع اجتهاد يعد من أسس الدرس اللغوي، وأهم خصائص مدرسة الأندلس ما يلي:[2]

1- وضع أعمال علمية مشابهة للمشارقة.
2- التأثر بالمذاهب النحوية السابقة وخاصة المذهب البصري.
3- ظهور اجتهادات محلية في مسائل:
- العامل
- التسيير بإلغاء المسائل الخلافية.
- إلغاء العلل الثواني والثوالث.
- ضبط العلة القياسية والجدلية والتفريق بينهما.
- الاعتماد على ظواهر النصوص.
- إلغاء الأمثلة غير العملية.
- إلغاء الخلاف بين النحويين.
- القول بالعامل.

4- منهجهم تيسيري تعليمي.

ومن أعلام هذه المدرسة أبو علي القالي (إسماعيل بن عبد الرحمن بن علي القرشي) صاحب كتاب الأمالي من بغداد، أورث أهل الأندلس علمه وهو أحد الوافدين من المشرق إلى الأندلس

** - ينظر ترجمته في الزبيدي: طبقات النحويين، ص181 وما بعدها.
* - ينظر ترجمته في الزبيدي: طبقات النحويين، ص256 وما بعدها.
[1] - بلعيد صالح: في أصول النحو، ص 154 وما بعدها.
[2] - المرجع نفسه، ص 159 وما بعدها.

(ت356هـ) ومن أعلامها كذلك ابن مضاء الأندلسي الإمام المجدد في علم النحو حيث دعا إلى إلغاء العامل والعلل والثواني وإنكار القياس، ومن أعلامها ابن الطراوة (أبو الحسن سليمان بن محمد بن عبد الله السبئي المالقي) (ت745هـ) والبطليوسي (ت521هـ) والزبيدي (ت379هـ) والأعلم الشنتمري (ت476هـ)[1]

5- **المدرسة المصرية:** عند الحديث عن المدرسة المصرية يؤكد العلماء أن هذه المدرسة لا تعني بلاد مصر فحسب بل مصر والشام لأنهما كانتا إقليما واحدا فمن الصعوبة الفصل بينهما.[2]

بدأت ملامح هذه المدرسة عندما ارتحل علماؤها إلى بغداد فكان الاتجاه إلى إحياء الخلافة العباسية التي اندحرت في بغداد وأرادوا تعويض المجد التليد لبغداد التي سقطت وعاث فيها التتار فسادا، وكان منهجهم في البداية مثل منهج بغداد ولكنهم خالفوهم في مسألة الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف.[3]

ذكرنا سابقا أن من خصائص مدرسة بغداد عدم الاحتجاج بالحديث الشريف إلا أن علماء مصر والشام أكثروا من الاستشهاد به مثل ابن مالك وابن هشام (ت772هـ) وكان هذا النشاط اللغوي والنحوي في مصر والشام ملازما زمنيا لنشاط الأندلس، فدعائم الحركة اللغوية في مصر في هذين القرنين السابع والثامن الهجريين كانت تقوم على أكتاف علماء الأندلس ابتدأت بابن خروف (ت609هـ) ومن بعده ابن مالك (ت672هـ)[4]، وأهم ما يميز منهج هذه المدرسة ما يلي:[5]

1- الحد والتقسيم والشرح.
2- الحكم النحوي.
3- التعليل.
4- الأخذ بالأصل.
5- الأخذ بالعامل.
6- توضيح المصطلح النحوي.
7- اعتماد التمارين.
8- الاهتمام بالقراءات ولغات العرب.
9- الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف.

ومن أعلام هذه المدرسة أبو العباس أحمد بن ولاد (ت332هـ) وأبو جعفر النحاس (ت338هـ) وابن بابشاذ (ت469هـ) وابن بري (ت582هـ).[6]

6- **المدرسة المغربية:** بعد العداء الصليبي على بلاد المسلمين في الأندلس، اتجهت العائلات الأندلسية المسلمة جنوب ضفة المتوسط وبالضبط إلى بلدان المغرب العربي: فاس ومكناس

---

[1] - حول هؤلاء الأعلام ينظر: الطنطاوي محمد: نشأة النحو ص 130، وضبف شوقي: المدارس النحوية، ص 288.
[2] - بلعيد صالح: في أصول النحو، ص 160.
[3] - المرجع نفسه ، ص 160.
[4] - مكرم عبد العالي سالم: المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة، مؤسسة الرسالة، الكويت، ط2، 1990م، ص128.
[5] - بلعيد صالح: في أصول النحو، ص 162.
[6] - حول هؤلاء الأعلام ينظر: الطنطاوي محمد: نشأة النحو، تاريخ أشهر النحاة، دار المعارف مصر، 1973م، ص 108، وضبف شوقي: المدارس النحوية، ص327..

وتلمسان وبجاية ومازونة، حيث كانت هذه الحواضر قلاعا للعلم والفقه وجميع صنوف المعرفة وفي ظل هذه الظروف راح المغاربة يؤلفون المنظومات النحوية التعليمية، لأن الشعر أسهل حفظا من النثر، والمدرسة المغربية هي مدرسة التقاء أفكار مجموعة من المدارس كالبصرة والكوفة والأندلس ومصر، وأهم خصائصها ما يلي:[1]

1- اعتماد منهج السماع الذي أخذت به البصرة.
2- اعتماد القياس الذي أخذت به الكوفة.
3- رفض العلة الثانية والثالثة التي دعت إليها الأندلس.
4- الاعتماد على المتون والشروح القديمة التي عملت بها مدرسة مصر.

ومن أقطاب هذه المدرسة:[2] أبو الحسين يحي بن عبا معطى الزواوي (ت628هـ) والحسن بن علي التيهرتي (ت501هـ) ومحمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي الهواري وأبو القاسم البسكري (ت465هـ) .....، ولا زال الكثير من نحاة هذه المدرسة نكرة مجهولين يحتاجون إلى من يرفع عنهم حجب الظلام، والتشهير بهم في مختلف المؤتمرات والمنتديات، ودراسة مصنفاتهم ومخطوطاتهم، وتحقيقها وإخراجها إلى القارئ المتعطش إليهم في ميدان الدرس اللغوي وبخاصة الدرس النحوي.

5- **مصنفات النحو العربي:** لا يسمح المقام في هذا المبحث بذكر جميع ما كتبه النحاة في هذا المجال، وسنقتصر على التعريف بالمصادر النحوية الأولى، التي لها فضل السبق في التأصيل للنحو العربي، وأولى هذه المصادر:

أ- **"الكتاب" لسيبويه:**[3] إن سيبويه لما فرغ من كتابه لم يضع له عنوانا، ويتفق العلماء أن سيبويه قد أرجأ عنونة كتابه إلى ما بعد الفراغ من مسائله ومباحثه، ولكن شاء القدر أن يموت قبل أن يبلغ أمنيته، والكتاب الذي وصلنا لا مقدمة له ولا خاتمة، والعلماء الذين جاءوا بعده هم من أطلقوا على مؤلفه بـ "الكتاب" بسبب ما ذاع من أمره وما جاء به في ميدان اللغة والنحو، فلا يذكر "الكتاب" إلا ويذكر معه سيبويه، ويطلق عليه بعضهم "قرآن النحو"، وسماه المبرد "البحر" تعظيما لشأنه واستصعابا لما جاء فيه، وكان أبو عثمان المازني يقول عن كتابه "من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستح"، وقال عنه السيرفي: "وعمل كتابه الذي لم يسبقه إلى مثله أحد قبله ولم يلحق به من بعده".[4]

يتضمن كتاب سيبويه شواهد من القرآن الكريم، ومن لغة العرب شعرا ونثرا، فمن القرآن استشهد بـ 400 آية، ومن الشعر ب 1050 بيتا من الشعر الجاهلي والإسلامي والمخضرم، ولم يستشهد بشعر المولدين، ومن النثر استشهد بـ 41 مثلا عربيا شائعا وذكر ما نقل عن الأعراب ومن يستشهد بكلامهم في حديثهم العادي.[5]

[1] - بلعيد صالح: في أصول النحو، ص 162.
[2] - التواتي بن التواتي: المدارس النحوية، ص137.
[3] - ينظر ترجمته في: الزبيدي: أخبار النحويين، ص66، وابن الأنباري: نزهة الألبا في طبقات الأدباء، ص60.
[4] - السيرافي (أبو سعيد): أخبار النحويين البصريين، تحقيق طه الزيني، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، د ط، د ت، ص48.
[5] - عبد العزيز محمد حسن: مصادر البحث اللغوي في الأصوات والصرف والنحو والمعجم وفقه اللغة، ص124.

كما حوى "الكتاب" أيضا مسائل ومعارف مختلفة تتعلق بعلوم العربية، لكنها أغلبها يتناول الموضوعات النحوية، وبعضها في الصرف وبعضها في الأصوات وبعضها في البلاغة وبعضها في الأدب.

ب- معاني القرآن: للفراء (أبو زكريا يحي بن زياد) (ت207هـ): [*] تذكر كتب التراجم أن الفراء أملى هذا الكتاب في مجالسه لمدة عامين، وهو كتاب يفسر فيه القرآن ويتخير من الآيات على ترتيب السور ما يدير حوله مباحثه اللغوية والنحوية، فيحل مشكلها ويوضح غامضها مدليا بآرائه ذاكرا من حين لآخر آراء أستاذه الكسائي وكذا بعض النحويين البصريين، وهو كتاب يمثل النحو الكوفي الذي اختطه أستاذه الكسائي ووضعه وضعا نهائيا الفراء، حيث يقول شوقي ضيف: "رأينا الكسائي يرسم منهج النحو على أسس ثلاثة هي: الاتساع في الرواية بحيث تفتح الأبواب على مصاريعها لرواية الأشعار والأقوال والقراءات الشاذة والاتساع في القياس بحيث يعتد في قواعد اللغة النحو بالشاذ والقليل النادر، والاتساع في مخالفة البصريين اتساعا قد يؤول إلى مد القواعد وبسطها بآراء لا تسندها الشواهد اللغوية بل قد يؤول أحيانا إلى رفض المسموع الشائع"[1]، ثم يذكر فضل الفراء بعد الكسائي قائلا: "وقد مضى الفراء في أثر أستاذه لهذه الجوانب، وكان عقله أدق وأخصب من عقل الكسائي" وقد تحول بهذه العقلية إلى تنظيم أعطى النحو الكوفي صورته النهائية"[2] ، وقبل هذين القولين يقول شوقي ضيف: "يبدأ النحو الكوفي بدءا حقيقيا بالكسائي وتلميذه الفراء، فهما اللذان رسما صورة هذا النحو ووضعا أسسه وأصوله وأعداه بحذقهما وفطنتهما لتكون له خواصه التي يستقل بها عن النحو البصري"[3].

والفراء في مؤلفه خالف البصريين في بعض الأصول، بل خالفهم حتى في تسمية المصطلحات مثل: الجحد بدل النفي، والفعل الواقع بدلا من الفعل المتعدي ومصطلح العماد بدلا من ضمير الشأن والفصل والمفسر بدلا من التمييز، و(لا) التبرئة بدلا من (لا) النافية للجنس، والمحل بدلا من الظرف.........وغير ذلك.[4]

ج- المقتضب للمبرد (أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الله الأكبر الثمالي (ت285هـ)): [**]
يعتبر كتاب "المقتضب" من أنفس مؤلفات المبرد وأنضج ثمراته، وكتبه الأخرى في النحو إنما هي رسائل صغيرة، ونقده لكتاب سيبويه إنما هو كتيب ...وقد ألفه شيخ العربية ...بعد أن اكتمل نضجه العقلي وعمق تفكيره واستوت ثقافته.[5]

والمبرد في كتابه "المقتضب" حذا حذو سيبويه، فكان تأثره به واضحا جليا، فنصوص سيبويه والمقتضب يفسر بعضها بعضا، ويكمل بعضها الآخر في الشرح وشأن الشواهد الشعرية كشأن

---

[*] - ينظر ترجمته في: الزبيدي: طبقات النحويين، ص131، وابن الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص90.

[1] - ضيف شوقي: المدارس النحوية، ص195.

[2] - المرجع نفسه، ص196.

[3] - ضيف شوقي: المدارس النحوية، ص195.

[4] - عبد العزيز محمد حسن: مصادر البحث اللغوي في الأصوات والصرف والنحو والمعجم وفقه اللغة، ص145.

[**] - ينظر ترجمته في: الزبيدي: طبقات النحويين، ص131، وابن الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص193.

[5] - المبرد أبو العباس محمد بن يزيد: المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة، لجنة إحياء التراث العربي، القاهرة، مصر، 1415هـ، 1994م، ج1، ص70.

المسائل، فقد بلغت في المقتضب 561 شاهدا، أخذ من شواهد سيبويه 380[1]، يتفق المبرد مع سيبويه في الأصول والكثير من المسائل، ويختلف معه في بعض الجزئيات عالجها المبرد كما عالج سيبويه مسائله، فكل عدد من المسائل في باب أو في أبواب، وعناوين الأبواب تقارب عناوين الكتاب، وإن كان قد أوجز في بعضها إيجازا نافعا.[2]

د- **المفصل "للزمخشري" (محمد بن عمر أبو القاسم)(ت 538هـ):*** هذا المصدر وإن كان موجزا في النحو، إلا أنه يحيط بكل المسائل والقضايا النحوية، فما توجد مسألة في كتاب سيبويه إلا وقد تضمنها هذا الكتاب، فبدأ بمقدمة تحدث فيها عن الكلام وأقسامه وعن المعرب والمبني ثم قسمه إلى أربعة أقسام: القسم الأول للأسماء والثاني للأفعال والثالث للحروف والرابع للمشترك أي الإمالة والإدغام والإبدال والاعتلال، ونحو الزمخشري يمثل المذهب البغدادي.[3].

هـ- **الأصول في النحو: لابن السراج (أبو بكر محمد بن سهل النحوي البغدادي): (ت316هـ):**** أخذ ابن السراج مسائل كتابه هذا من كتاب سيبويه وأعاد ترتيبها بأحسن ترتيب إذ بدأ بمرفوعات الأسماء ثم المنصوبات والمجرورات، وانتقل إلى التوابع ثم أشار إلى نواصب الأفعال وجوازمها، وزاد باب التقديم والتأخير وباب الإخبار بالذي والألف واللام، وانتهى إلى مسائل الصرف، والكتاب خال من المقدمة، وهو موجز خال من الاستطراد تجتمع موضوعاته المتشابهة محصورة في باب واحد لا في أبواب متفرقة كما هي الحال في كتاب سيبويه مع دقة التقسيم.[4]

و- **الكافية في النحو:لابن الحاجب (أبو عمر عثمان جمال الدين بن عمر) (ت646هـ):***** اعتمد ابن الحاجب على نفس المنهج الذي تبناه صاحب المفصل (الزمخشري) في ذكر الأبواب وفي الترتيب وهو كتاب يتميز بالإيجاز مقارنة مع مصادر النحو التي سبقته إلا أنه يضم كل مسائل وأبواب النحو.

يستهل ابن الحاجب كتابه بمقدمة يتناول فيها أقسام الكلام وأحوال الإعراب، ثم يقسم كتابه إلى ثلاثة أقسام: قسم الأسماء والأفعال والحروف.[5]

ز- **"الألفية" لابن مالك: (جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني الأندلسي)(ت 673هـ):****** تعد الألفية من أكثر مصنفات النحو ذيوعا بين طلاب العلم من ذلك الزمن إلى اليوم، وهي منظومة من ألف بيت من الرجز، وفيها مآخذ من مدارس البصرة والكوفة وبغداد، وانفرد باجتهادات شخصية قليلة، وعكف الشراح على دراستها والتعليق

---

[1] - عبد العزيز محمد حسن: مصادر البحث اللغوي في الأصوات والصرف والنحو والمعجم وفقه اللغة، ص145.

[2] - المرجع نفسه، ص150.

* ينظر ترجمته في: ابن الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص338.

[3] - عبد العزيز محمد حسن: مصادر البحث اللغوي، ص 158.

** ينظر ترجمته في: ابن الأنباري: نزهة الألبا في طبقات الأدبا ، ص 220، والزبيدي: طبقات النحويين، ص 112.

[4] - عبد العزيز محمد حسن: مصادر البحث اللغوي، ص 154 وما بعدها.

*** ينظر ترجمته في: السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،ج2، دار الفكر، ط2، 1399هـ/1979م، ص ص 134 -136.

[5] - عبد العزيز محمد حسن: مصادر البحث اللغوي، ص 159 وما بعدها.

**** ينظر ترجمته في: السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج1، 130.

عليها في متون كثيرة في زمانه وبعده، كان لها الفضل في تبويب النحو ومعالجتها معالجة علمية منظمة.[1]

هذا غيض من فيض، فكثيرة هي المؤلفات النحوية التي ألفت من أبي الأسود والقرون التي تلته منها "سر صناعة الإعراب" و"الخصائص" لابن جني، و"شرح الكافية" للرضي الأستراباذي، و"الدرة المضيئة" لأبي عبد الله محمد بدر الدين، و"أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك" و"شرح ابن عقيل" لعبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل، و"منهج السالك" لعلي بن محمد الأشموني ...والقائمة طويلة.

3- المستوى الدلالي: بحث تأثيلي في المعجم العربي: يتناول هذا المبحث في الحقيقة مستويين اثنين: مستوى دلالي وآخر معجمي، والسبب في جعل المستويين مستوى واحد هو العلاقة اللصيقة بين الاثنين، لأن الجانب الدلالي تتكفل بدراسته كتب الثروة اللغوية أو المعاجم بصفة عامة، ولذا سنحاول التوفيق بين المستويين في هذا المبحث مبتدئين بالدلالة لنصل إلى المعجم الذي يستمد وجوده من علم دراسة تأريخ الكلمات وعلم الدلالة يضاف إلى ذلك اهتمامه ببيان كيفية النطق بالكلمة ومكان تغيرها وطريقة هجائها وكيفية استعمالها في لغة الحديث اليومي، فدراسة المعنى المعجمي من أولى إجراءات علم الدلالة، لهذه الأسباب جعلنا العلمين في مستوى واحد وإن كان الدرس اللغوي الحديث يجعل كل علم مستقلا عن الآخر.

أولا- المستوى الدلالي:

1- في مفهوم الدلالة: لغة: جاء في معجم لسان العرب لابن منظور قوله:" دل فلان إذا هدى ودل يدل إذا هداه ...والدليل ما يستدل به، والدليل الدال، وقد دله على الطريق يدله دلالة ودلالة ودلولة والفتح أعلى ...لفظ الدليل يدل على الدلالة ..والجمع أدلة وأدلاء والاسم الدلالة والدلالة بالكسر والفتح والدلولة والدليلي...والدليلي علمه بالدلالة ورسوخه فيها"[2]

فالدلالة عند ابن منظور لا تخرج عن معاني: التوجيه والإرشاد والهداية، وهذا ما يشير إليه الفيروزآبادي في قاموسه المحيط بقوله: "والدالة ما تدل به على حميمك، ودله عليه دلالة، ويثلث، ودلوله فاندل: سدده إليه، والدليلى كخليفى: الدلالة أو علم الدليل بها ورسوخه"[3]

فابن منظور والفيروزآبادي يحددان المعنى اللغوي للجذر (دلل)، فهما يتفقان على أن الدلالة هي التسديد والإرشاد والتوجيه والهداية، وهي نفس المعاني التي أرادها صاحب معجم "تاج العروس" الزبيدي.[4]

واصطلاحا: الدلالة هي دلالة الألفاظ على معانيها الموضوعية بإزائها، كدلالة السماء والأرض والجدار على مسمياتها، أو هي المباحث المتعلقة بمعاني الألفاظ.[5]

---

[1] - عبد العزيز محمد حسن: مصادر البحث اللغوي، ص 162 وما بعدها.

[2] - ابن منظور: لسان العرب، ج11، ص 247، مادة (دلل).

[3] - الفيروز آبادي: (مجد الدين محمد بن يعقوب): القاموس المحيط، دار العلم للجميع، بيروت، (دط)(دت)،ج3،ص 377.

[4] - الزبيدي(محمد مرتضى): تاج العروس من جواهر القاموس، دار مكتبة الحياة، بيروت،ط3، 1968،ج7، ص 324.

[5] - الرديني محمد علي عبد الكريم: فصول في علم اللغة العام، ص 195.

ويعرفه الشريف الجرجاني بقوله: "هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول"[1].

فمن خلال هذين التعريفين يتضح أن الدلالة عبارة عن تلازم كل من الدال والمدلول أو الاسم والمسمى، حيث تعلم حالة الشيء (المسمى أو المدلول) من حالة أخرى هو عليها وهي (الدال أو الاسم) أو بتعبير آخر الدلالة هي اتحاد الدال والمدلول، أي أن الكلمات والعلامات اللغوية هي في الحقيقة معان ودلالات يصطلح على مدلولها، وهو المعنى الذي يرمي إليه التهانوي في كشافه قائلا: "الدلالة هي على ما اصطلح عليه أهل الميزان والأصول العربية والمناظرة أن يكون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر ..والشيء الأول يسمى دالا والشيء الآخر مدلولا"[2].

ومن هنا فعلم الدلالة هو "العلم الذي يدرس المعنى"[3]، وهناك من يطلق عليه أسماء عديدة منها علم الدلالة والدلالات والدلالية وعلم المعنى وهو يقابل المصطلح الفرنسي sémantique والانجليزي semantics[4].

ولقد وردت صيغ "دل" في القرآن الكريم بمختلف مشتقاتها في سبع مواضع من آيه حيث يقول تعالى:

1- " فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ"[5] أي أرشدهما (الشيطان) إلى الأعلى من الشجرة التي نهاهما الله عنها.

2- " وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ "[6]

3- " فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَىٰ "[7]

4- " أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا "[8]، الشمس تدل على وجود الظل، ولولا الشمس لما وجد الظل.

5- " فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ"[9]

6- " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ"[10]

7- " إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ "[11]

---

[1] - الجرجاني الشريف: التعريفات، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، 1978، (دط)، ص 109.
[2] - التهانوي محمد علي: موسوعة كشاف اصطلاحات العلوم والفنون، ج1، ص 787.
[3] - عمر أحمد مختار: علم الدلالة، دار عالم الكتب القاهرة، 1988م، ص 11، وينظر أيضا Geoffry leech, semantics: the stady of meaning; penguin books;1983,pp09- 23.
[4] - بوجادي خليفة: محاضرات في علم الدلالة مع نصوص وتطبيقات، بيت الحكمة، ط1، الجزائر، 2009، ص 23.
[5] - سورة الأعراف، الآية 22.
[6] - سورة القصص، الآية 12.
[7] - سورة طه، الآية 120.
[8] - سورة الفرقان، الآية 45.
[9] - سورة سبأ، الآية 14.
[10] - سورة سبأ، الآية 07.
[11] - سورة طه، الآية 40.

إن هذه الآيات لتشترك في تعيين الأصل اللغوي للفظ "دل"، وهو لا يختلف كثيرا عن المصطلح العلمي الحديث ودلالته، فإذا كان اللفظ "دل" وما صيغ منه في القرآن الكريم يعني الإعلام والإرشاد والإشارة والرمز، فإن المصطلح العلمي للدلالة الحديثة لا يخرج عن هذه المعاني إلا بقدر ما يضيف من تحليل عميق للفعل الدلالي كالبحث عن البنية العميقة للتركيب اللغوي بملاحظة بنيته السطحية، أو افتراض وجود قواعد دلالية على مستوى الذهن تكفل التواصل بين أهل اللغة الواحدة، وهو يفسر توليد المتكلم لجمل جديدة لم يكن قد تعلمها من قبل كما تنص على ذلك القواعد التوليدية التي أشار إليها (تشومسكي) ضمن نظريته التوليدية[1]، ومن هنا فإن مباحث علم الدلالة تشمل ما يلي:

1- وسائل دراسة المعنى أو نظرياتها.
2- الاشتقاق اللغوي.
3- العموم والخصوص.
4- التغير الدلالي.
5- قضايا تعدد اللفظ للمعنى (الترادف) وتعدد المعنى للفظ (المشترك والأضداد).[2]

ودراسة المعنى هي من أكبر الصعوبات التي تجابه الباحث في علم اللغة لأنه أمام معان مختلفة ومتغيرة ومتجددة، فعلى الدارس أن يقوم بـ:

أ- تحديد دلالة الألفاظ المفردة خارج السياق.
ب- تحديد دلالة الألفاظ المفردة داخل السياق.
ج- دراسة معاني الجمل.
د- ضبط مقام التركيب في سياق الخطاب.
ه- عدم إغفال المعنى الاجتماعي للمفردة أو الجملة أو التعبير.
و- عدم اهمال المعنى الحضاري أو الديني....وما إلى ذلك.[3]

2- المسار التطوري والمرحلي لعلم الدلالة: إن موضوع المعنى أو الدلالة قديم قدم اللغة والإنسان خصوصا تلك العلاقة القائمة بين اللفظ ومدلوله، هذه العلاقة شغلت الفكر الإنساني قديما وحديثا وشغلت المفكرين في كل زمان، واعتبرت من القضايا الفلسفية كما اعتبرها البعض الآخر من القضايا الدينية، بل اتخذت صورة النقاشات والمناظرات والمجادلات الفلسفية والأدبية واللغوية.

ولتوضيح العلاقة بين اللفظ والمعنى، نستعرض فيما يلي آراء الفلاسفة واللغويين العرب القدامى والمحدثين، وما هي الحقائق التي توصلوا إليها من خلال مناقشتهم للقضية.

أ- الدلالة والمعنى عند الإغريق: حاول الإغريق البحث في مسائل لها ارتباط وثيق في اللغة عامة، وبالمعنى والدلالة على وجه الخصوص، ومن هذه المسائل مسألة ارتباط اللفظ بما يدل عليه، فرأى أرسطو أن المعنى يتطابق مع التصور الموجود في العقل ، وتحدث عن الصوت

---

[1] - منقور عبد الجليل: علم الدلالة، أصوله ومباحثه في التراث العربي، دمشق، 2001م، ص 25.
[2] - جبل عبد الكريم محمد حسن: في علم الدلالة، دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997م، د ط، ص20 وما بعدها.
[3] - بوجادي خليفة: محاضرات في علم الدلالة، ص29.

والمعنى وميز بين الأشياء في العالم الخارجي والمعاني والأصوات، وتوصل إلى أن العلاقة بين الدال والمدلول علاقة اصطلاحية تواضعية اتفاقية بين بني البشر، وهو بذلك يختلف اختلافا واسعا مع أستاذه أفلاطون وسقراط والسفسطائيين الذين يتفقون أن الصلة بين اللفظ ومدلوله صلة طبيعية ذاتية، أي أن الألفاظ تثير مباشرة في الذهن مدلولاتها المخصصة لها، "فهذه الصلة الطبيعية كانت واضحة سهلة التفسير في بدء نشأتها ثم تطورت الألفاظ، ولم يعد من اليسير أن نتبين بوضوح تلك الصلة، أو نجد لها تعليلا أو تفسيرا"[1].

ورأى أحد فلاسفة اليونان في القرن الخامس قبل الميلاد وهو ديمقريطس الرأي نفسه الذي قال به أرسطو وبرهن أن العلاقة بين اللفظ والمدلول علاقة مكتسبة وباتفاق الناس الذين يستعملونها[2].

ب- **<u>الدلالة والمعنى عند الهنود:</u>** اهتم الهنود بلغتهم مبكرا، وقاموا بدراستها لغاية دينية بحتة وهي الحفاظ على كتابهم المقدس "الفيدا"، فبحثوا في أصل اللغة ونشأتها واكتساب بعض الأصوات لمعانيها، وانقسموا إلى فريقين اثنين: الأول قال بأن اللغة إلهام وهبة من الله إلى البشر، وقال الآخر: إنها اختراع البشر وصنيعهم، فهي مواضعة واصطلاح.[3]

كما ناقشوا قضية اللفظ ومدلوله وانقسموا إلى عدة فرق لكل واحدة منها رأي:[4]

1- هناك من رفض فكرة التباين بين اللفظ والمعنى قائلا: إن كل شيء يتصور مقترنا بالوحدة الكلامية الخاصة به أو الدالة عليه، ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، وعلى هذا تعد الكلمة عنصرا من عناصر تكوين الشيء، كما تعد الطين السبب المادي أو الرئيسي لكل المواد الترابية.

2- وهناك من يرى أن العلاقة بين اللفظ ومعناه علاقة قديمة وفطرية وطبيعية.

3- وهناك من الفلاسفة اللغويين الهنود يرون ضرورة العلاقة بين اللفظ والمعنى، فالعلاقة بينهما تلازمية، كالعلاقة اللزومية بين النار والدخان.

4- وهناك جماعة أخرى من فلاسفة الهنود يرفضون وجود أية علاقة بين اللفظ والمعنى، كما يرفضون وجود علاقة طبيعية بينهما، وهم يرون أن الصلة بينهما مجرد علاقة حادثة مرتجلة لكن طبقا لإرادة إلهية.

ج- **<u>جهود العرب القدامى:</u>** اهتم العرب الأوائل بالبحث الدلالي كغيرهم من الأمم والشعوب، والغاية من هذا البحث هي فهم الخطاب القرآني والمحافظة على لغة القرآن الكريم، واستخلاص الأحكام الشرعية منه، وكان الدافع دينيا بحتا، وهو الخوف من اختلاف المعنى أو إفساده في تلاوة القرآن بشكل غير صحيح، لهذا عكف علماء العربية في الاهتمام بالنهوض باللغة ولاسيما الدرس الدلالي.

ولقد كان لفكر اليونان أثر على علماء العربية، فمنهم من أخذ برأي أفلاطون في أن العلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة طبيعية ذاتية، ومن هؤلاء ابن جني في كتابه "الخصائص" حيث عقد فصولا في تحديد هذه العلاقة متأثرا بمن كان قبله مثل سيبويه والخليل.

---

[1] - أنيس إبراهيم: دلالة الألفاظ، مكتبة الانجلو مصرية، ط6، 1991م، ص63.
[2] - مجاهد عبد الكريم: الدلالة اللغوية عند العرب، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1985م، ص 196.
[3] - بوجادي خليفة: محاضرات في علم الدلالة ص38 وما بعدها.
[4] - عمر أحمد مختار: البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب، دار الثقافة، بيروت، 1972م، ص 101.

كما وافق ابن جني لسيبويه في المصادر التي تأتي على وزن فعلان من أنها تدل على الحركة والاضطراب، مثل الثوران والغليان، أي أن هناك علاقة بين اللفظ ومدلوله، تحدث عن الأصوات التي تتقارب مخارجها ومعانيها في نفس الوقت مثل: "تؤزهم أزا"[1] أي تهزهم هزا، لأن الهمزة أخت الهاء، ومنه العسف والأسف، والعين أخت الهمزة، وسمى هذه الظاهرة الدلالية بـ"باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني".[2]

كما تطرق علماء العربية الأوائل إلى العلاقات الدلالية بين الألفاظ ومعانيها فدرسوا أصول الألفاظ، وفرقوا بين اللفظ الذي تعددت معانيه أو ما يعرف بالمشترك والمعنى الذي تعددت ألفاظه، وهذا ما يعرف بالترادف، واللفظ وضده، واللفظ الذي يطلق على المعنى وضده، وما استعمل من الألفاظ على حقيقة معانيها وما استعمل مجازا، وتطرقوا بالدرس إلى حياة الألفاظ وانتقال المعنى من الخاص إلى العام والعكس، ومثل هذه المسائل أصبحت فيما بعد مباحث علم الدلالة.

ولما جاء القرن الثالث الهجري حاول المعتزلة تفسير الظواهر اللغوية تفسيرا يرتكز على الرأي والعقل، فقد نسب السيوطي (ت911هـ) إلى عباد بن سليمان الصيمري المعتزلي من أنه يرى العلاقة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله، فهناك صلة طبيعية بين اللفظ ومعناه حيث يقول على لسان عباد الصيمري: "إن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أنه يضع، وإلا كان تخصيص الاسم المعين بالمسمى المعين من غير مرجح"[3]، ويعطي السيوطي مثالا على هذا أن عباد هذا لما سئل عن معنى لفظة "إذغاغ" وهو بالفارسية الحجر، قال: أجد فيه يبسا شديدا وأراه الحجر.[4]

وأخذ بهذا الرأي أيضا أحد علماء القرن الرابع الهجري ابن دريد (ت 321هـ) في كتابه "الاشتقاق"، وابن جني (ت392هـ) الذي عقد أربعة أبواب لها علاقة بالدرس الدلالي وهذه الأبواب هي:

1- باب تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني.[5]
2- باب الاشتقاق الأكبر.[6]
3- باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني.[7]
4- باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني.[8]

وهناك مسائل دلالية كثيرة كان لها حضور في مصنفات أخرى منها: كتاب الغريب لأبي القاسم بن سلام، والألفاظ لابن السكيت، ومعجم "المقاييس" لابن فارس، ومعجم "أساس البلاغة"

---

[1] - سورة مريم: من الآية 83.
[2] - ابن جني: أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج2، ط4، ص147.
[3] - السيوطي جلال الدين: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، مطبعة السعادة، مصر، 1325هـ، ص 31.
[4] - المصدر نفسه، ص 47.
[5] - ابن جني: الخصائص، ج2، ص 115.
[6] - المصدر نفسه، ج2، ص 135.
[7] - المصدر نفسه، ج2، ص 147.
[8] - نفسه،ج2، ص 145.

للزمخشري، و"دلائل الإعجاز" للجرجاني، و"فقه اللغة وأسرار العربية" للثعالبي، و"المزهر في علوم العربية" للسيوطي وغيرها.

د- **جهود علماء الأصول:** عالج علماء الأصول الكثير من المسائل الدلالية لاستنباط الأحكام الشرعية من النصوص الدينية ومن هذه المسائل: العلاقة بين اللفظ والمعنى، ومسألة الحقيقة والمجاز والاشتراك اللفظي والترادف، والعام والخاص وغير ذلك.

وقسم علماء الأصول وعلماء الكلام الدلالة[1] إلى لغوية وغير لغوية، وطرق الدلالة اللغوية أقسام هي:

1- **دلالة المنطوق:** ويقصدون بها دلالة اللفظ على حكم ذكر في الكلام ونطق به، وهي أقسام:

أ- **دلالة المطابقة:** هي دلالة اللفظ على تمام معناه كدلالة البيت على كل ما يتألف منه، فلو قيل لك"بعتك هذا البيت" فإنك تشتري البيت كله بما فيه من سقف ونوافذ وجدران وأرضية، ومن أمثلتها من آي القرآن الكريم قوله تعالى: "وأحل الله البيع وحرم الربا"[2] حين تدل العبارة بمنطوقها على تحليل البيع وتحريم الربا.

ب- **دلالة التضمن:** وهي دلالة اللفظ على جزء معناه كدلالة البيت على السقف أو على الجدار أو على الأرضية، فلو قيل "بعتك هذا البيت" فإن البائع يسلمك البيت وما يحويه، ولا يستطيع أن يرفض تسليم أي منها لأنها داخلة تحت لفظ "البيت" فهي أجزاؤه، ومثال ذلك قوله تعالى: "فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق"[3] فيدخل ضمن معنى "وجه" كل من الجبهة والجبين والخدين والعينين والحاجبين والأنف والشفتين والذقن واللحيين وغير ذلك.

ح- **دلالة الالتزام:** هي دلالة اللفظ على لازم خارج عن معناه، مثل دلالة "سقف" على الجدار، لأن الجدار لازم للسقف لأنه لا يقوم إلا عليه، وفي النصوص يكون اللازم:

1-**دلالة اقتضاء:** وهي ما توقف عليه صحة الكلام لغة أو شرعا مثل قوله تعالى: "فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر"[4]، فوجب تقدير لفظ (فأفطر) بعد (سفر) لتوقف صحة الكلام له على تقدير ذلك.

2- **دلالة إشارة:** وهي دلالة اللفظ على حكم غير مقصود بالنص، ولكنه لازم للحكم الذي سبق الكلام له، مثل قوله تعالى: "وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف"[5]، فالآية سبقت أصلا لتبين بعبارتها أن نفقة الأم واجبة على الأب، ولكنها تدل بإشارتها على نسب الولد لأبيه دون أمه، لأن في عبارة (وعلى المولود له) قد أضيف الولد إلى المولود له (الأب) بحرف الجر (اللام) التي تفيد الاختصاص بالنسب في هذه الآية.

2- **دلالة المفهوم:** وهي دلالة اللفظ على حكم لم يذكر في الكلام ولم ينطق به، وهي تنقسم إلى:

---

[1] - حول هذا المبحث ينظر: التهانوي محمد علي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، ج2، ص 788، ويونس علي محمد محمد: علم التخاطب الإسلامي، ص 188، ويونس علي محمد محمد: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص 53، ومنقور عبد الجليل: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 64، والخماش سالم سليمان: المعجم والدلالة، موقع لسان العرب، جامعة الملك عبد العزيز ،جدة، 1428هـ، ص 22.

[2] - سورة البقرة: الآية 257.

[3] - سورة المائدة: الآية 07.

[4] - سورة البقرة: الآية 184.

[5] - سورة البقرة: الآية 233.

أ- **مفهوم الموافقة:** وهو أن يكون المسكوت موافقا في الحكم للمنطوق،[1] وهو نوعان:

1- **فحوى الخطاب:** وهو إذا كان المسكوت عنه أقوى في الحكم من المنطوق به، مثل قوله تعالى: "فلا تقل لهما أف"[2]، ففحوى الخطاب هنا هو النهي عن الإيذاء بالضرب أو الشتم أو السخرية للوالدين، وهذه الأمور أقوى في التحريم من لفظ التضجر "أف".

2- **لحن الخطاب:** وهو إذا كان المسكوت عنه مساويا في الحكم للمنطوق به، مثل قوله تعالى: "إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا"[3]، فالآية فيها أيضا إحراق أموال اليتيم أو إتلافها أو تبذيرها عليه أو على غيره.[4]

ب- **مفهوم المخالفة:**[5] هو أن يكون المسكوت عنه مخالفا للمذكور في الحكم إثباتا ونفيا، وهو أنواع منها:

1- **مفهوم الصفة:** وهي دلالة اللفظ المقيد الحكم بوصف على ثبوت نقيض حكمه للمسكوت عنه الذي انتفى عنه ذلك الوصف مثل قوله عليه الصلاة والسلام: "في سائمة الغنم زكاة"، فالحكم المستفاد عن طريق المخالفة أن غير السائمة لا زكاة فيها.

2- **مفهوم الشرط:** وهو دلالة اللفظ المقيد الحكم فيه شرط على ثبوت نقيض حكمه للمسكوت عنه الذي انتفى عنه ذلك الشرط، كقوله تعالى: "وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن"[6]، وهذا يعني أن المطلقة غير الحامل لا تستوجب عليها النفقة، فحكم المنطوق هو وجوب الإنفاق للحامل أما غير الحامل فلا نفقة لها.

3- **مفهوم الغاية:** وهو دلالة اللفظ المقيد الحكم فيه بغاية على ثبوت نقيض حكمه للمسكوت عنه بعد تلك الغاية، والغاية إما زمانية مثل قوله تعالى: "وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر"[7] الذي يفيد بالمخالفة أن لا يجوز الأكل والشرب في رمضان بعد الفجر، وإما مكانية مثل قوله تعالى: "فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق"[8] الذي يفيد أنه لا يجوز غسل ما وراء المرفق من اليد في الوضوء.

4- **مفهوم العدد:** مثل قوله تعالى: "فاجلدوهم ثمانين جلدة"[9]، فما زاد عن الثمانين فهو غير واجب.

5- **مفهوم الاستثناء:** مثل عبارة "لا إله إلا الله" فمنطوقه نفي ألوهية غير الله ومفهومه أن الله إله.[10]

---

[1] - يونس علي محمد محمد: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1، 2004، ص 62.
[2] - سورة الإسراء: الآية 24.
[3] - سورة النساء: الآية 10.
[4] - الخماس سالم سليمان: المعجم والدلالة، ص 23.
[5] - يونس علي محمد محمد: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص 63.
[6] - سورة الطلاق: الآية 06.
[7] - سورة البقرة: الآية 187.
[8] - سورة المائدة: الآية 06.
[9] - سورة النور: الآية 04.
[10] - يونس علي محمد محمد: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص 56.

ويمكن تلخيص جهود علماء الأصول في مجال الدرس الدلالي بالشكل التالي:

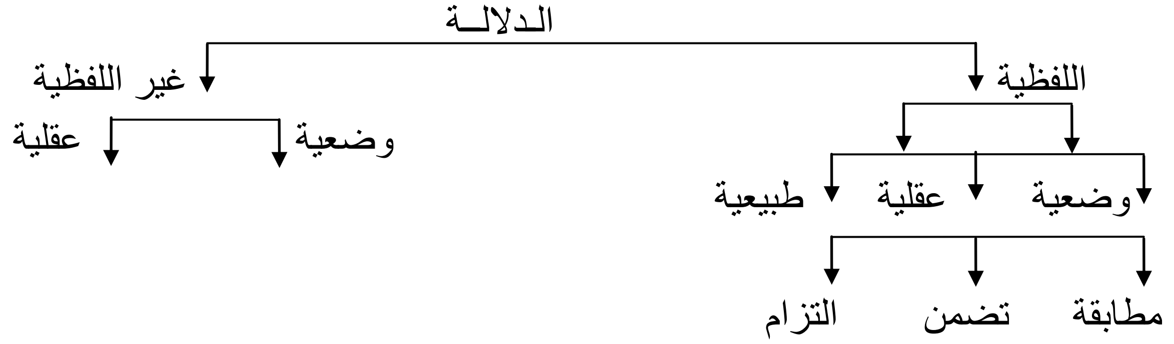

هـ - جهود النقاد وعلماء البلاغة: يعتبر النقاد وعلماء البلاغة قضية "اللفظ والمعنى" من قضايا النقد الأدبي، وعنصر هام من عناصر العمل الأدبي، وهي من الخصائص التي تقدر وتقيم على أساسها الأعمال الأدبية، فهذه القضية نشأت أول ما نشأت في الأوساط الكلامية التي جعلت من القرآن محورا لدراستها في إطار دفاعها عن القضايا الاعتقادية، فاتجهت المعتزلة إلى تفسير القرآن تفسيرا بيانيا بالاستناد إلى المجاز بوصفه وسيلة من وسائل التعبير، وألحوا على تجريد المعنى القرآني والابتعاد عن أشكاله الظاهرية وما لها من دلالات مادية محسوسة تتنافى مع الأصل العام للتوحيد.[1]

أما الأشاعرة فأسهموا في الفصل بين اللفظ والمعنى من خلال مناقشتهم المعتزلة في قضية خلق القرآن، فالقرآن عندهم قديم من حيث مدلوله الذي هو كلام الله عز وجل، محدث من حيث دلالته لاتصاله بالبشر المخلوقين.

وزاد من تثبيت هذه الثنائية اتجاه بعض المتكلمين إلى ربط قضية الإعجاز القرآني بجانب النظم والصياغة (اللفظ)، واتجه البعض الآخر إلى ربطها بالمضمون (المعنى)، الأمر الذي أدى إلى تصور إمكان انفصال المعنى عن لفظه المعبر عنه[2]، وقد انتقلت هذه القضية من البيئة الكلامية إلى البيئة الأدبية وشهدت اختلافا بين النقاد حول أهمية كل من اللفظ والمعنى.

ويعد الجاحظ (ت 255هـ) من النقاد الأوائل الذين أثاروا الجدل حول هذه القضية عندما قال: "وذهب الشيخ (شيخه أبو علي الفارسي) إلى استحسان المعاني...والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير"[3]، ويقول في البيان والتبيين: "وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه"[4].

وجاء ابن قتيبة (ت276هـ) ووقف عند جودة كل من اللفظ والمعنى وذلك عندما قسم الشعر إلى أربعة أقسام فقال: "تدبرت الشعر فوجدته أربعة أضرب، ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه...

---

[1] - الأحمر فيصل ودادوة نبيل: الموسوعة الأدبية، دار المعرفة، الجزائر، ج2، 2009، ص 57.

[2] - المرجع نفسه، ص 57.

[3] - الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر): الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلي، مصر، 1968، ط2، ج3، ص 131 وما بعدها.

[4] - الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر): البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، مصر، ط5، 1985، ج1، ص 76.

وضرب منه حسن لفظه وجاد فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى...وضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه...وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه...."[1].

فالبلاغة عند ابن قتيبة لا تقتصر على اللفظ وحده ولا على المعنى وحده، وإنما تكون في اللفظ وقد تكون في المعنى وقد تكون فيهما جميعا.

أما المبرد (ت 286هـ) فيتحدث عن حسن النظم وذلك عندما سأله أحمد بن الواثق*: أي البلاغيين أبلغ؟ أبلاغة الشعر أم بلاغة الخطب والكلام المنثور والسجع؟ فحسن النظم عنده هو توخي العلاقات بين الكلمات لأن الكلمة في الشعر هي نفسها في النثر، والمعنى أيضا هو واحد في الفنين، ولكن طرق الأداء تختلف وتجعل من السياق بليغا هنا أو بليغا هناك، فالمبرد قام بعملية تأليف تقوم على ثلاثة مستويات تقوم على التدرج: أولها لغوي عام يتصل بعلاقة الدال بالمدلول، أما الثاني فيتصل بخصائص الدال ذاته، ويؤكد على مفهوم الاختيار كممارسة من اختصاص المتكلم، أما الثالث فيخرج من محور الاختيار أو الاستبدال إلى محور التوزيع...وهو يؤكد على اللحمة بين الأجزاء والتناسق بين الوحدات في نطاق البنية العامة،[2] مع ذكر الشواهد والأمثلة من روائع الشعر العربي.

ومن البلاغيين الذين بحثوا في المسألة ابن المعتز (ت 296هـ) الذي تحدث عن العلاقة الوطيدة بين المعنى واللفظ، وأن أحدهما يؤثر في الآخر خصوصا في الشعر، كما عرض لعيوب المعنى وأثرها في الخطاب الشعري، وهو بهذه الرؤية يجمع بين مذهبي أبي تمام والبحتري في الشعر، وهو مع المعاني العميقة في الشعر كما كان أبو تمام وابن الرومي، فضلا عن حفاظه على عذوبة الأسلوب وجماله وتوشيته بآثار الصنعة والترف وألوان البديع كما كان يفعل البحتري وسواه، وهو زعيم هذه الطبقة، وقد دفعت مكانته في الشعر النقاد إلى أن يضعوه مع أبي تمام والبحتري وابن الرومي في طبقة واحدة.[3]

أما ابن طباطبا (ت 322هـ) فيرى عكس ما رآه ابن المعتز، فالنصوص النقدية في عيار الشعر تؤكد أنه يفصل بين اللفظ والمعنى حيث يقول: "وللمعاني ألفاظ تشاكلها فتحسن فيها وتقبح في غيرها فهي كالمعرض للجارية الحسناء التي تزداد حسنا في بعض المعارض دون بعض، وكم من معنى حسن قد شين لمعرضه الذي أبرز فيه، وكم من معرض حسن ابتذل على معنى قبيح ألبسه، ...وكم من حكمة غريبة قد ازدريت لرثاثة كسوتها، ولو جليت في غير لباسها ذاك لكثر المشيرون إليها"[4]

---

[1] - ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1981، ص13.

* - أحمد بن الواثق: هو المهتدي بالله:(ت 255هـ - 256هـ) أحد الخلفاء العباسيين، دامت مدة خلافته أحد عشر شهرا، قتل وعمره أربع وثلاثون سنة بعدما عجز عن دفع رواتب الجند (يراجع الصحيح والضعيف في تاريخ الطبري) (الطبري أبو جعفر بن جرير)، تحقيق محمد بن طاهر البرزنجي، دار ابن كثير، المجلد 13، ط1، 1428هـ/ 2007، دمشق، بيروت، ص 197.

[2] - صمود حمودي: التفكير البلاغي عند العرب، أسسه إلى القرن السادس، منشورات جامعة تونس، تونس، السلسلة 6، 1981، ص 345، وللإستزادة ينظر: المبرد: الكامل في اللغة والأدب، تحقيق يحي مراد، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة،ط1، 2004، ج1، ص ص 30-59.

[3] - خفاجي محمد عبد المنعم: ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1949، ص309.

[4] - ابن طباطبا العلوي: عيار الشعر، تحقيق طه الحاجري ومحمد زغلول سلام، منشأة لمعارف، الإسكندرية، 1977، ص 46.

فالمعنى في نظر ابن طباطبا موجود ثم تأتي الألفاظ لتدل عليه، وربما قصرت الألفاظ هذه في الدلالة غير أن المعنى باق كما هو فمن الأولى أن تكون الألفاظ مشاكلة للمعاني فهي التي تزينها أو تجعلها غير ذلك.

وتناول قدامة بن جعفر (ت 337هـ) القضية وركز على الجوانب الشكلية في العملية الإبداعية إذ يفصل بين المبدع وإنتاجه الأدبي من جهة، ومن جهة أخرى يفصل بين النص الأدبي والواقع الاجتماعي وما يشتمل عليه من قيم وأفكار حيث يقول: "إنه (يعني الشعر) قول موزون ومقفى يدل على معنى"[1].

ويأتي الآمدي (ت 370هـ) ويوازن بين ألفاظ كل من أبي تمام والبحتري، وما تؤديه تلك الألفاظ من معان للوصول إلى الفكرة التي يرمي إليها الشاعر، فكان يحكم بالجودة والرداءة على الطائيين من خلال تتبعه للألفاظ وموافقتها للمعاني التي عبر عنها كل شاعر، فيكون "إصابة المعنى وإدراك الغرض بألفاظ سهلة عذبة، مستعملة سليمة من التكلف لا تبلغ الهذر الزائد على قدر الحاجة ولا تنقص نقصانا يقف دون الغاية"[2].

ويربط القاضي الجرجاني (ت 392هـ) بين اللفظ والمعنى رافضا أن يكون الجمال في أحدهما دون الآخر، يقول: "فأقل الناس حظا في صناعة الشعر من اقتصر في اختياره ونفيه وفي استجادته واستسقاطه على سلامة القول وإقامة الإعراب وأداء اللغة، ثم كان همه وبغيته أن يجد لفظا مروقا وكلاما مزوقا ...أو معنى غامضا قد تعمق فيه مستخرجه..ثم لا يعبأ باختلاف الترتيب واضطراب النظم وسوء التأليف وهلهلة النسج، ولا يقابل بين الألفاظ ومعانيها ولا يسبر ما بينها سبب"[3].

أما أبو هلال العسكري (ت 395هـ) فجعل الفصاحة للفظ والبلاغة للمعنى متفقا مع الجاحظ فيقول: "وليس الشأن في إيراد المعاني، لأن المعاني يعرفها العربي والعجمي والقروي...وإنما هو في جودة اللفظ وصفائه، وحسن بهائه... مع صحة السبك والتركيب والخلو من أود النظم والتأليف"[4].

وفي كتاب "العمدة" لابن رشيق خصص هذا الأخير بابا للقضية أسماه "باب في اللفظ والمعنى"، وذكر الآراء المختلفة التي سبقته، ويبدي رأيه مركزا على الألفاظ السهلة البعيدة عن الركاكة واللين المفرط، والقبح والخشونة[5].

ويذهب عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) إلى أن الجمال في العبارة إنما يعود إلى حسن أداء الكلمات لمعانيها، وما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب، فالكلمة لا قيمة لها مفردة قبل دخولها في التأليف حيث يقول: "اعلم أن الداء الدوي والذي أعيا أمره في هذا الباب، غلط من قدم

---

[1] - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي،مصر، 1963، ص 15.

[2] - الآمدي: الموازنة بين شعر تمام والبحتري، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر،ط2، 1973- ج1، ص 424.

[3] - القاضي الجرجاني (علي بن عبد العزيز): الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة،1966،ص 413.

[4] - العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل: كتاب الصناعتين (الشعر و الكتابة)، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1989م، ص 63 وما بعدها.

[5] - ابن رشيق القيرواني أبو علي الحسن: العمدة في محاسن الشعر وآدابها ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار جبل، بيروت، لبنان، ط4، 1972م، ج1، ص 124.

الشعر بمعناه وأقل الاحتفال باللفظ وجعل لا يعطيه من المزية إن هو أعطى إلا ما فضل عن المعنى"[1].

فالجرجاني يرى أن اللفظ لا قيمة له إذا كان مفردا، وكذلك المعنى إذا تجرد عن الصور البيانية، بل لابد من ملازمة اللفظ والمعنى في سياق العمل الإبداعي، وهذا ما دعا إليه أيضا حازم القرطاجني (ت648هـ)، فقد أوصى بعدم استعمال الألفاظ السوقية أو العامية والحوشية القبيحة، ودعا إلى: "التوافق بين الألفاظ والمعاني والأغراض من جهة ما يكون بعضها في موضعه من الكلام متعلقا ومقترنا بما يجانسه ويناسبه ويلائمه من ذلك"[2]، لأن المعنى الذي يقصده الشاعر قد يتعذر فهمه إذا كان اللفظ حوشيا أو غريبا أو مشتركا.[3]

وصفوة القول: إن البلاغيين والنقاد انقسموا أقساما ثلاثة في هذه المسألة: منهم من ناصر اللفظ، ومنهم من ناصر المعنى، ومنهم من جعلهما متلازمين متكاملين لا بديل للأول عن الثاني.

و- جهود المحدثين الغربيين: إن التراكم المعرفي الذي ذكرناه لعلماء البلاغة والنقد وعلماء الكلام وأصول الفقه فتح المجال واسعا للبحث في الدرس الدلالي، واستفاد علماء الغرب من هذا الزخم المعرفي العربي، وقاموا بدراسته دراسة علمية ترتكز على معايير وأسس ومناهج لها أثر واضح في الدراسات اللسانية واللغوية المعاصرة.

نتج عن ذلك ظهور مصطلح علم الدلالة sémantique لأول مرة في نهاية القرن التاسع عشر على يد العالم الفرنسي ميشال بريال Michel Bréal عام (1883م) حيث حدد موضوعاته ومصطلحاته وأبدع منهجا جديدا في دراسة المعنى انطلاقا من الكلمات نفسها لمعاينة الدلالات دون ربط ذلك بالظواهر اللغوية الأخرى، كما كتب دارمستتر Darmesteter سنة 1887م كتابا سماه "La vie des mots" "حياة الألفاظ" تطرق فيه إلى مسائل دلالية مختلفة، وكتب ماكس مولر Max Muller في نفس العام كتابا له بعنوان "The science of thought" يذكر فيه أن الكلام والفكر متطابقان تماما، وفي سنة 1897م كتب ميشال بريال كتابا بعنوان" Essai de sémantique, Science de Signification وهو الكتاب الذي يؤسس فعلا لعلم الدلالة في الدرس اللساني الحديث.[4]

ومن جهود علماء الغرب نذكر مساهمة كل من الناقد الانجليزيين أوجدن وريتشارد Ogden et Richards في كتابهما (معنى المعنى) The meaning of meaning عام 1923م[5]، وذهبا إلى أن الدلالة عبارة عن اتحاد شامل بين الدال والمدلول، غير قابل للتجزئة أو الفصل، وهناك جهود بذلت من علماء آخرين كان لها الفضل في تطور الدرس الدلالي الحديث والمعاصر منهم همبلت

---

[1] - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001م، ص 194.
[2] - القرطاجني ابن الحسن حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، 1966م، ص 153.
[3] - المصدر نفسه، ص 153.
[4] - بوجادي خليفة: محاضرات في علم الدلالة، ص ص 49-51.
[5] - المرجع نفسه، ص 52.

Humboldt، وجسبرسن Jespersen ومدفيج Madivig ودي سوسير De Saussure وستيفان أولمان Stephan Ullmann وغيرهم.[1]

ز- جهود المحدثين العرب: تواصلت الجهود في البحث عن علاقة الدال والمدلول في الدراسات اللسانية العربية الحديثة، واختلفوا مثلما اختلف العرب القدامى وأمثالهم من الأمم والشعوب، فهذا فارس الشدياق يذهب مذهب وجود صلة قوية بين الدال وما يدل عليه، حيث يقول في كتابه "الساق على الساق" :"إن كل حرف يختص بمعنى من المعاني دون غيره وهو من أسرار اللغة العربية التي قل من تنبه لها، وقد وضعت لهذا كتابا مخصوصا سميته: (منتهى العجب في خصائص لغة العرب)"[2].

أما تمام حسان فيرى نفس الرأي الذي رآه دي سوسير في أن الدال والمدلول (الفكرة والصوت) وجهان متلازمان يستحيل الفصل بينهما والعلاقة اعتباطية غير معللة بينهما، فيقول (تمام حسان): "وليس في الفكر ما يفرض شكلا معينا للرموز الصوتية، فهذه الرموز موضوعة وضعا اعتباطيا"[3]، وفي رأي ثان له يعود فيذكر أن العلاقة بين الألفاظ ومدلولاتها اصطلاحية فيقول: "فالعلاقة بين الكلمات ومعانيها علاقة عرفية محددة بالاستعمال، والمدونة في المعجم"[4].

والرأي الأخير هو الموافق لرأي إبراهيم أنيس، أي أن العلاقة بين الدال والمدلول اصطلاحية عرفية مكتسبة، ودعا الدارسين إلى وجوب التفريق بين الصلة الذاتية الطبيعية والصلة المكتسبة موضحا إياها قائلا: "ففي كثير من ألفاظ كل لغة نلحظ تلك الصلة (يقصد الصلة الطبيعية) بينها وبين دلالتها، ولكن هذه الصلة (يقصد الصلة المكتسبة) لم تنشأ مع تلك الألفاظ أو تولد بمولدها، وإنما اكتسبتها اكتسابا بمرور الأيام وكثرة التداول والاستعمال"[5].

بينما صبحي الصالح يقر بوجود صلة بين الألفاظ ومعانيها بعدما استعرض آراء ابن جني وأعجب بجهود العلماء العرب الأوائل في هذه الظاهرة فيقول: "أما الذي نريد الآن بيانه فهو ما لاحظه علماؤنا من مناسبة حروف العربية لمعانيها وما لمحوه في الحرف العربي من القيمة التعبيرية الموحية، إذ لم يعنهم من كل حرف أنه صوت، وإنما عناهم من صوت الحرف أنه معبر عن غرض"[6].

لقد انقسم العرب المحدثون فريقين اثنين في الصلة الطبيعية الكائنة بين اللفظ ومعناه، فمنهم من آمن بوجودها مثل ما ذكرنا عند: فارس الشدياق وصبحي الصالح ومحمد المبارك، ومنهم من أنكرها مثل تمام حسان وإبراهيم أنيس ورمضان عبد التواب وعبده الراجحي وغيرهم.

3- أنواع الدلالة: إن هذا المبحث اختلف فيه العلماء القدامى والمهتمون بالدلالة المحدثون، وأدلى كل فريق بدلوه فيه بناء على العلاقة الجامعة بين الدال والمدلول، بل اختار كل فريق له اسما يراه

---

[1] - الرديني محمد علي عبد الكريم: فصول في علم اللغة العام، ص 207، ومنقور عبد الجليل: علم الدلالة، أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 41، ومحمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص 291.

[2] - الرديني محمد علي عبد الكريم: فصول في علم اللغة العام، ص 210.

[3] - تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، 1955م، ص 244.

[4] - تمام حسان: اللغة بين المعيارية والوصفية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1950م، ص 127 وما بعدها.

[5] - أنيس إبراهيم: دلالة الألفاظ، ص 71.

[6] - صبحي صالح: دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط13، 1997، ص 142.

هو الاسم الأليق والمناسب كما سنرى، فهناك من أطلق عليه: أصناف الدلالة، وآخر: أقسام الدلالة، وثالث: أنواع الدلالة، ورابع اصطلح عليه: وجوه الدلالة، وخامس: ضروب الدلالة وغيرها من المسميات.

فالجاحظ (ت 255هـ) سماها أصنافا، وأكد أن جميع أصناف الدلالة تعود إلى خمسة أمور هي: اللفظ والإشارة والعقد والخط والحال، يقول:"وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ ثم الإشارة ثم العقد ثم الخط ثم الحال التي تسمى نصبة"[1].

وأما الغزالي فسماها وجوها حين ذكر في كتابه "منطق تهافت الفلاسفة" أن :"الألفاظ تدل على المعاني من ثلاثة أوجه متباينة: الوجه الأول الدلالة من حيث المطابقة كالاسم الموضوع بإزاء الشيء وذلك كدلالة لفظ الحائط على الحائط، والآخر أن تكون بطريق التضمن وذلك كدلالة لفظ البيت على الحائط ودلالة لفظ الإنسان على الحيوان وكذلك دلالة كل وصف أخص على الوصف الأعم الجوهري، الثالث الدلالة بطريق الالتزام والاستتباع كدلالة لفظ السقف على الحائط فإنه مستتبع استتباع الرفيق اللازم الخارج عن ذاته، ودلالة الإنسان على صنعة الخياطة وتعلمها..."[2].

وارتضى الأصوليون لدراستهم مصطلح "الأقسام"، وقسموا الدلالة إلى عدة أقسام منها: الدلالة الحقيقية أو المقصودة والدلالة الإضافية ودلالة المطابقة والتضمن والالتزام وهناك أقسام فرعية أخرى كالظاهر والإشارة وغيرهما.[3]

وأما الدكتور فايز الداية فاختار مصطلح (ضربي الدلالة) حيث يقول: "يميز الدارسون بين ضربين للدلالة: الأول منها هو ذاك المعجمي الذي يقدمه لنا مصنفو المعاجم، والآخر هو المعنى أو الدلالات السياقية"[4].

ولاحظ الدكتور فايز الداية المصطلحات الجمة التي تختلف من مدرسة لأخرى ومن اتجاه لآخر، ففي مقابل الدلالة المعجمية وجد ألفاظا مثل: ألفاظ المعاجم، العناصر المعجمية، المعنى المركزي، المعنى الأساسي، المعنى القاعدي، اللغة المنطقية، وفي مقابل الدلالة السياقية وجد مصطلحات مثل: السياق، الدلالة الهامشية، خارج المركز، ظلال المعنى وألوانه، القيم الانفعالية السلوكية، الظلال والألوان العاطفية والجمالية للمعنى، شعور فردي وعاطفة شخصية.[5]

فكل هذه المصطلحات تعود في الحقيقة إلى عنصرين اثنين هما: المعجم والسياق.[6]

أما علماء الدلالة في العصر الحديث ففصلوا في الموضوع، وتناولوا أنواعا أخرى من الدلالة تفيد الدراسة الدلالية، وتعطي التحليلات العلمية لهذا الفرع من الدراسات اللغوية، وأهم هذه الأنواع ما يلي:

---

[1] - الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1418هـ/ 1998م، ج1، ص 76.
[2] - الغزالي أبو حامد: معيار العلم في علم المنطق (منطق تهافت الفلاسفة)، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، مصر ط2، 1969، ج1، ص72.
[3] - عادل فاخوري: علم الدلالة عند العرب، مقارنة مع السيمياء الحديثة، دار الطبيعة، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص 33.
[4] - الداية فايز: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، دراسة تاريخية تأصيلية نقدية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1988م، ص 216.
[5] - المرجع نفسه، ص 216.
[6] - لوشن نور الهدى: علم الدلالة دراسة وتطبيق، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، دط، دت، ص 39.

1- الدلالة الصوتية: المقصود بالدلالة الصوتية تلك الدلالة المستمدة من طبيعة بعض الأصوات فإذا حدث إبدال أو إحلال صوت منها في كلمة بصوت آخر في كلمة أخرى أدى ذلك إلى اختلاف دلالة كل منهما عن الأخرى، ويعرف هذا الإحلال الصوتي في علم اللغة الحديث بالتوزيع التقابلي distribution contractive حيث يحل فونيم محل آخر في كلمة ما فتنشأ كلمة ذات معنى مختلف[1].

وكذلك إذا أضيف إلى الكلمة صوت أو حذف منها صوت فإن ذلك يؤدي إلى تغيير في معناها تبعا لهذا التغيير الصوتي وهذه الدلالة تستمد أيضا من نواحي صوتية أخرى كالنبر والتنغيم[2].

وفي علم اللغة الحديث أصبح علم الأصوات علما قائما بذاته يندرج تحته فرعان أساسيان يتصلان ببعضهما اتصالا وثيقا وهما:

أ- الفونيتيك: (la phonétique) أو ما يسمى بعلم الأصوات العام وهو الذي يدرس الأصوات دون النظر إلى قيمتها ومعناها في اللغة، أي يعنى بالمادة الصوتية لا بالقوانين الصوتية ولا بوظائفها في التركيب الصوتي للغة من اللغات[3]، أو بتعريف آخر هو علم يدرس الأصوات البشرية بمعزل عن الوظائف اللغوية التي تؤديها هذه الأصوات.[4]

ب- الفونولوجيا: (la phonologie) : أي علم الأصوات أو علم التشكيل الصوتي، وهو علم يبحث في الأصوات من حيث وظائفها في اللغة وطريقة تناسقها في أنماط خاصة لكل لغة، أي دراسة الوحدات الصوتية داخل السياق الصوتي للكلمة فهو علم الفونيمات المكونة للمعنى اللغوي[5].

ومن قدامى العلماء العرب الذين تحدثوا في هذه المسألة ابن جني (ت 392هـ) في كتابه "الخصائص" في باب "إمساس الألفاظ أشباه المعاني" حيث أشار إلى كثرة هذا النوع من دلالة الأصوات على المعاني في لغة العرب ومن الأمثلة التي ساقها: الخضم والقضم، يقول: "الخضم لأكل الرطب، كالبطيخ والقثاء، وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقضم للصلب اليابس نحو الدابة شعيرها ونحو ذلك"[6].

ويرجع ابن جني سر اختلاف الدلالة بين صوتي الخاء والقاف إلى أن رخاوة الخاء يتناسب مع الشيء الرطب الذي يسهل أكله لأن الخاء صوت احتكاكي، وأن القاف صلب فهو انفجاري يتناسب مع أكل اليابس الذي يصعب قطعه حيث قال: "فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والكاف لصلابتها لليابس حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث"[7].

---

1 - الخولي محمد علي: معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، د ط، 1982م، ص 58.

2 - حيدر فريد عوض: علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1426هـ/ 2005م، ص 30.

3 - بشر كمال: علم اللغة العام، الأصوات دار المعارف، مصر، ط9، 1986م، ص 12.

4 - حركات مصطفى: الصوتيات والفونولوجيا، المكتبة العصرية. صيدا، بيروت، ط1، 1418هـ/ 1998م، ص 14.

5 - ينظر: السعران محمود: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص 194، وأحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ص 65.

6 -ابن جني أبو الفتح عثمان: الخصائص، ج2، ص159.

7 - المصدر نفسه، ص160.

و من الأمثلة التي ساقها: النضح والنضخ واللفظ الثاني يدل على حركة قوية للماء من اللفظ الأول،[1] وكذا قرت وقرد وقرط[2].

ومن الظواهر الصوتية التي تحكم دلالة كثير من الكلمات والعبارات نذكر ما يلي:

1- **النبر: (l'accent):** هو وسيلة صوتية نبرز بواسطته عنصرا من السلسلة الصوتية قد يكون مقطعا أو لفظا أو جملة، والنبر يكون بواسطة الشدة في النطق وارتفاع النغمة أو المد[3]، وفي تعريف آخر هو علو في بعض مقاطع الكلمة بالقياس إلى المقاطع الأخرى، يكون مصحوبا أحيانا بارتفاع في درجة الصوت، وينتج هذا من زيادة اندفاع الهواء الخارج من الرئتين حين يشتد تقلص عضلات القفص الصدري[4]، أو هو الضغط على مقطع خاص من كل كلمة ليجعله بارزا أوضح في السمع من غيره من مقاطع الكلمة.[5]

ومن أمثلة النبر في اللغة العربية عبارة: (هل يستطيع الإنسان أن يعيش فوق سطح القمر عاما كاملا؟) فإذا كان النبر على (سطح القمر) مثلا دل ذلك على أن العيش فوق سطح القمر هو موضوع الغرابة لدى المتكلم، وإذا كان النبر على (عاما) دل ذلك على أن المتكلم يعتقد أن الإنسان يمكن أن يعيش على سطح القمر ساعات أو أياما لكن أن يعيش عاما كاملا فهذا شيء غريب ومستبعد[6].

2- **التنغيم: (l'intonation):** هو موسيقى الكلام، فالكلام عند إلقائه تكسوه ألوان موسيقية لا تختلف عن الموسيقى إلا في درجة التواؤم والتوافق بين النغمات الداخلية التي تصنع كلاما متناغم الوحدات والجنبات، وتظهر موسيقى الكلام في صورة ارتفاعات وانخفاضات أو تنويعات صوتية، أو ما نسميها نغمات الكلام[7]، وهو أيضا: "تغيرات تنتاب صوت المتكلم من صعود إلى هبوط ومن هبوط إلى صعود لبيان مشاعر الفرح والغضب والنفي والإثبات والتهكم والاستهزاء[8]، ولهذه الظاهرة الصوتية دور كبير في تحقيق الفهم بين المرسل Destinateur والمتلقي Destinataire، ويساهم مساهمة أساسية في استمرارية التواصل والاتصال ونقل المعنى.

ويرجح بالمر Palmer اللغة المنطوقة على اللغة المكتوبة من حيث جودة الاتصال بقوله: "وهناك تقصير واضح في اللغة المكتوبة في نقل التنغيم، فلو قلنا "هي جميلة جدا" بنغمة صاعدة هابطة في آخرها، فإننا نعني بذلك جملة خبرية، ولكن إذا قلنا بنغمة هابطة صاعدة فإن المعنى يختلف مع أن الصيغة واحدة وأن هذه المعاني لا يمكن تجسيدها في اللغة المكتوبة مع أن التنغيم يمثل جزءا أساسيا وربما من النحو أيضا"[9].

---

[1] - المصدر السابق، ص 160.

[2] - نفسه، ص 160 وما بعدها.

[3] - حركات مصطفى: الصوتيات في الفونولوجيا، ص 40.

[4] - العطية خليل إبراهيم: في البحث الصوتي عند العرب، الموسوعة الصغيرة، دار الحرية للطباعة، بغداد، دط، 1983م، ص 62.

[5] - المرجع نفسه، ص 62.

[6] - حيدر فريد عوض: علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، ص 35.

[7] - بشر محمد كمال: علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2000، ص 533، وينظر أيضا بشر محمد كمال:دراسات في علم اللغة، دار المعارف، مصر، ط9، 1987، ص 25 وما بعدها.

[8] - العطية خليل إبراهيم: في البحث الصوتي عند العرب، ص 62.

[9] - المصطفى عواطف كنوش: الدلالة السياقية عند اللغويين، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع، لندن، ط1، 2007م، ص 41.

وعن دلالة التنغيم يعطينا الدكتور محمد محمد يونس علي عدة شواهد من لغة العرب للتوضيح والاقناع بأن هذه الظاهرة تكشف عن المعنى المقصود حتى في اللغة العربية حيث يقول في المثال الأول الذي أورده:

1- "أنا لص"   2- "أنا / لص؟   3- أنا / لص!

نلاحظ من خلال المثال" أن الجملة الواحدة المكونة من مبتدأ وخبر قد تكون خبرية كما في (1)، أو استفهامية كما في (2)، أو تعجبية كما في (3) دون أن يكون هناك قرينة نحوية دالة على هذا الاختلاف، سوى ما يعرف عند المحدثين بالتنغيم Intonation، وهو لا يظهر في الكتابة، ولذا يشار إليه بعلامات الترقيم، وإذ حاولنا نطق الجمل الثلاث (1)و(2)و(3) فسنرى اختلاف الهيئة التي تنطق بها من حيث علو درجة جهر الصوت أو انخفاضها، وذلك أن نطق الجملة الأولى يأخذ طابعا تنغيميا مشعرا بأنها خبر، كما أن كلا من الجملتين الأخريين ينطق بطريقة خاصة يشعر فيها المخاطب أن المتكلم يستفهم في الأولى ويتعجب في الثانية"[1].

وذكر الدكتور محمد محمد يونس علي شاهدا آخر هو قول عمر بن أبي ربيعة:

ثم قالوا تحبها؟ قلت بهرا   عدد القطر والحصى والترب.

وعلق قائلا: "ورجح ابن جني أن يكون المراد (أتحبها) لأن البيت الذي قبله يدل عليه، وهو قوله: **أبرزها مثل المهاة تهادى   بين خمس كواكب أتراب**

ولو تأملنا قوله (تحبها) في ظل ما قبله وما بعده لأدركنا أنه يحكي استفهامهم متعجبا منه، ويبدو أن طريقة إلقائه هذا الاستفهام قد أغنته عن ذكر أداة الاستفهام وهي الهمزة، ولا يخفى أن النحاة يقدرون هذه الأداة ونحوها في مثل هذه المواضع رغبة منهم في إرجاع المعاني إلى عناصر لغوية ملموسة يمكن إدراكها كتابة وقراءة"[2].

وأشار الدكتور إلى نقطة مهمة عن أسلافنا العلماء القدامى أن ابن سينا أبان دور التنغيم على المستويين الإبلاغي والتأثيري، حيث له دور في التمييز بين المعاني إضافة إلى وظيفته في إبراز الحالة النفسية للمتكلم وأغراضه التأثيرية، وربما كان ابن جني يضيف الدكتور محمد محمد يونس علي من أوائل من استشعر أهمية التنغيم في أدائه دور القرينة النحوية[3]، شارحا البيت الذي سبق التنويه به من قبل(بيت عمر بن أبي ربيعة).

3- **المقطع الصوتي: (Syllabe):** هو عبارة عن تتابع الفونيمات في لغة ما، حيث تتكون البنية المقطعية التي تختلف من لغة إلى أخرى[4]، وهو الدفعة الهوائية التي تضم وحدة صوتية بسيطة لا يمكن تجزئتها إلى أقل منها لبساطتها[5]، فالمقطع هو أعلى درجة من الفونيم في مدرج

---

[1] - يونس علي محمد محمد: المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، ط2، 2007م، بيروت، لبنان، ص 346.
[2] - المرجع نفسه، ص 347.
[3] - نفسه، ص 346 وما بعدها.
[4] - الرديني محمد عبد الكريم: فصول في علم اللغة العام، ص 173.
[5] - نجا إبراهيم: التجويد والأصوات، مطبعة السعادة، القاهرة، مصر، 1972، ص 27.

التصنيف الصوتي، فهو مركب من فونيمات مرتبطة ببعضها في أية لغة من اللغات، فهو توزع وتجمع للفونيمات بين صوامت وصوائت، وللمقطع الصوتي أنواع "تنتج من النظر إلى موقع الصوت الصائت أو الصامت في نهايته، ومن النظر إلى طوله أو قصره.

فمن حيث نهاية المقطع يرى بعض الدارسين المحدثين للأصوات أنه يوصف بما يلي:[1]

أ- **مفتوح:** إذا كان المقطع منته بصائت طويل أو قصير نحو: (بَ) أو (بِي) CVV

ب- **مغلق:** إذا كان منته بصامت مثل: مِن، عَن (قُل) CVC

ج- **مضاعف الإغلاق:** إذا انتهى المقطع بصامتين اثنين نحو (عبْدْ، بحْرْ) CVCC

أما من حيث الطول والقصر فالمقطع ثلاثة أنواع هي:

أ- **قصير:** هو المركب من صامت وصائت قصير مثل (بَ) .CV

ب- **متوسط:** هو المركب من صامت وصائت طويل مثل (بِي) CVV أو من صامتين وصائت قصير مثل: مِن، عَن CVC

ج- **طويل:** هو ما تألف من صامتين أو أكثر من صائت طويل مثل: (باب) CVVC أو من ثلاث صوامت وصائت قصير مثل: (قبْرْ) CVCC

وتذكر الدراسات الحديثة أن المقاطع خمسة أنواع هي:

1- المقطع القصير المفتوح: وهو عبارة عن صامت يتلوه صائت قصير مثل (بَ) .CV
2- المقطع المتوسط المفتوح: وهو عبارة عن صامت متبوع بصائت طويل مثل (بَا) CVV
3- المقطع المتوسط المغلق: وهو عبارة عن صامت وصائت قصير وصامت مثل (عَن) CVC
4- المقطع الطويل المغلق: وهو مقطع مؤلف من صامت وصائت طويل وصامت مثل (سَاقْ) CVVC
5- المقطع الطويل المفتوح: وهو مقطع مركب من صامت وصائت طويل وصامت مثل (عبْدْ) CVCC.[2]

والأنواع الأكثر ورودا في اللغة العربية هي الثلاثة أنواع الأولى، وأما النوعان الآخران فهما من المقاطع القليلة النادرة في كلام العرب، وهذان لا يكونان إلا في أواخر الكلمات وحين الوقف[3]، كما أن الكلمة العربية مع لواحقها لا تزيد على سبعة مقاطع ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: "فسيكفيكهم"،[4] وكذلك "أنلزمكموها"[5]. [6].

2- الدلالة الصرفية: هي تلك الدلالة التي يظهرها ويوضحها ويبين عنها مبنى اللفظة أو صيغة الكلمة، أو كما يسميها بعض الدارسين "الوظائف الصرفية للكلمة" وهي المعاني المستفادة من

---

[1] - لمزيد من التفصيل في الموضوع يراجع: عبد التواب رمضان: مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، ط1، 1982م، ص103، وشاهين عبد الصبور: في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط4، 1984، ص 107، ونجا إبراهيم: التجويد والأصوات، ص 27.

[2] - نجا إبراهيم: التجويد والأصوات، ص 27.

[3] - أنيس إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص 166.

[4] - سورة البقرة، الآية 137.

[5] - سورة هود: الآية 28.

[6] - الرديني محمد علي عبد الكريم: فصول في علم اللغة العام، ص 180.

الأوزان والصيغ المجردة"[1] عن السياق، فالأسماء لها دلالة صرفية عامة على المسمى، ومعنى ذلك أن التسمية هي وظيفة الاسم الصرفية والأسماء تخلو من الدلالة على الزمن ويدخل ضمن الأسماء المصدر واسم المصدر واسم المرة واسم الهيئة، والدلالة الصرفية للصفات هي الدلالة على موصوف بالحدث، ودلالة أسماء الإشارة وضمائر التكلم والخطاب هي الدلالة على الحضور، وضمائر الغائب وأسماء الموصول دلالتها الصرفية على الغياب، وتدل الظروف دلالة صرفية على الظرفية الزمانية أو المكانية، ويدل الفعل بصفة عامة دلالة صرفية على الحدث والزمن، وعند تقسيمه إلى ماض ومضارع وأمر فإن الأفعال جميعها تشترك في الدلالة على الحدث غير أنها تختلف في الدلالة من حيث الزمان، فالماضي يدل على الانقطاع الزمني والمضارع يدل على الحال حقيقة وعلى الاستقبال مجازا والأمر يدل على الاستقبال[2].

الفعل مهما كان إذا زيد في مبناه تغير معناه، والزيادة هذه تتمثل في السوابق واللواحق والتضعيف والتوكيد، كـ(فعّل) مثلا صيغة تدل على التكثير غالبا، و(افعولل) صيغة تدل على المبالغة، و(استفعل) تدل غالبا على الطلب.

وفي كتاب "الخصائص" نوه ابن جني إلى أهمية المستوى الصرفي وأثره في الدلالة، فتحدث عن صيغة (مَفعِل) و(مِفعَل) إذ أن الميم المفتوحة تدل على الحدث (المصدر) كما تدل على الثبات أيضا، أما الميم المكسورة فلها دلالة أخرى وهي اسم الآلة غير الثابت، حيث قال: "قولهم للسلم مِرقاة والدرجة مَرقاة، فنفس اللفظ يدل على الحدث الذي هو الرقي"، وكسر الميم ينقل ويعتمل عليه به كالمِطرقة والمِئزر والمِنجل، وفتحة الميم (مَرقاة) تدل على أنه مستقر في موضعه كالمنارة والمثابة"[3].

وقد تحتمل الصيغة الصرفية نفسها معنيين متضادين كصيغة الفعل "قسط" بمعنى جار وظلم، وتعديته "أقسط" بمعنى"عدل وحكم بالحق"[4]، فالفعل الثلاثي المزيد بحرف يأتي بثلاثة أوزان، أفعل، فعّل، وفاعل، ولكل زيادة دلالة جديدة علاوة على دلالة الفعل على الحدث والزمن[5].

من هنا فإن للصيغ الصرفية للكلمات دورا هاما في بناء الدلالة وتوجيهها وتغييرها، سواء كانت هذه الكلمات أسماء أو أفعالا أو ضمائر أو غيرها.

3- **<u>الدلالة النحوية:</u>** هي الدلالة التي تكتسبها الجملة أو الجمل عن طريق القواعد النحوية القاضية بترتيب الألفاظ وفق ترتيب المعنى المراد[6].

فإذا كانت الأصوات والكلمات تنتجان دلالات معينة بمعزل عن التركيب فإن الدلالة تبدو كثيفة في التركيب لكن وفق علاقات مرتبطة بما قبله وما بعده، فارتباط العناصر اللغوية بعضها ببعض تتحد الدلالات: الصوتية والصرفية والنحوية، حيث إن الفونيمات تتحول إلى مقاطع، والمقاطع إلى مورفيمات والمورفيمات إلى جمل وتراكيب.

---

[1] - خليل حلمي: الكلمة، دراسة لغوية ومعجمية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، مصر، 1980م، ص 29.
[2] - حيدر فريد عوض: علم الدلالة، دراسة نظرية وتطبيقية، ص 35 وما بعدها.
[3] - ابن جني أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1952م، ج3، ص 102.
[4] - الكراعين أحمد نعيم: علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1413هـ/1993م، ص126.
[5] - لمزيد من التفصيل في دلالة الأفعال الماضية المزيدة والأسماء يراجع: حيدر فريد عوض: علم الدلالة، دراسة نظرية وتطبيقية، ص ص36 – 43.
[6] - الرديني محمد علي عبد الكريم، فصول في علم اللغة العام، ص 221.

وقد أشار ابن جني إلى أهمية الدلالة النحوية إذ يقول: "يقول النحويون إن الفاعل رفع والمفعول به نصب، وقد ترى الأمر في ضد ذلك، ألا ترانا نقول: "ضُرِبَ زيدٌ" فنرفعه وإن كان مفعولا به، ونقول: "إن زيدا قام" فننصبه وإن كان فاعلا"[1].

إن المتكلم حين يتكلم يقوم بنظم كلامه بطريقة خاصة وعلى منوال معين ترتبط فيه الكلمات بعلاقات نحوية معينة كي يتسنى له التعبير عن غرضه، ويمكن سامعه من فهمه اعتمادا على القرائن التي تعينه على الإفصاح عن مقصوده، والقرائن جمع قرينة وهي "أمر يشير إلى المطلوب"[2]، وهي إما أن تكون لفظية كالترتيب مثل (سأل موسى عيسى) حيث دلت القرينة على أن موسى فاعل، وعيسى مفعول به، وإما أن تكون معنوية نحو(أرضعت الصغرى الكبرى) فالكبرى فاعل، والصغرى مفعول به مع أنها متقدمة في الترتيب، لأنه يستحيل أن ترضع الصغرى الكبرى.

والقرائن النحوية جعلها تمام حسان قسمين اثنين هما: القرائن اللفظية والمعنوية.

أ- **القرائن اللفظية:** وتشمل قرينة الإعراب وقرينة الترتيب، وقرينة الأداء، وقرينة المطابقة. (ويعني التوافق الحاصل بين كلمة وأخرى في التعريف والتنكير،وفي العدد(الإفراد والتثنية والجمع) والنوع (التذكير والتأنيث)، وقرينة الربط وقرينة صنف الكلمة (نوع الكلمة) وقرينة الصيغة، وقرينة الاستدعاء الوظيفي، وقرينة النماذج المتحجرة، وقرينة الوقف، وقرينة التنغيم[3].

ب- **القرائن المعنوية:** وتشمل:

1- **الإسناد**: هو علاقة المبتدأ بالخبر والفعل بالفاعل والفعل بنائب الفاعل، والوصف بالفاعل أو نائب الفاعل.

2- **التخصيص:** وهي علاقة سياقية كبرى تتفرع عنها قرائن معنوية أخص منها كالتعددية والغائية والمعية والظرفية والتحديد والتوكيد والملابسة والتفسير والإخراج والمخالفة.

3- **النسبة:** وهي قرينة معنوية كبرى كالتخصيص وتتفرع عنها قرائن فرعية منها حروف الجر ومعنى الإضافة.

4- **التبعية:** ويندرج تحتها أربع قرائن وهي: النعت والعطف والتوكيد والإبدال[4].

فالدلالة النحوية يشترط فيها علماء النحو ترتيب الكلام بحسب ما رسموه من قواعد، فلا يخل المتكلم بشيء منها حتى لا يؤدي إلى الغموض أو فساد التراكيب كذاك التعقيد والترتيب الذي أفسد معنى بيت الفرزدق في العصر الأموي حيث يقول فيه:

وما مثله في الناس إلا مملكا   أبو أمه حي أبوه يقاربه[5].

---

[1] - ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد على النجار، ج1، ص 185.

[2] - الجرجاني الشريف علي بن محمد: التعريفات، المطبعة الخيرية، مصر، ط1، 1306هـ، ص75.

[3] - للتفصيل في الموضوع ينظر حسان تمام: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994، ص205، ويونس علي محمد محمد: المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، ص ص 322-347.

[4] - للتفصيل أكثر في المبحث يراجع: حسان تمام اللغة العربية، معناها ومبناها،ص ص192-202، ويونس علي محمد محمد: المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، ص 319 وما بعدها.

[5] - سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408هـ/ 1988م، ص 32 (هامش رقم 3)، وابن جني أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر، 1999، ج1، ص147 وما بعدها، وذكر في ص 330 وما بعدها.

والقوانين النحوية تقضي أن يكون الترتيب: (وما مثله حي يقاربه في الناس إلا مملكا أبو أمه أبوه)، فأتعب أهل اللغة والنحو بمخالفة قوانين النحو.

ولأجل هذا كله قسم سيبويه الكلام إلى أقسام وفق نظم الكلمات في التركيب فيقول: "فمنه (الكلام) مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب...فأما المستقيم الحسن، أتيتك أمس وسآتيك غدا، وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره فتقول: أتيتك غدا وسآتيك أمس، وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل، وشربت ماء البحر ونحوه، وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه نحو ذلك زيدا رأيت، وكي زيدا يأتيك وأشباه هذا، وأما المحال الكذب فأن تقول سوف أشرب ماء البحر أمس"[1]

فسيبويه يشير إلى نظام الجملة وترتيبها لأن الجملة التي تنتظم نحويا تنتظم دلاليا وتحقق الهدف المنشود وهو الاتصال والتواصل والإدراك والفهم بين المتكلم والمخاطب، وهذا الذي أشار إليه الجرجاني بعد سيبويه وسماه بالنظم فقال: "ومعلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب بعض، والكلم ثلاث: اسم وفعل وحرف، وللتعليق فيما بينها طرق معلومة وهو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعليق اسم باسم وتعليق اسم بفعل وتعليق حرف بهما"[2].

والدلالة النحوية قسمان عند الدارسين:[3]

1- دلالة نحوية عامة: وهي دلالات مستفادة من الجمل والأساليب بشكل عام مثل دلالات الجمل والأساليب على الخبر والإنشاء والنفي والإثبات والتأكيد والطلب والاستفهام والأمر والنهي والعرض والتحضيض والتمني والترجي والنداء والشرط.

2- دلالة نحوية خاصة: وهي دلالات الأبواب النحوية كالفاعل والمفعول والحال لأن كل كلمة مفردة تقع في باب من هذه الأبواب تقوم بوظيفة الباب نفسه، وعن طريق هذه الدلالات المحددة لهذه الأبواب يمكن التمييز بين كلمات اللغة، لأن منها ما يصلح أن يقوم بوظيفة الفاعلية وبعضها لا يصلح أن يقوم بهذه الوظيفة، فالأسماء والصفات والضمائر هي التي تقع فاعلا في الكلام، أما الظروف والأدوات فلا تصلح أن تقوم بوظيفة الفاعل وهكذا.

4- <u>الدلالة المعجمية:</u> الدلالة المعجمية هي ما تعنيه الكلمات والألفاظ في متون المعاجم، فهي "المعنى الذي تدل عليه الكلمة المفردة كما في المعاجم"[4]، والدلالة هذه هي أداة للوصول إلى معرفة الكلمات المرتبة في نظام معين (صرفي ونحوي)، و تتسم بعدم التناهي حيث يمكن إضفاء وحدات معجمية جديدة إلى ما هو موجود في اللغة، وقبولها التوسيع أي أنه بالإمكان إضفاء معان جديدة على المعنى الأصلي للوحدة المعجمية على نحو عريض ومستمر[5]، وهذه المعاني الإضافية لا تتولد إلا بعد دخول هذه الوحدات المعجمية في التوظيف، كأن يتناولها فنان مبدع فيضفي عليها

[1] - سيبويه: الكتاب، ج1، ص 25 وما بعدها.

[2] - الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2004م، 04.

[3] - حيدر فريد عوض: علم الدلالة، دراسة نظرية وتطبيقية، ص 43-47، وينظر: بوجادي خليفة: محاضرات في علم الدلالة مع نصوص تطبيقية، ص 94 وما بعدها.

[4]- Jhon lyons: Sémantique Linguistique; édition Larousse, Paris, 1980, p 143.

[5] - يونس علي محمد محمد: المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، ص 230.

من أسلوبه ما يجعلها ذات ظلال ومعان جديدة أو أن تدخل حقلا من الحقول العلمية أو التقنية فيصبح لها معنى آخر أيضا.[1]

ومن هنا فدلالة الألفاظ غير ثابتة بل هي متغيرة دائما كما يقول نيدا NIDA: "إن معاني الألفاظ لا يمكن أن تظل ثابتة بل إنها على الدوام تنتقل في هذا الاتجاه أو ذاك تحت ضغط عامل لغوي وثقافي آخر"، وهذا ما دعا الدكتور إبراهيم أنيس أن يطلق عليها (الدلالة المعجمية) الدلالة الاجتماعية، ولم يجعل أي فرق بسيط فاصل بينهما.[2]

فالحديث عن الدلالة المعجمية كان مجال خلاف بين العلماء قديما ولا يزال إلى الآن، فهي في جوهرها تلقي بشيء من الضبابية والغموض في مباحث ومصنفات الأصوليين والمناطقة والبلاغيين، فتوسعوا في الحديث عنها، وتحدثوا عن المعنى الحقيقي والمعنى الوضعي، والحقيقة الوضعية والحقيقة الشرعية، وأما المحدثون فتحدثوا عن الدلالة المركزية و الدلالة الهامشية، أو الدلالة العامة المشتركة والدلالة الفردية الخاصة.[3]

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن أسبابا عدة تؤدي بالدلالة المعجمية إلى التغير وعدم الثبات منها: الأسباب الصوتية، والأسباب اللهجية، والامتزاج الحضاري وأسباب صرفية واجتماعية ونفسية تطرق إليها العلماء بالتفصيل في كتب البلاغة وفقه اللغة والنحو والصرف والدلالة في حديثهم عن موضوعات التغير الدلالي ومباحثه مثل المشترك والتضاد والترادف وغير ذلك، وهذا ما سنفصل فيه عند الحديث عن المستوى المعجمي.

<u>ثانيا- المستوى المعجمي:</u> هناك من يدرج هذا المبحث ضمن المستوى السابق وهو المستوى الدلالي لما للعلاقة الوظيفية بين الدلالة والمعجم، ولكننا في بحثنا هذا أردنا له مبحثا مستقلا لأهميته في تحليل النصوص الشنقيطية، واستكشاف حصيلة المفردات التي وظفها محمد الأمين الشنقيطي في مؤلفاته وكتبه، وما يوافق هذه المفردات من معان وما يناقضها والتي راح الشنقيطي يفسرها ويشرحها ويبين أصلها واشتقاقاتها واستعمالاتها، بل وأحيانا يوضح أصلها ويبين طريقة نطقها ويذكر ما يناظرها ويقابل معناها ويوافقه، والدراسة الحديثة تخصص القول في كل فرع من فروع اللغة وبحثها، فجورج مونان ينبه إلى أنه"من الضروري عدم الخلط بين علم الدلالة Sémantique والدراسة المعجمية (lexicographie) هذه التي لا تهتم إلا بوصف فحوى الكلمات كما نراها في الحالة التقليدية حين تسجيلها في المعجم"[4]، وقبل التطرق إلى تطور المعجم العربي ومدارسه وأنواعه ارتأينا أن نورد أهم تعريفات الجذر (عجم) التي جاءت في ثنايا المعاجم وكذا في بطون كتب النقاد والدارسين والمختصين في هذا المجال.

<u>أ- تعريف المعجم:</u> **لغة:** جاء في معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) في باب العين والجيم والميم معهما: "المعجم ضد العرب، ورجل أعجمي: ليس بعربي، وقوم عجم وعرب،

---

[1] - لوشن نور الهدى: علم الدلالة (دراسة وتطبيق)، ص 84.

[2] - الكراعين أحمد نعيم: علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، ص 104.

[3] - حيدر فريد عوض: علم الدلالة، دراسة نظرية وتطبيقية، ص 49 وما بعدها، وينظر أنيس إبراهيم: دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلومصرية، 1976، مصر، ص 106 وما بعدها، وينظر أيضا خليل حلمي: الكلمة، دراسة لغوية ومعجمية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، مصر، 1980، ص 141.

[4] - الداية فايز: علم الدلالة العربي، النظرية والتطبيق، دراسة تاريخية- تأصيلية، نقدية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988، ص 204 وما بعدها.

والأعجم الذي لا يفصح، وامرأة عجماء: بينة العجمة، والعجماء: كل دابة أو بهيمة،...والعجماء كل صلاة لا يقرأ فيها، والأعجم: كل كلام ليس بلغة عربية إذا لم ترد بها النسبة"[1]

وجاء في معجم "لسان العرب" لابن منظور في مادة (عجم) قوله: "العجْم والعجم خلاف العرب والعرب...ويقال عجمي وجمعه عجمٌ، وخلافه عربي وجمعه عرب، ورجل أعجم وقوم أعجم...والعجم جمع وكذلك العرب جمع العربي، ...فأما العجمي فالذي من جنس العجم أفصح أم لم يفصح،...ولا يقال عجمته....وإذا قلت كتاب معجم فإن تعجيمه تنقيطه لكي تستبين عجمته وتتضح...حروف المعجم حروف أ ب ت ث سميت بذلك من التعجيم وهو إزالة العجمة بالنقط..."[2]

من خلال هذه التعريفات يتضح أن مادة (ع ج م) إنما تدل على الإبهام الذي يناقض الإفصاح والإيضاح، لكن التعريف الأخير لابن منظور يوضح معنى مناقضا للإبهام وهو قوله: "أعجمت الكتاب أوضحته وبينته"، فما سر هذا التناقض المستعمل الذي تدور حوله مادة "ع ج م"؟.

يجيب ابن جني (ت 392هـ) قائلا: "إن قولهم أعجمت على وزن أفعلتُ، والهمزة فيه وإن كانت في غالب أمرها إنما تأتي للإثبات والإيجاب، نحو أكرمت زيدا أي أوجبت له الكرامة، وأحسنت إليه أي أثبت له الإحسان، فقد تأتي الهمزة أيضا يراد بها السلب والنفي مثل أشكيت زيدا أي أزلت له عما يشكوه....وعلى ذلك يكون قولنا أعجمت الكتاب معناه: أزلت منه استعجامه"[3].

ويوافق هذا القول قولا آخر لابن منظور يقول فيه: "كتاب معجم فإن تعجيمه تنقيطه لكي تستبين عجمته وتمنح .... ومعجم الخط هو الذي أعجمه كاتبه بالنقط ..فإن تعجيمه تنقيطه لكي تستبين عُجمَته"[4] فالإعجام يأتي بمعنى النقط أي نقط حروف الكتاب، ولذلك سميت الحروف الهجائية بحروف المعجم.

وفي هذا الموضوع يجيب ابن جني عن إشكالية فحواها أنه إذا كان الإعجام يطلق على الحروف المنطوقة ووضع النقط على أشكالها مع أن بعضها غير منقوط، فما سبب هذا الإطلاق؟.

يقول ابن جني: "إنما سميت بذلك (حروف المعجم) لأن الشكل الواحد إذا اختلفت أصواته فأعجمت بعضها وتركت بعضها، فقد علم أن هذا المتروك بغير إعجام هو غير ذلك الذي من عادته أن يعجم، فقد ارتفع - إذن بما فعلوه- الإشكال والاستبهام عنهما جميعا، ولا فرق بين أن يزول الاستبهام عن الحرف بإعجام عليه أو بما يقوم مقام الإعجام في الإيضاح والبيان، ألا ترى أنك إذا أعجمت الجيم بواحدة من أسفل والخاء بواحدة من فوق، وتركت الحاء غفلا فقد علم بإغفالها أنها ليست واحدة من الحرفين الآخرين، أعني الجيم والخاء، وكذلك الدال والذال والصاد والضاد وسائر الحروف نحوها، فلما استمر البيان في جميعها جازت تسميته بحروف المعجم"[5].

يتضح من خلال ما سبق أن مادة (عجم) وردت في المعاجم العربية بمعنى الخفاء والالتباس والإبهام، ولكن إذا أضيفت لها همزة السلب عنت معنى آخر هو إزالة الخفاء والالتباس والإبهام،

---

[1] - الفراهيدي الخليل بن أحمد: العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس.، ج1، ص 237.

[2] - ابن منظور: لسان العرب، ص 385، ج12، مادة (عجم).

[3] - ابن جني: سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، ج1، ص 38 وما بعدها.

[4] - ابن منظور: لسان العرب، ص 385، ج12، مادة (عجم).

[5] - ابن جني: سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، ج1، دط، دت، ص 39 وما بعدها.

فنقول: "المعجم هو إزالة العجمة منه أي الإبهام والالتباس من الحروف والألفاظ بتنقيطها وتحريكها أو بضبطها وتمييز المتشابه منها.

ب- تعريفه اصطلاحا: يعرف علي القاسمي المعجم فيقول: "كتاب يحتوي على كلمات منتقاة ترتب ترتيبا هجائيا، مع شرح لمعانيها ومعلومات أخرى ذات علاقة بها سواء أأعطيت تلك الشروح المعلومات باللغة ذاتها أم لغة أخرى"[1].

وفي تعريف آخر للمعجم: "هو الكتاب الذي يضم مفردات اللغة أو يضم طائفة منها مرتبة ترتيبا خاصا، كل مفردة منها مصحوبة بما يرادفها أو يفسرها، ويشرح معناها ويبين أصلها أو اشتقاقاتها أو استعمالاتها وقد يوضح أصلها ويبين طريقة نطقها ويذكر ما يناظرها ويقابل معناها في لغة أخرى"[2].

فالمعجم في عرف المختصين هو كتاب يضم مفردات اللغة ومشتقاتها وكيفية نطقها مرتبة ترتيبا معينا مع شرحها وذكر معانيها سواء بلغتها أو بلغة غيرها.

ج- بين المعجم والقاموس والموسوعة: إن المتأمل في تراثنا العربي يجد أن هناك مصطلحين اثنين إلى جانب مصطلح المعجم هما "القاموس" و"الموسوعة" فبالرغم من أن هذه المصطلحات تكاد تكون مترادفة ذات معنى واحد إلا أن هناك فروقات طفيفة بينها سنحاول تبيانها في هذا المبحث، فبعدما عرفنا بالمعجم لغة واصطلاحا نبين فيما يلي معاني كل من القاموس والموسوعة.

أما القاموس فيعرفه ابن منظور بقوله: "القاموس والقومس قعر البحر، وقيل وسطه ومعظمه، وفي حديث ابن عباس وقد سئل عن المد والجزر قال: "مَلَكٌ موكّلٌ بقاموس البحر، كلما وضع رجله فيه فاض وإذا رفعها غاض أي زاد ونقص وهو فاعول من القمس، وفي الحديث أيضا قال قولا بلغ به قاموس البحر أي قعره وقيل وسطه ومعظمه، قال أبو عبيدة: القاموس أبعد موضع غورا في البحر.... "[3]

هذا هو المعنى اللغوي للفظة (قاموس) التي تطورت فيما بعد وأضحت مرادفة للفظة (معجم)، لأن أول من سمى كتابه بالقاموس هو العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت817هـ) باسم (القاموس المحيط)، وهو بهذه التسمية أراد أن يصف معجمه بالغزارة لما اشتمل عليه من مادة علمية اعتبرها رصينة بقوله: "وضمنته (الكتاب) خلاصة ما في العباب والمحكم، وأضفت إليه زيادات منَّ الله تعالى بها وأنعم، ورزقنيها عند غوصي عليها من بطون الكتب الفاخرة الدأماء الغطمطم، وأسميته القاموس المحيط لأنه البحر الأعظم"[4].

فالفيروزآبادي استعمل لفظة (القاموس) كعنوان لكتابه ليدل على سعته وغزارة مادته، ثم شاعت هذه اللفظة لشيوع هذا المؤلف وانتشاره حتى غدت فيما بعد مرتبطة ارتباطا قويا بمدلول "المعجم" بل ومتداولة بهذا المدلول، وانتقلت من معناها الخاص (القاموس المحيط) إلى معنى عام هو أي

---

[1] - علي القاسمي: علم اللغة وصناعة المعجم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط3، 2004، ص 03.

[2] - لمزيد من التفصيل: ينظر حسين نصار: المعجم العربي، نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، القاهرة، مصر، دت، ص 09- 13، وكذلك رياض قاسم: المعجم العربي، بحوث في المادة والمنهج والتطبيق، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1987، ص ص 11-19.

[3] - ابن منظور: لسان العرب، ج06، ص 182، ، مادة (قمس).

[4] - الفيروزآبادي(محمد بن يعقوب): القاموس المحيط، دار الجبل، بيروت، لبنان، دت، ج1، ص 03، (مقدمة المؤلف).

معجم آخر[1]، وتطور استعمالها واتسع حتى أصبح في عصرنا يطلق على المعاجم باختلاف أنواعها وأحجامها وأشكالها بل حتى على المعجم الصغير ومعجم الجيب المختصر والمعجم الآلي أو الإلكتروني أو المعجم المقرصن (الموضوع في أقراص)، وهذا من باب التجوز والتوسع.

وما يمكن قوله: إن (قاموس) الفيروزآبادي حقق شهرة وشيوعا وصار مرجعا لمن جاء بعده، وبمرور الوقت تردد اسم هذا المؤلف على ألسنة الباحثين فظن أنه مرادف لكلمة (معجم)، فاستعمل بهذا المعنى وشاع هذا الاستعمال، وصار يطلق على أي معجم رغم الخلاف بين العلماء حول استخدام كل من اللفظين، فمنهم من رفض وهاجم استخدام لفظ (معجم)، ومنهم من قبله ودافع عنه حتى أقره مجمع اللغة العربية وذكره ضمن معاني كلمة (قاموس) في معجمه الموسوم بـ (المعجم الوسيط)، واعتبر إطلاق مصطلح القاموس على أي معجم من قبيل المجاز أو التوسع في الاستخدام[2]، إلى الحد الذي سمى به المعجميون معاجمهم في العصر الراهن كعبد السلام المسدي على سبيل المثال له كتاب سماه "قاموس اللسانيات"، وهو عبارة عن مصطلحات مرتبة ترتيبا ألفبائيا باللغة العربية وبغير اللغة العربية.

وهنا فكرة يجب أن نشير إليها وهي أن علماء الغرب المختصين في هذا الميدان فرقوا بين مفهومين أساسيين: أما الأول فيعني المجموع المفترض واللامحدود من الألفاظ التي تملكها جماعة لغوية معينة بكامل أفرادها، وهو ما اصطلح عليه اسم Lexicon بالإنجليزية، و Lexique بالفرنسية، وأما المفهوم الثاني هو مجموعة من الألفاظ المختارة المرتبة في كتاب ترتيبا معينا مع لغوية أو موسوعية عنها، وهو ما اصطلح عليه بالإنجليزية Dictionary، وعندما واجه اللغويون العرب المعاصرون هذا الفرق بين المفهومين، ارتأى بعضهم الاستفادة من اللفظين المترادفين (معجم) و(قاموس)، فخصص المفهوم الأول لكلمة (معجم)، وترك كلمة (قاموس) للمفهوم الثاني[3].

ومن اللسانيين العرب الذين يستعملون **(معجم) و(قاموس)** بمعنيين مختلفين: "الدكتور عبد العلي الودغيري الذي يستخدم كلمة "معجم" للدلالة على المجموع المفترض أي الموجود بالقوة لا بالفعل، واللامحدود من الوحدات المعجمية التي تمتلكها جماعة لغوية معينة بكامل أفرادها أو يمكن أن تمتلكها احتمالا بفعل القدرة التوليدية الهائلة للغة، وهكذا فمعجم" مقابل Lexique، ويستعمل كلمة "قاموس" للتعبير عن كل كتاب يجمع بين دفتيه قائمة تطول أو تقصر من الوحدات المعجمية (المداخل) التي تحقق وجودها بالفعل في لسان من الألسنة ويخضعها لترتيب وشرح معين"[4].

ويوافقه الرأي عبد القادر الفاسي الفهري حيث يقول: "إن معرفة مجموع مفردات اللغة أو معجمها تقتضي الإحاطة بعدد هائل من المعلومات عن هذه المفردات، ومن ضمنها خصائصها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية والبلاغية ....وقد قامت في الحضارات المختلفة صناعة

[1] - المعتوق محمد الأحمد: المعاجم اللغوية العربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2008م / 1428هـ، ص 17.
[2] - عمر أحمد مختار: البحث اللغوي عند العرب، ص 174.
[3] - القاسمي علي: المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 12.
[4] - بوشيبة عبد القادر: المعجم وقضاياه، مجلة القلم، جامعة وهران، العدد 21، 2011، ص 55 وما بعدها.

قاموسية تتوخى وصف هذه المعرفة في جوانب ومستويات محددة بحسب الأهداف التي يوضع لها المؤلف القاموسي"[1].

ويتضح من هذا القول أن العرب استخدموا لفظ قاموس قبل معجم، وبمرور الزمن صارت اللفظتان مترادفتان عند أغلب اللغويين العرب المحدثين، وأنه لا فرق بين المصطلحين بحيث إذا ذكر مصطلح منهما انصرف الذهن على مدلول الأخرى بلا تردد أو لبس.

وهناك مصطلح ثالث يلتقي مع لفظتي المعجم والقاموس، وهو مصطلح الموسوعة أو ما يصطلح عليه بالفرنسية (L'Encyclopédie) وبالإنجليزية (L'Encyclopédia)، والقاسم المشترك بين المعجم والموسوعة هو الضخامة والسعة في المحتوى والوظيفة المرجعية وفي ترتيب المداخل أو المواد فيها على نحو معين يغلب فيه التسلسل الهجائي أو الأبجدي للغة، ولكنه يختلف عنها بطابعه القومي، وباهتمامه بالجوانب اللغوية للمواد التي يشتمل عليها أكثر من سواها وبحجم الشرح الذي يورده لها أو سعته[2].

فإذا كان المعجم هو ذلك الكتاب المرجعي الذي يضم كلمات اللغة ويثبت هجاءها ونطقها وبناءها، ودلالتها وأصولها واستخدامها ومرادفاتها واشتقاقاتها وما يقابلها في الألسن الأجنبية وفق الترتيب الأبجدي أو الموضوعاتي مدعومة بشواهد لاستعمالاتها فإن الموسوعة "تهتم بالمعارف الإنسانية والمفردات الحضارية عامة، وتعنى بذكر ما يرتبط بالألفاظ أو المداخل المدرجة فيها من علوم أو فنون أو مشاهد ومعالم وأحداث وأشياء وأشخاص ومعلومات متعلقة بفنون المعرفة عامة، تصفها أو تشرحها وتعالج الحقائق المرتبطة بها بنوع من التفصيل والشمول بحيث تتحول هذه المداخل إلى موضوعات مختلفة ومتنوعة أو إلى ما يشبه المقالات التي تقصر أو تطول بحسب حجم الموسوعة ومجالها وبمقدار ما يرتبط بالمادة المشروحة من معارف أو حقائق"[3].

ويرجع اشتقاق لفظة "الموسوعة" في لغة العرب إلى "الوسع" الذي هو عكس "الضيق" أو هي سمة تضفي على منهج التأليف طابع الشمولية والإحاطة، أما المصطلح الغربي الشائع Encyclopédia فيعود اشتقاقه إلى جملة إغريقية EGKUKLIS PAIDIA ومعناها "تعليم كامل" أو "التربية الشاملة" لكل المعارف"[4].

فالمعجم لا يهتم بذكر أسماء الأعلام والأشخاص وذكر سيرتهم وأسماء المدن والبلدان والأنهار والجبال والبحار وصفاتها، ولا بذكر أحداث العالم وعصور التاريخ وأصول الأديان وطوائف البشر وما يتعلق بهم، فهذا كله ليس من اختصاص المعجم، بل من اختصاص الموسوعة ومن مهمتها الأساسية بل هي صلب وظيفتها، وباختصار فالمعجم يتناول المادة المعجمية بشيء من الاختصار لكن الموسوعة تتناولها بشيء من التفصيل والشمول.

<u>د- المدارس المعجمية العربية:</u> المدرسة هي الفضاء أو المكان الذي يتعلم فيه الطلبة العلوم والمعارف، ويراد بها في هذا العنوان المذهب القائم على أركان ومبادئ محددة وخصائص مميزة

---

[1] - الفاسي الفهري عبد القادر: المعجم العربي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1986، ص 13 وما بعدها.
[2] - المعتوق محمد الأحمد: المعاجم اللغوية العربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2008م / 1428هـ، ص 18.
[3] - المرجع نفسه، ص 18.
[4] - ابن حوبلي الأخضر ميدني: المعجمية العربية في ضوء مناهج البحث اللساني والنظريات التربوية الحديثة، دار هومة، الجزائر، 2010م، ص 10.

ومنهج محدد يعتنقه جماعة من المفكرين أو العلماء أو الفنانين ملتزمين بخطه، فيكونون بالضرورة في وجهة واحدة، فيسمون حينئذ بأتباع هذه المدرسة وتلامذتها.

وجاء في "المعجم الفلسفي" لجميل صليبا قوله: "المدرسة بالمعنى الضيق جماعة من الفلاسفة لهم مذهب واحد ونظام واحد ومكان للاجتماع ورئيس أو عدة رؤساء يتعاقبون على التعليم، وبالمعنى الواسع جماعة من العلماء أو الفلاسفة ينتسبون إلى مذهب واحد أو يدافعون عن مبدإ أساسي واحد"[1].

ونريد بالمدارس المعجمية هنا تلك الاتجاهات اللغوية التي جعلت قضية "الصنافة المعجمية" في صميم اختصاصها واهتمامها في العصور اللغوية الأولى، وبالتحديد ما بين القرن الثاني الهجري والقرن الرابع، وهذه المدارس تستقي مادتها من معين "الذخيرة اللغوية العربية".

إن هذه المدارس المختلفة التي سنتحدث عنها تنضوي تحت نوعين اثنين من المعاجم العربية وهما: معاجم الموضوعات (المعاني)، (المعاجم المبوبة) ومعاجم الألفاظ (المجنسة).

1- **<u>معاجم الموضوعات: (المعاني)،(المبوبة)</u>:** هذا النوع من المعاجم هو أسبق إلى الظهور من معاجم الألفاظ لأن جمع المادة اللغوية كان متزامنا مع جمع الأدب، واعتمدت في الترتيب على المعاني أو ما يسمى بالحقول الدلالية* أي جمع المسميات التي تتقارب في المعنى، ويدخل في فصول هذا التصنيف كل الكتب اللغوية والرسائل الإفرادية: وهذه هي الطريقة الأولى التي بدأ فيها التأليف اللغوي طريقه في جمع الرسائل الأولى وتبويبها.

ويعد أبو عبيد القاسم بن سلام النحوي (ت 222هـ) رائد هذا التصنيف المستحدث، حيث يعود له الفضل في جمع هذا الشتات من الموضوعات والمعاني المختلفة من رسائل متفرقة تكرر نفسها غالبا، نضدها وأعاد ترتيبها، ثم ضمها في كتاب واحد أسماه "الغريب المصنف"، وبهذا العمل يكون أبو عبيدة قد فتح الطريق لكثير من علماء اللغة القدماء والمحدثين، وعاد "مصنفه" المذكور نموذجا.[2]

ومن علماء القرن الثاني الهجري الذين ألفوا رسائل في موضوع معين قبل كتاب "الغريب المصنف" لأبي عبيد: أبو مالك عمرو بن كركرة النميري الذي ألف (خلق الإنسان) و(الخيل)، وأبو خيرة الأعرابي الذي ألف (الحشرات)، وتوالت أعمال اللغويين في وضع الرسائل ذات الموضوعات ومنها كتاب (الصفات) و(السلاح) للنضر بن شميل(ت 203هـ)، وكتاب (النخلة) و(الإبل) و(الخيل) و(خلق الإنسان) لأبي عمرو الشيباني (ت 206هـ)، و(الإنسان) و(الزرع) لأبي عبيدة (209هـ) و(المطر) و(المياه) و(خلق الإنسان) و(الشجر) لأبي زيد الأنصاري (215هـ) و(الخيل) و(النبات) و(الإبل) للأصمعي (ت 216هـ) و(أسماء الخيل) و(البئر)

---

[1] - صليبا جميل: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1979، ص 358.

* الحقل الدلالي هو مجموعة الألفاظ بينها علاقة في المعنى وتندرج تحت لفظ عام يجمعها مثل الكلمات: أصفر وأحمر وأخضر وأزرق...الخ تندرج تحت اللفظ العام (اللون)، وفي تعريف آخر هو مجال دلالي محدد يجمع كلمات يصح وقوعها في سياق واحد.

[2] - ابن حوبلي الأخضر ميدني: تاريخ المعجم العربي بين النشأة والتطور، دار هومة، الجزائر،2009، ص 131.

و(الدرع) لابن الأعرابي (ت231هـ).[1] وتواصل التأليف في مثل هذه المؤلفات خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين.

وأصحاب هذا النوع من المعاجم يرون أن الكلمة لكي نحدد معناها بدقة ينبغي أن نفهم مجموع الكلمات التي تتعلق بها دلاليا، ومن ثم نشطوا في جمع المفردات التي تخص حقلا ما، وعملوا على كشف العلاقات التي بينها، ومن ثم إدراجها تحت مصطلح عام، وتوجه بعضهم إلى عمل كامل يضم كل الحقول الدلالية المحتملة في اللغة على أساس ما يمكن أن تتفرع أو تتسلسل إليه، وبحثوا كذلك في نوع العلاقة التي تربط بين الأقسام الكبرى وما يتفرع عنها، وكذا ما بين الفروع الخارجية منها....الخ، بل بين الوحدات الصغرى أو المفردات وهي علاقات في الغالب منطقية أو وجودية، مثل علاقة العام بالخاص أو الجزء بالكل...الخ[2].

قام عبد المجيد الحر في كتابه "المعجمات والمجامع العربية" بتقسيم المعاجم الموضوعاتية إلى ستة أنواع حسب أنماطها وهي:[3]

1- **نمط الندرة والغرابة:** أي ما جمع أصحابه فيه الألفاظ الغريبة النادرة ككتاب أبي زيد الأنصاري "النوادر في اللغة".

2- **الموضوعات والمعاني:** وهي ما جمع فيه أصحاب ألفاظ اللغة المتعلقة بموضوع من الموضوعات أو بمعنى من المعاني ككتاب "الأجناس" للأصمعي، وكتاب "المطر" لأبي زيد الأنصاري، ومجموع هذه الكتب عبارة عن رسائل صغيرة.

3- **الأضداد:** وهي ما جمع أصحابه فيه الألفاظ التي وردت بمعنيين متناقضين ككتاب "الأضداد" للأصمعي.

4- **مثلث الكلام:** وهو ما جمع فيه أصحاب الألفاظ التي وردت على ثلاث حركات بمعان مختلفة ككتاب "مثلثات قطرب".

5- **الأفعال ذات الاشتقاق الواحد:** وهي ما جمع فيه أصحابه الأفعال التي تأتي على اشتقاقين بمعنى واحد ككتاب (فعلتُ وأفعلتُ) للزجاج.

6- **الحروف:** وهي ما جمع من الألفاظ ورتب بحسب الحروف ككتاب "الهمز" لأبي زيد الأنصاري، ويضيف ديزيرة سقال في كتابه "نشأة المعاجم العربية وتطورها" أنواعا أخرى فيقول معقبا على تصنيف عبد المجيد الحر: "ويمكن أن نضيف إلى هذه الأنواع المذكورة أنواعا أخرى مثل الكتب التي جمعت مرادفات لغوية أو عبارات لها معنى واحد، أو أسماء للأصوات وما إلى ذلك، ككتاب "فقه اللغة" للثعالبي وكتاب "الألفاظ الكتابية" للهمذاني، والكتب التي جمعت الألفاظ المختلفة اللفظ ذات المعنى المشترك أي المرادفات، ككتاب "ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه" للأصمعي، والكتب التي جمعت الحروف ودرست معانيها ومداليلها اللغوية، ككتاب "معاني

---

[1] - عمر أحمد مختار: البحث اللغوي عند العرب، ص 288.

[2] - عبد العزيز محمد حسين: مصادر البحث اللغوي في الأصوات والصرف والنحو والمعجم وفقه اللغة، ص 222 و ما بعدها.

[3] - الحر عبد المجيد: المعجمات والمجامع العربية، دار الفكر العربي،ط1، بيروت، لبنان، ص 1994.،ص 19.

الحروف" للرماني و"كتاب اللامات" للزجاج، والكتب التي جمعت ما لا نجده في كلام العرب، ككتاب "ليس في كلام العرب" لابن خالويه، وغير ذلك[1].

2- **معاجم الألفاظ :(المعاجم المجنسة):** هي تلك المعاجم التي تعالج الألفاظ فتضبطها وتظهر أصولها وتصاريفها ومعانيها ويكون لها نمط خاص في ترتيب الألفاظ مبني على أحرف الهجاء، سواء من حيث مخارجها الصوتية كمعجم العين للخليل أم من حيث حرفها الأخير كـ"صحاح" للجوهري و"لسان العرب" لابن منظور أم من حيث حرفها الأول كـ"أساس البلاغة" للزمخشري.

ويمكن تقسيم معاجم هذا النوع إلى ثلاث مدارس هي:

1- مدرسة الترتيب الصوتي (المخرجي).

2- مدرسة الترتيب الألفبائي (الهجائي): واتخذت هذه المدرسة صورا خمسة في التصنيف للمادة المعجمية وهذه الصور هي:

أ- وضع الكلمة تحت أسبق حروفها الأصلية في الترتيب الألفبائي.

ب- وضع الكلمة تحت أول حروفها الأصلية.

ج- وضع الكلمة تحت أول حروفها دون تجريد.

د- وضع الكلمة تحت حرفها الأخير دون تجريد.

ه- وضع الكلمة تحت حرفها الأصلي الأخير (الباب والفصل).

3- مدرسة الترتيب بحسب الأبنية.[2]

1- **مدرسة الترتيب الصوتي:** اعتمدت هذه المدرسة على ترتيب الكلمات تحت حرفها الأول بحسب المخرج، ويطلق عليها بعض الدارسين "مدرسة التقليبات"، ومن المعاجم التي اعتمدت هذا المنهج: معجم "العين" المنسوب للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ)، وهو أول معجم عربي يضم بين دفتيه ألفاظ العربية، ويؤلف على نحو يسهل الرجوع إليها[3].

لقد احتوى معجم "العين" على 12.305.412 كلمة عربية بعضها مستعمل وأكثرها مهمل، جاء هذا العمل يحمل منهجا خاصا في التصنيف الذي خص به أصوات اللغة العربية، حيث اتبع منهج مخارج الحروف، وإجراء مختلف التقليبات على الكلمة حتى تعطي المستعمل والمهمل، ويعد المنهاج الأول (منهج الخليل) في الترتيب المعجمي الذي التزم طريقة خروج الأصوات من جهاز النطق كما نطق بها الخليل: ع ح ه خ غ/ق ك/ ج ش ض/ص س ز/ط د ت/ظ ذ ث/ر ل ن/ف ب م/واىء[4]، مبتدئا بأقصى الحلق ومنتهيا بالشفتين، غير أن المَنون قد عاجلته قبل إتمامه فأكمله جماعة بعد وفاته بأكثر من نصف قرن[5].

إن كتاب "العين" عندما يطلع عليه القارئ يشتم منه رائحة المنطق والرياضيات، والخليل حصر ألفاظ اللغة العربية بطريقة منطقية رياضية، إذ رأى أن الكلمات العربية إما أن تكون ثنائية

---

[1] - سقال ديزيره: نشأة المعاجم العربية وتطورها (معاجم المعاني- معاجم الألفاظ)، دار الصداقة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1995، ص 14.

[2] - عمر أحمد مختار: البحث اللغوي عند العرب، ص 178.

[3] - عبد العزيز محمد حسن: مصادر البحث اللغوي، ص 174.

[4] - بلعيد صالح: فقه اللغة العربية، ص 54.

[5] - وافي علي عبد الواحد: فقه اللغة، ص 282.

أو ثلاثية أو رباعية أو خماسية، وفي كل حالة يمكن تبديل حروف الكلمة إلى جميع احتمالاتها الممكنة بالانتقال من حرف هجائي إلى الذي يليه، وبتغليب مواضع هذه الحروف إلى جميع أوجهها الممكنة للحصول على معجم يضم كل كلمات اللغة من الناحية النظرية، غير أن أهل اللغة لا يمكنهم استخدام هذا الكم النظري من الألفاظ، ولهذا كان الخليل ينص على ما يستعمل وما لا يستعمل منها.

بعد معجم العين تتابعت المعاجم حيث نهج فيها أصحابها منهج الخليل في ترتيب المواد المعجمية وفقا للترتيب المخرجي، وإن اختلفوا معه أحيانا في ترتيب المخارج أو في الترتيب ومن هؤلاء:

أ- الأزهري (أبو منصور محمد بن الأزهر) (ت 370هـ): في كتابه "التهذيب"[1].

ب- أبو علي القالي: (إسماعيل بن القاسم البغدادي): (ت 365هـ) في كتابه "البارع".[2]

ج- الصاحب بن عباد (ت 385هـ) في كتابه "المحيط في اللغة".[3]

د- ابن سيدة (أبو الحسن علي بن إسماعيل الضرير الأندلسي) (ت 458هـ): في كتابه "المحكم والمحيط الأعظم"[4].

2- **<u>مدرسة الترتيب الألفبائي:</u>** وصورها خمسة هي:

أ- وضع الكلمة تحت أسبق حروفها: (أسبق حروفها في الترتيب الهجائي مهما كان موضعه في الكلمة): ومن هذه المعاجم معجم "الجمهرة" لابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن) (ت 321هـ): وقد نال هذا المعجم عناية كبيرة من قبل اللغويين أمثال ابن منظور صاحب "لسان العرب" الذي اعتمد عليه لكنه لم يتبع طريقته، وكان قد نهَج نهْج الخليل في الترتيب المخرجي إلا أن خالفه في المادة التي وضعها في كتابه، ومنهجه في الكتاب يتمثل في ما يلي:

1- جمع ألفاظ اللغة حسب مخارجها فبدأ بالحلقية ثم باللسانية ثم الشفوية ثم الجوفية، وبدأ بالعين ووضع الكلمة تحت أبعد الحروف مخرجا.

2- قسم الكتاب إلى أبواب وكتب، فجعل الحروف أبوابا والأبنية كتبا، وبدأ بكتاب الثنائي المضاعف، وكتاب الثلاثي الصحيح، ثم كتاب الثلاثي المهموز ثم كتاب الثلاثي المعتل فكتاب الرباعي فالخماسي...

3- نبه على المهمل وسببه، وأشار إلى المستعمل الذي أهمله غيره.

4- عنايته بذكر البلدان والمواضع والمياه.

5- اهتم بنسبة كل قول إلى مصدره وكل رواية إلى صاحبها.[5]

---

[1] - ابن حويلي الأخضر ميدني: تاريخ المعجم العربي بين النشأة والتطور، ص 133.

[2] - المرجع نفسه، ص 133.

[3] - عبد العزيز محمد حسن: مصادر البحث اللغوي، ص 180.

[4] - المرجع نفسه، ص 180.

[5] - رجب مصطفى: دراسات لغوية، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط1، 2009، ص 196.

إن هذا المنهج المعقد لابن دريد في كتابه "الجمهرة" وتمسكه بنظام التقليبات برغم طرحه لترتيب الخليل الصوتي كان من أسباب انصراف المعجميين عن اتباع نظام "الجمهرة"، ولذا يقف ابن دريد وحده دون أتباع أو مريدين.[1]

ب- وضع الكلمة تحت حروفها الأصلية: وأقدم معجم سلك هذا النظام هو"معجم الجيم" للشيباني (أبو عمرو إسحاق بن مرار (ت 206هـ) وهو من أئمة مدرسة الكوفة، وهو من الرواة الثقات، وقسم كتابه إلى تسعة وعشرين بابا، بادئا بالهمزة ومنتهيا بالياء وفقا لترتيب نصر عاصم، أما في داخل كل باب فلم يلتزم بترتيب معين، بل جاءت الكلمات حيثما اتفق له.[2]

إن هذا المعجم لا يبدأ بحرف الجيم كما هو متداول عند البعض، ولا ينتهي به كما هو عند البعض الآخر بل إنه يسير على الترتيب الهجائي العادي بحسب أوائل الكلمات بعد تجريدها من الزوائد، ولكنه لم يُدخِل في الترتيب ثواني الكلمات وثوالثها، ولهذا نجد كلمات حرف الألف تتتابع هكذا: أوق – ألب – أفق – أزح – أنف – أرب – أخذ.....إلخ[3]، ومن اللغويين الذين حذوا حذو أبي عمرو الشيباني:

1- **ابن فارس (أحمد بن زكريا القزويني) (ت 395هـ):** صاحب كتابي "المقاييس" و"المجمل".[4]

2- **الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر) (ت 538هـ):** صاحب كتاب "أساس البلاغة".[5]

3- **الفيومي (أحمد بن محمد المقرئ)(ت 770هـ)**: صاحب كتاب "المصباح المنير".[6]

ج- وضع الكلمة تحت أول حروفها دون تجريد: يقول أحمد مختار عمر عن المدرسة التي اتخذت مثل هذه الصورة: "لم تظهر في الحقيقة معجمات قديمة كاملة اتبعت هذا النظام، وإنما ظهرت مجموعة من الكتب اللغوية التي اهتمت بنوع معين من المفردات، وأهم هذه الكتب هي "المقصور والممدود" لابن ولاد المصري (ت 332هـ) وهو معجم يحصر كلمات المقصور والممدود في اللغة العربية، وسار فيه على النحو التالي:

1- وضع الكلمات تحت أوائلها بدون تفريق بين الأصل والزائد.
2- إتباع نظام الترتيب الهجائي العادي وطرح نظام الخليل الصوتي.
3- عدم إعطاء اعتبار لثواني الكلمات أو ثوالثها.[7]

ومن الكتب التي اتبعت هذا النظام يضيف أحمد مختار عمر:

1- "غريب القرآن" لأبي بكر محمد بن عزير السجستاني (ت 330هـ).
2- "المفردات في غريب القرآن" للراغب الأصفهاني.

---

[1] - عمر أحمد مختار: البحث اللغوي عند العرب، ص 207.
[2] - عبد العزيز محمد حسن: مصادر البحث اللغوي، ص 184.
[3] - عمر أحمد مختار: البحث اللغوي عند العرب، ص 210.
[4] - عن معجم "مقاييس اللغة" ينظر عمر أحمد مختار: البحث اللغوي عند العرب، ص 212، وعن معجم "المجمل في اللغة" ينظر نفس المرجع، ص 215.
[5] - عن تفاصيل هذا المعجم ينظر: عبد العزيز محمد حسن: مصادر البحث الغوي ص 191، ورجب مصطفى، دراسات لغوية، ص 218، وعمر أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب، ص 217، والمعتوق أحمد محمد: المعاجم اللغوية العربية، ص 44
[6] - عن تفاصيل ومضمون هذا المعجم ينظر: رجب مصطفى: دراسات لغوية، ص 218، وعمر أحمد المختار: البحث اللغوي، ص 219، والمعتوق أحمد محمد: المعاجم اللغوية العربية، ص 114.
[7] -. عمر أحمد مختار: البحث اللغوي، ص 220.

3- "النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير.

4- "المعرب" للجواليقي.[1]

د- وضع الكلمة تحت حرفها الأخير: وخير من يمثل هذا النظام الترتيبي للمادة المعجمية في مؤلفه **البندنيجي (أبو بشر بن أبي اليمان) (ت284هـ)** في معجمه "التقفية في اللغة" وسمي بالبندنيجي نسبة إلى بندنيج البلد الذي ولد فيه بالعراق على الحدود العراقية الإيرانية.[2]

قام البندنجي بترتيب معجمه على حسب أواخر الكلمات بغض النظر عن كونها حروفا أصلية أو زائدة، مع أخذه في عين الاعتبار قوافي الشعر وكيفية ترتيبها الهجائي[3]، وهدف المؤلف من هذه الطريقة هو تقديم القوافي للشعراء، فكثيرا ما كان يسرد الكلمات سردا متتابعا دون توضيح معانيها، وتكراره الكلمة أكثر من موضع بحسب ما يلحقها من زوائد تغير القافية، فـ "كبير" في قافية و"كبيرة" في قافية أخرى ....وهكذا.[4]

مثال ذلك باب الراء، فقد بدأ بكلمات: المجر، النجر، البشر، العسر، ......ثم قال: "قافية أخرى" اشتملت على كلمات مثل: الميرة، كبيرة، صغيرة، حبيرة، .....ثم قافية أخرى اشتملت على كلمات مثل: قماطر، عذافر، تضافر، تظاهر...[5]

وإذا كان هدف المؤلف هو تقديم القوافي للشعراء وليس تقديم العون لمن يريد معرفة معنى الكلمة أو ضبطها فإن البندنيجي لم ير داع لترتيب الكلمات داخل القافية الواحدة لأن من يبحث قافية معينة لا يهمه ترتيب الكلمات تحت هذه القافية، إذ لا بد أن يقرأ كلمات القافية المرادة كلها، وهذا هو السر في أن المؤلف لم يرتب الكلمات في أي ترتيب آخر على الأوائل والثواني[6].

هـ- وضع الكلمة تحت حرفها الأصلي الأخير: ويطلق على هذا النظام أيضا الباب والفصل أو الترتيب بحسب القافية، ورائد هذا النظام هو الفارابي اللغوي وعنه أخذها تابعون كثيرون[7]، وكتاب الفارابي (أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم)(ت350هـ) هو (ديوان الأدب).

تعتمد هذه الطريقة على ترتيب المادة اللغوية حسب الحرف الأخير من الكلمة وسمته بابا، ثم رتبت الباب حسب الحرف الأول من الكلمة وسمته فصلا، ثم رتبت الباب حسب الحرف الوسط، وهذا الترتيب كله كان ألفبائيا، وذلك باعتبار الأصول فقط في جميع المراحل[8]، ومن الذين حذوا هذا السبيل نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

---

[1] - المرجع السابق، ص 221.

[2] - عمر أحمد مختار: البحث اللغوي، ص 221، وينظر أيضا الحمزاوي، محمد رشاد: من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1986، ص51.

[3] - عمر أحمد المختار: البحث اللغوي، ص 222.

[4] - المرجع نفسه، ص 222.

[5] - نفسه، ص 222.

[6] - نفسه، ص 223.

[7] - المرجع نفسه، ص 224.

[8] - نصار حسين: المعجم العربي، نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، مصر، ط4، 1988م/1408هـ، ج2، ص651.

1- الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حماد) (ت395هـ): في معجمه الموسوم بـ (تاج اللغة وصحاح العربية) واشتهر الكتاب باسم "الصحاح" وسمي كذلك لأنه أودعه ما صح عنده من اللغة رواية ومشافهة وأطرح منه ما ليس بصحيح[1].

وقد حاز هذا المعجم شهرة كبيرة لسهولة استخدامه ووضوح منهجه، فتناوله كثير من العلماء بالتعليق والشرح والاختصار ومن هؤلاء: **الصاغاني (رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن)(ت650هـ)** في كتابه **"التكملة والذيل والصلة"** و**ابن بري (أبو محمد عبد الله بن بري بن عبد الجبار المصري)(ت582هـ)** في كتابه **"التنبيه والإيضاح عما وقع في كتاب الصحاح"** المشهور بحواشي ابن بري و**الزنجاني (محمود بن أحمد)(ت606هـ)** في كتابه **"تهذيب الصحاح"** و**الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر)(ت780هـ)** في كتابه **"مصادر الصحاح"[2].**

2- ابن منظور (عبد الله بن مكرم بن محمد المصري) (ت711هـ): في معجمه "لسان العرب" وقد نهج منهج الجوهري في جعل الحرف الأخير بابا والأول فصلا مع مراعاة الحرف الثاني والثالث بشرح الكلمات شرحا وافيا مستشهدا بالقرآن والحديث والشعر مع نسبة البيت لقائله، وعنى بضبط الألفاظ مخافة التصحيف والتحريف كما كان له اهتمام باللغات والنوادر وقواعد الصرف والنحو اهتماما لا نظير له.[3]

ويضم "لسان العرب" ثمانين ألف مادة (80000 مادة)[4] ، جمعها من معاجم خمسة هي: "التهذيب للأزهري" و"المحكم" لابن سيده و"الصحاح " للجوهري و"الجمهرة" لابن دريد و"النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير[5].

3- **الفيروزآبادي (طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي)(ت816هـ):** في كتابه **"القاموس المحيط"**: اختار الفيروزآبادي منهج "الصحاح" للجوهري واعتمد الحرف الأخير أساسا في البحث عن الكلمة، وقسم كتابه سبعة وعشرين بابا، وقسم كل باب ثمانية وعشرين فصلا بحسب حروف الهجاء ووفقا للحرف الأول من حروف المادة الأصلية، كما نجده يعرف بالأعلام والمدن والأماكن وكذلك بالنبات والحيوان.[6]

ومن العلماء والمعجميين الذين ارتضوا بطريقة الجوهري لهم منهجا **ابن الطيب الفاسي (ت1170هـ)** في كتابه **"إضاءة الراموس"** والراموس هو القبر[7]، **والزبيدي (السيد محمد مرتضى الحسيني) (ت1205هـ)** في كتابه **"تاج العروس"[8]، وأحمد بن فارس الشدياق (ت1305هـ)** في كتابه **"الجاسوس في القاموس"[9].**

---

1 - عبد العزيز محمد حسين: مصادر البحث اللغوي، ص 194.
2 - لمعرفة ما تضمنته هذه المعاجم ينظر: عبد العزيز محمد حسين، مصادر البحث اللغوي، ص 195 وما بعدها.
3 - رجب مصطفى: دراسات لغوية، ص213.
4 - غالي وجدي رزق: في المعاجم العربية، بيبليوغرافيا شاملة مشروحة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1971، ص 13
5 - عمر أحمد مختار: البحث اللغوي عند العرب، ص256.
6 - سقال ديريزه: نشأة المعاجم العربية وتطورها، ص57 وما بعدها.
7 - عمر أحمد مختار: البحث اللغوي عند العرب، ص264.
8 - ميدني ابن حويلي الأخضر: تاريخ المعجم العربي بين النشأة والتطور، ص 140.
9 - عبد العزيز محمد حسين: مصادر البحث اللغوي، ص 200.

3- مدرسة الترتيب بحسب الأبنية: إن معاجم العربية تعتمد في ترتيب موادها على ما يسمى بالجذر وهو الأصل الثلاثي للكلمة، ويتكون من ثلاثة صوامت هي الأصول، فمثلا: كلمات (كتب، كاتب، مكتوب، مكتب، كتابه، كتاب، مكتبة، ...) ترجع كلها إلى أصول ثلاثة هي (ك، ت، ب) ولهذا فالخطوة الأولى التي يجب القيام بها قبل فتح أي معجم هو تجريد الكلمة من زوائدها التسعة للوصول إلى هذا الأصل الثلاثي واستكمال أصلها للوصول إليها كما في (يد) و(دم) وغيرها[1].

فالكلمات السابقة لها قاسم مشترك يجمعها هو المعنى المشترك (الكتابة) لكن كل كلمة منها إلا وتختص بمعنى زائد وإضافي على المعنى العام أو المشترك، وتلك الصوامت الثلاثة الأصلية مع الحركات (الصوائت) الطويلة والقصيرة تشكل ما يسمى بصيغ الكلمات أو أبنية الكلمات التي ترتب هذه المدرسة موادها عليها.

فلقد اهتم النحاة القدامى بالأبنية اهتماما كبيرا، ومن هؤلاء سيبويه الذي أفرد لها أبوابا من كتابه، فبدأ بالحديث عن الكلمة وبنائها، وأقل ما تكون عليه في العربية وأكثر ما تصل إليه، وأوضح حروفها الأصلية والمزيدة، كما تحدث عن حروف الزيادة ومواضعها ثم فصل القول في أبنية الأسماء والصفات والأفعال[2].

وجاء النحاة بعد سيبويه وأعجبوا بهذا العمل ونال إعجابهم، فلم يقدموا لنا في الموضوع شيئا ذا بال وانحصر بحثهم في ناحيتين:

الأولى: الاستدراك على سيبويه وإضافة بعض الأبنية التي تركها، وقد فعل ذلك ابن السراج الذي ذكر أبنية سيبويه وزاد عليها 22 مثالا، كما زاد أبو عمر الجرمي عليها أمثلة يسيرة ثم زاد ابن خالويه أمثلة يسيرة، وزاد الزبيدي أكثر من ثمانين بناء.

الثانية: يمثلها المبرد الذي حول البحث في الأبنية إلى عمليات تدريبية وافتراضات عقلية بدلا من أن يحاول القيام بعمل إيجابي، فهو لم يبحث الأبنية بحثا عمليا يقوم على الاستقراء والتتبع، وإنما أطلق لفكره العنان، وأكثر من الفروض العقلية[3].

ولا يمكن إغفال جهود اللغويين التي اتجهت اتجاهين: الاتجاه الأول: أفرد بحوثا خاصة بالأبنية في كتبهم اللغوية، ومثال ذلك **أبو عبيد** في كتابه **"الغريب المصنف"** و **ابن السكيت** في كتابه **"إصلاح المنطق" وابن قتيبة** في كتابه **"أدب الكاتب"**، وأما الاتجاه الثاني: فاتجه إلى نوع خاص من الأبنية وهو أبنية المصادر، أما الأسماء والأفعال لم تستقل بالتأليف إلا بعد ظهور **ديوان الأدب** للفارابي.[4]

ومن أمثلة المعاجم التي اعتمدت الأبنية في الترتيب نذكر:

1- <u>معاجم أبنية الأسماء والأفعال</u>: ومنها:

أ – ديوان الأدب "للفارابي" إبراهيم إسحاق بن إبراهيم (ت350هـ): وهو أول معجم شامل في اللغة العربية يتبع نظام الأبنية ويجمع الأسماء والأفعال معا، حيث قسم الفارابي كتابه إلى ستة

---

[1] - للتفصيل في الموضوع حول منهج المدرسة يراجع: نصار حسين: المعجم العربي، ج1، ص ص304- 307.

[2] - عبد العزيز محمد حسين: مصادر البحث اللغوي، ص202.

[3] - عمر أحمد مختار: البحث اللغوي عند العرب، ص270، وما بعدها.

[4] - عبد العزيز محمد حسين: مصادر البحث اللغوي، ص202.

أقسام سماها كتبا وهي على التوالي: كتاب السالم، كتاب المضاعف، كتاب المثال، كتاب ذوات الثلاثة، كتاب ذوات الأربعة، كتاب المنقوص)، كما جعل لكل كتاب من هذه الكتب شطرين: أسماء وأفعال وقدم الأسماء على الأفعال، وقسم كل شطر منهما إلى أبواب بحسب التجريد والزيادة.[1]

ب- أبنية الأسماء والأفعال والمصادر "لابن القطاع الصقلي (علي بن جعفر بن محمد بن عبد الله)(ت515هـ): حيث بدأ الكتاب بباب ذكر فيه أصول الأسماء وأكثر أصولها وما يكثر حذفه منها، وأتبعه بباب ذكر فيه أقل أصول الأفعال وأكثر أصولها، وبآخر ذكر فيه أقل أصول الحروف وأكثرها، واتبع ذلك بباب عن حروف الزيادة ومواقعها من الأسماء والأفعال وآخر لحروف البدل، ثم تأتي بعد ذلك أبواب الأبنية: أبنية الأسماء، ثم المصادر فالأفعال[2].

ج- "شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم" لنشوان الحميري (نشوان بن سعيد نشوان الحميري)(ت573هـ): رتب المؤلف كتابه ترتيبا أكثر يسرا من (ديوان الأدب)، رتبه على أبواب وسمى كل باب كتابا، وكل كتاب يحمل اسم الحرف من الحروف الألفباء العربية، وسمى الحرف الأول مع الذي يليه بابا[3]. .

2- <u>معاجم أبنية الأفعال:</u> اهتمت كتب النحو الأولى بمعالجة صيغتي (فعل و أفعل) مثل كتب كل من قطرب (ت206هـ) والفراء (ت 207هـ) وأبو عبيدة (ت220هـ) والأصمعي (ت213هـ) وأبي زيد الأنصاري (ت215هـ) وأبي عبيد القاسم بن سلام (ت224هـ) وابن السكيت (ت246هـ) وخصص ابن قتيبة (ت276هـ) أبوابا من كتابه "أدب الكاتب" في قسمين كبيرين من كتابه الأبنية، أولهما بعنوان "أبنية الأفعال" والثاني بعنوان "معاني أبنية الأفعال" وكذا كتاب "الأفعال" لابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر)(ت367هـ) ثم أعقبته محاولات أخرى من آخرين اقتفوا أثره، مثل عبدد الملك بن طريف الأندلسي(ت400هـ) في كتابه"الأفعال" وأبي القاسم بن جعفر السعدي المعروف بابن القطان (ت515هـ) في كتابه "الأفعال" والسرقسطي (أبو عثمان سعيد بن محمد المعافري)(ت 400هـ) في كتابه "الأفعال"[4].

3- <u>معاجم أبنية المصادر:</u> لعل أهم الكتب التي وضعت في أبنية المصادر ما نسب إلى الكسائي (ت182هـ) وبعدها المصنفات المنسوبة إلى النضر بن شميل (ت203هـ) والفراء (ت207هـ) وخص كتابه في القرآن وحده، وأبو عبيدة (ت209هـ) وأبو زيد الأنصاري (ت215هـ) والأصمعي (213هـ) وغيرهم ولكن لم يصلنا من هذه المصنفات ولا نعرف منها اليوم سوى العناوين وأصحابها.[5]

ومن أهم الكتب التي وصلتنا كتاب **"تاج المصادر" لأبي جعفر أحمد بن علي البيهقي (544هـ):** وهو عربي فارسي[6]، حيث نهج منهج الفارابي في "ديوان الأدب" فأخذ جميع تقسيماته

---

[1] - لمعرفة تفاصيل هذا المعجم ينظر: عبد العزيز محمد حسين: مصادر البحث اللغوي، ص ص203-206، وعمر أحمد مختار: البحث اللغوي عند العرب، ص ص237- 222.

[2] - لمعرفة تفاصيل هذا المعجم ينظر: عبد العزيز محمد حسين: مصادر البحث اللغوي، ص208، 210.

[3] - لمعرفة تفاصيل هذا المعجم ينظر: عبد العزيز محمد حسين: مصادر البحث اللغوي، ص 210، 212. وعمر أحمد مختار البحث اللغوي عند العرب، ص ص285،282.

[4] - لمعرفة التفاصيل في هذا المعجم ينظر "معجم الأفعال: السرقسطي، يراجع عبد العزيز محمد حسن، مصادر البحث اللغوي ص 215، 220.

[5] - لمعرفة التفاصيل في هذا المعجم ينظر "معجم الأفعال: السرقسطي، يراجع عبد العزيز محمد حسن، مصادر البحث اللغوي ص 220.

[6] - نصار حسين: المعجم العربي، ج1، ص 143 وما بعدها.

وأجرى تعديلات وتغييرات عليها[1]، وقسم كتابه إلى قسمين: 1- المصادر من الثلاثي 2- المصادر من غير الثلاثي.[2]

إن هذه الرحلة الطويلة وإن كانت مختصرة في هذا المستوى (المعجمي) لدلالة واضحة على أن هذا المستوى يعد مفخرة للعرب والعربية، فلقد كان الجهد عظيما في ذلك العمل الذي قام به الرعيل الأول من اللغويين والنحاة أثناء جمعهم للسان العرب وذلك بالبحث في متون اللغة العربية من معجم "العين" للخليل إلى يومنا هذا حيث تعددت المعاجم وتنوعت أشكالها ومناهجها على نحو يعز على الحصر ويستعصي على الشرح، فحق للعرب أن يفخروا بهذه الصناعة وهذا العلم، ولقد صدق اللغوي الألماني فيشر عندما قال في مقدمة كتابه "المعجم التاريخي": "إذا استثنينا الصين فلا يوجد شعب آخر يحق له الفخار بوفرة كتب علوم لغته وبشعوره المبكر بحاجته إلى تنسيق مفرداتها بحسب أصول وقواعد غير العرب"[3].

---

[1] - عبد العزيز محمد حسن: مصادر البحث اللغوي، ص221.

[2] - المرجع نفسه، ص221 وما بعدها.

[3] - محمد حسن عبد العزيز: مصادر البحث اللغوي ص 173.

الفصل الثاني:

تجليات الظواهر الصوتية

في مؤلفات الشنقيطي

تمهيد: بعد استقراء مدونة البحث (مؤلفات الشنقيطي) يتبين لنا أن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ليس مختصا في علم الأصوات، وليس باحثا صوتيا، ولا نجد مبحثا منفردا ولا عنوانا مستقلا يتحدث عن المستوى الصوتي، وما وجدناه في ثنايا أعماله عبارة عن عينات نستطيع إدراجها في علم الأصوات، وظواهر صوتية تتعلق بهذا الموضوع، ومن هنا نقر في البدء أن المباحث الصوتية في مؤلفاته قليلة، قمنا باستقرائها وتصنيفها ومراجعتها، وهذا لا يعني أن الشيخ ليس له علم ودراية بالأصوات بل كان خبيرا ومهتما بالأصوات خصوصا عندما يتعلق الأمر بالقراءات القرآنية، وهذا ليس بغريب عن رجل عالم مفسر، والتفسير والقراءات وجهان لعملة واحدة لا يمكن الفصل بينهما، فالقراءات مهمة جدا في تحقيق وتحديد المعنى وفهم النص القرآني، ومن الظواهر الصوتية التي تحدث عنها الشنقيطي ما يلي:

1- الهمز وتسهيل الهمز: الهمز لغة "الغمز والضغط والنخس والدفع والضرب والعض والكسر،يهمُز و يهمِز...، وقوس همَزي شديدة الدفع للسهم"[1]، واصطلاحا: "هو نسبة إلى حرف الهمزة وهو الحرف المعروف في أول الحروف الأبجدية والهجائية، لأن الصوت يندفع عند النطق به لكلفته على اللسان"[2].

والهمزة عند القدماء صوت شديد مجهور ومخرجه من أقصى الحلق[3]، وهو صوت انفجاري ينتج عن انطباق الوترين انطباقا كاملا بحيث لا يسمح للهواء بالمرور فيحتبس داخل الحنجرة ثم يخرج على صوت انفجار.[4]

وأسهب علماء اللغة والقراءات في الحديث عن هذه الظاهرة وتحديد صورها، وجعلتها من خصائص لهجة تميم ولهجات نجدية أخرى كقيس وأسد،[5] كما أن عبد الصبور شاهين أوعز سبب هذه الظاهرة الصوتية لدى القبائل إلى سرعتها في النطق، وأن الناطق البدوي متعود على النبر في موضع الهمزة، فيما يقابل موضعها في الكلمات الخالية منها.[6]

وتحقيق الهمز عند القراء هو تفكيك الحروف وبيان إخراج بعضها من بعض وإعطاء كل حرف حقه من إشباع المد وتحقيق الهمز وغيره، وقد قرأ النبي صلى الله عليه وسلم على التحقيق[7]، امتثالا لقوله تعالى: "ورتل القرآن ترتيلا"[8]، أي "بينه تبيينا" كما ذكر عبد الله بن عباس[9]، فقراءة القرآن يجب أن تكون على مهل لتكون عونا على تدبره وفقه معانيه وآيه، وهذا لن يتأتى إلا بتحقيق الحروف وإخراجها من مخارجها ومراعاة صفاتها وما يعرض لها في التركيب.

---

[1] - الفيروز آبادي (أبو طاهر محمد بن يعقوب) (ت 817هـ): القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1978م، ج2، ص 203 وما بعدها.

[2] - مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق أحمد حسين فرحان، دار عمار، عمان، الأردن، 1404هـ/ 1994م، ص 119.

[3] - سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر): الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ط2، 1402هـ/ 1982م ج4، ص 431.

[4] - شاهين عبد الصبور: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، القاهرة 1966، ص 17.

[5] - سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر): الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج3، ص 542، ويراجع: ابن يعيش موفق الدين (ت 643هـ): شرح المفصل: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ج9، ص 107.

[6] - شاهين عبد الصبور: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص 30.

[7] - السيوطي (جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر(ت 911هـ): الإتقان في علوم القرآن، مطبعة حجازي، القاهرة، د ط، د ت، ص 102.

[8] - المزمل، الآية 04.

[9] - الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) (ت 310هـ): جامع البيان عن تأويل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1420هـ/ 1999م، ج28، ص 80.

وتحقيق الهمز يقابله التسهيل والإبدال (والتسهيل لغة هو التيسير والتساهل والتسامح، واستسهل الشيء: عده سهلا)،[1] وتسهيل الهمزة خاصية من خصائص لهجة القبائل الحضرية، فقد ذكر أبو زيد الأنصاري (ت 215هـ) أن أهل الحجاز وهذيلا وأهل مكة والمدينة لا ينبرون،[2] والنبر بالكلام هو الهمز، والنبر: همز الحرف، والمنبور هو المهموز والنبرة الهمزة[3] وتسهيل الهمزة يكون بحذفها أو إبدالها أو جعلها بين بين،[4] ويكون الحذف بأن تكون الهمزة متحركة بالفتح أو بالضم أو بالكسر وقبلها صحيح ساكن فتحذف وتلقى حركتها على الساكن قبلها، فالهمزة عند القراء إما أن تحقق وإما أن تسهل، وإما أن تبدل من جنس حركة ما قبلها، وهذا ما تحدث عنه الشيخ الشنقيطي في مؤلفاته، ومن أمثلة هذا نذكر على سبيل المثال ما يلي:

أ- **قوله تعالى:(فاسر) و(فأسر):** يذكر الشنقيطي الاختلاف بين القراءة الأولى بدون همز وبين القراءة الثانية بتحقيق الهمز، حيث يقول: "فأسر بأهلك"[5]، قرأه نافع وابن كثير (فاسْر) بهمزة وصل، من سرى يسري وقرأه جمهور القراء (فأسر بأهلك) بقطع الهمزة، من أسرى الرباعي على وزن أفعل ، وسرى وأسرى لغتان وقراءتان صحيحتان سبعيتان"[6] وبعد شرح الاختلاف بين القراءتين يستدل الشيخ بأمثلة من القرآن ومن الشعر العربي لكلتا القراءتين، فيقول: "ومن سرى الثلاثية قوله تعالى (والليل إذا يسر)،[7] فإن فتح ياء (يسر) يدل على أنه مضارع سرى الثلاثية، وجمع اللغتين قول نابغة ذبيان:

أسرت عليه من الجوزاء سارية تزجي الشمال عليها جامد البرد،

فإنه قال: أسرت رباعية في أشهر روايتي البيت، وقوله: سارية اسم فاعل (سرى) الثلاثية، وجمعها أيضا قول الآخر: **حتى النضيرة ربه الخدر أسرت إليك ولم تكن تسري،**
بفتح تاء تسري، واللغتان كثيرتان جدا في كلام العرب.

ومصدر الرباعية الإسراء على القياس، ومصدر الثلاثية السرى - بالضم- على وزن فُعَل - بضم ففتح - على غير قياس ومنه قول عبد الله بن رواحة:

عند الصباح يحمد القوم السرى وتنجلي عنهم غيابات الكرى"[8]

ب- **قوله تعالى: (موصدة) و(مؤصدة)[9]:** يذكر الشيخ أن (مؤصدة) بالهمز من الأصيد، و(موصدة) بغير الهمز من الوصد وعلى اللغتين القراءتان، ويستشهد الشيخ بثلاثة أبيات من الشعر العربي يدلل على ذلك:

1- قول الشاعر: **تحن إلى أجبال مكة ناقتي ومن دونها أبواب صنعاء مؤصدة.**

2- يقول ابن قيس الرقيات: **إن في القصر لو دخلنا غزالا مصفقا مؤصدا عليه الحجابا.**

---

[1] - ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، دت، ج11، ص 249.(مادة سهل).
[2] - السيوطي (جلال الدين):المزهر في علوم اللغة وأنواعها، مطبعة السعادة بمصر، 1325هـ/ ج2، ص 162- 163. .
[3] - ابن منظور: لسان العرب، ج5، ص 188.(مادة نبر).
[4] - سيبويه: الكتاب، ج3، ص 541.
[5] - هود، الآية 81.
[6] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج3، ص 33.
[7] -الفجر، الآية 4.
[8] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص 28 وما بعدها.
[9] - الهمزة،الآية 08.

3- يقول زهير: **بأرض فضاء لا يسد وصيدها   علي ومعروفي بها غير منكر"[1].**

والوصيد: فناء البيت، وقيل: الباب، وقيل: العتبة، وقيل: الصعيد، والذي يشهد له القرآن أن الوصيد هو الباب، ويقال له (أصيد) أيضا لأن الله يقول (إنها عليهم موصدة)،[2] أي مغلقة مطبقة، وذلك بإغلاق كل وصيد أو أصيد، وهو الباب من أبوابها،[3] فاللفظتان: المهموزة وغير المهموزة معناهما واحد، فلا تؤدي ظاهرة الهمز أو عدمه إلى تغيير معنى اللفظة وبالتالي معنى الآية.

ج- **قوله تعالى: (فسأل) و(سل)[4]:** يقول الشيخ شارحا اللفظتين بتخفيف الهمز وتخفيفه: "قرأ ابن كثير والكسائي بنقل حركة الهمزة إلى السين وحذف الهمزة، والباقون: فاسأل بغير نقل"،[5] ومن هنا فالقراءتان صحيحتان بالهمز وبعدمه، أي (اسأل) و(سل) بمعنى واحد في التفسير.

د- **قوله تعالى: (جاء أمة)[6]:** يقول الشيخ: "سهل نافع وابن كثير وأبو عمرو والهمزة الثانية من قوله (جاء أمة)، وقرأها الباقون بالتحقيق"[7]، فكما أوضح الشيخ إن تركيب (جاء أمة) قرئت بالتخفيف وقرئت بالتسهيل، ولا خلاف على القراءتين بين العلماء.

هـ- **قوله تعالى: (وبئر) و(وبير)[8]:** هناك قراءتان في اللفظتين: الأولى بالهمزة والثانية بتخفيف الهمزة ياء لحركة ما قبل الياء لأن الكسرة أخت الياء كما هو معلوم في علم الأصوات، "فقرأ ورش والسوسي (وبير) بإبدال الهمزة ياء والباقون بالهمزة الساكنة"[9]، وهما لغتان صحيحتان وقراءتان متفق عليهما.

و- **قوله تعالى: (ربت) و(ربأت)[10]:** فصل الشنقيطي في شرح هتين اللفظتين إذ يقول: "قرأ عامة السبعة (وربت) وهو من قولهم ربا يربو إذا نما وزاد، وقرأ من الثلاثة أبو جعفر يزيد بن القعقاع: وربأت، بهمزة مفتوحة بعد الباء أي ارتفعت، كأنه من الربيئة أو الربيئي وهو الرقيب الذي يعلو على شيء مشرف يحرس القوم ويحفظهم"[11]، ويعطي الشيخ شاهدا شعريا لامرئ القيس: **" بعثنا ربيئا قبل ذاك مخملا   كذئب الغضا يمشي الضراء ويتقي"[12]**

فالشيخ يميز هنا بين ربا يربو بمعنى زاد ونما، وبين ربأ بالهمز أي الارتفاع، وهذه من القراءات العشرية.

ز- **قوله تعالى: (يومنون) و(يؤمنون)[13]:** يذكر الشيخ الفرق بين القراءتين الأولى بغير همز والثانية بالهمز، فالأولى قرأ بها ورش والسوسي عن أبي عمرو (يومنون) بإبدال الهمزة واوا

---

[1] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص 33.
[2] - الهمزة، الآية 08.
[3] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص 33.
[4] - المؤمنون، الآية 113.
[5] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج5، ص 565.
[6] - المؤمنون، الآية 44.
[7] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج5، ص 540.
[8] - الحج، الآية 45.
[9] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج5، ص 486.
[10] - الحج، الآية 05.
[11] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج5، ص 25.
[12] - المصدر نفسه، ج5، ص 25.
[13] - الجاثية، الآية 06.

وصلا ووقفا، أما حمزة فقرأها بإبدال الهمزة واوا في الوقف دون الوصل، أما الباقون فقرأوها بتخفيف الهمز مطلقا (يؤمنون).[1]

<u>ح- قوله تعالى: (هزؤا) و(هزوا)[2]:</u> الهمز وتخفيف الهمز دائما لا يذكران إلا ويذكر معهما علم القراءات، لأنهما يساهمان في تحديد المعنى وفهم النص القرآني، ففي اللفظتين هتين يتضح أن الأولى مهموزة والثانية بلا همز، حيث يذكر الشيخ أن الأولى قرأ بها عامة القراء السبعة غير حمزة وحفص عن عاصم (هزؤا) بضم الزاي بعدها همزة مخففة، وأما حفص عن عاصم بضم الزاي وإبدال الهمزة واوا (هزوا)، وأما حمزة فقرأها بسكون الزاي بعدها همزة مخففة الوصل (هزءا)، وأما في حالة الوقف، فعن حمزة نقل حركة الهمزة إلى الزاي فتكون الزاي مفتوحة بعدها ألف، وعنه إبدالها واوا محركة بحركة الهمزة (هزوا).[3]

وفي الجدول الآتي مجموع العينات والأمثلة التي تحدث عنها الشنقيطي في مؤلفاته والتي تخص مبحث تخفيف الهمز وتسهيله:

الشاهد	المؤلف	الجزء والصفحة
هزؤا وهزوا	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج4/ص 109
زكرياء وزكريا	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج4/ص 163
نبيئا ونبيا	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج4/ص 179
خير وشر	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج4/ص 84
النسيء والنسيّ	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج4/ص 180
أن أسر وأن اسر	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج4/ص 362
ورئيا وريا	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج4/ص 269
أأشهدوا و أشهدوا	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج7/ص 141
أأذهبتم وأذهبتم	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج7/ص 255
إئذا وأيذا	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج7/ص 513
أفرأيتم وأفرايتم	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج7/ص 516
أأنتم وءانتم	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج7/ص 516
الأيكة وليكة	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج6/ص 254 + ج3 ص120
شركائي وشركاي	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج3/ص 196

[1] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج7، ص 223.
[2] - الجاثية، الآية 35.
[3] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج7، ص 224.

2- الإدغام: الإدغام لغة هو مصدر الفعل أدغم، ومعناه الإدخال وأصله من قولهم: أدغمت اللجام في الفرس إذا أدخلته فيه،[1] والدغمة اسم من إدغامك حرفا في حرف.[2]

واصطلاحا هو التقاء حرف ساكن بحرف متحرك بحيث يصيران حرفا واحدا مشددا،[3] يرتفع اللسان عندهما ارتفاعة واحدة[4] من غير أن تفصل بينهما حركة أو وقف،[5] ويعرفه ابن جني بأنه "تقريب صوت من صوت"[6]، وفي تعريف لابن الحاجب يقول: "هو أن تأتي بحرفين ساكن فمتحرك من مخرج واحد من غير فصل ويكون في المثلين والمتقاربين"[7].

وأول من أشار إلى الظاهرة الصوتية في التراث العربي الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) بقوله: "أعلم أن الراء في اقشعر واسبكر هما راءان أدغمت واحدة في الأخرى، والتشديد علامة الإدغام"[8].

ومنذ ذلك الحين حازت هذه الظاهرة على اهتمام العلماء منهم سيبويه إذ جعلها مناط دراسته للأصوات العربية كلها، ونالت اهتمام النحاة الذين جاءوا بعده وكذا علماء القراءات، إذ أفردوا للإدغام بابا كبيرا ذكروا فيه تعريفه وشروطه وحروفه وأحكامه إلى أن جاء علماء اللغة المحدثين وعالجوا الظاهرة معالجة علمية ومن هؤلاء إبراهيم أنيس وعبد الصبور شاهين وتمام حسان وغيرهم[9]، والإدغام نوعان: كبير وصغير.

فأما الإدغام الكبير فهو أن يلتقي الحرف بمثله أو مقاربه وهما متحركان[10]، وقد نسب هذا النوع إلى أبي عمرو بن العلاء[11]، وأما الإدغام الصغير فهو أن يلتقي الحرف الساكن بمثله أو مقاربه المتحرك.[12]

وهذه الظاهرة الصوتية تميز بها بعض الأقوام والقبائل التي تعد السرعة في الكلام من أهم خصائص لهجة أبنائها[13] مثل تميم وأسد وعبد القيس وبكر وائل وكعب ونمير.[14]

ولم يختلف المحدثون عن القدماء في تفسير هذه الظاهرة الصوتية، فالإدغام عندهم هو فناء الصوت الأول في الصوت الثاني بحيث ينطلق بالصوتين صوتا واحدا كالثاني،[15] ومعنى فناء الأول هو مراد القدماء من مصطلح الإدغام.[16]

---

[1] - ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص 202 (مادة دغم).

[2] - ابن يعيش موفق الدين: شرح المفصل، ج10، ص 121.

[3] - شاهين عبد الصبور، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي: أبو عمرو بن العلاء، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1987، ص 127.

[4] - ابن الباذش أحمد بن علي (ت 540هـ): الإقناع في القراءات السبع، تحقيق عبد المجيد قطامش، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، ج1، 1403هـ، ص 164.

[5] - المصدر نفسه: ج1، ص 164.

[6] - ابن جني: الخصائص، ج2، ص 169.

[7] - الأستراباذي (رضي الدين محمد بن الحسن) (ت 686هـ): شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، القاهرة، 1938م، ج3، ص 233 وما بعدها.

[8] - الفراهيدي الخليل بن أحمد: العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد، بغداد، 1980، ج2، ص 04.

[9] - أنجب غلام نبي بن غلام محمد: الإعلال والإبدال في ضوء القراءات القرآنية واللهجات العربية، مخطوط دكتوراه، كلية البنات، مكة المكرمة، 1410هـ/1980م، ج2، ص 496.

[10] - سيبويه: الكتاب، ج4، ص 435.

[11] - زهير غازي زاهر: أبو عمرو بن العلاء، جهوده في القراءة والنحو، جامعة البصرة، العراق، 1967، ص 80.

[12] - سيبويه: الكتاب، ج4، ص 443.

[13] - الراجحي عبده: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعارف، مصر، 1969، ص 123.

[14] - أنيس إبراهيم: في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1965، ط3، ص 73.

[15] - أنيس إبراهيم: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط5، 1979، ص 187.

[16] - عبد الله سليمان محمد أديب: التوجيه اللغوي والنحوي للقراءات القرآنية في تفسير الزمخشري، مخطوط ماجيستر، جامعة الموصل، العراق، 1423هـ/ 2002 م ص 36.

وعرض الشيخ محمد الأمين الشنقيطي أثناء حديثه عن القراءات لهذه الظاهرة، وهذه نماذج من مؤلفاته التي استقرأناها تبين جهوده في ذلك.

أ- **إدغام (إن) في (ما):** توقف الشنقيطي عند آية **(وإنما نرينك بعض الذي نعدهم)** يونس: 46، فقال: "لم يأت في القرآن العظيم فعل المضارع بعد إن الشرطية المدغمة في ما المزيدة لتوكيد الشرط، إلا مقترنا بنون التوكيد الثقيلة"،[1] والشاهد هنا هو إدغام (إن) الشرطية في (ما) المزيدة، وراح يعطي شواهد قرآنية وشعرية لتوضيح قوله، ومن الشواهد القرآنية يذكر قوله تعالى: **(فإما نذهبنّ)** الزخرف 41، وقوله تعالى: **(فإما تثقفنّهم)** الأنفال 57، وقوله تعالى: **(وإما تخافنّ)** الأنفال 58، ومن الشعر يذكر شاهدين اثنين هما:

1- قول الشاعر: **فإما تريني ولي لمة فإن الحوادث أودى بها**

2- قول الآخر: **زعمت تماضر أنني إما أمت يسدد أبينوها الأصاغر خلتي.**[2]

ب- **قوله تعالى: (اتقى):** يذكر الشيخ أن المتقي اسم فاعل الاتقاء وأصل مادة الاتقاء (وقي) لفيف مفروق فاؤه، واو عينه قاف ولامه ياء فدخله تاء الافتعال فصارت وقي أو تقي فأبدلت الواو التي هي فاء الكلمة تاء للقاعدة المقررة في التصريف أن كل واو هي فاء الكلمة إذا دخلت عليها تاء الافتعال يجب إبدالها أعني الواو تاء، وإدغامها في تاء الافتعال نحو اتصل من الوصل، واتزن من الوزن واتحد من الوحدة واتقى من الوقاية"[3]، والشاهد هنا هو إدغام التاء المبدلة من الواو في تاء الافتعال فيصير الفعل: اتقى من وقى، واستشهد ببيت ابن مالك في الخلاصة يقول: **ذو اللين فاتا في افتعال أبدلا وشذ في ذي الهمز نحو ائتكلا**

واستدل أيضا ببيتين من الشعر هما:

1- يقول نابغة ذبيان: **سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد.**

2- يقول الشاعر: **فألقت قناعا دونه الشمس واتقت بأحسن موصولين كف ومعصم.**[4]

ج- **قوله تعالى: (تزاور):** يقول الشنقيطي بأن قراءة هذه اللفظة تكون بثلاثة أوجه من القراءات السبعية: "قرأه ابن عامر الشامي (تزْورّ) بإسكان الزاي وإسقاط الألف وتشديد الراء على وزن (تحْمرّ) ....وقرأ الكوفيون وهم عاصم وحمزة والكسائي بالزاي المخففة بعدها ألف، وعلى هذه القراءة فأصله (تتزاور) فحذفت منه إحدى التاءين" وقرأ نافع المدني وابن كثير المكي وأبو عمرو البصري (تزّاور) بتشديد الزاي بعدها ألف، وأصله (تتزاور) أدغمت فيه التاء مع الزاي، وعلى هاتين القراءتين: أعني قراءة حذف إحدى التاءين، وقراءة إدغامها في الزاي فهو من التزاور بمعنى الميل أيضا"،[5] ويستدل الشيخ بالقراءة الأولى (تزور) يقول عنترة **(فازور من وقع القنا)**، كما استدل ببيت من خلاصة ابن مالك حيث يقول:

وما بتاءين ابتدى قد يقتصر فيه على تا كتبين العبر.[6]

---

[1] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج2، ص 364.

[2] - المصدر نفسه، ج2، ص 364.

[3] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج3، ص 110 وما بعدها.

[4] - المصدر نفسه، ج3، ص 111.

[5] - نفسه، ج4، ص 30.

[6] - نفسه، ج4، ص30.

د- قوله تعالى: (لكنّا): يذكر الشنقيطي أن هذه اللفظة أصلها (لكن أنا) فحذفت همزة (أنا) وأدغمت نون (لكن) في نون (أنا) بعد حذف الهمزة، وقال بعضهم: نقلت حركة الهمزة إلى نون (لكن) فسقطت الهمزة بنقل حركتها، ثم أدغمت النون في النون[1]، ويعطي الشنقيطي شواهد على صحة كلامه وورود اللفظة في كلام العرب فيقول: "ونظير ذلك من كلام العرب قول الشاعر:

وترمينني بالطرف أي أنت مذنب وتقلينني لكنا إياك لم أقل،

أي (لكن أنا إياك لم أقل): وقول الآخر:

(لهنك من عبسية لوسمية على منوات كاذب من يقولها).

قال: أراد بقوله (لهنك) لله إنك،[2] فالتشديد الواقع في (لكنا) هو نبر ناتج من الإدغام، وأول معنى أفاده معنى وظيفي يتعلق بالاقتصاد اللغوي، فعوضا أن نقول (لكن أنا) كان من الممكن أن نقول (لكنا) مثل إطلاقنا للفظة (لكننا) على الجمع أي (لكن نحن)، وقد ورد هذا النمط اللساني المهم في أقوال العرب وأشعارهم، وقد أورد الشنقيطي مثالا على ذلك بما يدل دلالة قطعية على وعيهم بأهمية ذلك في إيراد الكلام، والقرآن قد نزل بلغة العرب معجزا لها، فمن الطبيعي أن يحمل في طياته تلك الأعراف اللغوية التي تواضع عليها عرب أهل الجزيرة من قبائل عرفت الفصاحة[3]، يقول الشنقيطي موضحا هذا: "قرأ جماهير القراء في الوصل (لكن) بدون ألف بعد النون المشددة، وقرأ ابن عامر من السبعة (لكنا) بالألف في الوصل، ويروى ذلك عن عاصم ورواه المسيلي عن نافع، ورويس عن يعقوب، واتفق الجميع على إثبات الألف في الوقف، ومد نون (أنا) لغة تميم إن كان بعدها همزة، وقال أبو حيان في البحر: إن إثبات ألف (أنا) مطلقا في الوصل لغة بني تميم، وغيرها ما يثبتونه على الاضطرار، قال: فجاءت قراءة (لكنا) بإثبات الألف في الوصل على لغة تميم، ومن شواهد مد (أنا) قبل غير الهمزة قول الشاعر:

أنا سيف العشيرة فاعرفوني حميدا قد تذريت السناما

وقول الأعشى: **فكيف أنا وانتحالي القوافي بعد المشيب كفى ذاك عارا"**[4]

هـ- قوله تعالى: (ننجي): هذا الفعل من قوله تعالى: **(وكذلك ننجي المؤمنين)**، الأنبياء 88، ويذكر الشيخ أنها تقرأ بعدة قراءات لا إشكال فيها، وإنما الإشكال في أن هذا الحرف كتبه الصحابة في المصاحف العثمانية بنون واحدة، فيقال كيف تقرأ بنونين وهي في المصاحف بنون واحدة؟ فيقول الشيخ: "أجاب العلماء عن هذا بأجوبة: منها ما ذكره بعض الأئمة وأشار إليه ابن هشام في باب الإدغام من توضيحه: أن الأصل في قراءة ابن عامر وشعبة (ننجي) بفتح النون الثانية مضارع (نجى) مضعفا فحذفت النون الثانية تخفيفا أو (ننجي) بسكونها مضارع (أنجى) وأدغمت النون في الجيم لاشتراكها في الجهر والانفتاح والتوسط بين القوة والضعف، كما

---

[1] - المصدر السابق ، ج4، ص 81.
[2] -المصدر نفسه، ج4، ص 82.
[3] - بولنوار سعد: آليان تحليل الخطاب في تفسير أضواء البيان الشنقيطي، تحديد المفاهيم النظرية، مخطوط دكتورة، جامعة ورقلة، 2011م/ 2012م، ص 123.
[4] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص 82.

أدغمت في (إجاصة) و(إجانة) بتشديد الجيم فيهما، أو الأصل (إنجاصة) و(إنجانة)، فأدغمت النون فيهما"[1].

وفيما يلي نماذج من هذا المبحث الذي تحدث عنه الشيخ في مؤلفاته، أقصد الإدغام، أحصيناها بعد استقرائنا لمؤلفات الشيخ الشنقيطي:

الشاهد	عنوان الكتاب	الجزء والصفحة
- تبشرونّ	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج3/ ص 114 و.115
- يذّكّرون	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج3/ ص 173.
- تشاقونّ (اجتماع النونان وإدغامهما في بعضها)	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج3/ ص 196.
- (لمّا)	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج4/ ص 119
- عصيّا	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج4/ 176 و 182.
- النبي	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج4/ ص 180
- تسّاقط	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج4/ ص 193.
- وريّا	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج4/ ص 271.
- عصيا	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج4/ ص 331.
- السيئة	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج7/ ص 58.
- تشقّق	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج7/ ص 433.
- ألا يسجدوا	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج6/ص 266 و 268
- أظّاهر	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج6/ ص 335.
- تذّكرون	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج5/ ص 555.
- سيئة	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج5/ ص 557.

3- التشديد والتخفيف: تذكر المصادر أن التشديد سمة من سمات اللهجات البدوية التي كانت أكثر ميلا إلى الشدة في كلامها بحكم طبيعة بيئتها، أمّا أهل الحضر فكانوا ميالين أكثر إلى الليونة في كلامهم انسجاما مع بيئتهم[2]، وينسب التشديد إلى قبائل تميم وسفلى قيس وربيعة، في المقابل ينسب التخفيف إلى أهل الحجاز وقريش.[3]

[1] - المصدر السابق، ج4، ص 519.

[2] - يراجع: إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، ص 100، وأحمد علم الدين الجندي: اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1983م، ج2، ص 657، وصاحب جعفر أبو جناح: الظواهر اللغوية في قراءة أهل الحجاز، مطبعة جامعة البصرة، 1408هـ/ 1988م، ص 46.

[3] - أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف (ت 745هـ)، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، ط2، 1398هـ/ 1978م، ج8، ص 98، والسيوطي جلال الدين: المزهر، ج2، ص 175 وما بعدها، والشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج3، ص 87.

والتشديد له وظيفة معنوية، فالزيادة في المبنى تلازمها زيادة في المعنى ما لم تكن الزيادة لغرض لفظي.[1]

ومن هذه الوظائف المعنوية التي يؤديها التشديد: التعدية والتكثير والمبالغة والتوكيد والمداومة والتكرير.[2]

وقد أشار سيبويه إلى هذه الظاهرة حيث يقول: "تقول: كسرتها قطعتها، فإذا أردت كثرة العمل قلت: كسّرته وقطّعته....واعلم أن التخفيف في هذا جائز كله عربي إلا أن (فعّلت) إدخالها هاهنا لتبيين الكثرة..."[3]

وذكر ابن جني في تعليله لتشديد العين في (فعّل) و(تفعّل) أن "العين أقوى من الفاء واللام لأنها واسطة لهما ومكنوفة بهما، فصارا كأنهما سياج لها ومبذولان للعوارض دونها، ولذلك تجد الإعلال بالحذف فيهما دونها، فتكرارها دليل على تكرير الفعل"[4].

والهمز والتخفيف من أوسع الظواهر الصوتية التي زخرت بهما كتب الشنقيطي وتحدث عنهما كثيرا لعلاقتهما بالقراءات وأثرها في توجيه المعنى، ومن النماذج على ذلك ما يلي:

أ- **<u>فرقناه وفرّقناه (الإسراء 106):</u>** يقول الشنقيطي: "قرأ هذا الحرف عامة القراء (فرقناه) بالتخفيف: أي بيناه وأوضحناه وفصلناه وفرقنا فيه بين الحق والباطل، وقرأ بعض الصحابة (فرّقناه) بالتشديد، أي أنزلناه مفرّقا بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة، ومن إطلاق (فرق) بمعنى بين وفصل قوله تعالى: **"فيها يفرق كل أمر حكيم"** الدخان: 04"[5]

والهمز من الظواهر الصوتية التي تندرج تحت ما يسمى بـ "النبر في الصوتيات المعاصرة، فهو خاصية صوتية مهمة، يساهم في بيان المعنى المقصود، ولاحظ رومان جاكسون أن اللغة التي يلعب فيها النبر دورا تمييزيا يكون عروضها مبنيا على النبر، واللغة التي يكون طول الحركات فيها وظيفيا يكون عروضها كميا أي مبنيا على طول وقصر المقاطع، والعربية لم تخرج على هذه القاعدة، فايقاع شعرها مستمد من إيقاع لغتها".[6]

فالشيخ يبين أن التشديد يغير في المعنى فما بين (فرق) و(فرّق) بون شاسع، ولكن هذا الفرق لا يؤدي إلى تعارض في المعنى أو تناقض في التفسير، بل المعنيان مقبولان لا يتناقضان، (ففرق) بالتخفيف بمعنى التبيين والإيضاح والفصل بين الحق والباطل، وأما (فرّق) بالتشديد فمعناها أن الله أنزل هذا القرآن على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم مفرّقا حسب الأحداث والمناسبات والوقائع طيلة مدة زمنية معلومة.

---

[1] - الأسترابادي (رضي الدين محمد بن الحسن): شرح شافية ابن الحاجب، ج1، ص 83.

[2] - أحمد علم الدين الجندي: اللهجات العربية في التراث، ج1، ص 666.

[3] - سيبويه: الكتاب، ج4، ص 83 وما بعدها.

[4] - ابن جني: أبو الفتح عثمان: الخصائص، ج2، ص 157.

[5] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج3، ص 461.

[6] - حركات مصطفى: نظرية الوزن ، دار الآفاق الجزائر، د ط، 2005، ص 30 وما بعدها.

ب- رُبما ورُبّما (الحجر: 02): يذكر الشيخ أن هذه اللفظة لها قراءتان، الأولى بالتخفيف وهي التي قرأ بها عاصم ونافع (رُبَما)، وقرأ الباقون بتشديدها، وفي هذا يقول الشيخ ذاكرا سبب التخفيف والتثقيل: "والتخفيف لغة أهل الحجاز، والتثقيل لغة تميم وقيس وربيعة"[1]

وضرب الشيخ شواهد شعرية عن القراءة بالتخفيف والتثقيل بقوله: (ومن الأول: (التخفيف) قول عدي بن الرعلاء الغساني: **ربما ضربة بسيف صقيل بين بصرى وطعنة نجلاء.**

والثاني كثير جدا، ومنه قول الآخر:

ألا ربّما أهدت لك العين نظرة قصاراك منها أنها عنك لا تجدي"[2]

ويسترسل الشيخ في وحدة المعنى لـ(ربما) المخففة والمثقلة حيث يقول: "ورب في هذا الموضع (الآية) قال بعض العلماء للتكثير أي يود الكفار في أوقات كثيرة لو كانوا مسلمين، ونقل القرطبي هذا القول عن الكوفيين قال: ومنه قول الشاعر: (ألا ربما أهدت لك العين)، وقال بعض العلماء هي هنا للتقليل لأنهم قالوا ذلك في بعض المواضع لا في كلها لشغلهم بالعذاب، فإن قيل: **ربما** لا تدخل إلا على الماضي فما وجه دخولها على المضارع في هذا الموضع؟ فالجواب أن الله تعالى لما وعد بوقوع ذلك صار ذلك الوعد للجزم بتحقيق وقوعه كالواقع بالفعل ونظيره قوله تعالى: **(أتى أمر الله)** النحل01، ونحوها من الآيات، فعبر بالماضي تنزيلا لتحقيق الوقوع منزلة الوقوع بالفعل"[3].

ج- نُنجي ونُنَجّي: (الأنبياء 88): يقول الشنقيطي: "قرأ عامة القراء السبعة غير ابن عامر وشعبة عن عاصم **(وكذلك ننجي المؤمنين)** بنونين أولاهما مضمومة، والثانية ساكنة بعدها جيم مكسورة مخففة فياء ساكنة، وهو مضارع (أنجى) الرباعي على صيغة (أفعل) والنون الأولى دالة على العظمة، وقرأ ابن عامر وشعبة عن عاصم **(وكذلك نُنَجّي المؤمنين)** بنون واحدة مضمومة بعدها جيم مكسورة مشددة فياء ساكنة، وهو على هذه القراءة بصيغة فعل ماض للمفعول من (نجَّى) المضعفة على وزن (فعّل) بالتضعيف"[4]، فكل من (أنجى) و(ونجّى) بمعنى واحد وهما يدلان على أن كل مؤمن يصيبه الكرب والغم فيبتهل إلى الله داعيا بإخلاص، إلا نجاه الله من ذلك الغم.[5]

د- فُتحت وفُتّحت: (الزمر 73): في الفعلين وجهان من القراءة: واحدة بالتخفيف (فتحت) والثانية (فتّحت) بالتضعيف حيث يقول الشيخ: "قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (فتّحت) بتشديد التاء دلالة على التكثير، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي (فتحت) بتخفيف التاء"[6]، فالتضعيف هذا يدل على التكثير كما ذكرنا من قبل في التعريف بهذه الظاهرة الصوتية.

هـ- يتفطرن وينفطرن: (الشورى05): قرئت هذه الآية بوجهين من القراءة حيث قرأ "عامة السبعة غير أبي عمرو وشعبة عن عاصم (يتفطرن) بتاء فوقية مفتوحة بعد الياء وفتح الطاء

---

[1] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج3، ص 87.
[2] - المصدر نفسه، ج3، ص 87.
[3] - المصدر نفسه، ج3، ص 87.
[4] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص 519.
[5] - المصدر نفسه، ج4، ص 519.
[6] - نفسه، ج7، ص 42.

المشددة، مضارع (انفطرت) كقوله (إذا السماء انفطرت) الانفطار:01، أي انشقت"[1]، فلا فرق عند الشيخ بين (انفطر) و(تفطر) وهما بمعنى واحد هو التشقق أو الانشقاق.

وقد جمعنا ما استطعنا جمعه من الأمثلة حول الظاهرة التي وردت في مؤلفات الشيخ وبخاصة تفسيره (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) كما يلي:

المثال	العنوان	الجزء والصفحة
- عقَدتم وعقّدْتم	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج2/ ص 92.
- يسر بالتخفيف فقط	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج3/ ص 366.
- قدّرنا وقدرنا	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج3/ ص117+ج7/ص 519.
- ينزّل وينْزل	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج3/ 160/ج6 ص 210
- قتلوا وقتّلوا	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج5/ ص 505.
- تذكرون وتذّكرون	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج5/ ص 555.
- سعر وسعّر	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج5/ ص 11.
- تخطفه وتخطّفه	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج5/ ص 474.
- كأن و كأنّ	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج7/ ص 223.
- ألا يسجدوا وألاّ يسجدوا	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج6/ ص 266.
	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج6 ص 210+ج7 ص 433.
- تشَقق وتشّقق	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج6/ ص 198.
- ضيقا و ضيّقا	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج/6 ص 260.
- يتبعهم ويتّبعهم	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج6/ ص 335.
- تظاهرون وتظّاهرون	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج6/ ص 422.
- عالم و علاّم	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج6/ ص 403.
- معجزين و معجّزين	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج6/ ص 405.
- صدَق و صدّق	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج6/ ص 432.
- ننكسه و ننكّسه	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج7/ ص 42+ ج7 ص 472.
- فتِحت وفتّحت	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج7/ ص 96.
- ينفطرن و يتفطرن	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج7/ ص 253.
- أتعدانِي وأتعدانّي	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	

4- المد والقصر والإشباع: لقد حظي هذا المبحث بعناية كبيرة من علماء القراءات والتجويد، المتقدمين منهم والمتأخرين فوضحوه وعللوه وقسموه وبالغوا في التقسيم، فأما المد فهو "تطويل صوت الحرف لإشباع مخرجه"[2]، وأصل المد في اللغة "الزيادة، يقال: مددت الشيء إذا زدت،

[1] - المصدر السابق، ج7، ص 96.
[2] - الحمد غانم قدوري: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، دار عمار، عمان، ط2، 1428هـ/ 2007م، ص 439.

ومنه (**يمددكم ربكم**) آل عمران:125، واصطلاحا عبارة عن إطالة الصوت بالحرف الممدود"[1]، ويعرفه القسطلاني بأنه: "عبارة عن زيادة المط في حروف المد على المد الطبيعي، وهو الذي لا تقوم ذات الحرف إلا به"[2] ويقابل المد القصر، وهو "عبارة عن ترك تلك الزيادة وإبقاء المد الطبيعي على حاله"[3].

فهذه التعريفات وإن اتحدت في الدلالة، فهي تُجمع على أن المد إطالة زمن صوت الحرف زيادة على ما فيه من مد طبيعي لا تقوم ذات الحرف إلا به، ولتلك الزيادة أسباب ومقادير وضحها علماء القراءة والتجويد، والقصر عبارة عن صيغة حرف المد واللين وهو المد الطبيعي.

وأما الإشباع فهو عبارة عن إتمام الحكم المطلوب من تضعيف الصيغة لمن له ذلك ويستعمل أيضا عبارة عن أداء الحركات كوامل غير منقوصات ولا مختلسات.[4]

ويذكر علماء العربية أن ظاهرة المد كائنة في كلام العرب ولغتهم، فهذا ابن جني يقول: "ألا ترى أن الألف والياء والواو اللواتي هن حروف توام كوامل قد تجدهن في بعض الأحوال أطول وأتم منهن في بعض، وذلك قولك: يخاف وينام، ويسير ويطير، ويقوم ويسوم، فتجد فيهن امتدادا واستطالة ما، فإذا أوقعت بعدهن الهمزة أو الحرف المدغم ازدادت طولا وامتدادا"[5].

وظاهرة المد مرتبطة بسببين اثنين: الأول وقوع الهمزة بعد حرف المد، والثاني وقوع الساكن بعد حرف المد، وعلى هذا الأساس تم تقسيم المدود إلى أقسام كثيرة حتى وصل العدد إلى ما لا فائدة منه[6].

ويعد أبو عمرو الداني (ت 444هـ) من أوائل علماء التجويد الذي حاولوا وضع مصطلحات محددة لأقسام المد وذلك بتقسيمه المد إلى صنفين: طبيعي ومتكلف.

فالطبيعي حقه أن يؤتى بالألف والياء والواو التي هي حروف المد واللين ممكنات على مقدار ما فيهن من المد الذي هو صيغتهن من غير زيادة ولا إشباع، وذلك إذا لم تلق واحدة منهن همزة ولا حرفا ساكنا ويسمي القراءُ هذا الضربَ مقصورا.

والمتكلف حقه أن يزاد في تمكين الألف والياء والواو على ما فيهن من المد الذي لا يوصل إلى النطق لهن إلا به، من غير إفراط في التمكين ولا إسراف في التمطيط، وذلك إذا لقين الهمزات والحروف السواكن لا غير[7]

ومن الأمثلة التي تطرق لها الشيخ واستعرضها في أعماله في سياق هذا الجانب نذكر ما يلي:

أ- أمرنا وآمرنا (الإسراء 16): يقول الشنقيطي موضحا ظاهرة المد والقصر في اللفظتين: "قال الشيخ أبو عبد الله القرطبي في تفسير هذه الآية الكريمة: قوله تعالى (أمرنا)، قرأ أبو عثمان النهدي، وأبو رجاء وأبو العالية والربيع ومجاهد والحسن (أمرنا) بالتشديد، وهي قراءة علي

---

[1] - الأزهري: (عبد الدايم بن علي) (ت 870هـ): الطرازات المعلمة في شرح المقدمة، دار عمان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د ت، ص 50.
[2] - الحمد غانم قدوري: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 439.
[3] - المرجع نفسه، ص439 وما بعدها.
[4] - المرجع نفسه، ص 441.
[5] - ابن جني أبو الفتح عثمان: (ت 392هـ): سر صناعة الإعراب، ج1، دراسة وتحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط2، 1413هـ/ 1993م، ص 17.
[6] - الحمد غانم قدوري: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 447.
[7] - الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد) (ت 444هـ): التحديد في الإتقان والتجويد، تحقيق غانم قدوري الحمد، دار عمان، الأردن، د ت، ص 14.

رضي الله عنه أي سلطنا شرارها فعصوا فيها، فإذا فعلوا ذلك أهلكناهم، وقال أبو عثمان النهدي (أمّرنا) بتشديد الميم: جعلناهم أمراء مسلطين، وقاله ابن عزيز: وتأمر عليهم سلط عليهم، وقرأ الحسن أيضا، وقتادة وأبو حيوة الشامي ويعقوب وخارجة عن نافع وحماد بن سلمة عن ابن كثير وعلي وابن عباس باختلاف عنهما (آمرنا) بالمد والتخفيف أي أكثرنا جبابرتها وأمراءها، قاله الكسائي، وقال أبو عبيدة: "آمرته - بالمد- وأمرته لغتان بمعنى أكثرته، ومنه الحديث "خير المال مهرة مأمورة أو سكة مأبورة" أي كثيرة النتاج والنسل، وكذلك قاله ابن عزيز: آمرنا وأمرنا بمعنى واحد أي أكثرنا وعن الحسن أيضا ويحي بن يعمر: أمرنا - بالقصر وكسر الميم - على فعلنا، ورويت عن ابن عباس، قال قتادة والحسن: المعنى أكثرنا، وحكى نحوه أبو زيد وأبو عبيدة، وأنكره الكسائي وقال: لا يقال من الكثرة إلا آمرنا بالمد وأصلها أأمرنا فخفف، حكاه المهدوي"[1].

فالشيخ يذكر أن هناك ثلاثة أوجه من القراءة لهذه اللفظة (أمرنا) بالقصر والتخفيف و(أمّرنا) بالتشديد و(آمرنا) بالمد والتخفيف، و(أمرنا) و(آمرنا) لهما معنى واحد هو التكثير، أما (أمرنا) بالتشديد فمعناها سلطنا عليهم أشرار الخلق للمعصية وبهذا يكون الهلاك، واستدل الشيخ بالشرح والإتيان بالشواهد من المعاجم وكذا من الشعر العربي حيث يقول: "وفي الصحاح: قال أبو الحسن: أمِر ماله - بالكسر- أي كثر، وأمر القوم أي كثروا قال الشاعر وهو الأعشى:

طرفون ولا دون كل مبارك   أمرون لا يرثون سهم القعدد.

وآمر الله ماله ـ بالمد ـ...، ويقال للشيء الكثير أمِر، والفعل منه أمر القوم يأمرون أمرا: إذا كثروا...."[2]

<u>ب- مهدا ومهادا (طه 53):</u> وفي هذين اللفظين قراءتان كما يقول الشيخ كونه عالم بالقراءات: "قرأ هذا الحرف عاصم وحمزة والكسائي (مَهدا) بفتح الميم وإسكان الهاء من غير ألف، وقرأ الباقون من السبعة بكسر الميم وفتح الهاء بعدها ألف والمهاد: الفراش، والمهد بمعناه"[3]، فالمهد بدون ألف مد والمهاد بالمد بمعنى واحد هو الفراش.

<u>ج- الخرج والخراج (المؤمنون 72):</u> ينوه الشيخ بمعنى اللفظتين بأنه واحد وهو الأجر والجزاء، وأصل الخرج والخراج هو ما تخرجه إلى كل عامل في مقابلة أجرة أو جعل[4]، ثم يضيف الشيخ: "قرأ هذين الحرفين ابن عامر: (خرْجا فخرْج ربك)، بإسكان الراء فيهما معا وحذف الألف فيهما، وقرأ حمزة والكسائي: (خراجا فخراج ربك) بفتح الراء بعدها ألف فيهما معا، وقرأ الباقون (خراجا فخراج ربك) بإسكان الراء، وحذف الألف وفتح الراء وإثبات الألف في الثاني والتخفيف أن معنى الخرج والخراج واحد وأنهما لغتان فصيحتان وقراءتان سبعيتان خلافا لمن زعم أن بين معناهما فرقا زاعما أن الخرج ما تبرعت به، والخراج ما لزمك أداؤه، ومعنى الآية لا يساعد على هذا الفرق كما ترى، والعلم عند الله تعالى"[5].

---

[1] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج3، ص 356.
[2] - المصدر نفسه، ج3، ص 356 وما بعدها.
[3] - نفسه، ج4، ص 319.
[4] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج5، ص 549.
[5] - المصدر نفسه، ج5، ص 549 وما بعدها.

وعن الإشباع يورد الشيخ هذا المثال عن لفظة (السبيلا) (الأحزاب 67) حيث يقول: "إن إشباع الحركة بحرف مد يناسبها أسلوب معروف من أساليب اللغة العربية كقول عبد يغوث بن وقاص الحارثي: **وتضحك مني شيخة عبشمية كأن لم ترا قبلي أسيرا يمانيا،**

وقول الراجز: **إذا العجوز غضبت فطلق ولا ترضاها ولا تملق،**

وقول الآخر: **وقلتُ وقد خرت على الكلكال يا ناقتي ما جلت من مجال،**

وقول عنترة في معلقته: **ينباع من ذفرى غضوب جسرة زيافة مثل الفنيق المكدم"**[1]

وبعد الإتيان بهذه الأمثلة على صحة قوله، يسترسل الشيخ في شرح الشواهد فيقول: "فالأصل في البيت الأول كأن لم تر، ولكن الفتحة أشبعت، والأصل في الثاني (ولا ترضها) ولكن الفتحة أشبعت، والأصل في الثالث على (الكلكل) يعني الصدر، ولكن الفتحة أشبعت، والأصل في الرابع (ينبع)...ولكن الفتحة أشبعت، وإشباع الفتحة بألف في هذه الأبيات وأمثالها مما لم نذكره ليس لضرورة الشعر لتصريح علماء العربية بأنه أسلوب عربي معروف، ويؤيد ذلك أنه مسموع في النثر، كقولهم في النثر: كلكال وخاتام وداناق، يعنون كلكلا وخاتما ودانقا"[2]

وعن ظاهرة الإشباع يضيف الشيخ: "ومثله في إشباع الضمة بالواو، وقولهم: برقوع ومعلوق يعنون برقعا ومعلقا، ومثال إشباع الكسرة بالياء قول قيس بن زهير:

ألم يأتيك والأنباء تنمى بما لاقت لبون بني زياد

فالأصل (يأتك) لمكان الجازم، وأنشد له الفراء:

كأبي بفتخاء الجناحين لقوة على عجل مني أطأطي شيمالي.

ويروى: صيود من العقبان طأطأن شيمالي، ويروى: دنوف من العقبان، ويروى شملال بدل شيمال،....إلا أن رواية الياء مشهورة.[3]

وعن إشباع الضمة بالواو يضيف الشيخ: "ومثال إشباع الضمة بالواو قول الشاعر:

هجوت زبان ثم جئت معتذرا من هجو زبان لم تهجو ولم تدع.

وقول الآخر: **الله أعلم أنا في تلفتنا يوم الفراق إلى إخواننا صور.**

وإنني حيث يثني الهوى بصري من حيثما سلكوا أدنوا فانظور، يعني فانظر.

وقول الراجز: **لو أن عمرا هم أن يرقودا فانهض فشد المئزر المعقودا**، يعني يرقد"[4]

وفي الجدول الموالي عينات أخرى يتحدث فيها الشيخ عن ظواهر المد والقصر والإشباع في مختلف أعماله:

---

[1] - المصدر السابق ، ج4، ص 363 وما بعدها.

[2] - المصدر نفسه، ج4، ص 364.

[3] - الشنقيطي محمد الأمين: دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب، ملحق كتاب أضواء البيان، ج10، ص 218.

[4] - المصدر نفسه، ج10، ص 218 و 219.

الشاهد	المؤلف	الجزء والصفحة
يطيقونه ويطوّقونه	دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب	ملحق كتاب الأضواءج10، ص 27.
السّلم والسلام	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج3/ ص 196.
لكنّ ولكنّا	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج4/ ص 82.
زكريا وزكرياء	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج4/ ص 163.
أولا وأولاء	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج4/ ص 370.
أزره وآزره	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج7/ ص 404.
سؤقه وسوقه	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج7/ ص 404.
لأمانتهم ولأماناتهم	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج5/ ص 528.
شقوتنا وشقاوتنا	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج5/ ص 562.
قال وقل	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	ج5/ ص 565.

5- الإعلال والإبدال والقلب: هذه ثلاث ظواهر صوتية اختلف العلماء في تصنيفها، فبعضهم يضمها إلى المجال الصوتي وبعضهم الآخر يدرجها في خانة الميدان الصرفي وكلاهما على حق، ونحن في بحثنا هذا أدرجناها في المستوى الصوتي لأن الأمر يتعلق بالصوائت أي بحروف العلة وإبدال بعضها ببعض كما سنرى.

ويعرف **الإعلال** لغة بأنه مصدر "أعل" أي أصيب بالعلة، والاعتلال والإعلال بمعنى واحد عند بعض العلماء".[1]

وفي المصباح المنير: "واعتل: إذا مرض، وأعله: جعله ذا علة، ومنه: إعلالات الفقهاء واعتلالاتهم"[2]، وأما اصطلاحا فهو: "تغيير حرف العلة بالقلب أو الإسكان أو الحذف للتخفيف"[3].

فظاهرة الإعلال خاصة بتغيير حروف العلة الثلاثة وهي: الواو والألف والياء، ويسمى أيضا تعليلا واعتلالا.[4]

وهذا التغيير الذي يطرأ على حروف العلة يكون بثلاث صور هي: الإعلال بالقلب أو الإعلال بالحذف أو الإعلال بالنقل أو ما يسمى بالإعلال بالتسكين.[5]

وأما **الإبدال** فلغة هو مصدر (أبدل) أي نحيت الأول وجعلت الثاني مكانه"[6] و"أبدلت الشيء بغيره، وبدّله الله من الخوف أمنا، وتبديل الشيء: تغييره وإن لم يأت ببدل، وقيل الأصل في

---

[1] - أنجب غلام نبي بن غلام محمد: الإعلال والإبدال في ضوء القراءات القرآنية واللهجات العربية، ج1، ص 62.

[2] - الفيومي أحمد بن علي المقري: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للشافعي، تحقيق عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، مصر، د ت، د ط، ص 426. (علّ).

[3] - التهانوي محمد علي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج1، ص 233 و234.

[4] - المصدر نفسه، ص 234.

[5] - أنجب غلام نبي بن غلام محمد: الإعلال والإبدال في ضوء القراءات القرآنية واللهجات العربية، ج1، ص 67.

[6] الفيومي أحمد: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للشافعي، ص39، (بدل).

التبديل: تغيير الشيء عن حاله، والأصل في الإبدال جعل شيء مكان شيء آخر كإبدالك من الواو تاء في (تا الله)"[1].

ويعرفه علماء الصرف بأنه "إقامة حرف مكان حرف في موضعه من اللفظ"[2]، و"إحلال حرف مكان آخر في الكلمة نتيجة لتطور صوتي حدث على مر العصور بشرط الإتحاد في المعنى"[3].

والفرق بين الإعلال والإبدال هو أن الأول يكون فقط في حروف العلة الثلاثة، أما الإبدال فيكون في أحرف العلة وفي غيرها.

وأما **القلب** لغة هو: "تحويلك الشيء عن وجهه، وكلام مقلوب، وقلبته، وقلّبته فتقلّب، وقلبت فلانا عن وجهه أي صرفته"[4]، واصطلاحا هو: (تبدل صوتي لا يقع على الأصوات اللغوية أي الحروف وإنما يقع على الكلمة بإبدال مواقع الأصوات أو الحروف فيها مثل: يئس وأيس وجذب وجبذ).[5] فهو تغيير في حروف الكلمة بتقديم بعضها عن البعض الآخر إما لضرورة لفظية أو للتوسع أو التخفيف[6]، وقد يكون البناءان أصلين ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه وأن يكون كل منهما كامل التصريف نحو: جذب ويجذب جذبا فهو جابذ ومجبوذ، وهذا ليس قلبا[7]، أما إذا كان أحد البناءين مقلوبا عن الثاني وشرطه عند ابن جني أحدهما أوسع تصرفا من الآخر، فيكون هو الأصل ويكون الثاني مقلوبا عنه[8]، وهذا هو القلب المكاني.

ويلخص التهانوي الفرق بينه وبين الإبدال فيقول: "هو إبدال حروف العلة والهمزة بعضها مع بعض فهو أخص من الإبدال، ويطلق أيضا عندهم (الصرفيين) على تقديم بعض حروف الكلمة على بعض ويسمى قلبا مكانيا نحو آرام فإن أصله أرآم، وعلامة صحة القلب المكاني أن يكون تصاريف الأصل تامة بأن يصاغ منه فعل ومصدر وصفة ويكون الآخر كذلك، فيعلم من عدم تكميل تصاريفه أنه ليس بناء أصليا"[9].

ويمكن تلخيص أهمية هذه الظواهر الثلاثة في التخفيف من جهة ومعرفة أصل الجذر أو المادة عند الكشف عنها في المعجم العربي من جهة ثانية.

ومن الأمثلة المبثوثة عن هذه الظواهر في كتب الشيخ نذكر على سبيل المثال ما يلي:

1- لفظة (جهنم) (التوبة 81): يقول الشيخ: "اختلف العلماء في وزن (جهنم) بالميزان الصرفي، فذهب بعض العلماء إلى أن وزنه (فعلّل)، فالنون المضعفة زائدة وأصل المادة (الجيم والهاء والميم) من تجهّم إذا عبس وجهُه، لأنها تلقاهم بوجه متجهّم عابس، وتتجهم وجوههم وتعبس فيها لما يلاقون من ألم العذاب"[10].

---

[1] - ابن منظور: لسان العرب، ج11، ص 48.(بدل).
[2] - مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ص 10.
[3] - شاهين عبد الصبور: أثر القراءات القرآنية في الأصوات والنحو العربي، ص 269.
[4] - الفراهيدي: الخليل بن أحمد (ت 175هـ): العين: تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج5، ص 171 (مادة قلب).
[5] - محمد المبارك: فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر، بيروت، ط6، 1975، ص 68.
[6] - الحديثي خديجة عبد الرزاق: أبنية الصرف في كتاب سيبويه، مكتبة النهضة، بغداد، ط1، 1965، ص 72.
[7] - ابن جني: الخصائص، ج2، ص72.
[8] - المصدر نفسه، ج2، ص72.
[9] - التهانوي محمد علي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج2، ص 1336.
[10] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج02، ص 352.

ويستدل الشيخ على صحة كلامه بأبيات شعرية هي:

1- قول مسلم بن الوليد الأنصاري: **شكوت إليها حبها فتبسمت ولم أر شمسا قبلها تتبسّم**

فقلت لها جودي فأبدت تجهما لتقتلني يا حسنها إذ تجهم.

2- وتقول العرب: جهمه إذا استقبله بوجه كريه مجتمع، ومنه قول عمرو بن الفضفاض الجهني: **ولا تجهمينا أم عمرو فإنما بنا داء ظبي لم تخنه عوامله.**

وقال بعض العلماء جهنمّ فارسي معرّب، والأصل كهنام وهو بلسانهم النار، فعربته العرب وأبدلوا الكاف جيما"[1].

الشاهد في الرأيين اللذين ذكرهما الشيخ حول أصل كلمة (جهنم) هو الرأي الثاني الذي يقول بأن أصل اللفظة فارسي معرّب من لفظة كهنام الفارسية، وقام العرب بإبدال الكاف جيما.

2- لفظة (الناس):(النحل 72): يذكر الشيخ أن لفظة (النات) أصله (الناس)، أبدلت فيه السين تاء، وكذلك قوله (أكيات) أصله (أكياس) جمع كيس، أبدلت فيه السين تاء أيضا[2]، وقبل هذا يذكر الشيخ بأن الله تعالى ردّ على العرب التي كانت تعتقد أنها كانت تزوج الجن وتباضعها حتى روي أن عمرو بن يربوع بن حنظلة بن مالك تزوج سعلاة منهم، وكان يخبئها عن سنا البرق لئلا تراه فتنفر، فلما كان في بعض الليالي لمع البرق وعاينته السعلاة، فقالت: عمرو؟ ونفرت، فلم يرها أبدا ولذا قال علباء بن أرقم يهجو أولاد عمرو المذكور:

ألا لحى الله بني السعلاة عمرو بن يربوع لئام النات

ليسوا بأعفاف ولا أكيات.[3]

وكل هذا ذكره الشنقيطي وهو يفسر آية النحل: **"والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا"** النحل 72.

3- يعلمون وتعلمون: (الزخرف 98): إن هناك جانب مهم يساهم في تغيير المعنى من جهة معينة كالإبدال، فمثلا في كلمتي (يعلمون) و(تعلمون) بإبدال الياء تاء في كل من القراءتين، إذ المعنى يتغير من جهة المخاطب إلى جهة الغائب صرفيا[4]، يقول الشيخ عن آية **(فاصفح عنهم وقل سلام فسوف تعلمون)** الزخرف 89، "قرأ هذا الحرف ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي **(فسوف يعلمون)** بياء الغيبة، وقرأ نافع وابن عامر **(فسوف تعلمون)** بتاء الخطاب".[5]

فالفرق بين القراءتين هو التغير في المعنى من صيغة معينة إلى صيغة أخرى بتبدل حرف واحد في المفردة الواحدة الواقعة في سياق تركيبي معين[6]، فالخطاب ينصرف من المخاطب في القراءة بالتاء (تعلمون) إلى الغيبة في القراءة بالياء (يعلمون).

---

[1] - المصدر السابق، ج02، ص 352.

[2] - نفسه، ج3، ص 239.

[3] - نفسه، ج3، ص 239.

[4] - بولنوار سعد: آليات تحليل الخطاب في تفسير أضواء البيان للشنقيطي، تحديد المفاهيم النظرية، مخطوط دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة ورقلة، الجزائر، 2011م/ 2012م، ص 121.

[5] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج02، ص 206.

[6] - بولنوار سعد: آليات تحليل الخطاب في تفسير أضواء البيان للشنقيطي، تحديد المفاهيم النظرية، ص 121.

4- يستغيثوا:(الكهف 29): يذكر الشيخ أن الياء في اللفظة هذه، مبدلة من واو، وكذلك الألف في (يغاثوا) فهي مبدلة أيضا من الواو، لأن مادة الاستغاثة من الأحرف الواوي العين، ولكن العين أعلت للساكن الصحيح قبلها على حد قول ابن مالك في الخلاصة:

لساكن صح أنقل التحريك من ذي لين آت عين فعل كأبن[1].

وهذا في سياق حديثه عن الآية الكريمة **(وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل)** الكهف 29.

5- (لمّا): (هود 111): يقول تعالى: **"وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم"** هود 111، في قراءة ابن عامر وحمزة وحفص بن عاصم بتشديد نون (إن) وميم (ما) على قول من زعم أن الأصل على هذه القراءة، لمن قرأ ما بمن التبعيضية، وما بمعنى من، أي: وإن لمن جملة ما يوفيهم ربك أعمالهم، فأبدلت نون (من) ميما وأدغمت في (ما)، فلما كثرت الميمات، حذفت الأولى فصارت لمّا، وعلى هذا القول: (فلما) مركبة من ثلاث كلمات: الأولى: الحرف الذي هو اللام، والثانية (من)، والثالثة (ما).[2]

يذكر الشيخ في قولته هذه أن (لما) يقول عنها بعض العلماء مركبة من ثلاث كلمات: اللام و(من) و(ما)، لكنه ذكر هذا القول للأمانة العلمية ولكنه قال في الأخير: "وهذا القول وإن قال به بعض أهل العلم لا يخفى ضعفه وبعده، وأنه لا يجوز حمل القرآن عليه، وقصدنا مطلق التمثيل لـ(لمّا) المركبة من كلمات على قول من قال بذلك، وأما المركبة من كلمتين فكقول الشاعر:

لما رأيت أبا يزيد مقاتلا أدع القتال وأشهد الهيجاء،

لأن قوله (لمّا) في هذا البيت مركبة من (لن) الثانية الناصبة للمضارع و(ما) المصدرية الظرفية، أي لن أدع القتال ما رأيت أبا زيد مقاتلا أي مدة رؤيتي له مقاتلا.[3]

5- **طه: (طه01):** يذكر الشيخ في تفسير هذه اللفظة قولا للقاضي عياض في الشفاء عن الربيع بن أنس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى قام على رجل ورفع الأخرى، فأنزل الله (طه) يعني (طأ) الأرض بقدميك يا محمد، وعلى هذا القول فالهاء مبدلة من الهمزة، والهمزة خففت بإبدالها أنْ ألفا كقول الفرزدق: **راحت بمسلمة البغال عشية فارعى فزارة لا هناك المرتع.**
ثم بني عليه الأمر والهاء للسكت.[4]

وبعد هذا التفصيل والشرح بالشاهد الشعري يبدي الشيخ رأيه قائلا: "ولا يخفى ما في هذا القول من التعسف والبعد عن الظاهر"[5]، ثم يقول: "والصواب إن شاء الله في الآية هو ما صدرنا به"[6]، أي ما بدأنا به الشرح وهو قوله: "(طه): أظهر الأقوال عندي أنه من الحروف المقطعة في أوائل السور، ويدل لذلك الطاء والهاء المذكورتين في فاتحة هذه السورة، جاءتا في مواضع أخر لا نزاع فيها في أنهما من الحروف المقطعة"[7].

---

[1] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج04، ص 75.
[2] - المصدر نفسه ، ج4، ص 119 و 120.
[3] - نفسه، ج4، ص 120.
[4] - المصدر نفسه، ج4، 303 وما بعدها.
[5] - نفسه، ج4، ص 304.
[6] - نفسه، ج4، ص 304.
[7] - نفسه،ج4، ص 303.

ومن أمثلة الإبدال في مؤلفات الشيخ نذكر على سبيل المثال لا الحصر: **(مأزورات أصلها موزورات)**[1] و**(هزؤا و هزوا)**[2] و**(وعتيا أصلها عتوا)**[3] و**(عَصيا)**[4] و**(البغي)**[5] و**(النسي)**[6] و**(فأجِرْ به)**[7] و**(النهى)**[8] و**(عصيهم)**[9] و **(وبير)**[10]....وما إلى ذلك.

وينبه الشيخ إلى قضية خطيرة في إبدال بعض الحروف في القراءة في بعض البلدان حيث يقول: "اعلم وفقني الله وإياك أن ما جرى في الأقطار الإفريقية من إبدال الأخيرة من هذه الهمزة المذكورة وأمثالها في القرآن هاء خالصة من أشنع المنكر وأعظم الباطل (أإذا)، وهو انتهاك لخدمة القرآن العظيم وتعدّ لحدود الله، ولا يعذر فيه إلا الجاهل الذي لا يدري الذي يظن أن القراءة بالهاء الخالصة صحيحة، وإنما قلنا هذا لأن إبدال الهمزة فيما ذكر هاء خالصة لم يروه أحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم ينزل عليه جبريل البتة، ولم يرو عن صحابي ولم يقرأ به أحد من القراءة، ولا يجوز بحال من الأحوال، فالتجرؤ على الله بزيادة حرف في كتابه وهو هذه الهاء التي لم ينزل بها الملك من السماء البتة، هو كما ترى، وكون اللغة العربية قد سمع فيها إبدال الهمزة هاء لا يسوغ التجرؤ على الله بإدخال حرف في كتابه لم يأذن بإدخاله الله ولا رسوله، ودعوى أن العمل جرى بالقراءة بالهاء لا يعول عليها، لأن جريان العمل بالباطل باطل، ولا أسوة في الباطل بإجماع المسلمين وإنما الأسوة في الحق، والقراءة سنة متبعة مروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا لا خلاف فيه"[11].

فالشنقيطي يدعو إلى أن تكون القراءة (أإذا) إما بالهمز أو بالتخفيف وتحرم القراءة بإبدال الهمزة الثانية هاء كما ذكر الشيخ في بعض الأقطار الإفريقية، لأن هذا لا يجوز ولا يليق.

7- استجاره: هذه اللفظة وقع فيها إعلال، وهي من بيتين من الشعر استقاهما الشاعر من التراث العربي، وبالخصوص المثل العربي (إياك أعني واسمعي يا جاره) فيذكر الشيخ أن مورد هذا المثل أن سهل بن مالك الفزاري زار حارثة بن لأم الطائي فوجده غائبا، فأنزلته أخته وأكرمته وكانت جميلة فأعجبه جمالها، فقال مخاطبا لأخرى غيرها ليسمعها هي:

يا أختَ خير البدو والحضاره　　　كيف ترين في فتى فزاره
أصبح يهوى حرة معطاره　　　إياك أعني واسمعي يا جاره

ففهمت المرأة مراده، وأجابته بقولها:

إني أقول يا فتى فزاره　　　لا أبتغي الزوج ولا الدعاره

---

1 - المصدر السابق،ج3، ص 357.
2 - نفسه، ج4، ص 109.
3 - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص 165.
4 - نفسه،ج4، ص 176.
5 - نفسه،ج4،ص 182.
6 - نفسه،ج4، ص 180.
7 - المصدر نفسه،ج4، ص 213.
8 - نفسه،ج4، ص 322.
9 - نفسه،ج4، ص 311.
10 - نفسه،ج5، ص 486.
11 -الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان،ج7، ص 513.

ولا فراق أهل هذي الحاره فارحل إلى أهلك باستحاره.[1]

ويشرح الشيخ ظاهرة الإعلال الواردة في اللفظة الأخيرة قائلا: "والظاهر أن قولها (باستحاره) أن أصله (استفعال) من المحاورة بمعنى رجع الكلام بينهما، أي ارحل إلى أهلك بالمحاورة التي وقعت بيني وبينك وهي كلامك وجوابي لك، ولا تحصل مني على غير ذلك، والهاء في الاستحارة عوض من العين الساقطة بالإعلال كما هو معروف في فن الصرف".[2]

<u>8- (آية) (الكهف17):</u> يقول الشيخ عن الإعلال الذي وقع في هذه اللفظة: "وأصل **(الآية)** عند المحققين (أَيَيَة) بثلاث فتحات، أبدلت فيه الياء الأولى ألفا، والغالب في مثل ذلك أنه إذا اجتمع موجِبا إعلالا كان الإعلال في الأخير، لأن التغير عادة أكثر في الأواخر كما في طوى ونوى، ونحو ذلك ...كما أشار في الخلاصة بقوله:

وإن لحرفين ذا الإعلال استحق صحح أول وعكس قد يحق.[3]

<u>9- (آية) (الجاثية06):</u> في هذه اللفظة يتحدث الشيخ بإسهاب عن الظاهرة الصوتية التي مست اللفظة وهي الإعلال فيقول: "أصل (الآية) أيية بفتح الهمز وفتح الياءين بعدها، فاجتمع في الياءين موجبا إعلالا، لأن كلا منهما متحركة حركة أصلية بعد فتح متصل كما أشار له في الخلاصة بقوله: **من واو وياء بتحريك أصل ألفا أبدل بعد فتح متصل.**

والمعروف في علم التصريف أنه إن اجتمع موجبا إعلال واحدة فالأكثر في اللغة العربية تصحيح الأول منهما، وإعلال الثاني بإبداله ألفا كالهوى والنوى والطوى والشوى، وربما صحح الثاني وأعلّ الأول كغاية وراية وآية على الأصح، ومعلوم أن إعلالهما لا يصح".[4]

<u>10- الخشاف والخفاش:</u> في اللفظتين قلب مكاني والمعنى واحد، وهو ما تحدث الشيخ حديثا عابرا لم يفصل فيه حين ذكر بيتا ذكر فيه الخفاش، فقال النخعي: أكل الطير حلال إلا الخفاش، وإنما حرمت هذه لأنها مستخبثة لا تأكلها العرب....والخشاف هو الخفاش.[5]

والمثال واحد من عديد الأمثلة التي وردت في لغة العرب مثل: جبذ وجذب، وقبض وقضب وربض ورضب وصاعقة وصاقعة واضمحل وامضحل وعميق ومعيق، وغير ذلك من الأمثلة كما ورد في كتب فقه اللغة والتراث العربي.

<u>11- العصا: (طه 65):</u> يذكر الشيخ أن الألف مقلوبة عن الواو حيث يقول: "العصي جمع عصا، وألف العصا منقلبة عن واو، ولذا ترد إلى أصلها في التثنية، ومنه قول غيلان ذي الرمة:

فجاءت بنسج العنكبوت كأنه على عصويها سابري مشبرق

وأصل العصي عَصُوٌّ على وزن (فعول) جمع عصا، فأعل بإبدال الواو التي في موضع اللام ياء فصار عصويا، فأبدلت الواو ياء وأدغمت في الياء، فالياءان أصلهما واوان، وإلى جواز هذا النوع من الإعلال في واوي اللام مما جاء على فعول أشار في الخلاصة بقوله:

---

[1] - المصدر السابق، ج3، ص 363.
[2] - نفسه، ج3، ص 363.
[3] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص 30 وما بعدها.
[4] - المصدر نفسه، ج7، ص 222.
[5] - نفسه، ج2، ص 204.

كذاك ذا وجهين جا الفعول من ذي الواو لام جمع أو فرد يعن"[1]

وما يلاحظ في تفسير الظاهرة الصوتية للفظة (العصا) اجتماع ظواهر صوتية أربعة كالإعلال والإبدال والإدغام والقلب، كما فصل الشيخ.

12- لعمرك: (الذاريات 72): يقول الشيخ: "سمع بعض العرب تقديم الراء على اللام في (لعمرك) فتقول فيها: (رعملك)، ومنه قول الشاعر:

رعملك إن الطائر الواقع الذي تعرض لي من طائر لصدوق "[2]

فاللفظتان حدث فيهما تغيير لمواقع الحروف لكن المعنى واحد لم يتغير فتقول العرب (لعمرك) و(رعملك) بمعنى واحد.

ومن أمثلة القلب التي أوردها الشيخ في كتبه **(لبيك)**،[3] فهي اسم مفرد لا مثنى، وإنما انقلبت ألفه ياء لاتصالها بالضمير، كما قلبت ألف لدى وإلى وعلى في حالة الاتصال بالضمير فتقول لديك وإليك وعليك بإبدال الألف ياء"،[4] فـ (لبى) إذا اتصلت بالضمير انقلبت الألف ياء كما ذكر الشيخ.

6- التنوين وتركه: إن الأمثلة الذي ذكرها الشيخ في كتبه حول التنوين وحذفه محدودة جدا، فهناك بعض الألفاظ قرئت على وجهين اثنين: قرأها بعضهم بالتنوين وقرأها البعض الآخر بلا تنوين، والقراءتان صحيحتان لا خلاف حولها بين العلماء، ومن أمثلة ذلك نذكر على سبيل المثال ما يلي:

أ- (كلا): (الأنبياء 79): يقول الشيخ **(وكلا آتينا حكما وعلما)** أي أعطينا كلا من داود وسليمان حكما وعلما، والتنوين عوض عن كلمة أي كل واحد منهما"،[5] فلماذا جاءت لفظة (كل) منونة بالنصب؟ فالتنوين عند الشيخ له دلالة وهو تعويض تركيب كامل وهو (أي كل واحد منهما) أو (أي كل من داود وسليمان).

ب- (ص):(ص01): فهذه اللفظة من الحروف المقطعة في أوائل السور، فيذكر الشيخ أن البعض قرأها بـ (ص) بكسر الدال غير المنونة، وهناك من قرأها بكسر الدال منونة، وهناك من قرأها بفتح الدال، وهناك من قرأها بضمها غير منونة، وهي كما يقول الشيخ قراءات شاذة لا يعول عليها، ويضيف الشيخ موضحا: "قراءة (ص) بكسر الدال غير منونة مروية عن أبي بن كعب والحسن وابن إسحاق وأبي السمال وابن أبي عيلة ونصر بن عاصم، ... وفي رواية عن ابن أبي إسحاق أنه قرأ (ص) بكسر الدال مع التنوين على أنه مجرور بحرف قسم محذوف وهو كما ترى فسقوطه ظاهر، وكذلك قراءة (ص) قرأ (ص) بفتح الدال من غير تنوين فهي قراءة شاذة والتفاسير المبينة إليها ساقطة"[6].

---

[1] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان ، ج4، ص 331.
[2] - المصدر نفسه، ج3، ص 26.
[3] - نفسه، ج5، ص 240.
[4] - نفسه ، ج4، ص 508.
[5] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص 508.
[6] - المصدر نفسه، ج7، ص 03 وما بعدها.

فالشيخ دائما يذكر آراء غيره، وهذا من الأمانة العلمية مهما كان الرأي، فصوابه له وخطؤه عليه، ثم يبين الشيخ رأيه في الأخير وفي هذه اللفظة يميل إلى الرأي الأول بأن الحرف (ص) من الحروف المقطعة التي بدئت بها بعض السور من كتاب الله.

ج- فزع: (النمل89): يقول الشيخ في تفسير آية **(وهم من فزع يومئذ آمنون)** النمل 89: "قرأه عاصم وحمزة والكسائي بتنوين (فزع) وفتح ميم (يومئذ)، وقرأ الباقون بغير تنوين، بل بالإضافة إلى (يومئذ)"[1] فالأولى (فزعٍ يومئذ) والثانية بـ (فزعِ يومئذ) والقراءتان صحيحتان.

د- بزينة (الصافات06): فالقراء السبعة قرأوا الحرف بإضافة (زينة) إلى (الكواكب) بلا تنوين في (زينة) مع خفض الباء في (الكواكب)، إلا عاصما وحمزة فقرأ الحرف بالتنوين وخفض الكواكب على أنه بدل من (زينة)، وقرأه أبو بكر عن عاصم (بزينة الكواكب) بتنوين (زينة) ونصب (الكواكب) على أنها بدل من (السماء) أو مفعول به بـ (زينة) بناء على أنه مصدر منكر.[2] في هذا الأمر تفصيل ذكره الشيخ في هذا المقام عند تفسير آية **(إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب)** الصافات06.

هـ- تترا:(المؤمنون44): يقول الشيخ: "قرأ هذا الحرف ابن كثير وأبو عمرو: تترًا بالتنوين، وهي لغة كنانة، والباقون بألف التأنيث المقصورة من غير تنوين، وهي لغة أكثر العرب[3]"، فالتنوين ظاهرة صوتية خاصة ببعض القبائل ككنانة في هذه اللفظة (تترًا) تنطقها بالتنوين، وأما بقية القبائل العربية فتنطقها بلا تنوين.

7- التماثل والتجانس والتقارب والتباعد:[4] هذه الظواهر الصوتية تكون نتيجة علاقات الحروف بعضها ببعض سواء من حيث المخرج أو من حيث الصفة.

ويعرف التماثل بأنه: اتفاق الحرفين مخرجا وصفة أو أن يتحد الحرفان في الاسم والرسم كالباءين والتاءين والثاءين، فإن اسمهما واحد وذاتهما في الرسم واحدة مثل: **(اضرب بعصاك)**و**(ربحت تجارتهم)**، وهو في الحقيقة نوع من الإدغام لا يتم إلا نتيجة للتماثل في الحروف[5].

وأما التجانس فهو أن يتفق الحرفان مخرجا ويختلفا صفة كالدال والطاء مثلا[6]، مثل **(وقالت طائفة)** و**(أحطت)** **(أجيبت دعوتكما)** و**(إذ ظلموا)**.

والتقارب هو أن يتقارب الحرفان مخرجا ويتحدا صفة كالحاء والهاء أو أن يتقارب الحرفان مخرجا وصفة كاللام والراء، أو أن يتقارب الحرفان مخرجا ويتباعدا صفة كالدال والسين، أو أن يتقارب الحرفان صفة ويتباعدا مخرجا كالسين والشين،[7] وأما التباعد فهو أن يتباعد الحرفان مخرجا ويتحدا صفة، كالنون والميم أو أن يتباعد الحرفان مخرجا وصفة كالميم والضاد.[8]

---

[1] - المصدر السابق، ج6، ص 297.

[2] - المصدر نفسه، ج6، ص 438.

[3] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج5، ص 540.

[4] - للتفصيل في هذا المبحث ينظر: عبد الحميد سعاد: تيسير الرحمن في تجويد القرآن، دار مشكاة العلوم، دمشق، سوريا، الطبعة 2، 1425هـ، 2004م، ص 157، وأنيس إبراهيم: الأصوات اللغوية، مطبعة نهضة مصر، مصر، د ط، د ت، ص 106 و 139.

[5] - عفيفي أحمد: ظاهرة التخفيف في النحو العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1417هـ، 1996م، ص 199.

[6] - دلدار غفور حمد أمين: تفسير الزمخشري، دراسة لغوية، دار دجلة ناشرون، الأردن، ط1، 2007م، ص 130.

[7] - المرجع نفسه، ص 130 وما بعده.

[8] - المرجع نفسه، ص 131.

والدارس في هذه الظواهر الصوتية الأربعة يجد أن أصول هذا الاتجاه قديمة ترجع إلى كتابات علماء العربية وعلماء التجويد المتقدمين، فهذا سيبويه يستخدم مصطلح (المثلين والمتقاربين)، وكذلك استخدمهما مكي والداني ولكن الذي ميز استخدام المتأخرين أنهم استخدموا مصطلح (المتجانسين) وجعلوا له ولمصطلح (المتقاربين) دلالة محددة، بينما نلمح عند المتقدمين أن مصطلح (المتقاربين) يؤدي دور المصطلحين معا.[1]

وتدلنا هذه التقسيمات الصوتية الأربعة للحروف العربية على إدراك العلماء لخصائص الأصوات، فهي فعلا إن التقت فهي إما أن تكون متفقة في المخرج والصفة فهي حينئذ متماثلة، وإما أن تكون متفقة في المخرج مختلفة في الصفة فهي حينئذ متجانسة، وإنما أن تتقارب في المخرج أو الصفة ولكن دون أن تكون متفقة فهي عندئذ متقاربة، وهي بعد ذلك قد تتباعد في كل شيء فتوصف حينها بالمتباعدة.

ومن أمثلة هذه الظواهر في مؤلفات الشنقيطي نذكر ما يلي:

<u>أ- السّجِّيل والسِّجِّين: (هود82):</u> يذكر الشيخ أن (السّجيل) لفظة اختلف فيها العلماء اختلافا كثيرا، والظاهر أن حجارة من طين في غاية الشدة والقوة، ويستدل الشيخ على قوله بقوله تعالى: **"لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين"** الذاريات 33 و 34، وخير ما يفسر به القرآن القرآن، ويضيف قائلا: "إن بعض العلماء قالوا :السجيل والسجين أختان كلاهما الشديد من الحجارة والضرب، ومنه قول ابن مقبل:

ورجلة يضربون البيض ضاحية ضربا تواصى به الأبطال سِجّينا".[2]

فالشاهد هنا أن اللام والنون يتحدان في المخرج، فهما لثويان أسنانيان[3]، بينما يختلفان في الصفة فاللام حرف مجهور متوسط جانبي، والنون حرف مجهور متوسط أنفي عند المحدثين فهما متجانسان، لذا تقول العرب: السجيل والسجين بمعنى واحد.

<u>ب- عات وعاس: (مريم: 08):</u> يقول الشيخ: "قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم (عِتيا) بكسر العين إتباعا للكسرة التي بعدها، ومجانسة الياء وقرأه الباقون (عتيا) أنه بلغ غاية الكبر في السن حتى نحل عظمه ويبس،....يقال منه للعود اليابس: عود عاتٍ وعاسٍ، وقد عتا يعتو عتوا، وعسا يعسو عسيا وعسوا، وكل متناه إلى غاية في كبر أو فساد أو كفر فهو عاتٍ وعاسٍ"،[4] ويضيف: "وقراءة (عسيا) بالسين شاذة لا تجوز القراءة بها"[5].

الشاهد هنا أن التاء والسين في عتيا وعسيا يتحدان في المخرج فهما لثويان أسنانيان[6]، لكنهما يختلفان في الصفة لأن التاء حرف مهموس شديد والسين حرف مهموس رخو فهما متجانسان، لذلك تقول العرب: العتي والعسي بمعنى واحد لكن القراءة بالسين شاذة لا تجوز القراءة بها كما يقول الشيخ.

---

[1] - الحمد غانم قدوري: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 1428هـ، 2007م، ص 337.
[2] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج3، ص 29.
[3] - عمر أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي، دار عالم الكتب، القاهرة، 1418هـ/ 1997م، ص 322.
[4] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان،ج4، ص 164 و 165.
[5] - المصدر نفسه، ج4، ص 165.
[6] - عمر أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي، ص 320.

ج- الأز والهز: (مريم: 83): يقول الشيخ: "الأز والهز والاستفزاز بمعنى، ومعناهما التهييج وشدة الإزعاج"[1]، فالهمزة والهاء حرفان متجانسان لاتحادهما في المخرج واختلافهما في الصفة، وعن ابن الأعرابي (ت231هـ) أن الأز مثل الهز[2]، ويذهب ابن جني (ت392هـ) إلى أن تقارب الحروف إنما هو لتقارب المعاني، وأن معنى قوله تعالى **(تؤزهم أزا)** أي تزعجهم وتقلقهم فهذا في معنى تهزهم هزا، والهمزة أخت الهاء فتقارب اللفظتين لتقارب المعنيين وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز، لأنك قد تهز ما لا بال له، كالجذع وساق الشجرة ونحو ذلك"[3]، فالإبدال وقع بين الهمزة والهاء ومخرج الحرفين هو أقصى الحلق والهمزة مجهورة شديدة والهاء مهموسة رخوة، فكانت العلاقة علاقة تجانس باتحاد في المخرج واختلاف في الصفة.

د- (القصم والفصم):(الأنبياء11): الكلمتان متفقتان في جميع الفونيمات إلا في القاف والفاء، فهما حرفان متباعدان في المخرج ومختلفان في الصفة، فالقاف حرف لهوي، ومن صفته أنه مهموس شديد، والفاء حرف شفوي أسناني، ومن صفته أنه مهموس رخو[4]، لذلك اختلف المعنى بين (قصم) و(فصم) يوضحه الشيخ قائلا: "أصل القصم: أقطع الكسر لأنه الكسر الذي يبين تلاؤم الأجزاء، بخلاف الفصم بالفاء فهو كسر لا يبين تلاؤم الأجزاء بالكلية، والمراد بالقصم في الآية: الإهلاك الشديد"[5]، فالخاصية هي خاصية التباعد لأن الحرفين ليسا متفقين في المخرج ولا في الصفة.

هـ - الرتق والفتق (الأنبياء 30): اللفظتان متفقتان في كل الحروف إلا في الراء والفاء، فالحرفان يتميزان بخاصية التباعد ذلك أنهما من مخرجين مختلفين ولهما اختلاف في الصفة كذلك، فالراء غاري المخرج، ومن صفته أنه مجهور متوسط، وأما الفاء فشفوي أسناني المخرج وصفته أنه مهموس رخو[6]، وبسبب هذا التباعد في المخرج والصفة تباعد المعنى أيضا حيث يقول الشيخ " :الرتق مصدر رتقه رتقا: إذا سده، والفتق هو الفصل بين الشيئين المتصلين فهو ضد الرتق، ومنه قول الشاعر: **يـــهون عليهم إذا يغضبو   ن سخط العداة وإرغـامها.**

ورتق الفتوق وفتق الرتو   ق ونقض الأمور وإبرامها"[7]

ويذكر الشيخ أن العلماء اختلفوا في المراد بالرتق والفتق في هذه الآية على خمسة أقوال فصل فيها الشيخ .[8]

و- السرد والزرد (سبأ 11): يطلق السرد على نسيج الدرع، والسرد والزرد بمعنى واحد، ذلك أن هناك خاصية التماثل بين السين والزاي لاتحادهما في الصفة والمخرج، فهما لثويان أسنانيان هذا من حيث المخرج، وهما رخوان إلا أن الزاي مجهور والسين مهموس[9]، لذلك كان معناهما واحد

---

[1] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص 397.
[2] - ابن منظور: لسان العرب، ج5، ص 307 (مادة أزز).
[3] - ابن جني أبو الفتح عثمان: الخصائص، ج2، ص148.
[4] - سيبويه: (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر): الكتاب، تحقيق محمد عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، د ت، د ط، ص 431.
[5] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص 422.
[6] - سيبويه: الكتاب، ج4، ص 422.
[7] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص 424.
[8] - المصدر نفسه، ج4، ص ص 224 - 426.
[9] - سيبويه: الكتاب، ج4، ص 422.

في اللفظتين كما يقول الشيخ: "السرد نسيج الدرع ويقال الزرد، ومن الأول قول أبي ذؤيب الهذلي :

وعليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبع

ومن الثاني قول الآخر: **نقريهم لهذميات نقد بها ما كان خاط عليهم كل زرّاد.**

ومراده بالزراد، ناسج الدرع"[1]

ز -النوص والبوص (ص 03): تتميز اللفظتان باختلافهما في حرفي النون والباء، فهذا الاختلاف باعد بين المعنيين إلى درجة أن أصبحت اللفظة الأولى نقيض الثانية، فالخاصية هنا التي تميز الحرفين هي خاصية التباعد، فهما مختلفان مخرجا وصفة، فالنون حرف لثوي، والباء شفوي هذا من حيث المخرج، أما من حيث الصفة، فالنون حرف مجهور متوسط أنفي، وأما الباء فهو حرف مجهور شديد[2]، وعن معنى اللفظتين يقول الشيخ: " العرب تطلق النوص على التأخر، والبوص بالباء الموحدة التحتية على التقدم، ومنه قول امرئ القيس:

أمن ذكر سلمى إذ هذا نأتك تنوص فتقصر عنها خطوة وتبوص"[3]

إن هذا الظواهر الصوتية الأربعة من تماثل وتجانس وتقارب وتباعد تساهم كلها في أداء المعنى من ترادف أو اشتراك أو تضاد كما أوضحنا ذلك، فهذه الأصوات (الحروف) تتأثر مع بعضها البعض ومن خلالها يتم استنباط القواعد الصوتية والقوانين التي تضبط الانسجام الصوتي في اللغة، وهذا ما تحدث عنه الأسلاف مثل سيبويه وابن جني فيما أسمياه بـ(مضارعة الحروف) و(تقريب صوت من صوت)، وكذلك فعل الخليل وابن سينا والمبرد والزمخشري وابن الجزري وأبو عمرو الداني وغيرهم من القدماء وحتى إبراهيم أنيس وتمام حسان وأحمد مختار عمر وعبد الصبور شاهين وغيرهم من المحدثين.

8- الوقف والابتداء: تعتبر هتان الظاهرتان أكثر أهمية في علم القراءات وعلم التجويد، ولهما جانب مهم في أداء العبارة والخطاب القرآني، فهما يوضحان كيف وأين ينتهي القارئ عند آي القرآن الكريم بما يتفق مع وجوه التفسير واستقامة المعنى وصحة اللغة وما تقتضيه علومها من نحو وصرف وأسلوب، حتى يحقق القارئ الغرض كله من قراءته، فلا يخرج عن وجه مناسب من التفسير والمعنى من جهة، ولا يخالف وجوه اللغة وسبل أدائها التي تعين على أداء ذلك التفسير والمعنى من جهة ثانية، وبهذا يتحقق الغرض الذي من أجله يقرأ القرآن ألا وهو الفهم والإدراك، فإذا ما استطاع القارئ أن يفعل ذلك وتمكن من المراعاة في وقفه عند نهاية العبارة فإنه لا شك سوف يبدأ العبارة على النحو الذي توفر له في وقفه، فلا يبدأ إلا حين يتم المعنى من جهة، وبما لا يخالف اللغة وعلومها وقواعدها من جهة أخرى.

وموضوع الوقف والابتداء يستطيع كل قارئ القيام به إذا أوتي بعض الحظ من اللغة وعلومها ووجوه أدائها، ولكنه يشْكُل في بعض الأحيان فلا يحسنه إلا العلماء الذين لهم علم ودراية وحظ واسع من السماع وعلم التأويل.

---

[1] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص 509.

[2] - دراقي زبير: محاضرات في فقه اللغة، ص 66.

[3] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص 12.

ويعرف الوقف لغة بأنه مصدر قولك وقفتُ الدابة ووقفت الكلمة وقفا ووقوفا ...ووقف الأرضَ على المساكين حبسها[1]، فالوقف هو الحبس والمنع، وأما اصطلاحا فهو: "قطع النطق عند إخراج آخر اللفظة".[2]

فالحرف الذي يوقف عليه لا يكون إلا ساكنا لأن الوقف أول السكوت الذي ينقطع فيه عمل اللسان ويسكّن كما أن الذي يبدأ به لا يكون إلا متحركا، وقد قيل عن العرب: إنها لا تبدأ بساكن ولا تقف على متحرك.

ويعرفه التهانوي في كشافه بأنه: "قطع الكلمة عما بعدها بسكتة طويلة، فإن لم يكن بعدها شيء يسمى ذلك قطعا"[3]، ويضيف في تعريف آخر: "الوقف هو عبارة عن قطع الصوت عن الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة لا بنية الإعراض ويكون في رؤوس الآيات وأوسطها ولا يأتي في وسط الكلمة ولا فيما اتصل رسما".[4]

وجاء في معجم المصطلحات في علم التجويد والقراءات أن الوقف: "هو قطع الصوت على الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة".[5]

وأما الابتداء فلغة الافتتاح والاستئناف وفعل الشيء أولُ[6]، واصطلاحا هو: "ما يقابل الوقف وهو من مصطلحات القراء "[7]، ويعرف أيضا: "بمعاودة القراءة بعد وقف، وعليه جرى عمل العلماء في تسمية (علم الوقف والابتداء) حيث قدموا اسم (الوقف)على اسم (الابتداء) لأن كلامهم في الوقف الناشئ عن الوصل، وفي الابتداء الناشئ عن الوقف وهو يستأنف بعده، ولذلك يطلق على الابتداء (الاستئناف)، وبذلك سمى أبو جعفر النحاس (ت 338هـ) كتابه (القطع والإئتناف)". [8]

وتحدث الشيخ عن ظاهرتي الوقف والابتداء أحاديث كثيرة في مؤلفاته، اخترنا هذه النماذج:

أ- الكلام على قوله تعالى: "وما يعلم تاويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به" :(آل عمران07): يقول الشيخ في تفسير هذه الآية: "لا يخفى أن هذه الواو محتملة للاستئناف فيكون قوله (والراسخون في العلم) مبتدأ وخبره (يقولون)، وعليه فالمتشابه لا يعلم تأويله إلا الله وحده، والوقف على هذا قام على لفظة الجلالة، ومحتملة لأن تكون عاطفة فيكون قوله (والراسخون) معطوفا على لفظ الجلالة، وعليه فالمتشابه يعلم تأويله الراسخون في العلم أيضا، وفي الآية إشارات تدل على أن الواو استئنافية لا عاطفة"[9]، فالواو هي التي أثارت الإشكال في الآية، فإذا كانت استئنافية وجب الوقوف عند لفظ الجلالة، ثم يستأنف الكلام بـ(والراسخون في العلم يقولون)، أما إذا كانت عاطفة، فالوقف يكون عند(العلم) لا عند لفظة الجلالة، وبالتالي يصبح (الراسخون) معطوفا على لفظ الجلالة (الله) ، ويستدل الشنقيطي بقول ابن قدامة في (روضة الناظر) ما نصه:

---

[1] - ابن منظور: لسان العرب، ج9، ص 359 (وقف).
[2] - الدوسري إبراهيم بن سعيد: معجم المصطلحات في علمي التجويد والقراءات، سلسلة معاجم المصطلحات، السعودية، ط1، 1425هـ/ 2004م، ص 436.
[3] - التهانوي محمد علي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج2، ص 1802.
[4] - المصدر نفسه، ج2، ص 1802.
[5] - الدوسري إبراهيم بن سعيد: معجم المصطلحات في علمي التجويد والقراءات، ص 110.
[6] - ابن منظور : لسان العرب، ج1، ص 26 (بدأ).
[7] - التهانوي محمد علي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج1، ص 81.
[8] - الدوسري إبراهيم بن سعيد: معجم المصطلحات في علمي التجويد والقراءات، ص 19.
[9] -الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، ص 210.

"ولأن في الآية قرائن تدل على أن الله سبحانه متفرد بعلم المتشابه، وأن الوقف الصحيح عند قوله تعالى (وما يعلم تأويله إلا الله) لفظا ومعنى، أما اللفظ فلأنه لو أراد عطف الراسخين لقال: (ويقولون آمنا) بالواو أما المعنى فلأنه ذم مبتغي التأويل، ولو كان ذلك للراسخين معلوما لكان مبتغيه ممدوحا لا مذموما، ولأن قولهم: (آمنا به) يدل على تفويض وتسليم لشيء لم يقفوا على معناه سيما إذا تبعوه بقولهم" (كلٌّ من عند ربنا) ، فيذكرهم ربهم ها هنا يعطي الثقة به والتسليم لأمره وأنه صدر من عنده كما جاء من عنده المحكم، ولأن لفظة (أما) لتفصيل الجمل فذكره لها في (الذين في قلوبهم زيغ) مع وصفه إياهم باتباع المتشابه وابتغاء تأويله يدل على قسم آخر يخالفهم في هذه الصفة وهم الراسخون، ولو كانوا يعلمون تأويله لم يخالفوا القسم الأول في ابتغاء التأويل وإذ قد ثبت أنه غير معلوم التأويل لأحد فلا يجوز حمله على ما ذكرناه"[1].

ومن هنا فالشيخ يؤيد فكرة صاحب (روضة الناظر) ابن قدامة على أن هذه القرائن والأدلة تؤكد وتثبت أن الواو استئنافية وليست عاطفة كما ذكر البعض، ويعطي الشيخ أدلة أخرى على صحة مذهبه قائلا: "ومما يؤيد ا الواو استئنافية لا عاطفة، دلالة الاستقراء في القرآن أنه تعالى إذا نفى على الخلق شيئا وأثبته لنفسه، أنه لا يكون له في ذلك الإثبات شريك كقوله: **(قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله)** النمل65 :، وقوله: **(لا يجليها لوقتها إلا هو)** الأعراف 187، وقوله **(كل شيء هالك إلا وجهه)** القصص88 ، فالمطابق لذلك أن يكون قوله **(وما يعلم تاويله إلا الله)** معناه: أنه لا يعلمه إلا هو وحده كما قاله الخطابي، وقال: لو كانت الواو في قوله (والراسخون) للنسق لم يكن لقوله **(كل من عند ربنا)** فائدة، والقول بأن الوقف تام على قوله **(إلا الله)**وأن قوله **(والراسخون)** ابتداء كلام هو قول جمهور العلماء للأدلة القرآنية التي ذكرنا"[2].

ومن الشواهد التي استدل بها الشيخ على احتمال العطف والاستئناف قول الشاعر:

الريح تبكي شجوها والبرق يلمع في الغمامة.

فيحتمل أن يكون (البرق) مبتدأ والخبر (يلمع) كالتأويل الأول، فيكون مقطوعا مما قبله، ويحتمل أن يكون معطوفا على (الريح) ، (ويلمع) في موضع الحال على التأويل الثاني أي (لامعا)[3].

ويذكر الشيخ في نفس السياق أن الاشتراك يكون في الحروف كما في حرف الواو من قوله تعالى **(والراسخون)** فإنها محتملة للعطف، فيكون **(الراسخون في العلم)** يعلمون تأويل المتشابه ومحتملة الاستئناف، فيكون الله تعالى مستأثرا بعلمه دون خلقه[4]، ثم ذكر قول ابن قدامة الذي ذكرناه من قبل.

ب- الجوار والجواري (الشورى32): يقول الشنقيطي: "قرأ هذا الحرف نافع وأبو عمرو (الجواري) بياء في الوصل والوقف معا"[5]، فهذه اللفظة تقرأ قراءات ثلاثة: أولاها بالياء أي**(الجواري)** لكن في الوصل لا في الوقف، وثانيها قراءتها بالياء وصلا ووقفا، وثالثها بدون ياء

---

1 -المصدر السابق، ج1، ص 210 و211.
2- نفسه، ج، ص211.
3- نفسه، ج1، ص211.
4- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، ص9.
5 المصدر نفسه، ج7، ص126.

لا في الوقف ولا في الوصل.

ج- جزءا (الزخرف15): يذكر الشنقيطي أن هذا الحرف قرأه شعبة من عاصم (جزُؤا) بضم الزاي، وباقي القراء السبعة بالسكون (جزْءا)، وحمزة عند الوقف يسقط الهمزة، بنقل حركتها إلى الزاي مع حذف التنوين للوقف[1].

د- وكأين (محمد 13): يقول الشنقيطي عن هذه اللفظة: "قرأ هذا الحرف عامة السبعة غير ابن كثير بهمزة مفتوحة بعد الكاف وياء مشددة مكسورة بنون ساكنة، وقرأه ابن كثير (وكائن) بألف بعد الكاف وهمزة مكسورة، وكلهم عند الوقف يقفون على النون الساكنة كحال الصلة إلا أبا عمرو فإنه يقف على الياء"[2].

يذكر الشيخ أن القراء السبعة غير ابن كثير قرأوا هذه اللفظة بـ(وكأيِّن) بهمزة مفتوحة وياء مشددة بالكسر والنون الساكنة، بينما ابن كثير قرأها غير ذلك بل بهمزة مكسورة قبل ألف (وكائن)، والكل يقف على النون الساكنة، إلا أبا عمرو فإنه لا يقف على النون الساكنة، بل على الياء أي هكذا (وكأيٍّ).

هـ- "المهتد والمهتدي"(الكهف 17): هذه اللفظة قرئت بوجهين: الأول يثبت الياء في الوصل دون الوقف ومنهم نافع وأبو عمرو، والسبعة الباقون قرأوها بحذف الياء في الحالين الوصل والوقف[3].

و-"وما كان منتصرا هنالك (الكهف 43): يقول الشنقيطي: "قال بعض العلماء (هنالك) متعلق بما بعده، والوقف تام على قوله **(وما كان منتصرا)** وقال بعضهم: هو متعلق بما قبله، فعلى القول الأول، فالظرف الذي هو (هنالك) عامله ما بعده، أي الولاية كائنة لله هنالك، وعلى الثاني فالعامل في الظرف اسم الفاعل الذي هو (منتصرا) أي لم يكن انتصاره واقعا هنالك"[4].

فالوقف والابتداء هنا هما اللذان يحددان معنى الآية، فإذا كان الوقف على (منتصرا)، والابتداء بـ(هنالك)، فـ(هناك) لا تتعلق بما قبلها بل بما بعدها أي (الولاية كائنة لله هنالك)، وإذا كان الوقف على (هنالك) والابتداء بـ (الولاية) فالمعنى يتغير ويصبح (هنالك) متعلقة بما قبلها أي (لم يكن انتصاره واقعا هنالك)، و(الولاية) مبتدأ لجملة جديدة لا علاقة لها بالجملة التي قبلها.

ز- لا يهتدون (النمل 24): يقول الشنقيطي: "اعلم أنه على قراءة الجمهور لا يحسن الوقف على قوله (لا يهتدون)، وعلى قراءة الكسائي يحسن الوقف عليه"[5].

يرى الشنقيطي أن الوقف غير حسن عند لفظة (لا يهتدون) عند جمهور القراء، وأما عند الكسائي فهو يقف عندها، بمعنى أن جمهور القراء يصلون بين (لا يهتدون) و(ألاّ يسجدوا) ولا يفصلون بوقفة بينهما، وأما الكسائي فيقف ويفصل بين العبارتين، والمعنى بالوقف أو الوصل مختلف وليس واحدا.

---

1 المصدر السابق، ج7، ص140.
2 المصدر نفسه، ج4، ص276.
3 نفسه، ج4، ص32.
4 نفسه، ج4، ص84.
5 الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج6، ص270.

ح- إنّا وأنا (النمل 51): يذكر الشيخ أن هذا الحرف قرأه نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الهمزة (أنّا)، وقرأه ابن عامر (إنّا) بكسر همزة (إنّا) على الاستئناف، وقرأه الكوفيون وهم عاصم وحمزة والكسائي، (أنّا) بفتح همزة (أنا) "، فالذي قرأها بالفتح فهذا دلالة على أنه لا يقف بل يصل بين(مكرهم) و(أنا) ولا يقف عند (مكرهم) وأما من قرأ بكسر همزة (إنا) فمعلوم أنه مستأنف بكلام جديد وجملة جديدة، بل ووقف عند (مكرهم)، وشتان بين معنى الوقف ومعنى الوصل.

ومن أمثلة الوقف والابتداء التي تحدث عنها الشنقيطي في ثنايا كتبه، نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

1) **(يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال)** **(النور 37)** (أضواء البيان، ج6، ص 155).
2) **(ألا يسجدوا) (النمل25)** (أضواء البيان، ج7، ص 268).
3) **(ويل) (الجاثية 07)** (أضواء البيان، ج7، ص 223).
4) **(هزؤا) (الجاثية 35)** (أضواء البيان، ج4، ص 224).
5) **(وهو الله في السموات وفي الأرض) (الأنعام 03)** (أضواء البيان، ج2، ص 139).
6) **(لكنا هو ربي) (الكهف 38)** (أضواء البيان، ج4، ص 82).
7) **(والباد) (و البادي) (الحج25)** (أضواء البيان، ج5، ص 38).
8) **(لات) (ص 03)** (أضواء البيان، ج7، ص 12).

9- الإشمام: يعرف الإشمام بأنه "عبارة عن الإشارة إلى الحركة من غير تصويت، وقال بعضهم: "أن تجعل شفتيك على صورتها إذا لفظت بالضمة وكلاهما واحد ولا تكون الإشارة إلا بعد سكون الحرف، وهذا مما لا يختلف فيه"[1].

وهو أيضا "ضم الشفتين بُعيد سكون الحرف من غير صوت، ويعبر عنه الكوفيون بالرَّوم، وكيفيته أن تجعل الشفتين - بُعَيد النطق بالحرف ساكنا- على صورتهما إذا لفظت بالضمة "[2]

يتضح من خلال هذين التعريفين أن الإشمام ظاهرة صوتية لها صلة بعلمي القراءة والتجويد، ولا يكون الإشمام إلا في المرفوع والمضموم فقط، ومن فوائده بيان الحركة الأصلية التي تثبت في الوصل للحرف الموقوف عليه ليظهر للناظر في حالة الإشمام حركة الضمة[3].

والإشمام يدرك بحاسة البصر لا بحاسة السمع كما هو الشأن في ظاهرة الرَّوم بحيث يراه المبصر دون الأعمى، ويطلق الإشمام على أربعة أنواع هي:

1- ضم الشفتين بُعَيد إسكان الحرف حال الوقف.
2- ضم الشفتين مقارنا لسكون الحرف المدغم في نحو (تامنّنّا) وهو أن تضم شفتيك بعيد إسكان النون الأول مباشرة وقبل انتهاء الغنة والنطق بالنون الثانية وهذا يكون في وسط الكلمة.
3- إشمام حرف بحرف أي خلط صوت حرف بحرف آخر كخلط الصّاد بالزاي في

[1] ابن الجزري(الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي)(ت833هـ): النشر في القراءات العشر، مراجعة محمد علي الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، ج1، ص121.
[2] الدوسري إبراهيم بن سعيد: معجم المصطلحات في علمي التجويد والقراءات، ص28.
[3] عبد الحميد سعاد: تيسير الرحمن في تجويد القرآن، دار مشكاة العلوم، دمشق، سوريا، ط2، 1425هـ/2004م، ص242.

نحو (الصراط) في قراءة حمزة.

4- إشمام حركة بحركة أي خلط صوت حركة بحركة أخرى كخلط الكسرة بالضمة في نحو(وقيل) على قراءة الكسائي وهشام[1].

وحديث الشنقيطي عن هذه الظاهرة قليل جدا، ولم نعثر في كتبه سوى مثالين اثنين يتمثلان فيما يلي:

<u>أ- (من لدنه) :(الكهف 02):</u> يقول الشيخ في هذا السياق: "قرأ أبو بكر عن عاصم (من لدنه) بإسكان الدال مع إشمامها الضمَّ وكسر النون والهاء ووصلها بياء في اللفظ"[2]، فظاهرة الإشمام كائنة في قراءة أبي بكر عن عاصم، وهو ضم الشفتين عند حرف الدال الساكن فلا تنطق ضمة، وإنما بحسب المتلقي المشاهد أن القارئ نطق بالضمة ولكن الأمر غير ذلك، ولهذا فالإشمام يدرك بالبصر فقط، وخاص بالضم والرفع فقط.

<u>ب- وجاْيءَ:(الزمر69):</u> يقول الشيخ: "قرأ هذا الحرف عامة السبعة غير الكسائي وهشام عن ابن عامر، (وجيء) بكسر الجيم كسرةً خالصةً، وقرأه الكسائي وهشام عن ابن عامر بإشمام الكسرة الضمَّ"[3].

فالقراءة بالإشمام اختص بها الكسائي وهشام عن ابن عامر فقط، وهذا نوع من أنواع الإشمام وهو النوع الرابع الذي ذكرناه من قبل، ويختص بإشمام حركة بحركة كحركة الكسرة بالضمة كما في المثال (وقيل).

ويضيف الشنقيطي موضحا: "وإنما كان الإشمام هنا جائزا والكسر جائزا لأنه لا يحصل في الآية البتة، ليس بين المبني للفاعل والمبني للمفعول، إذ من المعلوم هنا، (وجيء) مبني للمفعول ولا يحتمل البناء للفاعل بوجه، وما كان كذلك جاز فيه الكسر الخالص، وإشمام الكسرة الضم كما أشار له في الخلاصة قوله : **واكسر أو أشمم فا ثلاثي أعل عينا وضم حاء كبوع فاحتمل.**

أما إذ أسند ذلك الفعل إلى ضمير الرفع المتصل فإن ذلك قد يؤدي إلى اللبس، فيشتبه المبني للمفعول بالمبني للفاعل، فيجب حينئذ اجتناب الشكل الذي يوجب اللبس، والإتيان بما يزيل اللبس من شكل أو إشمام كما أشار له في الخلاصة : **وإن بشكل خيف لبس يجتنب.**

ومن أمثلة ذلك قول الشاعر: وقد أنشده صاحب اللسان:

وإني على المولى وإن قل نفعه دفوع إذا ما صمت غير صبور.

فقوله (صمت) أصله (صيمت) بالبناء للمفعول فيجب الإشمام أو الضم لأن الكسر الخالص يجعله محتملا للبناء للفاعل كبعت وسرت، وقول جرير يرثي المرار بن عبد الرحمن بن أبي بكرة:

وأقول من جزع وقد فتنا به ودموع عيني في الرداء غزار
للدافنين أخا المكارم والنداء لله ما ضمنت بك الأحجار

---

[1] المرجع السابق، ص243.
[2] الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص11 وما بعدها.
[3] المصدر نفسه، ج7، ص41.

أصله (فوتنا) بالبناء للمفعول فيجب الكسر أو الإشمام لأن الضم الخالص يجعله محتملا للبناء كقلنا وقمنا"[1].

فالشنقيطي يفصل في الإشكال الذي قد يقع في القراءة بإشمام الكسرة الضمَّ في قوله تعالى: **(وجيء)** ويأتي بالشرح المفصل، ولا يكتف بالشاهد الواحد بل يستدل بشواهد حتى يُفهم المتلقي حق إفهام، ليس في ظاهرة الإشمام بل في كل أمر يتطرق له صوتيا كان أو صرفيا أو نحويا أو دلاليا أو تاريخيا أو فقهيا أو علميا .... فمن خصائص خطابه الاسترسال في موضع الغموض حتى لا يبقي صغيرة أو كبيرة إلا ولامسها وتعرض إليها بالشرح والتفصيل.

<u>10- المقاطع الصوتية:</u> كنا قد عرفنا بالمقطع الصوتي في الفصل الأول من هذه الدراسة وتوصلنا إلى أن المقطع لا يمكن أن يكون له ظهور من دون النطق باللغة، لأن اللغة عبارة عن مجموعة من الكلمات، والكلمة "ليست في الحقيقة إلا جزء من الكلام، تتكون عادة من مقطع واحد أو عدة مقاطع وثيقة الاتصال بعضها ببعض ولا تكاد تنفصم في أثناء النطق، بل تظل مميزة واضحة في السمع، ويساعد بلا شك على تمييز تلك المجاميع معانيها المشكلة في كل لغة"[2].

فالمقطع كما سبق وحدة صوتية مفردة أكبر من الصوت مكونة من مادة أولية هي الأصوات الواقعة أثناء عملية الكلام التي تتم بطريقة الانفتاح والانغلاق[3]، وبعبارة أدق هو "مجموعة من الأصوات المفردة تتألف من صوت طليق واحد معه حبيس واحد أو أكثر"[4]، وهذا التجاور للأصوات اللغوية يعطي خطا متموجا له ارتفاعات وانخفاضات ناتجة عن تباين الوضوح السمعي فيما بين الأصوات.

والشنقيطي لم يتحدث في كتبه عن هذه الدراسة الصوتية العلمية الدقيقة للمقطع، وإنما هذا اجتهاد منا نحاول فيه إسقاط مفاهيم المقطع على ما كتبه الشيخ في كتبه وبخاصة تفسيره **(أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن)**، وكذا علاقة مفهوم المقطع بالقراءات والمعنى، ويمكن أن ندرج تحت هذا المبحث ما يلي:

<u>أولا: ما جاء من الأسماء على صورة خطية واحدة متغيرة الحركات:</u> ونقصد بهذا أن بعض الأسماء في القرآن الكريم جاءت متشابهة في الرسم (الخط) لكن فيه اختلاف في حركة واحدة في الكلمة قد تكون في الأول أو في الوسط أو في الآخر، وبتغير الحركة يحدث أمران في معنى اللفظة، إما أن يكون المعنى واحد، وإما أن تكون اللفظة الأولى مختلفة المعنى عن اللفظة الأخرى وهذا له علاقة بعلم القراءات، ومن أمثلة هذا ما يلي:

<u>أ- القَرح والقُرح: (آل عمران 140):</u> يقول الشنقيطي: "القَرح والقَرح قراءتان سبعيتان، بفتح القاف وضمها في الحرفين معناهما واحد فهما لغتان، كالضَّعف والضُّعف، وقال الفراء: القَرح بالفتح الجرح، وبالضم ألمه، ومن إطلاق العرب القَرح على الجرح قول متمم بن نويرة التميمي:

[1] الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج7، ص41.
[2] أنيس إبراهيم: الأصوات اللغوية، مطبعة نهضة مصر، مصر، دط، دت، ص70.
[3] مسعودي فضيلة: التكرارية الصوتية في القراءات القرآنية، قراءة نافع أنموذجا، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2007م، ص31.
[4] المرجع نفسه، ص31.

قعيدك ألا تسمعيني بملامة   ولا تنكئي قرح الفؤاد فيبجعا[1]"

فهناك خلاف بين اللغويين حول معنى القَرح والقُرح، فهما متشابهتان رسما متغيرتي الحركة في حرف القاف، فهناك من يرى بأن معناهما واحد، وهناك من يرى خلاف ذلك وهو أن القَرح بالفتح الجرح، وبالضم ألم الجرح، واستدل الشاعر بشاهد شعري من الشعر الجاهلي يوضح فيه أن معنى القرح هو الجرح.

ب- الشنَآن والشنْآن: (المائدة02): يقول الشنقيطي: "وقرأ بعض السبعة (شنْآن) بسكون النون، ومعنى (الشنآن)على القراءتين أي بفتح النون وسكونها: البغض، مصدر (شنأه) إذا أبغضه، وقيل على قراءة سكون النون يكون وصفا كالغضبان"[2].

فاللفظتان على صورة خطية واحدة، لكل الاختلاف كائن في إسكان النون وفتحها، وهما بمعنى واحد في كلتا القراءتين وهو البغض .

ج- الوَسْق والوِسْق: يذكر الشنقيطي أن "جميع العلماء أجمعوا على أن الوسق ستون صاعا، وهو بفتح الواو وكسرها والفتح أشهر وأفصح، وقيل هو بالكسر اسم وبالفتح مصدر"[3]، فالوَسق والوِسق معناهما واحد وإن اختلفتا في حركة كسر الواو وفتحها، لكن الشنقيطي يوضح بأن الوَسق بالفتح هو الأفصح والأشهر.

د- الحَصاد والحِصاد:(الأنعام149): يقول الشيخ: "قرأ ابن عامر وأبو عمرو وعاصم بفتح الحاء، والباقون بكسرها، وهما لغتان مشهورتان، كالصَّرام والصِّرام والجَذاذ والجِذاذ والقَطاف والقِطاف"[4].

هـ- السُّخري والسِّخري: (المؤمنون 110): يقول الشيخ: "السّخري بالضم والكسر مصدر سخر منه، إذا استهزأ به على سبيل الاحتقار....وقرأ نافع وحمزة والكسائي (سُخريا) بضم السين، والباقون بكسرها، ومعنى القراءتين واحد، وممن قال بأن معناهما واحد: الخليل وسيبويه، وهو الحق إن شاء الله تعالى"[5].

فالخليل وسيبويه وهما من أئمة اللغة قالا بأن السخري بالضم والكسر هما بمعنى واحد، وذهب الشيخ مذهبهما ورأى رأيهما بقوله (وهو الحق إن شاء الله تعالى)، لكن بعض اللغويين ذكروا الفرق بين (السخري) بالضم والكسر يوضحه الشيخ بقوله: "وعن الكسائي والفراء: أن (السِّخري) بكسر السين من قبيل ما ذكرنا من الاستهزاء، وأن السُّخري بضم السين من التسخير الذي هو التذليل والعبودية"[6].

هـ- الشَّوب والشُّوب: (الصافات 67): قام الشنقيطي بتعريف ما معنى الشوب ثم بين الفرق بين الشَّوب بالفتح والشُّوب بالضم فيقول: "الشوب الخلط من الحميم المخلوط لهم بشجرة الزقوم... وقال أبو عبد الله القرطبي في تفسير هذه الآية: (لشوبا من حميم)، الشوب: الخلط، والشّوب

---

[1] الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، ص226.
[2] المصدر نفسه، ج2، ص6.
[3] المصدر نفسه، ج2، ص173.
[4] نفسه، ج2، ص185.
[5] نفسه، ج5، ص546.
[6] نفسه ، ج5، ص564.

والشوب لغتان كالفَقر والفُقر والفتح أشهر، قال الفراء: شاب طعامه وشرابه إذا خلطهما بشيء يشوبهما شوبا وشيابة"[1].

فالشّوب والشوب متفقان لفظا ورسما ومعنى إلا في حركة الشين، فسواء كانت بالفتح أو بالضم فالمعنى واحد لا يتغير مثلهما مثل الفقر والفقر، لكن الشيخ يبين أن الفتح أشهر.

<u>و- العَدل والعِدل: (الأنعام 01):</u> يقول الشنقيطي: "عدل الشيء في اللغة مثله ونظيره، قال بعض علماء العربية: "إذا كان من جنسه فهو عدل بكسر العين، وإذا كان من غير جنسه فهو عدل بفتح العين، ومن الأول قول مهلهل: **على أن ليس عدلا من كليب إذا برزت مخبأة الصدور**

على أن ليس عدلا من كليب إذا اضطرب العضاه من الدبور

على أن ليس عدل من كليب غداك بلابل الأمر الكبير.

يعني القتلى الذين قتلهم من بكر بن وائل بأخيه كليب الذي قتله جساس بن مرة البكري لا يكافئونه ولا يعادلونه في الشرف، ومن الثاني :قوله تعالى: **(أو عدل ذلك صياما) المائدة 95**، لأن المراد من الإطعام من الصيام وليس من جنسه، وقوله: **(وإن تعدل كل عدل) الأنعام 70**، وقوله **(ولا يقبل منها عدل) البقرة 123**"[2].

فالعَدل والعِدل وإن اتحدا في الرسم عدا حركة العين فهما مختلفان في المعنى، فإذا كان النظير والمثل من نفس الجنس فهو عدل بالكسر، وإذا كان من غير جنسه فهو عدل بالفتح.

<u>ثانيا :ما جاء من الأفعال على صورة خطية واحدة متغيرة الحركات:</u> هناك مقاطع صوتية في شكل أفعال سواء ماضية أو مضارعة أو أمرا ترسم برسم واحد إلا أن هناك اختلاف في حركة حرف واحد من الفعل لكن المعنى مختلف، فالحركة تغير المعنى في الآية وبتغير الحركة يتغير زمن الفعل أو المتحدث أو المخاطب، ومن أمثلة هذا في كتب الشيخ نذكر على سبيل المثال ما يلي:

<u>أ- ينزَفون وينزِفون (الصافات 47):</u> يقول الشيخ: "وقوله (لا ينزفون) على قراءة فتح الزاي مبنيا للمفعول، فمعناه: أنهم لا يسكرون، والنزيف: السكران"[3]، ثم يذكر الشيخ شواهد شعرية يؤكد صحة معنى اللفظة على أنها بمعنى السكران، ثم يضيف: "وعلى قراءة (ينزفون) بكسر الزاي مبنيا للفاعل، ففيه وجهان من التفسير للعلماء، **أحدهما:** أنه من أنزف القوم إذا حان منهم النزف وهو السكر، ونظيره قولهم "احصد الزرع إذا حان حصاده واقطف العنب إذا حان قطافه"، وهذا القول راجع إلى الأول.

والثاني :أنه من أنزف القوم إذا فنيت خمورهم، ومنه قول الحطيئة:

لعمري لئن أنزفتموا أو صحوتموا لبئس الندامى أنتم آل أبجُرا"[4]

فالفعل (ينزفون) المبني للمعلوم له معنيان، الأول مثل معنى القراءة الأولى (يُنزَفون) المبني للمجهول أي السكر، والثاني بمعنى فنيت خمورهم كما بينه الشيخ في بيت الحطيئة.

---

[1] المصدر السابق، ج6، ص446.
[2] المصدر نفسه، ج2، ص138 وما بعدها.
[3] نفسه، ج2، ص98.
[4] الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج2،ص98.

ب- لتركبَنَّ ولتركبُنَّ (الانشقاق 19): يقول الشيخ: "اعلم أولا أن في هذا الحرف قراءتين سبعيتين مشهورتين: إحداهما (لتركبن) بفتح الباء، وبها قرأ من السبعة ابن كثير وحمزة والكسائي، وعلى هذه القراءة، ففي فاعل (لتركبن) ثلاثة أوجه معروفة عند العلماء: **الأول** وهو أشهرها: أن الفاعل ضمير الخطاب الواقع على النبي صلى الله عليه وسلم، أي لتركبن أنت يا نبي الله طبقا عن طبق أي طبقا بعد طبق أي حالا بعد حال أي فترتقي في الدرجات درجة بعد درجة....

والثاني: أن الفاعل ضمير السماء أي لتركبن هي أي السماء طبقا بعد طبق أي لتنتقلن السماء من حال إلى حال أي تصير تارة كالدهان وتارة كالمهل وتارة تتشقق بالغمام وتارة تطوى كطي السجل للكتب.

والثالث: أن الفاعل ضمير يعود إلى الإنسان المذكور في قوله تعالى: **"يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه" الانشقاق:6**، أي لتركبن أيها الإنسان حالا بعد حال من صغر إلى كبر ومن صحة إلى سقم كالعكس ومن غنى إلى فقر كالعكس ومن حياة إلى موت كالعكس...."[1].

هذا الشرح كله يدور حول القراءة الأولى (لتركبن) بفتح الباء، فيذكر الشيخ أنه إذا قرئت اللفظة بفتح الباء فالضمة تثير إشكالا وهو ما هو فاعل الفعل؟ فالإجابة عن السؤال ثلاث إجابات: الأولى: الفاعل ضمير يعود على النبي صلى الله عليه وسلم، فالله يخاطبه: **(لتركبن طبقا عن طبق)** أي الدرجات العلا درجة فوق درجة، والثانية الفاعل هو ضمير يعود إلى السماء الواردة في أول السورة، والثالثة: أن فاعل الفعل هو ضمير يعود إلى الإنسان الذي خاطبه الله قبل هذه الآية، لكن المشهور من هذه الإجابات هو الوجه الأول من التفسير.

أما عن القراءة الثانية (لتركبُن) بضم الباء فيقول الشيخ: "والقراءة الثانية وبها قرأ من السبعة نافع وابن عمرو وأبو عمرو وعاصم (لتركبُن) بضم الباء، وهو خطاب عام للناس المذكورين في قوله: **(فأما من أوتي كتابه بيمينه)** الانشقاق:10، ومعنى الآية (لتركبُن) أيها الناس حالا بعد حال فتنتقلون في دار الدنيا من طور إلى طور وفي الآخرة من هول إلى هول"[2].

ثم يجيب الشيخ عن سؤال خطير قد يتساءله الناس حول القراءة بضم الباء (لتركبُن)، ويرد بأسلوب العالم الحكيم معتمدا على الإقناع والمحاورة بثلاثة أوجه، والسؤال هو: "فإن قيل يجوز بحسب وضع اللغة العربية التي نزل بها القرآن على قراءة ضم أن يكون المعنى: لتركبن أيها الناس طبقا عن طبق أي سماء بعد سماء حتى تصعدوا فوق السماء السابعة كما تقدم نظيره في قراءة فتح الباء خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم، وإن كان هذا جائزا في لغة العرب فما المانع من حمل الآية عليه؟"[3].

يتوصل الشيخ إلى أن هذا من التلاعب بكتاب الله جل وعلا وتفسيره بغير معناه لمحاولة توفيقه مع آراء الكفرة من الإفرنج، وأن هذا ليس من مصلحة الدنيا والآخرة البتة وإنما فيه فساد الدارين.

---

[1] المصدر السابق، ج3، ص96 وما بعدها.
[2] نفسه، ج3، ص 97.
[3] نفسه ، ج3، ص196.

ج- تشاقونَ وتشاقونِ: (النحل27): في هذه اللفظة قراءتان كما يذكر الشنقيطي: الأولى (تشاقون) بفتح نون الرفع والمفعول به محذوف، وقرأ بها الجمهور، والثانية (تشاقون) بكسر النون الخفيفة التي هي نون الوقاية، والمفعول به ياء المتكلم المدلول عليها بالكسرة مع حذف نون الرفع لجواز حذفها من غير ناصب ولا جازم إذا اجتمعت مع نون الوقاية، ومثلها في الشرح مثل لفظة (تبشرون) في سورة الحجر[1].

د- (تحسَبهم) و(تحسِبهم): (الكهف 18): في هذه اللفظة قراءتان الأولى (وتحسبهم) بفتح السين على القياس، وقرأ بها ابن عامر وعاصم وحمزة، والثانية (وتحسبهم) بكسر السين قرأ بها نافع وابن كثير وأبو عمرو والكسائي وهما قراءتان سبعيتان، ولغتان مشهورتان والفتح أقيس والكسر أفصح[2]، والمعنى واحد.

ونفس الشرح ذكره الشيخ عند تفسير قوله تعالى: **"وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا"** الكهف 104.[3]

هـ- (فتخَطَّفه) و(فتخْطفه) (الحج 31): يقول الشيخ: "قرأ هذا الحرف نافع (فتخطّفه) بفتح الخاء وتشديد الطاء أصله (فتخطفه الطير) بتاءين فحذفت إحداهما، وقرأه غيره من السبعة (فتخطفه الطير) باستعمال الخاء وتخفيف الطاء مضارع خطفه بالكسر"[4].

الملاحظ في اللفظتين اتحادهما في الرسم والحركات عدا حركة الخاء، فبعضهم سكنها وبعضهم شددها، لكن المعنى واحد.

ثالثا: ما جاء على صورة خطية واحدة لكن باختلاف في بعض الحروف من نفس الرسم: ما نقصده في هذا العنوان هو أن بعض الألفاظ في القرآن الكريم، قرئت قراءتين اثنتين مختلفتين رغم أن الرسم واحد ولا تغيير إلا في نقط الحروف المتشابهة رسما كالباء والنون والتاء والثاء والياء وغير ذلك من تلك الحروف المتشابهة رسما والمختلفة نطقا ومن النماذج على هذا ما يلي:

أ- (يعّدون) و(تعدون): (الحج47): الملاحظ في اللفظتين أنه لا اختلاف بينهما إلا في الياء والتاء، وفي هذا يقول الشيخ: "قرأ هذا الحرف ابن كثير وحمزة والكسائي **(كألف سنة مما يعدون)** بياء الغيبة، وقرأه الباقون **(تعدون)** بتاء الخطاب، ومعنى القراءتين واضح"[5].

فمعنى القراءتين واحد، لكن الفرق يكمن في الذين يوجه إليهم الخطاب أو المتحدث عنهم، فالقراءة بالياء تدل على أن الخطاب يحكي عن عامة الناس الذين ابتدأت بهم السورة **(يا أيها الناس اتقوا ربكم)** الحج01، وأما القراءة بالتاء فتدل على أن الخطاب يقصد كذلك الناس الموجه إليهم مباشرة لا حكاية عنهم، وفرق ما بين أن أحدثك مباشرة أو أحكي عنك.

---

[1] - المصدر السابق، ج3، ص 196.
[2] - المصدر نفسه، ج4، ص 33.
[3] - نفسه، ج4، ص 148.
[4] - نفسه، ج5، ص 474.
[5] - نفسه، ج5، ص 494.

ب- (لنُبيتَنه) و(لتُبيتُنه): (النمل 49): يقول الشيخ: "قرأ عامة السبعة غير حمزة والكسائي **(لنُبيتَنه)** بالنون المضمومة بعد اللام، وفتح الفوقية المثناة التي بعد التحتية المثناة، وقرأ حمزة والكسائي **(لتُبيتُنه)** بالتاء الفوقية المضمومة بعد اللام وضم التاء الفوقية التي بعد الياء التحتية".[1]

فالقراءة بالنون تدل على أن الخطاب من المتكلم وهم (تسعة رهط) الذين ذكروا قبل الآية فهم المتكلمون بنون المضارعة للمتكلم، وأما على قراءة التاء فالرهط التسعة يحدثون بعضهم بعضا، والتاء هي تاء المضارعة للخطاب، فالرهط عندما تحدثوا قالوا **(لنبيتنه)** يقصدون أنفسهم عما يفعلون بسيدنا صالح عليه السلام، وهذه قراءة من قرأ بالنون، أما القراءة بالتاء فالجماعة كانوا يتحدثون إلى بعضهم بما سيفعلونه لنبيهم صالح، فهو حديث من أنفسهم إلى بعضهم البعض.

ج- (فتبينوا) و(فتثبتنوا): (الحجرات 06): يقول الشنقيطي: "قرأ هذا الحرف عامة السبعة غير حمزة والكسائي **(فتبينوا)** بالباء التحتية الموحدة بعدها مثناة تحتية مشددة ثم نون، وقرأه حمزة والكسائي **(فتثبتوا)** بالثاء المثلثة بعدها ياء تحتية موحدة مشددة ثم تاء مثناة فوقية، فاللفظ الأول من التبين، والثاني من التثبت، ومعنى القراءتين واحد، وهو الأمر بالتأني وعدم العجلة حتى تظهر الحقيقة فيما أنبأ به الفاسق".[2]

وكلام الشيخ واضح لا يحتاج إلى توضيح، فهناك التثبت والتبين، فاللفظان يتشابهان في الرسم والحروف واختلاف في نقط الحروف، لكن هذا لا يؤدي إلى تناقض في فهم المعنى، فالمعنى واحد وواضح كما قال الشيخ بالنسبة لكلتا القراءتين.

د- (تبلو) و(تتلو): (يونس 30): في هذا الحرف هناك قراءتان: قراءه الباء **(تبلو)**، فالله تعالى صرح بأن كل نفس يوم القيامة تبلو أي تخبر وتعلم ما أسلفت أي قدمت من خير وشر، ويعطي الشيخ شواهد قرآنية على صحة هذا الرأي منها قوله تعالى **(يوم تبلى السرائر) الطارق 09**، وقوله تعالى: **(ينبؤ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) القيامة 13**، وقوله تعالى: **(مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها)(الكهف 49)".**[3]

وهناك قراءة ثانية بالتاء (تتلو) فيضيف الشيخ: "وأما على قراءة **(تتلو)** بتاءين ففي معنى الآية وجهان: **أحدهما:** أنها تتلو بمعنى تقرأ في كتاب أعمالها جميع ما قدمت، فيرجع إلى الأولى (القراءة (تبلو)، **والثاني:** أن كل أمة تتبع عملها لقوله صلى الله عليه وسلم: (لتتبع كل أمة ما كانت تعبده فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس...) الحديث".[4]

وأمثلة هذا المبحث كثيرة تحتاج إلى دراسة مستفيضة لوحدها، ومن شواهد هذا نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما يلي: **(ونئا بجانبه) و(ناء بجانبه)**[5]، **(ينبت) و(ننبت)**[6]، **(يَهدي) و(يُهدى)**[7]،

[1] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج6، ص 274.
[2] - المصدر نفسه، ج7، ص 416.
[3] - نفسه، ج2، ص 359.
[4] - نفسه، ج2، ص 359.
[5] - نفسه، ج3، ص ص456 – 458.
[6] - نفسه، ج3، ص 171.
[7] - نفسه، ج3، ص 204.

(تتوفاهم) و(يتوفاهم)[1]**، (لنحصنكم) و(لتحصنكم)**[2]**، (يكاد وتكاد)**[3]**، (يقول ونقول)**[4]**، (نخسف ويخسف)**[5]**، (تعدون ويعدون)**[6]**...**

رابعا: الحروف المقطعة في أوائل السور: الحروف المقطعة هي تلك الحروف التي تبتدئ بها أوائل بعض السور، وعددها أربعة عشر حرفا هي (أ - ح - ر - س- ص - ط -ع - ق - ك - ل - م - ن - هـ - ي)، ومما يلاحظ أنها تمثل نصف حروف الأبجدية العربية الثمانية والعشرين هذا من جهة، ومن جهة ثانية اقتصرت على ذكر الحرف دون ذكر نظيره الذي يشبهه في الرسم، فذَكَر الحاء ولم يذكر الجيم والخاء، وذكر الراء ولم يذكر الزاي، وذكر الصاد ولم يذكر الضاد، وكذا في حروف الطاء والعين والسين والقاف.

إن هذه الحروف المقطعة وردت في أوائل السور من خلال خمسة أشكال تركيبية تمثلت في الهيئات الآتية:

1- ما جاء على هيئة حرف واحد فقط مثل: (ص) و(ق) و(ن).
2- ما جاء على هيئة حرفين مثل: (حم) و(طس) و(طه) و(يس).
3- ما جاء على هيئة ثلاثة أحرف مثل: (الم) و(الر) و(طسم) و(عسق).
4- ما جاء على هيئة أربعة أحرف مثل: (ألمر) و(المص).
5- ما جاء على هيئة خمسة أحرف مثل: (كهيعص) وهو التركيب الوحيد.[7]

ووردت هذه الحروف والصيغ في أوائل سبع وعشرين سورة شملت كلا من (البقرة، آل عمران، يونس، هود، يوسف، الرعد، إبراهيم، الحجر، مريم، طه، الشعراء، النمل، القصص، لقمان، السجدة، يس، ص، غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف، ق، القلم).

وخاض العلماء والمفسرون في تفسير هذه الأحرف، حتى بلغت جملة أقوال العلماء فيها ما يقرب من ثلاثين قولا كما ذكر الشنقيطي[8]، لكن الشنقيطي لم يذكرها كلها واكتفى بذكر أربعة فقط هي كالآتي:

أ- الحروف المقطعة هي من علم الغيب: يقول الشيخ: "اعلم أن العلماء اختلفوا في المراد بالحروف المقطعة في أوائل السور اختلافا كثيرا، واستقراء القرآن العظيم يرجح واحدا من تلك الأقوال، وسنذكر الخلاف المذكور، وما يرجحه القرآن منه بالاستقراء فنقول وبالله جل وعلا نستعين:

---

1 - المصدر السابق، ج3، ص 202.
2 - المصدر نفسه ، ج4، ص 510.
3 - المصدر نفسه، ج7، ص 96.
4 - نفسه، ج7، ص 431.
5 - نفسه، ج6، ص 404.
6 - نفسه، ج5، ص 494.
7 - الشيمي أحمد سيد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير، ص 505.
8 - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج3، ص 04.

قال بعض العلماء: هي مما استأثر الله بعلمه.... وممن رُوي عنه هذا القول: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود - رضي الله عنهم - وعامر والشعبي وسفيان الثوري والربيع بن خيثم واختاره أبو حاتم بن حبان"[1].

ومن هنا فالحروف المقطعة في أوائل السور كلها من علم الله لا يعلمها إلا هو، وهو الواحد الذي جعل هذه الحروف من علمه ولا يعلم تأويلها وتفسيرها أحد من خلقه حتى العلماء والراسخون في العلم.

ب- الحروف المقطعة هي أسماء للسور التي افتتحت بها: يقول الشيخ: "وقيل: هي أسماء للسور افتتحت بها، وممن قال بهذا القول: عبد الرحمان بن زيد بن أسلم، ويروى ما يدل لهذا القول عن مجاهد وقتادة وزيد بن أسلم"[2]

واستدل الشيخ الشنقيطي بما ذكره البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة **(ألم)** السجدة، و**(هل أتى على الإنسان)".**[3]

كما استدل الشيخ بشاهد آخر من الشعر يذكره أصحاب هذا الرأي كدليل على صحة رأيهم: "ويدل له أيضا قول قاتل محمد السجاد بن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما يوم الجمل، وهو شريح بن أبي أوفى العبسي، كما ذكره البخاري في صحيحه في أول سورة المؤمن (غافر):

يذكرني حاميمَ والرمحُ شاجر فهلاَّ تلا حاميمَ قبل التقدم"[4]

ويذكر الشيخ الخلاف حول نسبة هذا البيت لصاحبه فينسب للأشتر النخعي تارة، ولمدلج بن كعب السعدي ثانية ويقال كعب بن مدلج، وقيل لغيره....[5]

الشاهد أن الحديث ذكر (ألم) اسما لسورة السجدة، والبيت الشعري ذكر حاميم، وذكر الشيخ أن (حاميم) تعرب إعراب مالا ينصرف، وهو دليل على أنها اسم لسورة من السور التي تبتدئ بـ(حم) لكن البخاري ذكر أنها سورة (غافر)، والله أعلم.

ج- الحروف المقطعة اسم من أسماء الله تعالى: وممن قال بهذا القول سالم بن عبد الله والشعبي والسدي الكبير كما روي معناه عن ابن عباس رضي الله عنه، وعن ابن عباس أيضا أنها أقسام أقسم الله تعالى بها وهي من أسمائه، وروي نحوه عن عكرمة.[6]

د- الحروف المقطعة حروف كل واحد منها من اسم من أسمائه تعالى: يقول الشيخ: "وقيل هي حروف، كل واحد منها من اسم من أسمائه جل وعلا، فالألف من (ألم) مثلا مفتاح اسم الله، واللام مفتاح اسمه لطيف، والميم مفتاح اسمه مجيد وهكذا، ويروى هذا عن ابن عباس وابن مسعود وأبي العالية "[7]

---

[1] - المصدر السابق، ج3، ص 03.
[2] - نفسه، ج3، ص 03.
[3] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج3، ص 03.
[4] - المصدر نفسه، ج3، ص 03.
[5] - نفسه، ج3، ص 03.
[6] - نفسه، ج3، ص 04.
[7] - نفسه، ج3، ص 04.

ومن أدلة الذي رأى هذا الرأي: أن العرب تطلق الحرف الواحد من الكلمة وتريد به جميع الكلمة كقول الراجز: **قلت لها قفي فقالت لي قاف لا تحسبي أنا نسينا الايجاف**

فقوله (قاف) أي (وقفت)، وقول الآخر: **بالخير خيرات وإن شرا فا ولا أريد الشر إلا أن تا.**

يعني (وإن شرا فشر) و (لا أريد الشر إلا أن تشاء)، فاكتفى بالفاء والتاء عن بقية الكلمتين.

والشاهد الثالث حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة لقي الله يوم القيامة مكتوب على جبهته آيس من رحمة الله)**، قال القرطبي: قال سفيان: هو أن يقول في (اقتل) (أق).[1]

ويرى الشنقيطي أن الحروف المقطعة إنما وردت في أوائل السور لتقوم شاهدا على إعجاز القرآن الذي تتركب آياته من تلك الحروف التي يتخاطب بها الخلق، ومع هذا فهم عاجزون عن الإتيان بمثله، يقول الشيخ: "وأما القول الذي يدل استقراء القرآن على رجحانه فهو أن الحروف المقطعة ذكرت في أوائل السور التي ذكرت فيها بيانا لإعجاز القرآن وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها، وحكى هذا القول الرازي في تفسيره عن المبرد، وجمع من المحققين وحكاه القرطبي عن الفراء وقطرب ونصره الزمخشري في الكشاف.

قال ابن كثير: وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية، وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي وحكاه لي عن ابن تيمية"[2].

وعقب ذلك يسوق الشنقيطي استدلاله على ما ذهب إليه من خلال استقراء القرآن لهذا فيقول: "ووجه شهادة استقراء القرآن لهذا القول: أن السور التي افتتحت بالحروف المقطعة يذكر فيها دائما عقب الحروف المقطعة انتصار القرآن وبيان إعجازه، وأنه الحق الذي لا شك فيه، وذكر ذلك بعدها دائما دليل استقرائي على أن الحروف المقطعة قصد بها إظهار إعجاز القرآن وأنه حق"[3].

ويستمر الشيخ في ذكر المواضع التي ابتدئ بها هذه الحروف وذكر الآيات التي بعدها غير أنه أغفل موضعين منها، وهما (سورة مريم) و(سورة القلم)[4].

الملاحظ أن الشيخ فصل في هذا المبحث ووقف عنده طويلا عند تفسير بداية (سورة هود)، ويحدثنا بشيء من التركيز والإيجاز عن هذا في تفسير بداية سورة (طه) و(يس) و(ص).

يقول في تفسير أول (طه): "أظهر الأقوال عندي أنه من الحروف المقطعة أوائل السور، ويدل ذلك أن الطاء والهاء المذكورتين في فاتحة هذه السورة، جاءتا في مواضع أخر لا نزاع فيها في أنهما من الحروف المقطعة، أما الطاء ففي فاتحة الشعراء **(طسم)** وفاتحة النمل **(طس)** وفاتحة القصص **(طسم)**، وأما الهاء ففي فاتحة (مريم) في قوله تعالى **(كهيعص)"[5].**

[1] - المصدر السابق، ج3، ص 04.
[2] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج3، ص 04.
[3] - المصدر نفسه، ج3، ص 4 و5.
[4] - الشيمي أحمد سيد حسانين: الشنقيطي ومنهجه في التفسير، ص 509.
[5] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص 303.

ويقول في تفسير أول (يس): "التحقيق أنه (يس) من جملة الحروف المقطعة في أوائل السور، والياء المذكورة فيه ذكرت في فاتحة سورة مريم، في قوله تعالى (كهيعص)، والسين المذكورة فيه ذكرت في أول الشعراء والقصص في قوله **(طسم)** وفي أول النمل في قوله **(طس)** وفي أول الشورى في قوله **(حم عسق)"**[1].

ويقول في أول (ص): "قرأ الجمهور **(ص)** بالسكون منهم القراء السبعة، والتحقيق أن **(ص)** من الحروف المقطعة في أوائل السور كـ(ص) في قوله تعالى **(ألمص)** الأعراف 01، وقوله تعالى **(كهيعص)** مريم 01"[2].

والسؤال المطروح هو: "لماذا أرجأ الشيخ الحديث عن هذه الحروف المقطعة إلى غاية أول سورة هود، وافتتحت بحروف مقطعة مثل (البقرة) و(آل عمران) و(الأعراف) و(يونس)؟ والإجابة عند الشيخ الشنقيطي حيث يجيب قائلا: "وإنما أخرنا الكلام على الحروف المقطعة مع أنه مرت سور مفتتحة بالحروف المقطعة كالبقرة وآل عمران والأعراف ويونس لأن الحروف المقطعة في القرآن المكي غالبا، والبقرة وآل عمران مدنيتان والغالب له الحكم، واخترنا لبيان ذلك سورة هود لأن دلالتها على المعنى المقصود في غاية الظهور والإيضاح، لأن قوله تعالى: **(كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير)** بعد قوله **(ألر)** واضح جدا فيما ذكرنا، والعلم عند الله تعالى"[3].

فرغم أنه أجاد وأفاد بهذه الإجابة الشافية الكافية إلا أنه دائما يختم بعبارة **(والعلم عند الله تعالى)** وهذا من تواضعه رحمه الله.

خامسا: المقاطع القرآنية والإيقاع الصوتي[*]: ونعني بالإيقاع الصوتي تلك "الخصائص التي تتمايز بواسطتها الأصوات ويتعلق بها نوع من المعاني يسمى المعاني الطبيعية التي لا توصف آثارها بأنها عرفية ولا ذهنية لأنها في الواقع مؤثرات سمعية انطباعية ذات وقع على الوجدان تدركها المعرفة ولا تحيط بها الصفة، فمثل تأثيرها في وجدان السامع مثل النغمة الموسيقية تطرب لها ثم لا تستطيع أن تقول (لم طربتُ؟)، ونستطيع أن ننسب إلى الأسلوب القرآني... الإيقاع والفاصلة والحكاية والمناسبة وحسن التأليف"[4].

والإيقاع الصوتي ظاهرة أسلوبية في القرآن الكريم تنتهي بها فواصل الآي فتؤثر في القارئ أو المتلقي، وهذا يكون في ترتيب الحروف مع مراعاة مخارجها وصفاتها ومناسبة بعض ذلك لبعض مناسبة طبيعية في الهمس والجهر والشدة والرخاوة والتفخيم والترقيق والتفشي والتكرار.. ولا يخفى أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت بما يخرجه فيه مدّا أو غنّة أو لينا أو شدّة، وبما يهيئ له من الحركات المختلفة في

[1] - المصدر السابق، ج6، ص 421.
[2] - نفسه، ج7، ص 03.
[3] - المصدر السابق، ج3، ص 06.
[*] - لمزيد من التفصيل في الموضوع يراجع: بو لنوار سعد، آليات تحليل الخطاب في تفسير أضواء البيان للشنقيطي: تحديد المفاهيم، مخطوط دكتوراه، جامعة ورقلة 2011م/2012م، ص 130.
[4] - حسان تمام: البيان في روائع القرآن، دار عالم الكتب، القاهرة، ج1، 2000م، ص 175.

اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها ثم هو يجعل الصوت إلى الإيجاز والاجتماع.[1]

ورغم أن القرآن الكريم زاخر بهذه الظاهرة من أول سورة فيه إلى آخره إلا أن الشنقيطي لم يتعرض لها إلا في القليل النادر، وهذا الأمر على قلته في كتب الشيخ إلا أنه يدل دلالة كبيرة على أهمية الإيقاع في التلفظ القرآني ويتضح ذلك في أن التناسب أو الاتزان في التعبير هو مظهر في بيان القرآن، وهذا المظهر الإيقاعي المتلاحم ينسجم مع طبيعة السماع أو التلقي، فالأذن ترفض أن تقبل الارتكاز المتتالي أو النبر الشديد في كلمتين متعاقبتين، بل إنها لترفض النقرة القوية يليها نقرتان خفيفتان أو زمنان ضعيفان وإعادة ذلك بصورة معكوسة أو صيغة نقرة قوية فضعيفة ثم أخرى قوية فرابعة ضعيفة تساوي زمن الثانية، وإنما تقبل أوتسريح للتوازن وتلذ به وتنتشي"[2].

ومن أمثلة هذا في القرآن قوله تعالى: **"طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى الرحمان على العرش استوى له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى" طه 1- 6**، فهذه الآيات المسجوعة المتساوية المقاطع المتجانسة الفواصل المتساوية النغمات الموحدة في الإيقاع المتجانسة الخواتيم هو ما يسمى بالإيقاع الصوتي، وبفضل هذه الآية استحال عمر بن الخطاب من عابد للحجر إلى عابد لرب البشر بل وقائد عظيم خالد اسمه يوم القيامة، وهذه السورة بإيقاعها الصوتي أثرت في عمر رضي الله عنه ودخل الإسلام وحسن إسلامه.

وفي هذا السياق يقول الشنقيطي عند تفسيره آية **(وأضل فرعون قومه وما هدى) (طه 79)**: "والنكتة البلاغية في حذف المفعول في قوله (وما هدى)، ولم يقل (وما هداهم)، وهي مراعاة فواصل الآيات، ونظيره في القرآن قوله تعالى: **"ما ودّعك ربك وما قلى" الضحى 03"**.[3]

ويذكر الشنقيطي عند تفسيره قوله تعالى: **(قالوا آمنا برب هارون وموسى) (طه 70)** أن تقديم هارون على موسى في الآية مراعاة للتجانس الإيقاعي والتساوي الصوتي بين الآيتين يقول: "والظاهر أن تقديم هارون على موسى في هذه الآية لمراعاة فواصل الآيات"[4] مع العلم أن في آية (الشعراء) قدم موسى على هارون في قوله تعالى: **(قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون) الشعراء: 45 و46**، وهذا أيضا لمراعاة فواصل الآيات.

هذا ما يمكننا قوله عن المقطع وما يندرج تحته من مباحث فرعية تحدث عنها الشيخ سواء بالإسهاب أو بالإيجاز، وهذا يدل دلالة واضحة على أن الشيخ كان يعي جيدا الدرس الصوتي الذي له أهمية كبيرة في علم التجويد والقراءات.

<u>وخلاصة الفصل:</u> إن هذه المباحث التي تضمنها المستوى الصوتي عند الشيخ محمد الأمين الشنقيطي لتؤكد تلك الصلة والعلاقة الجوهرية بين هذا العلم والقراءات القرآنية التي وصلت إلينا متواترة صحيحة كما وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذه القراءات المختلفة التي سمح بها

---

[1] - الرافعي مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 2004م، ص 172.
[2] - اليافي نعيم: عودة إلى موسيقى القرآن، مجلة التراث العربي، عدد 25 و26، دمشق، سوريا، 1986م، 1987م.
[3] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص 366.
[4] - المصدر نفسه، ج4، ص 357.

النبي صلى الله عليه وسلم بالقراءة بها لا لشيء إلا لغرض التيسير على الأمة، ولأنها أيضا جاءت موافقة للهجة من اللهجات التي كانت تتكلم بها القبائل العربية عصرئذ، بشرط ألا تخالف الشريعة والعقيدة والدين ولا تؤدي إلى تناقص في المعنى.

وكما ذكرنا من قبل أنه لا سبيل لدراسة علوم القراءات والتجويد والقرآن ما لم يكن للمريد أو طالب العلم زاد كبير في مجال الأصوات، فالمستوى الصوتي وهذه العلوم متلازمان لا وجود لأحدهما من دون الآخر، وهذا ما كان متوفرا في شخص الشيخ محمد الأمين الشنقيطي فكان عالما موسوعيا يعرف في شتى فنون العلم والمعرفة كمثل أسلافنا في التراث العربي القديم، كان كالطير أينما سقط لقط وكالغيث أنى وقع نفع، أي كان كلما سئل عن أية قضية عدا قضية الدماء كما ذكرنا في سيرته إلا وأجاد وأفاد، وهذا ما يدل عليه علمه وتدلنا عليه مؤلفاته وكتبه.

الفصل الثالث :

الشنقيطي والمستوى التركيبي

تمهيد: ذكرنا في الفصل الأول من هذه الدراسة أن المستوى التركيبي يجمع بين علمين اثنين من علوم العربية وهما: الصرف والنحو، فقد كانا في كتب القدامى علماً واحداً قائماً بذاته يدرس في كتب النحو واللغة حيث كانت المسائل مختلطة بعضها يحيل على الآخر، وظل الأمر على حاله إلى فترة متأخرة حيث انفصل كل علم عن الآخر، كلّ له أصوله وقواعده ومرجعياته وقوانينه وآلياته، ورغم هذا الإنفصام إلا أن الصرف يبقى دائماً في علاقة متلازمة مع النحو، وتظل مباحث كل علم تستدعي حضور العلم الآخر ولذلك جمعنا بين العلمين في مستوى واحد هو المستوى التركيبي على أن تكون الدراسة في مستويين اثنين: صرفي ونحوي كما جرت العادة في علم اللغة الحديث.

أولاً: المستوى الصرفي:

سنتطرق في هذا المستوى إلى الظواهر والقضايا الصرفية التي تحدّث عنها محمد الأمين الشنقيطي في مؤلفاته وآرائه فيها، ومن هذه الظواهر ما يلي:

1-المشتقات: وهي مأخوذة من الإشتقاق، والاشتقاق لغة هو الأخذ في الكلام وفي الخصومة يميناً وشمالاً مع ترك القصد[1]، واصطلاحاً هو "أن يجتمع اللفظان في المعنى والتركيب ويتغايرا في الصيغة، ويزيد أحد المعنيين على الآخر"[2]، أو هو "أخذ كلمة من كلمة أو أكثر مع تناسب بين المأخوذ والمأخوذ منه في اللفظ والمعنى جميعاً"[3].

أما الشنقيطي فيعرّف الإشتقاق لغة واصطلاحاً فيقول: "الإشتقاق لغة هو الإقتطاع والمراد به عند الإطلاق الصغير وهو المعقود له الفصل، أما الكبير والأكبر فإنما ذكر استطراداً، واعلم أن العدل المانع للصرف مع العلمية والوصفية نوع من الإشتقاق كعمر من عامر".[4]

وعند شرحه لبيتي صاحب (مراقي السعود) عبد الله بن الحاج إبراهيم بن الإمام محنض أحمد العلوي (ت 1230 هـ) اللذين يقول فيهما:

والإشتقــاق ردّك اللفـظ إلـــى لفظ وأطلق في الذي تأصّلاَ

وفي المعاني والأصول اشترطا تناسباً بينهـما منضبطـــاً".[5]

يقول الشيخ معرّفاً الإشتقاق اصطلاحاً: "الإشتقاق في الإصطلاح هو أن ترد لفظاً إلى آخر لمناسبة بينهما في المعنى والحروف الأصلية بأن يكون المعنى الذي في المردود موجوداً في المردود إليه، وأن تكون الحروف الأصلية التي في المردود موجودة في ترتيبها في المردود إليه كالضارب من الضرب، ومعنى رد لفظ إلى آخر أن تحكم بأن الأوّل مأخوذ من الثاني، أي فرع منه".[6]

---

[1]- ابن منظور: لسان العرب، ج 10، ص 181 (شقق).

[2]- ابن الخباز (ت 639 هـ): الغرة المخفية في شرح الدرة الألفية (لابن معطي ت62 هـ): تحقيق حامد محمد العبدلي، دار الأنبار، ط 1، 1990، ج 2، 1990، ص 742.

[3]- أمين عبد الله: الإشتقاق، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط 1، 1957م، ص 01، ويراجع: ابن دريد (محمد بن الحسن): الاشتقاق، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1411هـ/1991م، ص 26.

[4]- الشنقيطي محمد الأمين: نثر الورود على مراقي السعود، تحقيق وإكمال تلميذه الدكتور محمد ولد سيدي ولد حبيب الشنقيطي، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة ، السعودية، ط 3، 1423هـ/2002م، ص 124.

[5]- المصدر نفسه، ص 124.

[6]- نفسه، ص 124.

فالإشتقاق ظاهرة لغوية تساهم في إنتاج المفردات وتعتبر مجالاً واسعاً للثراء الدلالي، وركزت الدراسات الحديثة على البحث المورفولوجي ودراسته في مجال الصوتيات الوظيفية التوليدية وذلك في تفسير ظواهر التناوب الصرفي الصوتي، هذا المصطلح أصبح شائعاً في معظم اللغات "حيث يتخذ مورفيم Morphème معين صوراً صوتية متميزة مع أنها مرتبطة ببعضها البعض في الظروف المختلفة".[1]

ويقسم العلماء الإشتقاق إلى أربعة أقسام وهي باختصار:[2]

1-الإشتقاق الصغير: وهو أخذ كلمة من كلمة أخرى بتغيير في الصيغة واتفاق في الحروف الأصلية وترتيبها وتشابه في المعنى، وتدخل فيه المشتقات السبعة.

2-الإشتقاق الكبير: ويسمى بالإبدال اللغوي.

3-الإشتقاق الأكبر: ويسمى بالقلب اللغوي.

4-الإشتقاق الكبار: ويسمى النحت، وهو أخذ كلمة من كلمتين أو أكثر مع تناسب بينهما في اللفظ والمعنى.

بينما الشنقيطي يقسم ويلخص أقسام الإشتقاق في قسمين اثنين عندما شرح بيت صاحب مراقي السعود أحمد العلوي يقول فيه: **والجبذ والجذب كبير ويرى للأكبر الثلم وثلباً من درى.**

يقول الشنقيطي معقباً: "ذكر في هذا البيت الإشتقاق الكبير والإشتقاق الأكبر، فالإشتقاق الكبير في الإصطلاح هو ما اجتمعت فيه الأصول دون الترتيب مع مناسبة معنوية، كاشتقاق جبذ وجابذ من الجذب، فالمعنى واحد وحروف الأصول متحدة إلا أن ترتيبها مختلف في المشتق والمشتق منه، والإشتقاق الأكبر في الإصطلاح هو ما فيه المناسبة في المعنى وفي بعض الحروف كاشتقاق ثلم وثالم من الثلب، فلم تتناسب الأصول في اللام وإنما تناسب في الفاء والعين".[3]

والذي يعنينا في هذه الأنواع الأربعة في التقسيم الأوّل النوع الأول وهو الإشتقاق الصغير لعلاقته بالصرف ومن المشتقات التي أشار إليها الشنقيطي في مؤلفاته ما يلي:

<u>أ- إسم الفاعل:</u> وهو اسم يشتق من الفعل المعلوم على وزن (فاعل) للدلالة على وصف من قام بالفعل مثل كتب كاتب: اسم فاعل يدل على وصف الذي قام بالكتابة.[4]

ومن الشواهد التي ساقها الشنقيطي حول اسم الفاعل قوله في تفسير قوله تعالى: «لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ» النحل 62، "قرأ نافع بكسر الراء بصيغة اسم الفاعل من أفرط، والقراءة التي ليست بسبعية بفتح الفاء وكسر الراء المشدّدة بصيغة اسم الفاعل من فرّط المضعف".[5]

ثم يشرح الشيخ معنى هذا الحرف بقراءة نافع قائلاً: "وعلى قراءة نافع فهو اسم فاعل أفرط في الأمر: إذا أسرف فيه وجاوز الحد، ويشهد لهذه القراءة قوله: «وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ

---

[1]- جيفري سامسون: مدارس اللسانيات، التسابق والتطور، ترجمة مجد زياد كبة، مطابع جامعة الملك سعود، 1994م، ص 199.

[2]- أمين عبد الله: الإشتقاق، ص 201.

[3]- نفسه، ص 127 وما بعدها.

[4]- بوخدود علي بهاء الدين: المدخل الصرفي، تطبيق وتدريب في الصرف العربي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1408هـ/1988م، ص 69.

[5]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج 3، ص 221.

ٱلنَّارِ» غافر 43، ونحوها من الآيات، وعلى قراءة أبي جعفر، فهو اسم فاعل فرّط في الأمر: إذا ضيّعه وقصّر فيه، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: «أَن تَقُولَ نَفۡسٌ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ» الزمر 56". [1]

ويقول الشنقيطي في تفسير الآية 84 من سورة النحل وهي قوله تعالى: «ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ»، "وأمّا على قراءة من قرأ «وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ» فصلت 24، بالبناء للمفعول «فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ» فصلت 24، بصيغة اسم الفاعل، فالمعنى أنهم لو طلبت منهم العتبى وردوا إلى الدنيا ليعملوا بطاعة الله وطاعة رسله، فما هم من المعتبين أي الراجعين إلى ما يرضي ربَّهم بل يرجعون إلى كفرهم الذين كانوا عليه أولاً"[2]، فالشيخ يحتكم إلى أوجه القراءة ويشرح ويفسّر ويستند إلى القواعد الصرفية والميزان الصرفي ثم يعطي شواهد تدل على كل قراءة من القرآن أو الحديث أو الشعر العربي.

ويقول عن قوله تعالى: «حِجَابًا مَّسۡتُورًا» الإسراء 45، "قال بعض العلماء: هو من إطلاق اسم المفعول وإرادة اسم الفاعل، أي حجاباً ساتراً، وقد يقع عكسه كقوله تعالى: «مِن مَّآءٍ دَافِقٍ» الطارق 06، أي مدفوق، و«عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ» الحاقة 21، أي مرضية، فإطلاق كل من اسم الفاعل واسم المفعول وإرادة الآخر أسلوب من أساليب اللغة العربية، والبيانيون يسمون ذلك الاطلاق مجازا عقليا، ومن أمثلة إطلاق المفعول وإرادة الفاعل كالقول في الآية: ميمون ومشؤوم بمعنى يامن وشائم". [3]

وكما هو معلوم في العربية أن اسم الفاعل عاملٌ فيما بعده، يعمل عمل الفعل وعن هذا يقول الشنقيطي شارحاً قوله تعالى: «مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ» الكهف 18، "وما وجه عمل اسم الفاعل الذي هو (باسط) في مفعوله الذي هو (ذراعيه)، والمقرر في النحو أن اسم الفاعل إذا لم يكن صلة لا يعمل إلا إذا كان واقعاً في الحال أو المستقبل؟ فالجواب أن الآية هنا حكاية حال ماضية، ونظيرذلك من القرآن: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةً» البقرة 30، وقوله تعالى: «وَٱللَّهُ مُخۡرِجٌ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ» البقرة 72". [4]

ويقول الشنقيطي في شرح لفظة «مَوَاخِرَ» النحل 14: "مواخر جمع ماخرة وهو اسم فاعل، مخرت السفينة تمخَر بالفتح، وتمخُر بالضم مخراً ومخوراً: جرت في البحر تشق الماء مع صوت". [5]

فالشيخ لا يكتفي بالشرح فحسب، بل يأتي بالأصل الإشتقاقي للفظة، ويذكر ما تقوله العربُ ويوضّح بالحركات وكأنه أمام طالب مبتدئ في تعلّم العربية كما في (تمخَر) بالفتح، وتمخُر (بالضم).

[1]- المصدر السابق، ج 3، ص 221.
[2]- نفسه، ج 3، ص 284.
[3]- نفسه، ج 3، ص 435.
[4]- نفسه، ج 4، ص 34.
[5]- نفسه، ج3، ص 190.

ب- اسم المفعول: هو من المشتقات وهو "اسمٌ يشتق من الفعل المضارع المتعدّي المبني للمجهول على وزن مفعول، وهو يدل على وصف من يقع عليه الفعل كيُشرب- مشروبٌ".[1]

فاسم المفعول صفة تؤخذ من الفعل المضارع المبني للمجهول لتدل على حدث وقع على الموصوف بها على وجه الحدوث والتجدد لا الثبوت والدوام مثل مقروء ومذهوب به ومعطى ومنطلق به، فإن كان على وجه الثبوت والدوام كان صفة مشبهة".[2]

والنماذج الآتية تبين المقصود حيث يقول الشنقيطي عند قوله تعالى: «وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا» الكهف 27، "أن أصل (الملتحد) مكان الإلتحاد وهو الإفتعال، من اللحد بمعنى الميل، ومنه اللحد في القبر لأنه ميل في الحفر، ومنه قوله: «إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ» فصلت 40، وقوله «وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ» الأعراف 180، فمعنى اللّحد والإلحاد في ذلك: الميل عند الحق، والملحد المائل عن دين الحق، وقد تقرر في فن الصرف أنّ الفعل إن زاد ماضيه على ثلاثة أحرف فمصدره الميمي واسم مكانه واسم زمانه كلها بصيغة اسم المفعول كما هنا، فالملتحد بصيغة اسم المفعول، والمراد به مكان الإلتحاد"[3]، وقال نفس القول في شرح لفظة (ٱلۡمُقَامَةِ) فاطر 35، و(مُنقَلَبٖ) الشعراء 227.[4]

فاسم المفعول (الملتحد) جاء هنا لإبانة جهد الدلالة المخصوصة بالبيان والإيضاح، بالعروج أولاً إلى المعاني اللغوية ثم مكانة تلك المعاني في سياقها التركيبي، والمعنى الذي كان هو أنّ (ملتحداً) معناها ميلاً عن الحق في حين أن القارئ لها من وهلة أولى يحسبها تدل على مكان الدفن وهو القبر، فالسياق يلعب دوراً هاماً في تحديد معنى المفردة وهو ما أشار إليه الشيخ ونبه إليه.

ويذكر الشيخ في قوله تعالى: «وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا» مريم 51، أن (مخلصاً) فيها قراءتان سبعيتان: "قرأ عاصم وحمزة والكسائي بفتح اللام بصيغة اسم المفعول، والمعنى على هذه القراءة أن الله استخلصه واصطفاه، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: «قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلامي» الأعراف:44، ومما يماثل هذه القراءة في القرآن: «إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ» ص: 46، فالذين أخلصهم الله هم المخلصون بفتح اللام".[5]

فمعنى اسم المفعول (مخلصاً) هنا هو الإصطفاء بدليل ورودها في سياقات قرآنية أخرى تحمل نفس المعنى، ذكرها الشنقيطي في قوله الذي ذكرناه.

وعن لفظة (مُّفۡرَطُونَ) النحل 62، يقول الشيخ: "في هذا الحرف قراءتان سبعيتان وقراءة غير سبعية، قرأه عامة السبعة ماعدا نافعاً (مفرطون) بسكون الفاء وفتح الراء بصيغة اسم المفعول من أفرطه... وأفرطه: إذا نسيه وتركه غير ملتفت إليه، فقوله (مفرطون) أي متركون منسيون في النار".[6]

[1]- بوخدود علي بهاء الدين: المدخل الصرفي، تطبيق وتدريب في الصرف العربي، ص 82.
[2]- أسبر محمد سعيد وبلال جنيدي: الشامل في علوم اللغة العربية، دار العودة، بيروت، د ط، 2004م، ص 107.
[3]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص68.
[4]- المصدر نفسه، ج 3، ص 200، وَج 6، ص 263 على التوالي.
[5]- نفسه، ج 4، ص 220.
[6]- نفسه، ج 3، ص 220 وما بعدها.

ونفس الشأن في الألفاظ الآتية: (ممنون) و(المقبوحين) و(مسعّرة) و(المتهضّم) وَ(مأتياً) و(موفوراً) و(مستوراً) و(المنكر)...[1]

ج-المصدر: وهو "اللفظ الدال على حدث مجرداً عن الزمان متضمناً أحرف فعله، والمصدر يختلف عن الفعل في أنه اسم ويتفق مع الفعل في أنه يدل على حدث غير أن الفعل يدل على الحدث بالإضافة إلى دلالته على الزمان".[2]

وفي علم الصرف: المصدر الذي يصاغ من الفعل الثلاثي سماعي والذي يصاغ من غير الثلاثي فقياسي، ومن النماذج التي تحدّث عنها الشيخ في سياق موضوع (المصدر) كثيرة نقتصر على بعضها فيما يلي:

1-الفرقان(الأنفال29): يقول الشيخ عن هذه اللفظة: "الفرقان مصدر زيدت فيه الألف والنون، وأريد به الوصف أي الفارق بين الحق والباطل"[3]، ثم يأتي بشواهد قرآنية تدل على أنه الفارق بين الحق والباطل، مثله مثل الطغيان والرجحان والكفران والغفران.

2- جَمال (النحل06): يقول الشيخ في تفسير (الجمال): "والجمال مصدر جَمُل فهو جميل وهي جميلة، ويقال أيضاً جملاء، وأنشد لذلك الكسائي قول الشاعر:

فهي جملاء كبدر طالع بذت الخلق جميعاً بالجمـال"[4]

3- تِبْيَاناً: (89 النحل): يذكر الشيخ أن اللفظة (تبياناً) لها وجهان من الإعراب: "أحدهما: مفعول من أجله، والثاني: أنه مصدر واقع حالاً على حدّ قوله في الخلاصة:

ومصدر منكر حالاً يقع بكثرة كبغتة زيد طلـع"[5]

والشاهد هنا الإعراب بالوجه الثاني يعني أن اللفظة مصدر نكرة وبالتالي فهو حال كما قال ابن مالك في الخلاصة النحوية، ولم يكتف الشنقيطي بهذا بل راح يفصّل في المسألة مبدياً رأيه قائلاً: "وأظهر القولين: أنّ التبيان مصدرٌ، ولم يُسمع كسْر حَاء التّفعال مصدراً إلا في التبيان والتلقاء، وقال بعض أهل العلم: التبيان اسم لا مصدر، قال أبو حيان في (البحر): والظاهر أنّ (تبياناً) مصدرٌ جاء على تفعال، وإن كان باب المصادر يجيء على (تفعال) بالفتح كالترداد والتطواف، ونظير تبيان في كسر تائه: تِلقاء، وقد جوّز الزجاج فتحه في غير القرآن، وقال ابن عطية: (تبياناً) اسم وليس بمصدر وهو قول أكثر النحاة، وروى ثعلب عن الكوفيين، والمبرّد عن البصريين: أنه مصدر، ولم يجيء على تفعال من المصادر إلا ضربان، تبيان وتلقاء، والعلم عند الله تعالى".[6]

يشير الشيخ إلى أن هناك خلاف حول لفظة (تبياناً) فهناك من يدرجها في باب الأسماء وهناك من يدرجها في باب المصدر ويذكر الخلاف الذي وقع بين النحاة، ويظهر الشيخ رأيه على أن

---

[1]- يراجع: الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج 7 ،ص 73/ ج 6، ص 303/ ج 5، ص 11/ ج 4: ص 391/ ج 4: ص 253/ ج 3: ص 442/ ج3: ص 435/ ج3: ص262.

[2]- بوخدود علي بهاء الدين: المدخل الصرفي، تطبيق وتدريب في الصرف العربي، ص 103.

[3]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج 2، ص 260، وينظر ج 6، ص 178.

[4]- المصدر نفسه، ج 3، ص 165.

[5]- نفسه، ج 3، ص 258 وما بعدها.

[6]- نفسه، ج 3، ص 259.

(التبيان) مصدرٌ كما قال البصريون، ورغم هذا يذكر في الأخير عبارة (والعلم عند الله تعالى)، وهذا من تواضعه في العلم رحمه الله.

4-السَّكَرُ (النحل 67): المراد بالسكر في هذه الآية كما يجمع العلماء أنه الخمر، لأن العرب تطلق اسم السكر على ما يحصل به السكر، من إطلاق المصدر وإرادة الاسم، والعرب تقول: سكِر بالكسر سَكَراً بفتحتين وسُكراً بضم فسكون.[1]

ويستشهد الشنقيطي بكلام الزمخشري في تفسير الكشاف قائلاً: "وقال الزمخشري في الكشاف: والسكر: الخمر، سميت بالمصدر من سكِر سَكَراً وسُكْراً نحْو: رشد رَشَداً ورُشْداً، قال:

وجاءونا بهم سكر علينــا فأجلى اليوم والسكران صاحي.

ومن إطلاق السكر على الخمر، قول الشاعر:

بئس الصحاة وبئس الشرب شربهم إذا جرى فيهم المزاء والسكر".[2]

5- هناك ظاهرة في اللغة العربية مفادها إطلاق المصدر وإرادة اسم الفاعل أو المفعول مثل قوله تعالى: «تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ» الفرقان01، يقول الشيخ عن لفظة الفرقان: "هو مصدر زيدت فيه (ان)... وهذا المصدر أريد به الفاعل لأن معنى كونه فرقاناً أنه فارق بين الحق والباطل، وبين الرشد والغي، وقال بعض أهل العلم: المصدر الذي هو الفرقان بمعنى اسم المفعول لأنه نزل مفرقاً ولم ينزل جملة"[3]، وفي نفس السياق تطلق لفظة «عَدَدًا»، في «سِنِينَ عَدَدًا» الكهف 11[4]، أي (سنين معدودة) ولفظة (دكاً) في قوله تعالى: «جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ» الكهف 98، أي مدكوكاً مبسوطاً مسوّى بالأرض[5]، ولفظة (هزؤاً) في قوله تعالى: «وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا»الكهف 56، أي اتخذوها (الآيات) مهزوءاً بها مستخفاً بها.[6]

6- يوجد في علم الصرف ما يسمى باسم المصدر، وفي هذا يقول الشنقيطي في تفسير لفظ «بَلَـٰغٌ» الأحقاف35، "البلاغ اسم مصدر بمعنى التبليغ، وقد علم باستقراء اللغة العربية أن الفَعال يأتي كثيراً بمعنى التفعيل كبلغه بلاغاً أي تبليغاً وكلمه كلاماً أي تكليماً، وطلقها طلاقاً وسرحها سراحاً وبينه بياناً، كلّ ذلك بمعنى التفعيل لأن (فَعّلَ) مضعفة العين غير معتلة اللام ولا مهموزته قياس مصدرها التفعيل، وما جاء منه على خلاف ذلك يحفظ ولا يقاس عليه".[7]

ومن أمثلة اسم المصدر التي تحدث عنها الشنقيطي الألفاظ الآتية: (المقام) و(الذكرى) و(بوراً) و(التكبر) و(الدرك).[8]

7- تحدث الشنقيطي عن المصادر المنصوبة بأفعال لا تظهر وذلك في سياق الحديث عن لفظة (بُعداً) في قوله تعالى: «فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ» المؤمنون 44، يقول: "(بُعداً) مصدر لا

1- المصدر السابق، ج 3، ص 229.
2- نفسه، ج 3، ص 230.
3- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج 6، ص 178.
4- المصدر نفسه، ج 4، ص 18.
5- نفسه، ج 4، ص 139.
6- نفسه، ج 4، ص 109.
7- نفسه، ج 7، ص 267.
8- نفسه، ج 7: ص 497/ ج7: ص 22وَ 278/ ج6: ص 202/ ج 5: ص 484/ ج 4: ص 364 حسب توالي الأمثلة.

يظهر عامله، وقد بَعَد بَعَداً بفتحتين، وبُعداً بضم فسكون أي هلك، فقوله: بُعداً أي هلاكاً مستأصلاً، كما قال تعالى: «أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ» هود 95، قال الشاعر:

قل الغناء إذا لاقى الفتى تلفا قول الأحبة لا تبعد وقد بَعُـداً.

وقد قال سيبويه: إنّ (بُعداً) و(سُحْقاً) و(دفراً) أي نتناً من المصادر المنصوبة بأفعال لا تظهر، ومن هذا القبيل: سقياً ورعياً، كقول نابغة ذبيان:

نبئت نعماً على الهجران عاتية سقياً ورعياً لذاك العاتب الزاري"[1].

8-هناك من المصادر من لا يثنى ولا يجمع وفي هذا الصدد يقول الشيخ عند وقوفه عند لفظة «ٱلطَّرۡفِ» في قوله تعالى: «وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ » الصافات 48: "قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ" والطرف العين، وهو لا يجمع ولا يثنى لأن أصله مصدر، ولم يأت في القرآن إلا مفرداً كقوله تعالى: «لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ» إبراهيم 43، وقوله تعالى: «يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖ» الشورى 45".[2]

9- من المصادر التي لا فعل لها من لفظها لفظة (ويل) يقول عنها الشيخ: "قال فيها بعض أهل العلم: إنها مصدر لا فعل له من لفظة ومعناه: الهلاك الشديد".[3]

د-<u>المصدر الميمي:</u> يعرّف في علم الصرف أنه "اسم يدل على ما يدل عليه المصدر مبدوء بميم زائدة ويصاغ من الفعل الثلاثي على وزن (مفعَل) و(مفعِل)، ومن غير الثلاثي على وزن الفعل المضارع مع إبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وفتح ما قبل آخره على وزن اسم المفعول"[4].

يقول الشيخ: "تقرر في فن الصرف أن الفعل إذا زاد على ثلاثة أحرف كان كل من مصدره واسم مكانه واسم زمانه على صيغة اسم المفعول"[5]، وهذا في سياق تفسيره لآخر آية الشعراء: «وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ» الشعراء 227، فالمنقلب هنا "المرجع والمصير، والأظهر أنه مصدر ميمي ... والمعنى: وسيعلم الذين ظلموا أي مرجع يرجعون وأي مصير يصيرون".[6]

وفي شرحه للفظة «مَهۡلِك» في قوله تعالى: «مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ» النمل 49، يقول الشنقيطي: "قرأ عاصم (مَهلك) أهله بفتح الميم والباقون بضمها، وقرأ حفص عن عاصم (مهلِك) بكسر اللام والباقون بفتحها، فتحصل أن حفصاً عن عاصم قرأ (مَهلِكَ) بفتح الميم واللام، وأن غير عاصم قرأ (مُهلِك) بضم الميم وفتح اللام، فعلى قراءة من قرأ (مَهلك) بفتح الميم فهو مصدر ميمي من (هلك) الثلاثي، ويحتمل أن يكون اسم زمان أو مكان، وعلى قراءة (مُهلك) بضم الميم، فهو مصدر ميمي من (أهلك) الرباعي ويحتمل أن يكون أيضاً اسم مكان أو زمان".[7]

---

[1]- المصدر السابق، ج 5، ص 540.
[2]- نفسه، ج 6، ص 444.
[3]- نفسه، ج 4، ص 449.
[4]- بوخدود علي بهاء الدين: المدخل الصرفي، تطبيق وتدريب في الصرف العربي، ص 111وما بعدها.
[5]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج 6، ص 263.
[6]-المصدر نفسه، ج 6، ص 263.
[7]- نفسه، ج 6، ص 274.

ومن ألفاظ المصدر الميمي التي تحدث عنها الشنقيطي ووقف عندها: (المحيص) و(المناص) و(المشهد) وَ(مُهْلَك) و(مَرَدّاً).[1]

هـ-اسم الجنس: يعرفه الشنقيطي بقوله: "هو اللفظ الدال على الماهية بلا قيد أي من غير تقييد بوحدة أو تعيين خارجي أو ذهني، لأنه إن قيد بوحدة صار النكرة، وإن قيد بتعيين خارجي صار المعرفة كالمعرف بـ(ال) العهدية، وإن قيد بتعيين ذهني صار علم الجنس، وعلى هذا التعريف فعلم الجنس لا يدخل في اسم الجنس لأنه مقيد بالوحدة الذهنية بخلاف اسم الجنس فإنه غير مقيد بشيء"[2] ويضيف الشنقيطي موضحاً: "واعلم أن المراد بالجنس هنا ما يشمل الجنس والنوع والصنف عند المنطقيين كالحيوان فإنه جنس، والإنسان فإنه نوع، والعربي فإنه صنف".[3]

ويضيف في قول آخر يقول: "ومن أنواع البيان التي تضمنها هذا الكتاب المبارك (أضواء البيان) بيان الإجمال الواقع بسبب إبهام في اسم جنس جمعاً كان أو مفرداً أو اسم جمع أو صلة موصولٍ أو معنى حرف، فمثال الإبهام في اسم جنس مجموع قوله تعالى: «فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ» البقرة 37، فقد أبهمها هنا... ومن أمثلته في اسم جنس مفرد قوله تعالى: «وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ» الأعراف 137، ... ومثال الإجمال بسبب الإبهام في اسم جمع قوله تعالى: «كَذَٰلِكَ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ» الدخان 28، فالقوم اسم جمع وقد أبهمه هنا... ومثال الإجمال بسبب الإبهام في صلة الموصول قوله تعالى: «أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ» المائدة 01، فقد أبهم هنا المتلو الذي هو صلة الموصول... ومثال الإبهام في معنى حرف قوله تعالى: «أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم» البقرة 254، فإن لفظة (من) فيه للتبعيض، مدلوله مبهم هنا".[4]

وعند وقوفه عند لفظة «ٱلۡأَنۡعَٰمِ» في قوله تعالى: «وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةً» النحل 66، قال: "الأنعام يصح تذكيرها وتأنيثها ... ومعلوم في العربية أن أسماء الأجناس يجوز فيها التذكير نظراً إلى اللفظ والتأنيث نظراً إلى معنى الجماعة الداخلة تحت اسم الجنس، وقد جاء في القرآن تذكير(الأنعام) وتأنيثها، وجاء فيه تذكير(النخل) وتأنيثها... وجاء فيه تذكير (السماء) وتأنيثها...".[5]

فالأنعام والنخل والسماء أسماء أجناس تذكّر وتؤنث، ويأتي الشيخ بشواهد من القرآن الكريم والشعر العربي.

وسئل الشيخ عن الفرق بين اسم الجنس وعلم الجنس فأجاب: "إن الفرق بين علم الجنس واسمه اصطدمت فيه عقول العقلاء واختلفت فيه آراء العلماء حتى قال بعضهم لا يعقل الفرق بينهما في المعنى... إن الفرق بين علم الجنس واسمه على القول بأن اسم الجنس والنكرة شيء واحدٌ أمر معقول لا شبهة فيه وأما على القول بالفرق بين اسم الجنس والنكرة فالفرق بين اسم

1- المصدر السابق ، ج7: ص 92/ ج7: ص 12/ ج4: ص 211/ ج 4: ص 118/ ج4: ص 86 حسب توالي الأمثلة.
2- الشنقيطي محمد الأمين: نثر الورود على مراقي السعود، ص 320.
3- المصدر نفسه، ص 320.
4- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج 1، ص 10 وما بعدها.
5- المصدر نفسه، ج 4، ص 222.

الجنس وعلّمه لا يكاد يظهر عند التأمل الصادق والعلم عند الله جل وعلا"[1]، وتوصل إلى هذا بعد التفصيل في ما قاله العلماء والنحاة والمنطقة في القضية، واختلافهم حولها.

و- صيغ التفضيل: هذه التسمية هي من إطلاق الشنقيطي، بينما تسمى عند النحاة بأسماء التفضيل وصيغ التفضيل هي: "الصفة الدالة على المشاركة والزيادة نحو أفضل وأعلم وأكثر"[2]، أي أنها تدل على مشاركة صاحبها لغيره في أصل الفعل، وزيادة صاحبها على غيره فيه، وهي تصاغ من مصدر الفعل اللازم والمتعدي على وزن (أفعل).

ويصاغ اسم التفضيل من الأفعال بشروط هي:[3]

1- لا يشتق إلا من الفعل الثلاثي نحو: كرُم وصغُر وَكبُر، وقد شذ اشتقاقه من غير الثلاثي نحو: أعطى وأولى.

2- لا يشتق من الفعل المبني للمجهول وقد ورد شذوذاً اشتقاقه من الفعل المبني للمجهول نحو: أخْصَر، يُحمَد.

3- لا يشتق إلا من الفعل المتصرف، أي لا يشتق من الفعل الجامد والناقص.

4- لا يشتق إلا من الفعل القابل للتفاوت والزيادة كالكرم والبخل والطول والقصر.

5- لا يشتق إلا من الفعل المثبت (غير المنفي).

6-لا يشتق من فعل إذا كان الوصف منه على (أفعل) و(فعلاء) نحو: حمر: أحمر حمراء.

ومما عُرف في هذا المبحث أن هناك ثلاثة أسماء للتفضيل اشتهرت بحذف الهمزة وهي: خير وشر وحب، وإذا كان الفعل الثلاثي أجوفا، عينه (وسطه) ألف مقلوبة عن واو أو ياء فإن الألف ترد إلى أصلها في التفضيل نحو: قال: محمد أقول من أحمد، وسار: محمد أسير من زيد.[4]

ومن أمثلة صيغ التفضيل التي حدثنا عنها الشيخ قوله في حدّ القذف: "اعلم أنّ أظهر أقوال العلم عندنا فيمن قال لرجل: (أنت أزنى من فلان) فهو قاذف لهما وعليه حدّان، لأنه قوله (أزنى) صيغة تفضيل وهي تدل على اشتراك المفضَّل والمفضل عليه في أصل الفعل، إلا أن المفضل أفضل فيه من صاحبه المشارك له فيه، فمعنى كلامه بدلالة المطابقة في صيغة التفضيل: أنت وفلان زانيان، ولكنك تفوقه في الزنا".[5]

وعند وقوف الشنقيطي عند لفظة (أحق) وهي اسم تفضيل من قوله تعالى: «أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ» يونس 35، يقول: "إن صيغة التفضيل قد ترد مراداً بها مطلق الوصف لا حصول التفضيل بين شيئين، ومثل له هو بكلمة (أحق أن يتبع) وكلمة (أحق بالأمن)، وكلمة (أطهر لكم) لأن صيغة التفضيل في الآيات المذكورة لمطلق الوصف لا التفضيل".[6]

---

[1]- الشنقيطي محمد الأمين: رحلة الحج إلى بيت الله الحرام، دار ابن تيمية، القاهرة، د ط، د ت، ص ص 36-39.

[2]- ابن هشام الأنصاري، جمال الدين عبد الله: شرح قطر الندى وبل الصدى، ضبط وتصحيح يوسف الشيخ محمد البقاعي، تأليف بركات يوسف هبود، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1427هـ/2007م، ص 375.

[3]- بوخدود علي بهاء الدين: المدخل والصرفي، ص 97.

[4]- المرجع نفسه، ص 97 وما بعدها.

[5]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج 6، ص 73 وما بعدها.

[6]- المصدر نفسه، ج 6، ص 74.

ويعطي الشنقيطي أمثلة وشواهد على ورود صيغة التفضيل لمطلق الوصف مثل قوله تعالى: «وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ» الروم 27، أي هيّن سهل عليه، وقول الشنفرى:

وإن مدت الأيدي إلى الزاد لم أكن بأعجلهم إذا أجشع القـوم أعجل

أي لم أكن بالعجل منهم، وقول الفرزدق:

إن الـذي سمـك السماء بنى لنا بيتاً دعائمُــه أعز وأطـولُ.

أي عزيزة طويلة[1]، وغيرها من الشواهد.

فصيغة التفضيل لا تحمل على مطلق الوصف إلا لدليل خارج أو قرينة واضحة تدل على ذلك.[2]

وعن صيغة التفضيل (خير) يقول الشنقيطي عند تفسير قوله تعالى: «قُلۡ أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ» الفرقان 15، "المعروف في علم العربية أن صيغة التفضيل تقتضي المشاركة بين المفضل والمفضل عليه فيما فيه التفضيل، إلا أن المفضل أكثر فيه وأفضل من المفضل عليه، ومعلوم أن المفضل عليه في الآيات المذكورة الذي هو عذاب النار لا خير فيه البتة وإذن فصيغة التفضيل فيها إشكال.

والجواب عن هذا الإشكال من وجهين: **الأوّل:** أن صيغة التفضيل قد تطلق في القرآن وفي اللغة مراداً بها مطلق الإتصاف لا تفضيل شيء على شيء... **الثاني:** أن من أساليب اللغة العربية أنهم إذا أرادوا تخصيص شيء بالفضيلة دون غيره جاءوا بصيغة التفضيل، يريدون بها خصوص ذلك الشيء بالفضل، كقول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

أتهجوه ولست لــه بكفء فشركما لخيركمــا الفداء.

وكقول العرب: الشقاء أحب إليك أم السعادة؟ وقوله تعالى: «قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ» يوسف 33".[3] فـ (خير) هنا لا تدل على الأفضلية بل هي ما جرت عليه عادة العرب في بيان فضل الشيء وخصوصيته بالفضل دون غيره، كما في الشواهد التي ساقها الشيخ.

ومن أسماء التفضيل التي توقف عندها الشيخ (الحسنى) وَ(خير) و(أحسن) و(أعمى) و(أضل) و(أحصى) و(الأخسر) و(أخفى) و(الكبرى)[4] ... وغيرها.

<u>ز- اسما الزمان والمكان:</u> هما اسمان مصوغان للدلالة على وقت حدوث الفعل أو مكانه[5]، أو هما اسمان يبدآن بميم زائدة، يشتقان على صيغة واحدة ويشتركان في بعض أبنيتها مع المصدر الميمي واسم المفعول ويدلان على وقت حدوث الفعل أو مكانه.

ويصاغ اسما الزمان والمكان من الثلاثي على وزن (مفعِل) بكسر العين إذا كان المضارع مكسور العين صحيح اللام، نحو ضرب يضرب مضرب، أو مثالاً واوياً صحيح اللام مثل: وعد

---

[1]- المصدر السابق ، ج 6، ص 74.
[2]- المصدر نفسه، ج 6، ص 75.
[3]- نفسه، ج 6، ص 199.
[4]- نفسه، ج1: ص263/ ج3: ص 199/ ج3: ص 262/ ج3: ص 450/ ج3: ص 451/ ج4: ص 20/ ج4: ص 146/ ج4: ص 306/ ج4: ص 324، حسب توالي الأمثلة.
[5]- الحملاوي أحمد (ت 1932م): شذا العرف في فن الصرف، دار الكيان للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، د ط، دت، ص 133.

يعد موعداً، أما من غير الثلاثي فالقياس أن يصاغ على وزن اسم المفعول منه نحو: انسكب ينسكب منسكب.[1]

ومن أمثلة ذلك ما جاء في قوله تعالى: «وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا» الكهف 59، فيذكر الشيخ قاعدة صرفية يقول: "تقرر في فن الصرف أن كل فعل زاد ماضيه على ثلاثة أحرف مطلقاً فالقياس في مصدره الميمي واسم مكانه وزمانه أن يكون الجميع بصيغة اسم المفعول، والمُهلك بضم الميم من أهلك الرباعي... والظاهر على قراءة حفص بفتح الميم وكسر اللام اسم زمان، أي وجعلنا لوقت هلاكهم موعداً، لأنه من هلك يهلك بالكسر، وما كان ماضيه على (فعَل) بالفتح ومضارعه (يفعِل) بالكسر، مصدره الميمي المفعَل بالفتح، تقول (هذا منزله) بالكسر أي مكان نزوله أو وقت نزوله، وهذا (منزله) بفتح الزاي أي نزوله وهكذا، منه قول الشاعر:

أإن ذكرتك الدار منزَلها جمل بكيت فدمع العين منحدر سجل.

فقوله (منزَلها جمل) بالفتح، أي نزول جمل إياها، ... والموعدُ: الوقت المحدد لوقوع ذلك فيه".[2]

ويوضح هذا الشنقيطي عند معرض حديثه عن لفظة (الموعد) في قوله تعالى: «فاجعل بيننا وبينك موعدا» طه 59، فيقول: "اعلم أنَّ الفعل الثلاثي إن كان مثالاً أعني واوي الفاء كوعد ووصل، فالقياس في مصدره الميمي واسم مكانه وزمانه كلها (المَفعِل) بفتح الميم وكسر العين ما لم يكن معتل اللاَّم، فإن كان معتلّها فالقياس فيه المفعل (بفتح الميم والعين) كما هو معروف في فن الصرف، فإذا علمت ذلك فاعلم أن قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: «اجعل بيننا وبينك موعداً» صالح بمقتضى القياس الصرفي لأن يكون مصدراً ميمياً بمعنى الوعد، وأن يكون اسم زمان يراد به وقت الوعد، وأن يكون اسم مكان يراد به مكان الموعد، ومن إطلاق (الموعد) في القرآن اسم زمان قوله تعالى: «إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ» هود 81، أي وقت وعدهم بالإهلاك الصبح، ومن إطلاقه في القرآن اسم مكان قوله تعالى: «وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ» الحجر 43، أي مكان وعدهم بالعذاب ... وقوله تعالى: «مَكَانًا سُوًى» طه 58، يدل على أن الموعد في الآية اسم مكان، وقوله: «قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ» طه 59، يدل على أن الموعد في الآية اسم زمان".[3]

وفي السياق نفسه يذكر الشنقيطي قاعدة صرفية مفادها: "أن اسم المكان مشتق من المصدر كاشتقاق الفعل منه، فاسم المكان ينحل عن مصدر ومكان، فالمنزل مثلاً مكان النزول والمجلس مكان الجلوس والموعد مكان الوعد، فإذا اتضح لك أنَّ المصدر كامنٌ في مفهوم اسم المكان فالضمير في قوله (لا نخلفه) راجع إلى المصدر الكامن في مفهوم اسم المكان... أي الوعد الكامن في مفهوم اسم المكان الذي هو (الموعد) لأنه مكان الوعد".[4]

وعن لفظة «مَوْئِلا» في قوله تعالى: «بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلا» الكهف 58، يقول الشنقيطي: "هو اسم مكان من وأل يئل وَألاً ووُؤلاً بمعنى لجأ، ومعلوم في فن الصرف

---

[1]- ابن يعيش موفق الدين (ت 643): شرح المفصّل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ج 6، ص 107.
[2]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج 4، ص 118.
[3]- المصدر نفسه، ج 4، ص 327.
[4]- نفسه، ج 4، ص 328.

أن واويَّ الفاء من الثلاثي ينقاس مصدره الميمي واسم مكانه وزمانه على (المَفعِل) بكسر العين كما هنا، ما لم يكن معتل اللام فالقياس فيه الفتح كالمولى، والعرب تقول: لا وألت نفسه، أي لا وجدت منجى تنجو به، ومنه قول الشاعر: **لا وألـت نـفسك خليـتها للـعامـرين ولـم تكـلْم.**

وقال الأعشى: **وقد أخالس رب البيت غفلته وقد يحاذر مني ثم ما يئل.**[1]

فالشنقيطي عند شرحه لاسم المكان أو الزمان يذكر القاعدة الصرفية ثم يأتي بشواهد قرآنية أو شعرية أو مما تكلمته العرب من المنثور، وقد يذكر اختلاف العلماء حول اللفظة، ويبدي في الأخير رأيه والفريق الذي يبدو له أنه قصد الصّواب كما في الأمثلة التي مرت بنا.

ح-<u>الصفة المشبهة:</u> هي "لفظ مصوغ من الفعل اللازم للدلالة على الثبوت[2]، وهي "مشبهة باسم الفاعل إلا أنها تدل على الثبوت في حين يفيد اسم الفاعل الحدوث والتجدّد".[3]

وأشهر أوزان الصفة المشبهة كثيرة ومتعددة وتختلف عن اسم الفاعل في اختلافات كثيرة، لا داعي لذكرها لأنها مبثوثة في بطون كتب الصرف العربي.

ويذكر الشنقيطي في صياغة الصفة المشبهة قوله: "تقرر في فن الصرف أن جميع أوزان الصفة المشبهة باسم الفاعل إن قصد بها الحدوث والتجدد جاءت على وزن فاعل مطلقاً، كما أشار له ابن مالك في لاميته بقوله: **وفاعل صالح للكل إن قصد الحدوث نحو غداً ذا فارح جذلا.**

وإن لم يقصد الحدوث والتجدد بقي على أصله".[4]

ومن أمثلة الصفة المشبهة التي تعرَّض لها الشنقيطي لفظة (ضائق) في قوله تعالى: «وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ» هود 12، فيقول: "ما وجه التعبير في سورة هود بقوله (ضائق) على وزن (فاعل) وفي الفرقان والأنعام بقوله (ضيقاً) على وزن (فيعل) مع أنه في المواضع الثلاثة هو الوصف من ضاق يضيق فهو ضيق؟".[5]

فالشنقيطي يتساءل عن قضية صرفية وردت في القرآن بصيغتين: الأولى في سورة هود في قوله تعالى: «وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدۡرُك» هود 12، أي ورود لفظة (ضائق) على وزن فاعل، والثانية وردت في سورة الفرقان في قوله تعالى: «وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا» الفرقان 13، وفي الأنعام أيضاً في قوله تعالى: «يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا» الأنعام 125، أي ورود لفظة «ضَيِّقًا» على وزن (فيعل)، والجواب يورده الشنقيطي ويفصّل فيه قائلاً: "اعلمْ أن قوله تعالى في هود أريد به أنه يحدث له ضيق الصدر، ويتجدد له بسبب عنادهم وتعنتهم... ولما كان كذلك قيل فيه: ضائق بصيغة اسم الفاعل، أما قوله (ضيقاً) في الفرقان والأنعام فلم يرد به حدوث ولذلك بقي على أصله"[6]، ويأتي بشواهد من الشعر العربي كأمثلة على إتيان (الفيعل) على الفاعل إن قصد به الحدوث مبسطاً القضية بأسلوب شيق فأجاد به وأفاد.

---

[1]- المصدر السابق ، ج 4، ص 117.
[2]- الحملاوي أحمد: شذا العرف في فن الصرف، ص 124.
[3]- الغلاييني مصطفى: جامع الدروس العربية، عناية الدكتور كوكب ديب دياب،المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط 1، 2004م، ص 147.
[4]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج 6، ص 195.
[5]- المصدر نفسه، ج 6، ص 197.
[6]- نفسه، ج 6، ص 197.

وهناك آية ذكرها الشنقيطي تتابعت فيها الصفات المشبهة وهي قوله تعالى: «وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج» الفرقان 53، وهذه الصفات المشبهة هي (عَذب) و(فراتٌ) وَ(ملح) وَ(أجاجٌ)، وفي تفسيرها يقول الشنقيطي: "وقوله (هذا عذب) صفة مشبهة من قولهم عَذُب الماءُ بالضم فهُو عذبٌ، وقوله (فرات) صفة مشبّهة أيضاً من فرُت الماء بالضم فهو فراتٌ، إذا كان شديد العذوبة، وقوله (هذا ملح) صفة مشبهة أيضاً من قولهم: ملح الماء بالضم والفتح فهو ملح... وقوله (أجاج) صفة مشبهة أيضاً من قولهم: أج الماء يؤج أجوجاً فهو أجاجٌ أي مَلح مرٌّ، فالوصف بكونه أجاجاً يدل على زيادة المرارة على كونه ملحاً والعلم عند الله تعالى"[1].

ومن نماذج الصفة المشبهة التي وقف عندها الشنقيطي: «مُّبِينٌ» النحل:04، ويس: 77 وَ«يَبَسًا» طه: 77.[2]

ط- صيغة المبالغة: وتسمى في علم الصرف (أبنية المبالغة) ويسميها آخرون (مبالغة اسم الفاعل) وتُعرف بأنها: "ألفاظ تدل على ما يدل عليه اسم الفاعل بزيادة تسمى (صيغ المبالغة) كـ(علامة) وَ(أكول) أي: عالم كثير العلم، وآكل كثير الأكل، ولها أحد عشر وزناً وهي (فعال ومِفعال وَفعيّل وَفعّالة ومفعيل وَفعول وَفعيل وَفَعِل وَفُعّال وَفُعُّول وفيعولٌ)، وأوزانها كلها سماعية فيحفظ ما ورد منها ولا يقاس عليه".[3]

وسميت بصيغ المبالغة لتأكيد المعنى وتقويته والمبالغة فيه، وهي لا تشتق إلا من الفعْل الثلاثي كما يذكر علماء الصرف، ومن أمثلة ما تحدث عنه الشنقيطي في كتبه قوله تعالى: «وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ» فصلت 46، حيث يقول: "لفظة «ظَلَّامٍ» فيها صيغة مبالغة، ومعلوم أن نفي المبالغة لا يستلزم نفي الفعل من أصله، فقولك مثلاً: (زيد ليس بقتال للرجال) لا ينفي إلا مبالغته في قتلهم، فلا ينافي أنه ربما قتل بعض الرجال، ومعلوم أن المراد بنفي المبالغة هو نفي الظلم من أصله، والجواب عن هذا الإشكال من أربعة أوجه:

الأول: أن نفي صيغة المبالغة في الآيات المذكورة (التي ورد فيها لفظ «ظَلَّامٍ») قد بينت آيات كثيرة أن المراد به نفي الظلم من أصله، ونفي صيغة المبالغة إذا دلّت أدلة منفصلة على أن يراد به نفي أصل الفعل فلا إشكال لقيام الدليل على المراد.

الثاني: أن الله جل وعلا نفى ظلمه للعبيد، والعبيد في غاية الكثرة، والظلم المنفي عنهم تستلزم كثرتهم كثرته، فناسب ذكر الإتيان بصيغة المبالغة للدلالة على كثرة المنفي التابعة لكثرة العبيد المنفي عنهم الظلم إذ لو وقع على كل عبد ظلم ولو قليلاً كان مجموع ذلك الظلم في غاية الكثرة، وبذلك تعلم اتجاه التعبير بصيغة المبالغة، وأن المراد بذلك نفي أصل الظلم عن كلّ عبد من أولئك العبيد، الذين هم في غاية الكثرة، سبحانه عن أن يظلم أحداً شيئاً.

---

[1]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج 6، ص 288 وما بعدها.

[2]- المصدر نفسه، ج7: ص 484/ ج6: ص 153/ ج4: ص 364 حسب توالي الأمثلة.

[3]- الغلاييني مصطفى: جامع الدروس العربية، ص 148.

الوجه الثالث: أن المسوّغ لصيغة المبالغة أن عذابه تعالى بالغ من العظمة والشدة أنه لولا استحقاق المعذَّبين لذلك العذاب بكفرهم ومعاصيهم لكان معذبهم به ظلاما بليغ الظلم متفاقمه، سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا.

الوجه الرابع: ما ذكره بعض علماء العربية وبعض المفسرين من أن المراد بالنفي في قوله (وما ربك بظلام للعبيد) فصلت:46، نفي صفة الظلم إليه لأن صيغة (فعّال) تستعمل مراداً بها النسبة فتغني عن ياء النسب كما أشار له في الخلاصة بقوله:

ومع فاعل وفعّال فعـِل في نسب أغنى عن الياء فقبل.

ومعنى البيت المذكور، أن الصيغ الثلاثة المذكورة فيه التي هي فاعل كظالم وفعّال كظلام وفعِل كفرح كلٌّ منها قد تستعمل مراداً بها النسبة فيستغنى بها عن ياء النسب، ومثاله في فاعل قول الحطيئة في هجوه للزبرقان بن بدر التميمي:

دع المكارمَ لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي.

فالمراد بقوله (الطاعم الكاسي) النسبة، أي ذو طعام وكسوة، ...

وقال الأشموني بعد الاستشهاد بالبيت المذكور (بيت الخلاصة): قال المصنف يعني ابن مالك: وعلى هذا حمل المحققون قوله تعالى: «وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ» فصلت 46، أي بذي ظلم".[1]

فمن خلال هذا الكلام المفصَّل الطويل للشنقيطي يتبين أن الشيخ أجاد وأفاد وأروى الغليل حول هذا الإشكال في مفهوم لفظة (ظلام) فهي صيغة مبالغة ونفي المبالغة لا يستلزم نفي الفعل من أصله، فكيف أن الله نفى الظلم عن نفسه من أصله وهذا ما أجاب عنه الشنقيطي مستدلاً بأدلة من القرآن والشعر وكلام العرب، وهذا هو رأيه في كتبه ومصنفاته.

ومن النماذج التي أوردها الشنقيطي كلامه عن لفظتي «الخلاق العليم» الحجر:86، وكلتاهما صيغتا مبالغة[2]، وكذا «الخصيم» النحل:04، فهي صيغة مبالغة أي شديد الخصومة، وقيل الخصيم المخاصم، وإتيان الفعيل بمعنى المفاعل كثير في كلام العرب كالقعيد بمعنى المقاعد والجليس بمعنى المجالس والأكيل بمعنى المؤاكل[3] ومثلها لفظة «صِدِّيقًا» مريم 41، فهي صيغة مبالغة من الصدق، لشدة صدق إبراهيم في معاملته مع ربه وصدق لهجته[4]، و«ٱلۡقَيُّومِ» طه 111، وَ«خَوَّانٍ كَفُورٍ» الحج 38، وَ«خَذُولٗا» الفرقان 29، وَ«كَفَّارٌ» الزمر 03، ... وغيرها.[5]

فالشنقيطي كان متفقهاً أكثر في علم الصرف إذ أنه فصّل في كل مسألة صرفية تتعلق بالمشتقات بدءاً باسمي الفاعل والمفعول والمصدر والمصدر الميمي واسما الزمان والمكان وصيغ التفضيل والصفة المشبهة وصيغ المبالغة، فكان يُلامس كل صغيرة وكبيرة ويستدل بشواهد من

---

[1]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج 7، ص 91 وما بعدها.
[2]- المصدر نفسه، ج3، ص 146.
[3]- نفسه، ج 3، ص 163.
[4]- نفسه، ج 4، ص 214.
[5]- نفسه، ج4: ص 390، ج5: ص 478، ج6: ص 212، ج7: ص 28، بحسب توالي الأمثلة.

الكتب المتخصصة كالخلاصة النحوية لابن مالك وكتاب سيبويه وشرح الأشموني للألفية، وكلُّ هذا من أجل الإفهَام والإقناع، وتحقيق الفهم السليم لمعاني الآيات.

2-الفعل المتصرف والجامد: تنقسم الأفعال في علم الصرف من حيث أداء المعنى الغير متعلق بزمان أو ما يتعلق به إلى قسمين: جامد ومتصرّف.

ويعرّف الجامد: بأنه ما لازم صورة واحدة[1]، وهو ما أشبه الحرف، من حيث أداؤه معنى مجرّداً عن الزمان والحدث المعتبرين في الأفعال، فلزم مثله طريقة واحدة في التعبير، فهو لا يقبل التحوّل من صورة إلى صورة، بل يلزم صورة واحدة لا يزايلها.[2]

وأما المتصَرّف: فهو ما لم يشبه الحرف في الجمود أي لزومه طريقة واحدة في التعبيرات لأنه يدل على حدث مقترن بزمان، فهو يقبل التحَوّل من صورة إلى صورة لأداء المعاني في أزمنتها وهو قسمان:

***تام التصرف:** وهو يأتي منه الأفعال الثلاثية باطراد مثل "كتب يكتب واكتب" وهو كل الأفعال إلا قليلاً منها.

***ناقص التصرف:** وهو ما يأتي منه (فِعلان) فقط، إما الماضي والمضارع مثل (كاد يكاد) و(أوشك) وكلها من الأفعال الناقصة، وإما المضارع والأمر نحو (يدعُ ودعْ) و(يذر وذرْ)، وقد سمع سماعاً نادراً الماضي من (يدع ويذر) فقالوا (ودع وذر) بوزن (وضع) إلا أن ذلك شاذ في الاستعمال.[3]

<u>ومن أمثلة الفعل المتصرف:</u>

يقول الشيخ في معرض حديثه عن فعل (آم) من قوله تعالى: «وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَـٰمَىٰ» النور 32، "والعرب تقول آم الرجل يئيم، وآمت المرأة تئيم إذا صار الواحد منهما أيّماً وكذلك تقول: تأيّم إذا كان أيّماً، ومثاله في الأول قول الشاعر:

لقد إمت حتى لامني كل صاحب رجاءً بسلمى أن تئيم كما إمتُ

ومن الثاني قوله: **فإن تنكحي أنكح وإن تـتأيـمي وإن كنت أفتـى منكم أتأيـم".**[4]

فالفعل (آم) أو (تأيم) فعلان متصرّفان، مع جميع الأزمنة كالماضي والمضارع والأمر ويخضعان للجانب الإشتقاقي المعروف.

ومن الأفعال المتصرفة التي وقف عند الشنقيطي فعل (بئس) حيث يقول: "قال الجوهري في صحاحه: "بئس الرجل يبأس بؤساً وبئساً: اشتدت حاجته فهو بائس وأنشد أبو عمرو:

لبيضاء من أهل المدينة لم تذق بئيساً ولم تتبع حمولة مجحد.

وهو اسم وضع موضع المصدر، يعني البئيس في البيت لفظه لفظ الوصف ومعناه المصدر".[5] فالفعل بئس له مضارع ومصدر واسم فاعل كما ذكر الشنقيطي في هذا القول الذي استقاه من معجم "الصحاح" للجوهري فأبان عن تصريفه وأبان أيضاً عن معناه.

---

[1]- ناصف حفني وآخرون: الدروس النحوية، دار الإمام مالك، البليدة، الجزائر، 1428هـ/2007م، ج4، ص 351.
[2]- الغلاييني مصطفى: جامع الدروس العربية، ص 44 وما بعدها.
[3]- الغلاييني مصطفى: جامع الدروس العربية ص 50 وما بعدها، والحملاوي أحمد: شذا العرف في فن الصرف، ص 85.
[4]- الشنقيطي محمد الأمين: ج6، ص 146.
[5]- المصدر نفسه، ج5، ص 413.

وعن الفعل (أزف) يقول الشنقيطي: "والعرب تقول أزف الترحل بكسر الزاي يأزَف بفتحها أزَفاً بفتحتين على القياس، وأزوفاً فهُو آزف على غير قياس في المصدر الأخير، والوصف بمعنى قرب وقته وحان وقوعه ومنه قول نابغة ذبيان:

أزف الترحل غير أن ركابنا لما تزل برحالنا وكأن قد".[1]

فالفعل (أزف) من الأفعال المتصرفة مضارعه يأزف واسم فاعله آزف، ومصدره الأزف أو الأزوف، ونفس الشأن بالنسبة للفعْل (مارى) فَمضارعه (يمارى) (مراءً) و(مماراةً) إذا خاصم وجادل.[2]

وتوقف الشنقيطي عند فعل (قدر) من قوله تعالى: «فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ» الأنبياء:87، فذكر أن (قدَر) بفتح الدال مخففاً يقدِر ويقدُر بالكسر والضم، كيضرب وينصر، قدراً بمعنى قدر تقديراً، واستشهد ببيت استدل به ثعلب الكوفي.[3]

فالماضي والمضارع والمصدر صيغ تدل على أن الفعل (قدر) فعل متصرف وليس جامداً، والأمثلة من هذا النظير كثيرة في مؤلفات الشنقيطي.

<u>ومن الأفعال الجامدة:</u> التي حدّثنا عنها الشنقيطي أفعال الذم والمدح (ساء وبئس ونعم)، فيقول عن الفعْل الأوّل (ساء) في قوله تعالى: «ألا ساء ما يزرون» الأنعام 31، "ساء فعل جامد لإنشاء الذم بمعنى بئس و(ما) فيها الوجهان المشار إليهما بقوله في الخلاصة:

وما مميز وقيــل فاعل في نحو نعم ما يقول الفاضل".[4]

فـ(ما) إذا كانت بعد نعم أو بئس أو ساء تحتمل وجهين من الإعراب: فاعلاً أو مميزاً، وعند قوله تعالى: «وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ» النحل:30، أن "الله مدح دار المتقين التي هي الجنة في هذه الآية الكريمة، لأن «نِعۡمَ» فعل جامد لإنشاء المدح وكرّر الثناء عليها في آيات كثيرة".[5]

ويقول الشيخ عن لفظة «تَبَارَكَ» الفرقان 01: "اعلم أن قوله «تَبَارَكَ» فعل جامد لا يتصرف، فلا يأتي منه مضارع ولا مصدر ولا اسم فاعل ولا غير ذلك، وهو مما يختص به الله تعالى، فلا يقال لغيره (تبارك)... وإطلاق العرب (تبارك) مسنداً إلى الله تعالى معروف في كلامهم، ومنه:

قول الطرماح: **تباركت لا معط لشيء منعته وليس لما أعطيت يا رب مانع.**

وقول الآخر: **فليست عشيـات الحمى برواجع لنا أبداً ما أورق السلم النضر.**

ولا عائد ذاك الزمان الذي مضى تباركت ما تقدر يقع ولك الشكر.[6]

والملاحظ على الشيخ أن كل آية ورد فيها فعل جامد من مثل (ساء أو تبارك أو نعم أو بئس) إلا توقف عندها، وقال نفس القول الذي أوردناه في الأمثلة السابقة مع ذكر الشواهد مما قالت العرب.

[1]- المصدر السابق، ج7، ص 51.
[2]- المصدر نفسه>، ج7، ص 22.
[3]- نفسه، ج7، ص 209.
[4]- الشنقيطي محمد الأمين، أضواء البيان، ج3، ص 194.
[5]- المصدر نفسه، ج 3، ص 200.
[6]- نفسه، ج6، ص 177 وما بعدها.

3-الفعل المجرد والمزيد: ينقسم الفعل في الدرس الصرفي العربي بحسب التجرد والزيادة إلى قسمين:

أ-المجرد: هو ما كانت حروفه أصلية، لا يسقط حرف منها في تصاريف الكلمة بغير علة وهو قسمان: ثلاثي ورباعي، أما الثلاثي المجرّد فله باعتبار ما فيه ثلاثة أبواب لأنه دائماً مفتوح الفاء، وعينه إما أن تكون مفتوحة مكسورة أو مضمومة نحو: نصر وضرب وفتح ونحو فرح وحسِب ونحو: كرُم، وباعتبار الماضي مع المضارع له ستة أبواب لأن عين المضارع إما مضمومة أو مفتوحة أو مكسورة، وثلاثة في ثلاثة تسعة، يمتنع كسر العين في الماضي مع ضمها في المضارع، وضم العين في الماضي مع كسرها أو فتحها في المضارع، فإذن تكون أبواب الثلاثي ستة، فعَل يفعَل وَفعَل يفعِل وَ فعَل يفعُل وفعِل يفعَل، وفعُل يفعُل وَفعِل يفعِل".[1]

وأما الرباعي المجرّد فله وزن واحدٌ وهو (فعلل) كدحرج يدحرج ودربخ يدربخ، ومنه أفعال نحتتها العرب من مركّبات فتحفظ ولا يقاس عليها كبسمل وحوقل وطلبق ودمعز وجعفل...، وملحقاته سبعة: فعلل وفوعل وفعول وفيعل وفعيل وَفعْلى وَفعنل... والإلحاق هو أن تزيد في البناء زيادة، لتلحقه بآخر أكثر منه فيتصرَّف بتصرفه.[2]

ومن أمثلة الأفعال المجردة التي تحدث عنها الشنقيطي الفعل (يؤاخذ) فيقول: "الظاهر أن المفاعلة فيه بمعنى الفعل المجرّد، فمعنى آخذ الناسَ يؤاخذهم: أخذهم بذنوبهم، لأن المفاعلة تقتضي الطرفين، ومجيئها بمعنى مجرّد مسموع نحو: سافر وعافى".[3]

وعن الفعل (وعد) يقول الشنقيطي: "وقرأ أبو عمرو «وَوَعَدۡنَـٰكُمۡ» طه 80، بلا ألف بعد الواو الثانية بصيغة الفعل المجرد، من الوعد لا من المواعدة".[4]

ومن الفعْل (سَرَى) المجرّد يقول الشنقيطي: "قرأه نافع وابن كثير (فاسر) بهمزة وصل من سرى يسري... ومن سرى الثلاثية قوله تعالى: «وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ» الفجر 4، فإن فتح ياء (يَسر) يدل على أنه مضارع سرى الثلاثية... والمصدر (السُرى) بالضم على وزن (فُعل) بضم ففتح على غير قياس، ومنه قول عبد الله بن رواحة: **عند الصباح يحمَد القوم السرى وتنجلي عنهم غيابات الكرى**"[5].

وغير ذلك من المجردات. ونفس القول عن الفعل (نكس) و(قتل) و(تمنون).

ب-الفعل المزيد: هو ما كان بعض أحرف ماضيه زائداً على الأصل مثل: أذهب وتدحرج، وحروف الزيادة عشرة يجمعها قولك "سألتمونيها"، ولا يزاد من غيرها إلا إذا كان الزائد من جنس أحرُف الكلمة كعظَّم واحمَر، وأقل ما يكون عليه الفعل المجرّد ثلاثة أحرف، وأكثرها ما يكون عليه أربعة أحرف، وأكثرها ما ينتهي بالزيادة إلى ستة أحرف".[6]

---

[1]- الحملاوي أحمد: شذا العرف في فن الصرف، ص ص 61-67.
[2]- المرجع نفسه، ص 72.
[3]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج3، ص 219.
[4]- المصدر نفسه، ج4، ص 369.
[5]- نفسه، ج 3، ص 28 وما بعدها.
[6]- الغلاييني مصطفى: جامع الدروس العربية، ص 44.

والمزيد في الفعل الثلاثي ثلاثة أقسام: "ما زيد فيه حرف واحد وما زيد فيه حرفان وما زيد فيه ثلاثة أحرف، فغاية ما يبلغ الفعل بالزيادة ستة بخلاف الإسم، فإنه يبلغ بالزيادة سبعة، لثقل الفعل وخفة الإسم، فالذي زيد فيه حرف واحدٌ يأتي على ثلاثة أوزان: أَفْعَلَ وفَاعَلَ وَفعّل بالتضعيف، والذي زيد فيه حرفان يأتي على خمسة أوزان: انفعل وَافتعل وافعَل وتفَعلَ وتفاعل، والذي زيدَ فيه ثلاثة أحرف يأتي على أربعة أوزان: استفعل وافعوعل وافعالَّ وَافعوَّل"[1]، هذه هي أوزان الثلاثي المزيد بحرف أو حرفين أو ثلاثة.

أما أوزان الرباعي المزيد فيه وملحقاته، فجاء في الدرس الصرفي العربي أن الرباعي المزيد فيه ينقسم إلى قسمين: "ما زيد فيه حرف واحد وما زيد فيه حرفان، فالذي زيد فيه حرف واحد وهو تفعلل كتدحرج، والذي زيد فيه حرفان وزنان: الأول: افعنلل وافعللّ، والملحق بما زيد فيه حرف واحدٌ يأتي على ستة أوزان: تفعلل وتفعول وتفعيل وتفوعل وتمفعل وتفعلى، والملحق بما زيد فيه حرفان وزنان: افنعلل وافنعلى".[2]

وخلاصة ما تقدم فالفعل باعتبار مادته أربعة أقسام: ثلاثي ورباعي وخماسي وسداسي، وباعتبار هيئته الحاصلة من الحركات والسكنات سبعة وثلاثون باباً".[3]

وهذه الزوائد التي تمسّ الفعل لا تأت اعتباطاً بدون فائدة، بل كلُّ زيادة في المبنى زيادة في المعنى كما هو معروف عند الصرفيين، ومن أجل هذا فهي تحقق معاني عديدة منها: التعدية وَصيرورة شيء ذا شيءٍ والدخول في شيء مكاناً كان أو زماناً والسلب والإزالة ومصادفة الشيء على صفة والإستحقاق والتعريض والمطاوعة والتمكين والمشاركة بين اثنين فأكثر والموالاة والتكثير والإتحاد والإظهار والتكلف[4]... وما إلى ذلك.

ومن أمثلة المزيد في كتب الشنقيطي الفعل (دافع) في قوله تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ» الحج 38، يقول: "(الفعْل) قرىء بقراءة (يُدَافع) بضم الياء وفتح الدال بعدها ألف وكسر الفاء، مضارع (دافع) المزيد فيه ألف بين الفاء والعين على وزن (فاعل)، وفي قراءة الجمهور هذه إشكال معروف، وهو أن المفاعلة تقتضي بحسب الوضع العربي فاعلين في المصدر والله جل وعلا يدفع كل ما شاء من غير أن يكون له مدافع يدفع شيئاً، والجواب: هو ما عرف من أن المفاعلة قد ترد بمعنى المجرد نحو: جاوزت المكان بمعنى جزتُه وعاقبت اللص وسافرت وعافاك الله ونحو ذلك، فإن (فاعَل) في جميع ذلك بمعنى المجرّد، وعليه فقوله: (يدافع) بمعنى (يدفع)... وقال الزمخشري: ومن قرأ (يدافع) فمعناه يبالغ في الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب فيه لأن فعل المغالب يجيء أقوى وأبلغ".[5]

وبعد التفصيل في قراءة (يدفع) و(يدافع) وذكر ما رآه الزمخشري في كشافه حول الفعل، ها هو الشنقيطي يخرج بخلاصة من كلّ تلك الأقوال والآراء حيث يقول: "ولا يبعد عندي أن يكون

---

[1]- الحملاوي أحمد: شذا العرف في فن الصرف، ص 73 وما بعدها.
[2]- المرجع نفسه، ص 75 وما بعدها.
[3]- المرجع نفسه، ص 77.
[4]- الحملاوي أحمد بن محمد: شذا العرف في فن الصرف، ص ص 77- 84 .
[5]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج 5، ص 478.

وجه المفاعلة أن الكفار يستعملون كلَّ ما في إمكانهم لإضرارهم بالمؤمنين وإيذائهم، والله جل وعلا يدفع كيدهم عن المؤمنين، فكان دفعه جل وعلا لقوة عظيمة أهلها في طغيان شديد، يحاولون إلحاق الضرر بالمؤمنين وبهذا الاعتبار كان التعبير بالمفاعلة في قوله (يدافع)، وإن كان جل وعلا قادراً على إهلاكهم ودفع شرهم عن عباده المؤمنين ومما يوضح هذا المعنى الذي أشرنا إليه قول كعب بن مالك رضي الله عنه: **زعمت سخينة أن ستغلب ربها وليغلب مغالب الغلاب".**[1]

وذكر الشنقيطي أنَّ الفعل إذا زاد على ثلاثة أحرف فالمصدر الميمي منه واسم الزمان واسم المكان كلها بصيغة اسم المفعول[2]، وهذا عند معرض تفسير قوله تعالى: «ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ» فاطر 35، فالمقامة كما قال: الإقامة أي من الفعل الثلاثي المزيد بحرف واحد (أقام) مضارعه (يقيم) ومصدره (إقامة)، ومصدره الميمي مقامة وكذا اسم مفعوله واسم زمانه ومكانه بنفس الصيغة أيضاً.

والفعل (يؤاخذ) كذلك من الأفعال المزيدة التي تدل زيادتها على معنى يوضحه الشنقيطي بقوله: "(يؤاخذ) الظاهر أنَّ المفاعلة بمعنى الفعل المجرّد، فمعنى آخذ الناس يؤاخذهم: أخذهم بذنوبهم لأن المفاعلة تقتضي الطرفين، ومجيئها بمعنى المجرد مسموع نحو سافر وعافى، وقوله (يؤاخذ) إن قلنا إن المضارع فيه بمعنى الماضي فلا إشكال، وإن قلنا بمعنى الاستقبال فهو على إيلاء (لو) المستقبل، وهو قليل كقوله: «وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ» النساء 9"[3]، والفعل هذا مزيد على وزن (فاعل) في الماضي، وهو من الآية الكريمة: «وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ» النحل 61.

ومن أمثلة هذا كذلك قوله على (منى وأمنى) الثلاثي والرباعي، ومثله (لحد وألحد) و(وعد وواعد) وَ(بان وأبان) و(سقى وأسقى) و(أَمَرَ وآمر) وَ(فرط وأفرط) و(سرى وأسرى) و(نكر وأنكر) و(درس ودارس) [4]... وغيرها من الأمثلة.

4-اللازم والمتعدي: جاء في الدرس الصرفي العربي أن الفعل التام باعتبار معناه ينقسم إلى قسمين اثنين:

أ-اللازم: هو ما لا يتعدى أثره فاعله، ولا يتجاوز إلى المفعول به، بل يبقى في نفس فاعله، وهو يحتاج إلى فاعله ولا يحتاج إلى المفعول به.[5]

ب-المتعدي: هو ما يتعدى أثره فاعله ويتجاوزه إلى المفعول به، وهو يحتاج إلى فاعل ومفعول به يقع عليه، وهو على ثلاثة أضرب: متعدي إلى مفعول به وإلى اثنين وإلى ثلاثة.

فالأوّل نحو قولك (ضربتُ زيداً) والثاني: (كسوتُ زيداً جبة) والثالث: (أعلمتُ زيداً عمراً فاضلاً).[6]

1- المصدر السابق، ج5، ص 478.
2- المصدر نفسه، ج3، ص 200.
3- المصدر نفسه، ج3، ص 219.
4- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج 3، ص: 277/ ج4: ص 369/ ج3: ص 163/ ج3: ص 106/ ج3: ص 357/ ج3: ص 220/ ج3: ص 106/ ج3 ص23/ ج2: ص 157 بحسب توارد الأمثلة.
5- الغلاييني مصطفى: جامع الدروس العربية، ص 38.
6- المرجع نفسه، ص 29.

ويعرّفان أيضاً بأن "المتعدّي يسمّى مجازاً واللازم يسمى قاصراً، فالمتعدي عند إطلاق ما يجاوز الفاعل إلى المفعول به بنفسه مثل: حفظ محمّد الدرس، وعلامته أن تتصل به هاءً تعود على غير المصدر نحْو: زيدٌ ضربه عمرو، وأن يصاغ منه اسم مفعُول تام، أي غير مقترن بحرف جر أو ظرف نحْو مضروب"[1]، واللازم هو "ما لم يجاوز الفاعل إلى المفعول به، كقعد محمد وخرج علي".[2]

والمتعدي ثلاثة أقسام كما ذكرنا: منه ما يتعدى إلى مفعول واحد وهو كثير، ومنه ما يتعدّى إلى مفعولين، إما أن يكون أصلهما مبتدأ وخبراً وهو ظن وأخواتها وإمَّا لاَ وهو أعطى وأخواتها، ومنه ما يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل وهو باب أعلمَ وأرى[3].

ويكون الفعل لازماً إذا كان من باب (كرُم) ومن بابِ (فرِح) ودلّ على لون أو عيب أو حلية أو فرح أو حزنٍ أو خلو أو امتلاء أو كان مطاوعاً للمتعدي لواحد ككسرتُ الحجر فانكسر، والمطاوعة قبول أثر الفعل، أو كان على وزن افعللّ كـ (اقشعرَّ) أو (افعنْلل) أو كان محوّلا إلى (فعُل) في المدح والذم كـ (فهُم الرجل).[4]

وأسباب تعدي الفعل اللازم ثمانية أسباب هي: الهمزة كـ(أكرم) وَالتضعيف (كفرَحتُ زيداً) وزيادة ألف المفاعلة كـ(جالس) وزيادة حرف الجر كـ(ذهبت بعلي) وزيادة الهمزة والسين والتاء (كاستخرج) والتضمين النحوي وهو أن تشرب كلمة لازمة معنى كلمة متعدية لتتعدى تعديتها مثل (لا تعزموا عقدة النكاح)، ضمن معنى تعزموا تنووا فعدّي تعديته، وحذف حرف الجر توسعاً كقوله: **تمرون الديار ولم تعوجوا كلامكم علي إذن حـرامُ.**

ويطرد حذفه مع أنَّ وأن نحو (شهد الله أنه لا إله إلا هو) و(أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم)، والثامن الأخير تحويل اللازم إلى باب (نصَر) لقصد المغالبة نحو (قاعدتُه فقعدته فأنا أقْعُده).[5]

والحقيقة إن تعدية الفعل ليست قياسية بل هي سماعية، فما سمعت تعديته بحرف لا يجوز تعديته بغيره، وما لم تُسمع تعديته لا يجوز أن يعدّى بهذه الأسباب، وبعضهم جعل زيادة الهمزة في الثلاثي اللازم لقصد تعديته قياساً مطّرداً.[6]

وبعد استقراء هذا المبحث الصرفي في كتب الشنقيطي وجدناه يتعرض للمسألة في أكثر من موضع، ومن أمثلة هذا لفظة (مبين) يقول فيها "هي من (أبان) الرباعية اللازمة التي بمعنى بان، والعرب تقول: أبان فهو بين بمعنى بان فهو بين من اللازم الذي ليس بمتعد إلى المفعول ومنه قول كعب بن زهير: **قنواء في حريتها للبصير عتق وفي الخدين تسهيل.**

فقوله (عتق مبين) أي كرم ظاهر، ومن (أبان) اللازمة قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

لو دبّ ذر فوق ضاحي جلدها لأبان من آثارهن حدور.

---

[1]-الحملاوي أحمد بن محمد: شذا العرف في فن الصرف، ص 87.
[2]- المرجع نفسه ، ص 87.
[3]- المصدر نفسه، ص 87.
[4]- ناصف حفني وآخرون: الدروس النحوية، ج4، ص 362 وما بعدها.
[5]- الحملاوي أحمد بن محمد: شذا العرف في فن الصرف، ص 87 و88.
[6]- المرجع نفسه، ص 89.

يعني لظهر وبان من آثارهن ورم، ومنه قول جرير:

إذا آباؤنا وأبوك عدواً أبان المقرفات من العراب.

أي ظهر وبان المقرفات من العراب، ويحتمل أن يكون قوله في هذه الآية: (مبين) اسم فاعل (أبان) المتعدية والمفعول محذوف للتعميم أي: مبين لكم في إنذاري كل ما ينفعكم وما يضركم لتجتلبوا النفع وتجتنبوا الضر، والأوّل أظهر والله أعلم".[1]

فاللفظة القرآنية (مبين) من (أبان) الرباعية قد تحتمل اللزوم وقد تكون متعدية، ويستشهد الشنقيطي بشواهد من الشعر العربي، ويبدي رأيه في الخلاف ومع ذلك يقول (والله أعلم)، ويقف عند اللفظة نفسها في مواضع أخر مثل قوله تعالى: «فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ» النحل 04، حيث يقول: "الظاهر أن اسم الفاعل (مبين) من (بان) اللازمة بمعنى بان وظهر، أي بيّن الخصومة، (ويستشهد بالبيتين السابقين اللذين ذكرا في المثال الأوّل)، وقيل: من أبان المتعدية والمفعول محذوف أي مبين خصُومته ومظهر لها والعلم عند الله تعالى"[2]، ونفس القول يكرّره في تفسيره قوله تعالى: «عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ» الرحمن04.[3]

وعن الفعل (صدف) يذكر الشنقيطي أنه في هذه الآية لازم «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا» الأنعام 157، ومعناه أعرض عنها كما قال بعض العلماء، وقال السدي: صدف في هذه الآية متعدية للمفعول والمفعول محذوف، والمعنى أنه صدَّ غيره عن إتباع آيات الله، والقرآن يدل لقول السدي"، والشنقيطي في قوله هذا يميل إلى قول السدي: بدليل العبارة التي ختم بها والشواهد القرآنية التي ساقها بعد العبارة.

ويقول عن الفعل (صدَّ) عند تفسيره قوله تعالى: «ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا » النحل 88، "اِعلم أن (صدَّ) تستعمل في اللغة العربية استعمالين:

أحدهما: أن تستعمل متعدّية إلى المفعول كقوله تعالى: «هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ» الفتح 25، مضارع هذه التعدية (يصُد) بالضم على القياس، ومصدرها (الصد) على القياس أيضاً، **والثاني** أن تستعمل (صد) لازمة غير متعدية إلى المفعول، ومصدر هذه (الصدود) على القياس، وفي مضارعها الكسر على القياس والضم على السماع، وعليها القراءتان السبعيتان وفي قوله تعالى: «إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ» الزخرف 57، بالكسر والضم... فإذا عرفت ذلك فاعلم أن قوله تعالى: (وصدوا عن سبيل الله) محتمل لأن تكون (صد) متعدية والمفعول محذوف لدلالة المقام عليه على حد قوله في الخلاصة:

وحذف فضلة أجز إن لم يضر كحذف ما سبق جواباً أو حصر.

ومحتمل لأن تكون (صدَّ) لازمة غير متعدية إلى المفعول، ولكن في الآية الكريمة ثلاث قرائن تدل على أن (صد) متعدية، والمفعول محذوف أي وصدوا الناس عن سبيل الله.

---

[1]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج5، ص 495.

[2]- المصدر نفسه، ج3، ص 164.

[3]- نفسه، ج7، ص 484.

الأولى: أنا لو قدرنا (صد) لازمة، وأن معناها: صدودهم في أنفسهم عن الإسلام لكان ذلك تكرارا من غير فائدة مع قوله (الذين كفروا) بل معنى الآية: كفروا في أنفسهم وصدوا غيرهم عن الدين فحملوه على الكفار أيضا.

القرينة الثانية: قوله تعالى (زدناهم عذابا فوق العذاب) فإن هذه الزيادة من العذاب لأجل إضلالهم غيرهم، والعذاب المزيدة فوقه هو عذابهم على كفرهم في أنفسهم بدليل قوله في المضلين الذين أضلوا غيرهم (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) النحل 25.

القرينة الثالثة: قوله (بما كانوا يفسدون) فإنه يدل على أنهم كانوا يفسدون على غيرهم مع ضلالهم في أنفسهم، وقوله (فوق العذاب) أي الذي استحقوه بضلالهم وكفرهم...والعلم عند الله تعالى"[1].

وعن همزة التعدية التي تدخل على الفعل اللازم يقول الشنقيطي في معرض تفسيره لقوله تعالى (لنريه من آياتنا) الاسراء:01: "الظاهر إنما أراه من آياته في هذه الآية الكريمة أنه أراه إياه رؤية عين، فهمزة التعدية داخلة على (رأى البصرية) كقولك: أرأيت دار عمرو أي جعلته يراها بعينه"[2].

وذكرنا من قبل أن الهمزة أحد أسباب تحول الفعل من اللازم إلى المتعدي لذلك تسمى بهمزة التعدية.

وعن الفعل (هز) في قوله تعالى: (وهزي إليك بجذع النخلة) مريم25، يذكر الشنقيطي أن "فعل الهز يتعدى بنفسه، وزيادة حرف الباء للتوكيد قبل مفعول الفعل المتعدي بنفسه كثيرة في القرآن وفي كلام العرب، فمنه في القرآن (وهزي إليك بجذع النخلة) لأن المتبادر من اللغة أن الأصل: (وهزي إليك جذع النخلة)، وقوله تعالى: (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) البقرة195، وقوله (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم) الحج25، وقوله (فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون) القلم05 و06، وقوله (تنبت بالدهن) المومنون20،... ونظير ذلك من كلام العرب قول أمية بن أبي الصلت الثقفي:

إذ يسقون بالدقيق وكانوا قبل لا يأكلون خبزا فطيرا

لأن الأصل (يسقون الدقيق) فزيدت الباء لما ذكر....."[3].

وينبه الشنقيطي إلى قضية صرفية تتعلق بالفعل (شكر) في القرآن وفي كلام العرب فيقول: "اِعلم أن مادة (شكر) تتعدى إلى النعمة تارة وإلى المنعم تارة أخرى، فإن عديت إلى النعمة تعدت إليها بنفسها دون حرف الجر، كقوله تعالى: "رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي" النمل19، وإذا عديت إلى المنعم تعدت إليه بحرف الجر الذي هو اللام كقولك: (نحمد الله ونشكر له)، ولم تأت في القرآن معداة إلا باللام، كقوله تعالى: (واشكروا لي ولا تكفرون) البقرة152، وقوله: (أن اشكر لي ولوالديك) لقمان14، وقوله: (واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون) البقرة172،

[1]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج 3، ص250 وما بعدها.
[2]- المصدر نفسه، ج3، ص298.
[3]- نفسه ، ج4، ص193 وما بعدها.

وقوله: (واشكروا له إليه ترجعون) العنكبوت 174، إلى غير ذلك من الآيات، وهذه هي اللغة الفصحى، وتعديتها للمفعول بدون اللام لغة لا لحن، ومن ذلك قول أبي نحيلة:

شكرتك إن الشكر حبل من اتقى　　وما كل من أوليته نعمة يقضى.

وقول جميل بن معمر: **خليلي عوجا اليوم حتى تسلما　　على عذبة الأنياب طيبة النشر**

فإنكما إن عجتما لي ســاعة　　شكرتكما حتى أغيب في قبري".[1]

وهناك من النماذج التي ذكرها الشنقيطي لا تسع هذه الصفحات لعرضها كلّها ونكتفي بالإشارة إليها والتلميح لها للرجوع إليها مثل: كفى وأمرنا ويسر ووفر وجحد واستعتب ولحد وثبت ونشر وقدم...[2].

<u>5-الصحيح والمعتل:</u> يقسّم الصرفيون الفعل باعتبار قوة حروفه وضعفها وباعتبار تكوين حروفه الأصلية إلى قسمين اثنين:

<u>أ-الفعل الصحيح:</u> "هو ما خلت حروف أصوله من أحرف العلة (الألف والواو والياء)، وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام: السالم والمهموز والمضعف.

1-السالم: ما خلت أصوله من الهمزة والتضعيف نحو: درس، شرب، فهم، ذهب...

2-المهموز: ما كان أحد أصوله همزة سواءً كانت فاء الفعل أم عين الفعل أم لام الفعل مثل أمر وسأل وملأ.

3-المضعّف: ما كان أحد أحرفه الأصلية مكرّر لغير زيادة وهو قسمان: المضعف الثلاثي والمضعف الرباعي مثل: مدّ وَ دمدم".[3]

وسمي السالم كذلك لأنه سلمت حروفه الأصلية من حرف علة أو همزة أو تضعيف، وسمّي بالمهموز لأن أحد أصول حروفه همزة فاءً كانت أو عيناً أو لاماً، وسمي بالمضاعف أو المضعف لتكرار أحد حروفه الأصلية لغير زيادة ويسمى بالأصم لشدّته: "فإن كان المكرّر زائداً فلا يكون الفعل مضاعفاً مثل: عظم وشذب واشتد وادهام واعشوشب".[4]

<u>ب-الفعل المعتل:</u> "هو ما كان أحد أحرفه الأصلية حرف علة وهو أربعة أقسام:

1-المثال: ما كانت فاؤه حرف علة فقط مثل: وعد وورث ويئس.

2-الأجوف: ما كانت عينه حرف علة مثل: قام وسار وعور وعيد.

3-الناقص: ما كانت لامه حرف علة نحو: خشي ودعا ورمى.

4-اللفيف: ما كان فيه حرفا علة وهو قسمان:

أ- لفيف مفروق: ما كانت فاؤه ولامه حرفي علة مثل: وشى وَوعى.

ب-لفيف مقرون: ما كانت عينه ولامه حرفي علة مثل: طوى ونوى".[5]

---

[1]- المصدر السابق، ج 7، ص 522.

[2]- المصدر نفسه، ج3: ص 344/ ج3: ص 357/ ج3: ص 366/ ج3: ص 442/ ج3: ص 238/ ج3: ص 248/ ج3: ص 277/ ج4: ص 192/ ج6: ص 183/ ج7: ص 406 بحسب توارد الأمثلة.

[3]- بوخدود علي بهاء الدين: المدخل الصرفي، ص 21، والغلاييني مصطفي: جامع الدروس العربية، ص 42 وما بعدها وَالحملاوي أحمد بن محمد: شذا العرف في فن الصرف، ص 57، وناصف حفني: الدروس النحوية، ج4، ص 353.

[4]- الغلاييني مصطفى: جامع الدروس العربية، ص 43.

[5]- بوخدود علي بهاء الدين: المدخل الصرفي، ص 22، والغلاييني مصطفى: جامع الدروس العربية، ص 43، والحملاوي أحمد بن محمد: شذا العرف في فن الصرف، ص 60، وَناصف حفني: الدروس النحوية: ص 353.

وسمّي المثال مثالاً لأنه يماثل الصحيح في عدم إعلال ماضيه، وسُمي الأجوف أجوفاً لخلو جوفه أي وسطه من الحرف الصحيح، وسمّي الناقص بالناقص لنقصانه وبحذف آخره في بعض التصاريف، وسمي مفروقاً لكون الحرف الصحيح فارقاً بين حرفي العلة، ومقروناً لاقتران حرفي العلة ببعضهما البعض.

وفيما يلي نماذج ممّا قاله الشنقيطي في الصحيح والمعتل، فعند حديثه عن الفعل (وأل) عند قوله تعالى: «بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا» الكهف58، يقول: "ومعلوم في فن الصرف أن واوي الفاء من الثلاثي يقاس مصدره الميمي واسم مكانه وزمانه على (المفعِل) بكسر العين كما هنا (الموئل) ما لم يكن معتل اللام، فالقياس فيه الفتح كالمولى، والعرب تقول: لا أولت نفسه أي لا وجدت منجى تنجو به، ومنه قول الشاعر:

لا أولت نفسك خليتها للعامرين ولم تكلـم.

وقال الأعشى:**وقد أخالس رب البيت غفلته وقد يحاذر مني ثم ما يئل**. أي ما ينجو".[1]

والفعل (وأل) مضارعه (يئل) وألاً ووُؤْلاً بمعنى لَجَأ، وهو فعل معتل الفاء أو كما يسميه الصرفيون (المثال)، وهذا ما دله الشنقيطي لنا بالشواهد من شعر العرب.

وعن الفعل الأجوف (مات) يقول الشنقيطي عند وقوفه عن الآية: «مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا» مريم 23، "قراءة (مِت) بكسر الميم كثيراً ما يخفى على طلبة العلم وجهها، لأن لغة (مات يموت) لا يصح منها (مت) بكسر الميم، ووجه القراءة بكسر الميم أنه من (مات يمات) كـ(خاف يخاف) لا من (مات يموت) كـ(قال يقول)، فلفظ (مات) فيها لغتان عربيتان فصيحتان، الأولى منها (موَت) بفتح الواو فأبدلت الواو ألفاً على القاعدة التصريفية المشار إليها بقوله في الخلاصة:

من ياء أو واو بتحريك أصل ألفاً أبدل بعد فتح متصـل.

إن حرك الثاني... إلخ،

ومضارع هذه المفتوحة (يموت) بالضم على القياس، وفي هذه ونحوها إن أسند الفعل إلى تاء الفاعل أو نونه سقطت العين بالإعتلال وحركت الفاء بحركة تناسب العين، والحركة المناسبة للواو هي الضمة، فتقول (مُت) بضم الميم، ولا يجوز غير ذلك.

الثانية: أنها (موِت) بكسر الواو، أبدلت الواو ألفاً للقاعدة المذكورة آنفاً، ومضارع هذه (يمات) بالفتح لأن (فعِل) بكسر العين ينقاس في مضارعها بفتح العين كما قال ابن مالك في اللامية: **وافتح موضع الكسر في المبنى من فعلا.**

ويستثنى من هذه القاعدة كلمات معروفة سماعية تحفظ ولا يقاس عليها، والمقرر في فن الصرّف: أن كلّ فعل ثلاثي أجوف أعني معتل العين إذا كان على وزن (فعِل) بكسر العين أو (فعُل) بضمها فإنه إذا أسند إلى تاء الفاعل أو نونه تسقط عينه بالإعتلال وتنقل حركة عينه الساقطة بالإعتلال إلى الفاء فتكسر فاؤه إن كان من (فعِل) بكسر العين، وتضم إن كان من (فعُل) بضمها، مثال الأوّل: (مِت) من مات يمات، لأن أصلها (موت) بالكسر، وكذلك خاف يخاف ونام ينام، فإنك

[1]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص 117.

تقول فيها (مِت) بكسر الميم، و(نِمت) بكسر للنون، و(خِفت) بكسر الخاء، لأن حركة العين نقلت إلى الفاء وهي الكسرة، ومثاله في الضم (طال) فأصلها (طول) بضم الواو، فتقول فيها (طُلت) بالضم لنقل حركة العين إلى الفاء، أما إذا كان الثلاثي من (فعَل) بفتح العين كمات يموت وقال يقول، فإن العين تسقط بالاعتلال وتحرّك الفاء بحركة مناسبة للعين الساقطة فيضم الفاء إن كانت العين الساقطة واواً كمات يموت وقال يقول: فتقول مُت وقُلت بالضم، وتكسر الفاء إن كانت العين الساقطة ياءً، كباع وسار فتقول بِعتُ وسِرتُ بالكسر فيهما وإلى هذا أشار ابن مالك في اللامية بقوله:

وانقل لفاء الثلاثي في شكل عين إذا اعتلت وكان بنا الإضمار متصلاً
أو نونه وإذا فتحا يكون منه اعتض مجانس تلك العين منتقلاً".[1]

ويضيف شواهد من شعر العرب على صحة أن (مات) هي من (مات يمات) أي من فعِل بالكسر يفعَل بالفتح، فالشنقيطي كان أستاذا في علم الصرف وخصوصاً في درس الفعْل المعتل، ويحيلنا إلى ظواهر ثلاثة مهمة في علم الصرف لها علاقة بالفعل المعتل وهي: الإعتلال أو الإعلال كما يسميها البعض والإبدال والإقلاب أو القلب عند البعض، فما هو مفهوم كل ظاهرة في الدرس الصرفي العربي وما هي الشواهد التي استقاها الشنقيطي في حديثه عن هذه الظواهر؟.

أ-الإعلال: "هو تغيير يطرأ على أحرف العلة في الكلمات وما يلحق بها (الهمزة) فيتسبب هذا التغيير بحذف الحرف أو إسكانه أو قلبه حرفاً آخر من الأربعة المذكورة (ألف، واو، ياء، همزة) وفقاً لأصول وقواعد محددة نحو (باع) وأصل الفعل (بيع قلبت الياء ألفاً)".[2]

ويعرفه الرضي الأستراباذي بقوله: "واعلم أن لفظ الإعلال في اصطلاحهم مختص بتغيير حرف العلة أي الألف والواو والياء بالقلب أو الإسكان، ولا يقال لتغيير الهمزة بأحد الثلاثة إعلالاً، أو الإعلال بإبدال حروف العلة ونقل حركتها إلى ما قبلها وحذفها حركتها لا للجزم ولا للوقف، ويدخل في الإبدال إبدال حرف العلة..".[3]

وتسمى (الألف والواو والياء) حروف إعلال لأنها تتغير ولا تبقى على حال ويكون تغيرها لطلب الإخفاف في النطق وتجنباً لثقلها على اللسان.

وأنواع الإعلال ثلاثة: إعلال بالقلب كقلب الواو ألفاً في (قال) و(باع)، وإعلال بالحذف كحذف همزة (أكرم) من مضارعه، وإعلال بالتسكين ويسمى الإعلال بالنقل، كنقل الضمة إلى الحرف الصحيح الساكن قبلها في (يقول) والأصل (يَقْوُلُ).[4]

ب-الإبدال: هو إحلال حرف محل حرف آخر بعد حذفه سواء كان الحرفان حرفي علة أم حرفين صحيحين أم مختلفين (أحدهما صحيح والآخر علة)، فالإبدال يشمل القلب ولكنه أوسع منه، وإبدال الأحرف الصحيحة مقصور بمعظمه على السماع نحو (وكنة) أصلها (وقنة) ومثل إبدال

---

[1]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص 186 وما بعدها.
[2]- سقال ديزيرة: الصرف وعلم الأصوات، دار الصداقة العربية، بيروت، ط 1، 1996، ص 139، وعطية جرجي شاهين: سلم اللسان في الصرف والنحو والبيان، دار ريحاني للطباعة والنشر، بيروت، ط 4، د ت، ص 63 والسليم فريد بن عبد العزيز الزامل، الخلاف التصريفي وأثره الدلالي في القرآن الكريم، دار ابن الجوزي، ط 1، 1427هـ، ص 408.
[3]- الأسترباذي رضي الدين: شرح الشافية لابن الحاجب، تحقيق محمد أبو الحسن وآخرون، دار الفكر العربي، بيروت، 1970، ج 3، ص 66 وما بعدها.
[4]- سقال ديزيرة: الصرف وعلم الأصوات، ص 139.

المختلفين مثل (خطايا) أصلها (خطاءا). ويعرّفه الرضي: "هو جعل حرف ليس عليلاً ولا همزة مكان حرف ليس منها".[1]

ومثال ذلك الفعل (ازدرع) أصله (ازترع) بالتاء فأبدلت التاء دالاً، وحروف الإبدال في اللغة العربية تسعة مجموعة في تركيب (هدأت موطئاً)، ولكل حرف شروطه لإبداله من سواه، وهو يشبه الإعلال "في أن كلا منها تغيير في الموضع، إلا أن الإعلال خاص بأحرف العلة، فيقلب أحدهما إلى الآخر، وأما الإبدال فيكون في الحروف الصحيحة بجعل أحدهما مكان الآخر، وفي الأحرف العليلة بجعل مكان حرف العلة حرفاً صحيحاً".[2]

ج-القلب: هو تحويل أحد الحروف الأربعة (الألف والواو والياء والهمزة) إلى حرف آخر منها يحل محله، ويختفي الأول وفقاً لقواعد محددة نحو (بناء) أصلها (بناي) والقلب كثير في اللغة.[3]

وفي الدرس الصرفي العربي ثلاثة طرق في عملية الإقلاب أو القلب هي:[4]

1- جعل حروف العلة والهمزة بعضها مكان بعض، وهو على هذا يشمل تخفيف الهمزة، ويخرج منه إبدال الواو والياء تاء نحو اتعد واتسر.

2- جعل حرف مكان حرف العلة للتخفيف أي أن يكون المقلوب حرف علة وأن يكون القلب للتخفيف وهو من ناحية أخرى عام، وفي المقلوب إليه حرف علة فيخرج عنه تخفيف الهمزة ويدخل فيه قلب الواو والياء تاءً وهمزة نحو (أواصل وأجوه).

3- جعْل حروف العلة بعضها مكان بعض فيخرج عنه تخفيف الهمزة وقلب حرف العلة تاء أو همزة أو غيرهما من الحروف الصحيحة.

د-العوض: ويسمى أيضا التعويض، وهو حذف حرف والاستغناء عنه بآخر ولكن من غير أن نتقيد في أي منهما بحرف معيّن ولا أن يكون العوض في المكان الذي صار خالياً عندما حذفنا الحرف الأصيل، فقد يكون في موضعه، كتصغير فرزدق جوازاً على (فريزيق) (حلت محل الدال المحذوفة الياءُ) و(عِدَةٌ) من (وعد: حلت التاء في آخرها وحذفت الواو من أولها).[5]

هـ-النقل: هو نوع من الإعلال وهو إعلال بحذف حركة العلة، والإعلال بالنقل يراد به شيئان:

1- حذف حركة حرف العلة، دفعاً للثقل.

2- نقل حركة حرف العلة إلى الساكن قبله.

فإذا تطرفت الواو والياء بعد حرف متحرك، حذفت حركتها إن كانت ضمة أو كسرة دفعاً للثقل نحو: يدعو الداعي إلى النادي. أصل الكلام: يدعو الداعيُّ إلى الـناديِّ.

يقضي القاضي على الجاني. أصل الكلام: يقضي القاضيُ على الجاني.

---

[1]- الأستراباذي رضي الدين: شرح الشافية لابن الحاجب، ج 1، ص 18.

[2]- الغلاييني مصطفى: جامع الدروس العربية، ص 257.

[3]- سقال ديزيرة: الصرف وعلم الأصوات، ص 139.

[4]- أنجب غلام نبي بن غلام محمد: الإعلال والإبدال والإدغام في ضوء القراءات القرآنية واللهجات العربية، مخطوط دكتوراه، ص 70.

[5]- سقال ديزيرة: الصرف وعلم الأصوات، ص 140.

فإن لزم ذلك اجتماع الساكنين حذفت لام الكلمة نحو: يرمون أصلها يرميون ويغزون أصلها يغزوون.

وإذا كانت عين الكلمة واواً أو ياءاً متحرّكتين، وكان ما قبلها ساكناً صحيحاً وجب نقل حركة العين إلى الساكن قبلهما، لأن الحرف الصحيح أولى بتحمل الحركة من حرف العلة لقوته وضعف حركة العلة نحو:

- يقوم أصلها يقوم ⟵ نقل.
- يبين أصلها يبين ⟵ النقل بالمجانسة.
- أقام أصلها أقوم ⟵ النقل بالقلب.
- أبان أصلها أبيَن ⟵ نقل الحركة مع قلب الواو.
- يقيم أصلها يَقْـوِم ⟵ الياء ألفاً بعد الفتحة.
- مقام أصلها مقـوَم ⟵ ياء بعد الكسرة للمجانسة.
- لم أبن أصلها لم أبين ⟵ النقل والحذف.
- لم أبع أصلها لم أبيع ⟵ نقل الحركة مع الحذف.
- لم يقم أصلها لم يقوم ⟵ لاجتماع الساكنين.
- لم يبع أصلها لم يبيع ⟵ لاجتماع الساكنين.[1]

ومن هذه المسائل التي أشار إليها الشنقيطي لفظة (الدم) فيقول: "الدم أصله (دمى) يائي اللام، وهو من الأسماء التي حذفت العرب لامها ولم تعوّض عنها شيئاً وأعربتها على العين، ولامه ترجع عند التصغير فتقول (دميّ) بإدغام ياء التصغير في ياء الكلمة وترجع أيضاً في جمع التكسير، فالهمزة في (الدماء) مبدلة من الياء التي هي لام الكلمة، وربما ثبتت في التثنية ومنه قول سحيم الرياحي: **ولو أنا على حجر ذبحنا جرى الدمَيان بالخبر اليقين.**

كذلك تثبت لامه في الماضي والمضارع والوصف في حالة الاشتقاق منه فتقول: في الماضي دميَت يده، كرضي ومنه قوله: **هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت.**

وتقول في المضارع يدمي بإبدال الياء ألفاً كما في يرضى ويسعى ويخشى، ومنه قول الشاعر:

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما.

وتقول في الوصف: أصبح جرحه دامياً، ومنه قول الراجز:

نردّ أولا لها على أخراها نرّدها دامية كلاها.

والتحقيق أن لامه أصلها ياءً وقيل أصلها واواً وإنما أبدلت ياء في الماضي لتطرفها بعد الكسر كما في (قوي ورضي وشجي) التي هي واويات اللام في الأصل لأنها من الرضوان والقوة والشجو".[2]

---

[1]- بوخدود علي بهاء الدين: المدخل الصرفي، ص 165و166.
[2]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، ص 85 و86.

فهذه المسألة تندرج فيها ذكرناه من قبل في مبحث الإعلال والإبدال في نفس الوقت، والشنقيطي لا يترك غموضاً إلا شرحه وفسّره وذكر الشواهد من كلام العرب كدليل على صحة كلامه.

وعن الفعل (وقى) يقول الشنقيطي: (أصل مادة الإتقاء (وقى) لفيف مفروق فاؤه واو وعينه قاف ولامه ياء، فدخله تاء الإفتعال فصارت (وقى) و(تقى) فأبدلت الواو التي هي فاء الكلمة تاء للقاعدة المقررة في التصريف أن كل واو هي فاء الكلمة إذا دخلت عليها تاء الإفتعال يجب إبدالها أعني الواو تاءً وإدغامها في فاء الإفتعال نحو (اتصل من الوصل)، و(اتزن من الوزن) و(اتحد من الوحدة) و(اتقى من الوقاية)، وعقد هذه القاعدة ابن مالك في الخلاصة بقوله:

ذو اللين فاتا في افتعال أبدلا وشذ في ذي الهمز نحو ائتكلا". [1]

فالشنقيطي جمع بين عدة مسائل صرفية في لفظة واحدة من إعلال وإبدال وإدغام في لفظة (وقى) ويذكر القاعدة الصرفية ويستشهد بالأمثلة التي تماثل وتوافق الكلمة، بل ويستشهد ببيت من الخلاصة لابن مالك.

وعن ظاهرتي الحذف والعوض يقول الشنقيطي في تفسيره للفظة (فئة): "(فئة) محذوف منه حرف بلا خلاف، إلا أن العلماء اختلفوا في الحرف المحذوف، هل هو واو أو ياء، وهل هو العين أو اللام؟ قال بعضهم: المحذوف العين وأصله ياءً، وأصل المادة (فيأ)، من (فاء يفيء): إذا رجع، ... وعلى هذا فالتاء عوض عن العين المحذوفة ووزنه بالميزان الصرفي (فلة)، وقال بعضهم: المحذوف اللام، وأصله واو من فأوت رأسه إذا شققته نصفين... وعلى هذا فوزنه بالميزان الصرفي (فعة) فالتاء عوض عن اللام، وكلا القولين نصره بعض أهل العلم والعلم عند الله تعالى". [2]

ويقول في تفسير لفظة (يبنؤم): "وأصله (يا بنؤمي) بالإضافة إلى ياء المتكلم، ويطّرد حذف الياء وإبدالها ألفاً وحذف الألف المبدلة منها كما هنا وإلى ذلك أشار في الخلاصة بقوله:

وفتح أو كسر وحذف اليا استمر في يا بنؤم يابن عم لا مفر.

وأما ثبوت ياء المتكلم فيقول حرملة بن المنذر:

يا بنؤمي ويا شقيق نفـــسي أنت خليتني لدهر شديـد.

فلغة قليلة، وقال بعضهم: هي لضرورة الشعر". [3]

ففي اللفظة حذف وإبدال، فـ(ينبؤم) أصلها (يابنؤمي) وأبدلت الياء ألفاً ثم حذفت الألف المبدلة منها فصارت (ينبؤم) كما استشهد الشنقيطي ببيت ابن مالك في الخلاصة النحوية.

وذكر الشنقيطي عن الفعل المعتل والمضعف قاعدة صرفية مفادها أن "كل فعل على وزن (افتعل) إذا كان معتل العين أو مضعفاً يتحد اسم فاعله واسم مفعوله لأن الكسرة المميزة لاسم الفاعل والفتحة مميزة لاسم المفعول كلتاهما تسقط للإعتلال والتضعيف مثاله في معتل العين:

---

[1]- المصدر السابق، ج3، ص 110 و111.

[2]- المصدر نفسه، ج4، ص 84 وما بعدها.

[3]- المصدر نفسه ، ج 4، ص 383.

المختار والمصطاد والمجتاب، ومثاله في المضعّف المضطرّ والمحتل، وكذلك كل صيغة (فاعل مضعفة) يستوي لفظ اسم فاعلها واسم مفعولها كما يستوي مضارعها المبني للفاعل ومضارعها المبني للمفعول كـ(مضار) لهما و(مضار) للفعلين، ولأجله اختلف في إعراب (والدة) البقرة 233، فقيل: فاعل، وقيل: نائب فاعل، وكذلك (كاتب وشهيد) في قوله تعالى: «وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ» البقرة 282".[1]

وفي تداخل الظواهر الصرفية في اللفظة الواحدة يشرح الشنقيطي لفظة (العصيّ) ويفصّل في القضية رغم ورود قضايا عدة فيها، فيفيد بعلمه ويقنع قائلاً: "أصل (العِصِى) (عصوو) على وزن (فعُول) جمع عصا، فأعلّ بإبدال الواو التي في موضع اللام ياء فصارت عصوياً، فأبدلت الواو ياء وأدغمت في الياء، فالياءان أصلهما واوان، وإلى جواز هذا النوع من الإعلال في واوي اللام ممَّا جاء على فعول أشار في الخلاصة بقوله:

كذاك الوجهين جا الفعول من ذي الواو لام جمع أو فرد يعن.

وضمة الصاد في «وَعِصِيُّهُمۡ» طه 66، أبدلت كسرة لمجانسة الياء، وضمة (عصيهم) أبدلت كسرة لإتباع كسرة الصاد".[2]

ففي المثال هذا اجتماع لعدة مسائل صرفية من إعلال وإبدال وإدغام ومجانسة الحركات القصيرة للطويلة، أبدع الشنقيطي في عرضها بأسلوب سهل وواضح لا غموض ولا تعقيد فيه، ومن الأمثلة التي ساقها الشنقيطي في كتبه حول الإعلال ولواحقه نذكر على سبيل المثال لا الحصر: (عال) وَ(استجاره) وَ(وفى) وَ(أعتدنا) و(سيد) و(لَهُو) وَ(حاق) وَ(بلا) وَ(ضحى) وَ(تترى) و(سيئة) و(آلهة) و(الإملاء) و(آية) و(يومنون) و(الهوى)[3]... وغيرها.

6-<u>الميزان الصرفي:</u> هو المعيار الضابط لأصل ألفاظ اللغة العربية أو مقياس وضعه العلماء لمعرفة أحوال بنية الكلمة فعلا كانت أو اسماً، وبفضله يتم تحديد وزن الكلمة ونطقها وفق قياسها المطّرد الذي يناسبها، وقد جعلها اللغويون مكوّناً من ثلاثة أحرف أصول: (ف،ع،ل)، وقابلوها عند الوزن بالفاء والعين واللام، فقالوا فاء الفعل وعينه ولامه مصورة بصورة الوزن، فيقولون في وزن كتب: (فعَل)، وفي حسُن (فعُل)، وفي حسِبَ (فعِل)، والصّرف يركز على عين الكلمة مثلما يركز اللغوي على فاء الكلمة والنحوي على لام الكلمة.[4]

ويعرّفه آخرون بأنه "مبنى صوتي يناط به أمر بيان الصورة الصوتية النهائية التي آلت إليها المادة اللغوية"[5]، أو هو"وحدة مقياس صرفية ووسيلة تخضع لها جميع مفردات العربية لتحديد صيغة الكلمة من بين أنواع الأسماء والأفعال دون الحروف وبيان ما اعتراها من تبدّل أساسي في بنائها كالحذف والزيادة والقلب المكاني.[6]

[1]- الشنقيطي محمد الأمين: مذكرة في أصول الفقه، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، دار المدينة المنورة، السعودية، دمشق، ط 3، 1425هـ/2004م، ص 216.

[2]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج 4، ص 331.

[3]- المصدر نفسه، ج1: ص 336/ ج3: ص 363/ ج3: ص 110/ ج4: ص 72/ ج4: ص 79/ ج4: ص 322/ ج4: ص 435/ ج4: ص 430/ ج4: ص 396/ ج5: ص 533/ ج6 ص184/ج6: ص 186/ ج7: ص 221/ ج7: ص 223/ ج7: ص223 /ج7ص 231بحسب توالي الأمثلة.

[4]- الحملاوي أحمد بن محمد: شذا العرف في فن الصرف، ص 53.

[5]- حسان تمام: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1997، ص 145.

[6]- للتفصيل في القضية يراجع: بوخدود علي بهاء الدين: المدخل الصرفي، ص ص 9-15.

ومن الألفاظ التي وزنها الشنقيطي بالميزان الصرفي وذكر مختلف أبنيتها وصيغتها لفظة (أَسْلُكْ) حين يقول: "تقول العرب: سلكت الشيء في الشيء: أدخلته فيه، وفيه لغة أخرى وهي أسلكته فيه، رباعيّاً بوزن (أَفْعَلَ) والثلاثية لغة القرآن كقوله: «فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ» المؤمنون 27، وقوله: «ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ» القصص 32، وقوله: «كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ» الشعراء 200..."[1]، وذكر شواهد شعرية أخرى من الأول على وزن (فعَل) ومن الثاني عَلى وزن (أفْعَلَ).

وذكر أن (الملكوت) اسم على وزن (فعلوت) من الملك، وقال بعض أهل العلم، زيادة الواو والتاء في نحو: الملكوت والرحموت والرهبوت بمعنى الملك والرحمة والرهبة تفيد المبالغة في ذلك والله تعالى أعلم".[2]

وذكر أن (اليحموم) على وزن (فعلول)[3]، ولفظة (حطة) على وزن (فِعلة) من الحط بمعنى الوضع،[4] وذكر أن (ضائق) هي على وزن (فاعل) و(ضيق) على وزن (فيعل)، ويجيب عن سؤال مفاده: ما وجه التعبير في هود بقوله: «وَضَآئِقٌۢ» هود 12، وفي الفرقان والأنعام بقوله: «ضيق» مع العلم أنه في المواضع الثلاثة هو الوصف من ضاق يضيق فهو ضيق فيقول: "والجواب عن هذا هو أنه تقرَر في فن الصرف أنَّ جميع أوزان الصفة المشبهة باسم الفاعل إن قصد بها الحدوث والتجدد جاء على وزن (فاعل) مطلقاَ... ، وإن لم يقصد بها الحدوث والتجدد بقي على أصله".[5]

ويذكر الشنقيطي شواهد من الشعر العربي تدل على صحة كلامه وكذا من الخلاصة لابن مالك، وأمثلة واستشهادات على إتيان الفيعل على الفاعل في كلام طويل وشرح مستفيض وأسلوب واضح بسيط.

ومن النماذج الأخرى نذكر على سبيل المثال: (الخليفة على وزن فعيلة)[6] وَ(قاتل وقتل) على وزن (فاعل وفعل)[7] واثنوني ووزنه (افعوعل)[8] و(ترأيين) على وزن (تفعلين)[9] وفعلة كجثْوة وشيعة كفِعلة[10] والسيئة وزنها فعيلة[11] والفعفل في الميزان الصرفي كصرصر[12]... وغيرها من الصيغ التي توزن بالميزان الصرفي.

<u>7-التذكير والتأنيث:</u> جاء في كتب الصرف أن "الذكر خلاف الأنثى والأنثى خلاف الذكر من كل شيء، والتأنيث خلاف التذكير والجمع ذكور وذكورة وذِكار وذِكارة وذكْران وذِكرة، ولا يجوز جمعهُ بالواو والنون فإن ذلك مختص بالعلم العاقل والوصف الذي يجمع مؤنثه بالألف

1- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج3، ص 19 وما بعدها.
2- المصدر نفسه، ج5، ص 554.
3- نفسه، ج7، ص 510.
4- نفسه، ج7، ص 295.
5 نفسه، ج6، ص 196.
6- نفسه، ج1، ص 46.
7- نفسه، ج1، ص 227.
8- نفسه،ج 10، ص03.
9- نفسه، ج4، ص 203.
10- المصدر نفسه ، ج4، ص 262 وما بعدها.
11- المصدر نفسه، ج5، ص 557.
12- نفسه، ج7، ص 77.

والتاء، وما شذ من ذلك فمسموع لا يقاس عليه"[1]... أما المؤنث "فتجمع على إناث، وأُنُث جمعُ إناث، ويقال للموات الذي هو خلاف الحيوان: الإناث، ويقال للرجل: أنثت تأنيثاً أي لنت له ولم تتشدّدْ، وبعضهم يقول تأنثَّ في أمره وتخنث، وأرض مئناث وأنيثة: سهلةٌ منبتةٌ خليقةٌ بالنبات ليست بغليظة، وبلد أنيث: لين سهل، وزعم ابن الأعرابي أن المرأة إنما سميت أنثى من البلد الأنيث، قال: لأن المرأة ألينُ من الرجل، وسميت أنثى للينها".[2]

ويعرفهما ابن الأنباري بأن "الذكر في اللغة يعني القوة والشجاعة والأنفة والإباء، إذ الذكرُ من الحديد: أيبسُه وأشدَّه وأجودُه وهو خلاف الأنيث، وبذلك سمي السيف مذكراً".[3]

فالتذكير والتأنيث ظاهرة صرفية تصنَّف بها الكلمات، ويذكر أن التذكير هو الأصل في الأشياء كلها لأنَ كلُ مؤنثٍ شيءٌ والشيء يذكّر، فالتذكير أول وهو أشد تمكّناً لأن الأوّل أشد تمكناً عند النحويين، والشيء يختص بالتأنيث فيخرج من التذكير، ولذلك استمر المذكر بغير علامة للتذكير، بل ليست للتذكير علامة لأنه الأوّل، وألحقوا في أكثر المؤنث من الأسماء والصفات أحرى علامات التأنيث.[4]

ويقول ابن الأنباري (ت577هـ): "المذكر أصل المؤنث وهو ما خلا من علامة التأنيث لفظاً وتقديراً، والمؤنث ما كان فيه علامة التأنيث لفظاً وتقديراً".[5]

والتذكير ليس له علامة كما ذكر الصرفيون، بينما التأنيث له خمسة عشر علامة: التاء المربوطة وألف التأنيث المقصورة وألف التأنيث الممدودة والتاء الممدودة (أخت وبنت)، الألف والتاء في الجمع المؤنث السالم ونون التأنيث (هن) وياء التأنيث (هذي) والكسرة (أنتِ)، هذه ثمانية في الأسماء، وفي الأفعال أربعة هي: الياء (تعلمين) وَالنون (نجحن) وَالتاء (تقوم) والكسرة (قمتِ)، وأما التي في الأدوات: فالتاء (ربت) والهاء في الوقف (هيهات) وَالهاء والألف (إنها).[6]

ومن الأمثلة التي ساقها الشنقيطي عن هذه الظاهرة لفظة (النفس) فقال عنْها في سياق تفسيره الآية: «وإذ قتلتم نفسا» البقرة 64، "لم يصرّح (لفظ الآية) هل هذه النفس ذكر أو أنثى؟ وقد أشار إلى أنّها ذكر بقوله: «فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ» البقرة 73".[7] وجاءت في مواضع أخر من القرآن مؤنثة كما ذكر ابن الأنباري كقوله تعالى: «أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ» الزمر56.[8]

وعن (السبيل) قال الشنقيطي: "السبيل مؤنثة، ولكنه جاء في موضع آخر ما يدل على تذكير السبيل وهو قوله تعالى: «وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ

---

[1]- نور الدين عصام: المصطلح الصرفي: مميزات التذكير والتأنيث، دار الكتاب العالمي، ط 1، 1409هـ/1988م، ص 137.
[2]- ابن منظور: لسان العرب، ج2، ص 112. (مادة أنث).
[3]- نور الدين عصام: المصطلح الصرفي، مميزات التذكير والتأنيث، ص 63.
[4]- المرجع نفسه، ص 140.
[5]- ابن الأنباري: أبو البركات ت 577هـ): البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، تحقيق رمضان عبد التواب، دار الكتب، مصر، 1970، ص 63.
[6]- يعقوب ايميل بديع: المعجم المفصل في المذكر والمؤنث، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1414هـ/1994م، ص ص 63-65.
[7]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، ص 64.
[8]- ابن الأنباري أبو البركات: البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، ص 95.

سَبِيلًاۚ» الأعراف 146[1]. وأنثت في قوله تعالى التي تحدث عنها في أول القول: «وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا » الأعراف 86.

فالملاحظ أنه في سورة واحدة ذكرت لفظة السبيل وأنّثت، فهي من الألفاظ التي تذكر وتؤنّث، ومثلها لفظة (الضحى) فَمن أنثه ذهب إلى أنه جمع ضحْوة، ومن ذكّر ذهب إلى أنه اسم مفرد جاء على (فُعل) بضم ففتح كصُرد وزُفر.[2]

وذكر الشنقيطي أن لفظة (الحسنى) هي تأنيث الأحسن[3]، ففي قوله تعالى: «له ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ» طه 08، يقول: "الحسنى تأنيث الأحسن وإنما وصف أسماءه جل وعلا بلفظ المؤنث المفرد لأن جمع التكسير مطلقاً والجمع المؤنث السالم يجريان مجرى المؤنثة المجازية التأنيث كما أشار في الخلاصة بقوله: **والتاء مع جمع سوى السالم من مذكر كالتاء من إحدى اللبن.**

ونظير قوله هنا: «ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ» طه 08، من وصف الجمع بلفظ المفرد المؤنث قوله: «من ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى» طه 23، وقوله: «مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ» طه 18.[4]

وقال عن السموات في قوله تعالى: «تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ» الشورى 05، "السماوات مؤنثة لمن قرأ (تكاد) وهم عامة السبعة، وقرأه نافع والكسائي (يكاد) بالياء التحتية لأن تأنيث السموات غير حقيقي".[5] وذكر أن (دكاء) تأنيث الأدك، و(العلى) تأنيث الأعلى و(الكبرى) تأنيث الأكبر، وأنّ (الإناء) مؤنثة و(السوأى) مؤنثة[6]... وما إلى ذلك.

<u>8-النسبة:</u> ويسميها البعض بالنسب وهو "إلحاق ياء مشدّدة مكسوراً ما قبلها في آخر الاسم للدلالة على نسبة شيء إلى آخر نحو (عرب عربي وإسلام إسلامي ونحو نحوي)".[7]

وعن هذا المبحث الصرفي يذكر الشنقيطي أن "الوصف المختص بالإناث إن أريد به الفعل لحقها التاء وإن أريد بها النسب جرّدت من التاء"[8]، وذلك في معرض حديثه عن لفظة: «مرضع» و«مُرْضِعَةٍ» الحج 02، فالمرضعة التي هي في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبي، والمرضع التي شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به، ومثلها في الألفاظ: حائض وطالق.[9]

وفي تفسير قوله تعالى: «وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ» فصلت 46، يقول الشيخ: "ذكر بعض علماء العربية وبعض المفسرين من أن المراد بالنفي في الآية نفي نسبة الظلم إليه لأن صيغة (فعّال) تستعمل مراداً بها النسبة فتغني عن ياء النسب كما أشار له في الخلاصة بقوله:

ومع فاعل وفعَّال فعـل في نسب أغنى عن اليا فقبل.

---

[1]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج2، ص 244، ونفس المثال في ج6 ص 217.
[2]- المصدر نفسه، ج4، ص 326.
[3]- نفسه، ج1، ص 263 وَاللفظ نفسه في ج4، ص 307، وَ ج3، ص 326.
[4]- المصدر نفسه، ج4، ص 307.
[5]- نفسه، ج7، ص 96.
[6]- نفسه، ج4: ص 143/ ج4: ص 362/ ج4: ص 324 /ج7: ص 453 /ج5: ص 319 بحسب توالي الأمثلة.
[7]- بوخدود علي بهاء الدين: المدخل الصرفي، ص 133.
[8]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ص 04.
[9]- المصدر نفسه، ج5، ص 05.

ومعنى البيت المذكور، أن الصيغ الثلاثة المذكورة فيه التي هي فاعل كظالم وفعّال كظلام وفعل كفرح كلٌّ منها قد استعمل مراداً بها النسبة فيستغني بها عن ياء النسب، ومثاله في (فاعل) قول الحطيئة في هجوه للزبرقان بن بدر التميمي:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي.

فالمراد بقوله (الطاعم الكاسي) النسبة، أي ذو طعام وكسوة، ... (فظلام) أي بذي ظلم".[1]

ومثلها في التفسير (لواقح) أي (ذوات لقاح) فالمراد بها النسبة كما يقال سائف ورامح أي ذو سيف ورمح.[2]

ووقف الشنقيطي عند لفظة (السخري) فقال: "قال الزمخشري في ياء النسب: زيادة في الفعل كما قيل في الخصوصية بمعنى الخصُوص ومعناه أن الياء المشددة في آخره تدل على زيادة سخرهم منهم ومبالغتهم في ذلك".[3]

<u>9-الممنوع من الصرف:</u> هو "الإسم الذي لا يدخله جر ولا تنوين"[4]، فالأصل في الإسم أن تكون منصرفة، وإنها تخرج عن هذا الأصل إذا وجد فيها علتان من علل تسعة أو واحدة منها تقوم مقامها، وهذه العلل التسعة جمعت في بيت من الشعر لبهاء الدين بن النحاس النحوي يقول:

"موانع الصرف تسع إن أردت بها عوناً لتبلغ في إعرابك الأملا

اجمع وزنْ عادلاً أنث بمعرفةٍ ركّب وزدْ عجمة فالوصف قد كملا".[5]

والبيت الثاني هو الذي جمع موانع الصرف وهي:

1- وزن الفعل وحقيقته: أي أن يكون الإسم على وزن خاص بالفعل أو يكون في أوله زيادة كزيادة الفعل وهو مساوٍ له في وزنه.

2- التركيب: أي التركيب المزجي الذي لم يختم بـ (وَيْه).

3- العجمة.

4- أن تكون زائدة على ثلاثة أحرف.

5- التعريف أي تعريف العلمية.

6- العدل أي تحويل الإسم من حالة إلى حالة أخرى مع بقاء المعنى الأصلي.

7- الوصف.

8- الجمع وشرطه أن يكون على صيغة لا يكون عليها الأحاد.

9- الزيادة والمراد بها الألف والنون الزائدتان.

10- التأنيث بالألف (كحبلى) وبالتاء (كطلحة) وتأنيث بالمعنى كـ(سعاد).[6]

---

[1]- المصدر السابق: ج7، ص 91 وما بعدها.

[2]- نفسه، ج3، ص 100.

[3]- نفسه، ج5، ص 564.

[4]- سفر عبد العزيز علي: الممنوع من الصرف في اللغة العربية، مجلس النشر العلمي، لجنة التأليف والتعريف والنشر، الكويت، 2000م، ص 13.

[5]- ابن هشام الأنصاري (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله): شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، دار الطلائع، القاهرة، 2004، ص456، وابن هشام الأنصاري: شرح قطر الندى وبل الصدى، ضبط وتصحيح محمد السباعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1427هـ/2007م، ص 419.

[6]- يراجع: ابن هشام الأنصاري: شرح قطر الندى وبل الصدى، ص ص 419-428، وَسفر عبد العزيز علي: الممنوع من الصرف في اللغة العربية، ص 21، والشاعر عبد العظيم فتحي خليل: الأعلام الممنوعة من الصرف في القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 1425هـ/2004م، ص 21.

ومن الأسماء الممنوعة من الصرف التي حدثنا عنها الشنقيطي لفظة (سبحان) يقول عنها: "«سُبۡحَٰنَ» الإسراء 01، عَلَمٌ فهو ممنوع من الصرف للعلمية، وزيادة الألف والنون"[1]، وهذا رأي بعض العلماء ذكره الشنقيطي ثم يبدي رأيه قائلاً: "والذي يظهر لي والله أعلم أنه غير علم، وأن معنى (سُبْحانَ) تنزيهاً لله عن كل ما لا يليق به، ولفظة (سبحان) من الكلمات الملازمة للإضافة وورودها غير مضافة قليل"[2]. ويستشهد بشواهد من الشعر على صحة كلامه.

ويذكر الشنقيطي عن سيبويه ذِكر بعض المصادر غير المتصرفة المنصوبة بأفعال متروك إظهارها نحو: (معاذ الله) و(عمرك الله) وكذلك: «حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا» الفرقان 22، وذكر شواهد على ذلك.[3]

وعلى الحرف «صٓ» ص 01، يقول الشنقيطي: "وكذلك قراءة من قرأ (صادُ) بضم الدال من غير تنوين على أنه علَم للسورة وأنه خبر مبتدأ محذوف والتقدير (هذه صاد) وأنه منع من الصرف للعلمية والتأنيث لأن السورة مؤنثة لفظاً"[4]، ولكن الشنقيطي بعدما عرض كلَّ الآراء ومنها هذا الرأي قال بأنه ساقط لا معّول عليه، والتحقيق أنه (ص) من الحروف المقطعة في أوائل السور.

ورغم أن القرآن الكريم يزخر بهذه الظاهرة إلا أننا لم نعثر في أعمال الشيخ سوى على النماذج التي ذكرناها لا شيء سوى أن الشنقيطي كان مركزاً على التفسير من جميع نواحيه اللغوية والفقهية والتاريخية والعلمية، فكان مبحث هذه الظاهرة في أعماله من الظواهر التي مرّ عليها سريعاً ولم يقف وقفة المتأني المتأمل المفصل الشارح كما فعل في المباحث الصرفية السابقة.

<u>10-الإفراد والتثنية والجمع:</u> هذا مبحث تختص به الأسماء، فالإسم ينقسم إلى مفرد ومثنى وجمع،

و"المفرد هو ما دل على واحدٍ كرجل وامرأة وقلم وكتاب، أو هو ما ليس مثنى ولا مجموعاً ولا ملحقاً بهما ولا من الأسماء الخمسة المبينة في النحو، والمثنى هو ما دل على اثنين مطلقا بزيادة ألف ونون أو ياء ونون كرجلان وامرأتان أو رجلين وامرأتين، فليس منه كلا وكلتا واثنتان وزوج وشفع لأن دلالتها على الإثنين ليس زيادة... والجمع ينقسم إلى ثلاثة أقسام: مذكر سالم ومؤنث سالم وجمع تكسير".[5]

فالجمع المذكر هو ما ناب على ثلاثة فأكثر بزيادة في آخره أو تغيير في بنائه[6] والجمع المؤنث السالم هو ما دل على أكثر من اثنتين بزيادة ألف وتاء على مفرده.[7]

وجمع التكسير هو "ما ناب عن أكثر من اثنين، وتغير بناء مفرده عند الجمع نحو كاتب وكتاب وعالم وعلماء...".[8]

1- الشنقيطي محمد الأمين، أضواء البيان، ج3، ص 295.
2- المصدر نفسه، ج 3، ص 295.
3- نفسه، ج6، ص 206.
4- المصدر نفسه، ج7، ص 04.
5- الحملاوي أحمد بن محمد: شذا العرف في فن الصرف، ص 146.
6- الغلاييني مصطفى: جامع الدروس العربية، ص 185.
7- الحملاوي أحمد بن محمد: شذا العرف في فن الصرف، ص 147.
8- بوخدود علي بهاء الدين: المدخل الصرفي، ص 143.

وفي كتب الشنقيطي وردت هذه الظاهرة الصرفية بقوة وتحدّث عنها بإسهاب في مواضع كثيرة، وفي عناوين مختلفة نقتصر على نماذج منها:

فعن المفرد لفظة (الخليفة) وهو كما يقول الشنقيطي: "مفرد أريد به الجمع أي خلائف، والمفرد إذا كان اسم جمع يكثر في كلام العرب إطلاقه مراداً به الجمع".[1] وذكر شواهد قرآنية وشعرية كدليل على صحّة قوله، واسم الجنس كما ورد في فن الصرف وأكده الشنقيطي: يذكر ويؤنث مثل الأنعَام والنخل والسماء، ويطلق على الجمع وهو مفرد[2]، ونظير هذا المثال لفظ (الكتاب) فهو اسم جنس يطلق مراداً به جميع الكتب السماوية، وقد أوضحنا ـ يقول الشيخ ـ في سورة الحج أن المفرد الذي هو اسم جنس يطلق به مراداً به الجمع، وذكرنا الآيات الدالة على ذلك مع الشواهد العربية".[3]

وعن قوله تعالى: «إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ» الإسراء 23، يذكر الشنقيطي أنه خطاب بصيغة المفرد الذي يراد به عموم كل من يصح خطابه كقول طرفة بن العبد في معلقته:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود".[4]

وفي نفس السياق يقول: "الذي يظهر لي من استقراء اللغة العربية التي نزل بها القرآن هو أن من أساليبها أنّ المفرد إذا كان اسم جنس يكثر إطلاقه مراداً به الجمع مع تنكيره كما في الآية «نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا» الحج 05، وتعريفه بالألف واللام وبالإضافة، فمن أمثلته في القرآن مع التنكير قولهَ تعالى: «إن المتقين في جنات ونهر»القمر 45، أي وأنهار، ... ومن أمثلته واللفظ مضاف قوله تعالى: «أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ صَدِيقِكُمۡ» النور 61، أي أصدقائكم، ... ومن أمثلة ذلك في القرآن واللفظ معرف بالألف واللام قوله تعالى: «وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ» آل عمران 119.[5]

وفي القول هذا كلام طويل للشنقيطي حيث ذكر شواهد كثيرة من القرآن الكريم ومن الشعر العربي مع الشرح والتحليل بالبيان عن كل مثال، وعن مثل هذا النموذج يذكر أن لفظة (الذي) تطلق ويراد بها (الذين) بمعنى إطلاق المفرد مراداً به الجمع،[6] وأطلق (النجم) بمعنى النجوم، وإطلاق (الدبر) يعني الأدبار، وإطلاق (الملك) والمراد الملائكة، و(الفرقة) والمراد (الفرق)[7]... وهذا من سنن العرب في كلاها بدليل ورود هذه الظاهرة في كلام العرب.

وعن التثنية يذكر الشنقيطي أنه سئل عن المثنى من أسماء الإشارة والأسماء الموصولة نحو ذين وتين واللذين واللتين هل هو معرب أم لا؟ فأجاب بقوله: "إن بعض النحويين يقول: ذان واللذان مثلا غير مثنيين حقيقة إذ لا يثنى المبنى وصيغتهما صيغة مستقلة، وإنما تغير بالعوامل نظراً لصوره التثنية فبنيا على ما يشاكل إعرابهما، والذي يظهر لمقيد هذه الرحلة عفا الله عنه

[1]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، ص 46.
[2]- المصدر نفسه، ج3، ص 222.
[3]- نفسه، ج7، ص 118.
[4]- المصدر نفسه، ج7، ص 18.
[5]- نفسه، ج5، ص 19.
[6]- نفسه، ج1، ص 180.
[7]- نفسه، ج7، ص 460.

(يقصد نفسه) أن هذا القول غير سديد، إذ قولهم في الواحد المشار إليه (ذا) وفي الإثنين المشار إليهما (ذان) وقولهم (الذي) في الواحد و(اللذين) في الإثنين تثنية مشاهدة محسوسة وادعاء أنّها صورة خالية من الحقيقة يحتاج إلى دليل ولا دليل عليه، والذي يقبله الذهن السليم أن المثنى من أسماء الإشارة، والموصولات معرب ومثنى حقيقة لا صورة كما عليه ابن مالك في ألفيته حيث قال في كونه مثنى في الإشارة:

وذان تـان للمثنـى المرتفـع وفي سواه ذين تين اذكر تطع".[1]

ويجيب الشنقيطي عن سؤال سأله في تفسير الآية «إنا رسول رب العالمين» الشعراء 17، فما وَجه الإفراد في الآية مع أنهما رسولان؟ كما جاء الرسول مثنى في سورة (طه)، فما وجه التثنية في (طه) والإفراد في (الشعراء) وكل واحدٍ من اللفظين: المثنى والمفرد يراد به موسى وهارون؟، فقال: "فالذي يظهر لي والله تعالى أعلم أن لفظ (الرسول) أصله مصدر وُصف به، والمصدر إذا وصف به ذُكّر وأُفرد، فالإفراد في الشعراء نظراً إلى أن أصل الرسول مفرد، والتثنية في (طه) اعتداداً بالوصفية العارضة وإعراضاً عن الأصل".[2]

وعن الجمع يذكر الشنقيطي الألفاظ المجموعة ومفردها كما في هذه الأمثلة: (يتامى جمع يتيمة، ووسائل جمع وسيلة، ومفاتح جمع مفتح، ومفاتيح جمع مفتاح، والأكابر جمع كابر، وجمع فعلة على أفعل غير معهود كما قال الجوهري، والخلال جمع خُلة كقلال جمع قلة، وأييد جمع أيد وليس يد...).[3] ويعرّف الجمع بقوله: "أقل الجمع اثنان كما هو مقرر في أصول ابن مالك بن أنس، وعقده صاحب مراقي السعود بقوله:

أقل معنى الجمع في المشتهر لاثنان في رأي الإمام الحمير".[4]

وعن جمع التكسير يقول الشنقيطي: "لم يذكر علماء العربية (الفَعْل) بفتح وسكون من صيغ جموع التكسير، قال مقيده عفا الله عنه: الذي يظهر لي من استقراء اللغة العربية أن (الفَعْل) بفتح وسكون جمع تكسير لفاعل وصفاً لكثرة وروده في اللغة جمعاً له كقوله: (أولم يروا إلى الطير)، فالطير جمع طائر، وكالصحب فإنه جمع صاحب، قال امرؤ القيس:

وقوفاً بها صحبي علي مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجـمَّل.

فقوله (صحبي) أي (أصحابي) وكالركب فإنه جمع راكب... وكالرّجل جمع راجل...".[5]

وورد في القرآن لفظة (فتية) وهو جمع فتى وهو من جموع القلة[6]، ومن جموع القلة أيضاً (أوسق) و(أوساق) وعلى (وسوق) جمع كثرة[7]، وذكر الشنقيطي أن هناك جموع تطلق في القرآن ويراد بها البعض مثل قوله تعالى: «وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا» نوح 16، فالضمير في (فيهن)

---

[1]- الشنقيطي محمد الأمين: رحلة الحج إلى البيت الحرام، ص 120 وما بعدها.
[2]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص 316.
[3]- المصدر نفسه، ج1: ص 238/ ج2: ص 77/ ج2: ص 149/ ج2: ص149 /ج2: ص 159/ ج2: ص 210/ ج3: ص 83/ ج7: ص 442 بحسب توارد الأمثلة.
[4]- نفسه، ج7، ص 418.
[5]- نفسه، ج3، ص 244 وما بعدها.
[6]- نفسه، ج4، ص 17.
[7]- نفسه، ج2، ص 174.

راجع إلى السبع الطباق[1]، وكذلك إطلاق السوءات بالجمع مع أنهما سوءتان في قوله تعالى: «فبدت لهما سوءاتهما[2]» طه 121، وكذا «رسل منكم» الزمر71 [3]، ويطلق الجمع ويراد به الواحد مثل «فعقروا الناقة» الأعراف77، والعاقر واحد.[4]

وذكر أن (الأثاث) جمع لا واحد له من لفظه[5]، وكذا السلوى والخير والشر[6]، وهناك الواحد الذي لا جمع له مثل (الأشُد)[7]، والسراة اسم جمع لا جمع له[8]، وغيرها من القضايا التي لها علاقة بقضية الإفراد والتثنية والجمع.

<u>وخلاصة المستوى الصرفي:</u> إن الشنقيطي رجل عالم بالصرف فكان يذكر المسألة الصرفية ويشرحها ويفسرها ويذكر الخلاف حولها بين العلماء، ويذكر الشواهد عند كل خلاف من القرآن أو من كلام العرب المنظوم والمنثور ثم يدلي برأيه ويوضحه، وهذا ما وجدناه في كتبه من مسائل صرفية مثل المشتقات وَالتَّصرف وغير التَّصرف وَالتجرّد والزيادة واللّزوم والتعدي والصحة والإعلال وَماله علاقة بالميزان الصرفي والتذكير والتأنيث والنسبة والممنوع من الصرف وَالإفراد والتثنية والجمع، وهناك قضايا لم نذكرها لأن النماذج فيها قليلة ونادرة فتركها أولى من ذِكرها.

<u>ثانياً: المستوى النحوي:</u> المستوى النحوي هو الركن الثاني من التركيب بعد المستوى الصرفي، وذكرنا في غير ما مرة أن تاريخ انفصال الصرف عن النحو جاء في العصور المتأخّرة، وكانا قبلئذ في العصور الأولى وجهان لعملة واحدة، علمان متلازمان ومتكاملان غرضهما واحد هو العمل على سلامة اللغة العربية نطقاً وكتابة وفق ما جرى عليه اللسان العربي الفصيح، فالجيلان الأول والثاني من المؤلّفين اللغويين العرب كان تعلّقهم بالإعراب أكثر لدواعي محاربة فشو اللحن الذي كاد يفسد اللغة العربية بسبب اختلاط العرب بالأعاجم، واللّحنُ لم يمس اللغة العربية فقط بل حتى المقدس القرآني وهو الخطأ في نطق نهاية الألفاظ الناتج عن جهل المتكلم بقواعد النحو وبُعد السليقة العربية عن فصاحة البداوة العربية في عصورها الأولى وامتزاج الحضارات بحضارة العرب، كلُّ هذا نتج عنه وجوب حماية القرآن ولغة القرآن من خطر هذا الداء، وظهور ما يسمى علم النّحو وقواعده، وكان النّحو في بداياته الأولى يركز على أواخر الكلمِ من حيث الإعراب والبناء، وكان وقتها اللحن في الإعراب أسبق وجوداً وأكثر شيوعاً من اللحن في بنية الكلمة، ولذلك كان التأليف في النحو أولى وأهم من التأليف في الصرف على الرغم من أن العربية كانت تشمل النحو والصرف معاً عند كل من الخليل وشيوخه وكذا تلامذته أمثال سيبويه من خلال كتابه التي تضمن مباحث نحوْية وصرفية في آنٍ واحد.

---

[1]- المصدر السابق، ج3، ص 93.
[2]- نفسه، ج4، ص 403.
[3]- المصدر نفسه، ج2، ص 160.
[4]- نفسه، ج2، ص 243.
[5]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص 271.
[6]- نفسه، ج4، ص 367.
[7]- نفسه، ج2، ص 210.
[8]- نفسه، ج4، ص 189.

ثم جاء علم الصرف ليبحث في بناء الكلمة وصيغها ووزنها في فترة متأخرة من نشأة علم النحو بعدما اتضحت معالمه وألف فيه كتاب ألمّ بكل القواعد النحوية والصرفية وهو (الكتاب) لسيبويه، فأصبح هذا الأخير منهلا ومعيناً لكل اللغويين الذي جاءوا بعده، يأخذون منه المادة والشواهد النحوية والصرفية، وتظهر علامات وإرهاصات انفصال النحو عن الصرف منذ نهاية القرن الثانِي وبداية القرن الثالث الهجريين.

والتخصص العلمي والمعرفي في مختلف العلوم القائمة آنذاك ومنها العلوم اللغوية هو السبب الأساسي الذي أدى إلى تأسيس علم الصرف وانفصاله عن النحو، فظهرت مؤلفات تحمل عناوينها علم الصرف مثل كتاب المازني (كتاب التصريف)، وكلا من العلمين كانا يهدفان إلى صون اللسان العربي من الوقوع في أحضان اللحن والخطأ الذي لم يسلم منه حتى شرفاء العرب وأرباب الفصاحة والبيان، من مثل الحجاج بن يوسف الثقفي والي البصرة (ت 95هـ) كما يذكر المؤرخون.

ولعل من الأسباب أيضاً التي جعلت دراسة الصرف متأخرة عن دراسة النحو هو صعوبة علم الصَّرف لأن طلبه يحتاج إلى عقلية أقوى مما يحتاجه النحو، أما من ناحية التسلسل المنطقي فإن الصّرف يرتبط بالمفردات وهو أمر سابق للتركيب لأن الصحة في تركيب الجملة ينبغي أن يسبقها صحة المفردات وهو اهتمام الصرف، ولعل هذه النظرة هي التي قادتنا في دراستنا هذه إلى تقديم الصرف عن النّحو في التركيب.

ودراسة هذا المستوى تكون من جوانب عدة من خلال أعمال الشنقيطي منها ما يتعلق بالأسماء ومنها ما يتعلق بالأفعال ومنها ما يتعلق بالحروف والأدوات، منها ما يتعلق بظواهر أخرى تتعلق بمباحث علم النحو.

1- ما يتعلق بالأسماء: الإسم هو "ما دل على مسمّىً من دون اقتران بزمان أو مكان، وهو ما جاز أن يكون فاعلاً أو مفعولاً، وما جاز أن نخبر عنه نحو زيد منطلق، أو جاز أن يدخل عليه حرف من حروف الخفض مثل: (هذا الكتاب لزيد)".[1]

وللإسم علامات يعرف بها منها ما يكون في أوله أو آخره أو وسطه "فالتي تتصل بأوله: الألف واللام نحو الغلام، وحرف الجر نحو: مررت بزيد، والتي تتصل بآخره التنوين وهو لا صورة له في الخط في الرفع والجر والنصب نحو: غلام، وبالإضافة نحو: غلام زيدٍ، والتي تتصل بحشوه ياء التصْغير نحو: غُليم، ومن علاماته أيضاً الإخبار عنه مثل: العلم نافع، فالعلم اسم لأنك قد أخبرت عنه بالمنفعة، ومن علاماته أن يثنى أو يجمع أو يُنادى".[2]

ويمكن تقسيم هذا الموضوع (الإسم) إلى عدة مباحث تتعلق به من خلال استقراء كتب الشنقيطي كما يلي:

---

[1]- ابن هشام الأنصاري: شرح قطر الندى وبل الصدى، ص 23.

[2]- ابن الدهان النحوي (أبو محمد سعيد بن المبارك) (ت596هـ): شرح الدروس في النحو، تحقيق إبراهيم محمد أحمد الإدكاوي، مطبعة الأمانة، القاهرة، ط1، 1411هـ/1991م، ص 81 وما بعدها.

أ-المرفوعات: ويتعلق الأمر بالفاعل ونائب الفاعل والمبتدأ والخبر واسم كان وخبر إن واسم الحروف العاملة عمل ليس وخبر (لا) النافية للجنس والمعطوف والصفة والبدل وغيرها.

فعن **الفاعل** يقول الشنقيطي في تفسير قوله تعالى: «ألا إنهم يثنون صدورهم» هود05، "وصدورهم" في قراءة ابن عباس بالرفع فاعل تثنوني"[1] وقراءة ابن عباس هي «ألا إنهم تثنوني صدورهم».

وفي قوله تعالى: «وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ» الأنبياء 47، يذكر الشنقيطي أن (مثقال) قرئت بالضم أيضاً كما بالفتح حيث قال: "وقرأ نافع وحده بالرفع «وَإِن كَانَ مِثْقَالُ»، فاعل (كان) على أنّها تامة كقوله: «وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ» البقرة 280.[2]

فالشنقيطي ذكر القراءتين وذكر وجه قراءة الرفع وأمثلته ووجه قراءة النصب وأمثلته، فـ(مثقال) فاعل للفعل التام (كان)، ومن المعروف أن (كان) من الأفعال الناقصة، لكن وردت في بعض المواضيع في القرآن وفي كلام العرب تامة غير ناقصة فعملها كعمل سائر الأفعال التامة، ومن شواهد القرآن على ذلك الآية التي ذكرها الشنقيطي «وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ»، فلفظة (ذو) فاعل مرفوع بالواو لأنه من الأسماء الخمسة متعلقة بالفعل التام (كان).

وهناك بعض الألفاظ تحتمل احتمالين اثنين في الإعراب، فلفظة (مَن) في قوله تعالى: «فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّ» النحل 37، وهذا متعلق بما بعدها يقول الشنقيطي: "قرأ هذا الحرف نافع وابن عامر وابن كثير وأبو عمرو: (يُهْدَى) بضم الياء وفتح الدال مبنياً للمفعول، وقوله (مَن) نائب فاعل، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بفتح الياء وكسر الدال مبنياً للفاعل، وقوله (مَن) مفعُول به ليهدي، والفاعل ضمير عائد إلى الله تعالى".[3]

ومن أمثلة **نائب الفاعل** لفظة «ربّيّون» آل عمران 146، فنائب الفاعل (ربّيّون) في قوله تعالى: «وكأين من نبيء قتل معه ربيون» على قراءة البناء للمفعول[4]، ومثلها في الكلام قوله تعالى: «وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ» فصلت 19، فأعداء الله بالرفع نائب فاعل للفعل (يُحشر) بضم الياء وفتح الشين مبنياً للمفعول، وعلى قراءة (نَحشُر) بالنون المفتوحة الدالة على العظمة وضم الشين مبنياً للفاعل، فأعداء الله مفعول به منصوب.[5]

وعن **المبتدأ والخبر** وهما من الأسماء المرفوعة يقول الشنقيطي عن بيتين من الشعر استشهد بهما لأحمد البدوي الشنقيطي في نظمه للمغازي بقوله عن غزوة بني النضير:

وفيؤهم والفيء في الأنفال ما لم يكن أحد عن قتالِ
أما الغنيمة فعن زحاف والأخذ عنوَة لدى الزحاف.
لخير مرسل...إلخ.

---

[1]- الشنقيطي محمد الأمين، أضواء البيان، ج3، ص 10.
[2]- المصدر نفسه ، ج4، ص 443.
[3]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص 204.
[4]- المصدر نفسه، ج1، ص 18.
[5]- نفسه، ج 7، ص 84.

فالشاهد هنا هو بداية البيت الأول (وفيئهم) فهو مبتدأ وخبره هو بداية البيت الثالث (لخير مرسل).[1] فالمبتدأ هو (فيؤهم) وهو من الأسماء المرفوعة، والخبر هو شبه جملة من الجار والمجرور في محل رفع وهو كذلك من المرفوعات.

ويقول الشنقيطي عن قوله تعالى: «والراسخون في العلم يقولون آمنا به» آل عمران 7 "لا يخفى أن هذه الواو محتملة للإستئناف فيكون قوله (والراسخون في العلم) مبتدأ وخبره يقولون"[2]، فالمبتدأ هنا اسم ظاهر والخبر جملة فعلية (يقولون) والتقدير (قائلون) وهو في محل رفع، وعن لفظة «ثلة» الواقعة 13، يذكر الشنقيطي أنها خبر مبتدأ محذوف والتقدير (هم ثلة)[3] وقوله تعالى: «خافضة رافعة» فالأولى خبر مبتدأ محذوف أي هي خافضة رافعة.[4]

وعن **(اسم كان)** وهو من المرفوعات يذكر الشنقيطي في قوله تعالى: «ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ» الروم 10، "قرأ هذا الحرف نافع وابن كثير وأبو عمرو (كان عاقبةٌ) بضم التاء: اسم كان وخبرها (السوأى)، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي (ثم كان عاقبة) بفتح التاء: خبر كان مقدم على اسمها... وعلى هذه القراءة فـ (السوأى) اسم كان".[5]

ومن المرفوعات أيضاً **خبر (إن)** واستقى الشنقيطي نماذج عنه حيث يقول في تفسير قوله تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا» الكهف 30: "اعلم أن خبر إن في قوله: «إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ» قيل هو جملة «أولئك لهم جنات عدن» الكهف 31،... وقيل (إن) الثانية واسمها وخبرها، كل ذلك خبر (إن) الأولى، ونظير الآية من القرآن في الإخبار عن (إن) بـ (إن) وخبرها واسمها قوله تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ » الحج 17، وقول الشاعر: **إن الخليفة إن الله ألبسه سربال به ترجى الخواتيم".**[6]

ومن المرفوعات **أسماء الحروف** التي تعمل عمل ليس مثل لفظة (لات) يقول فيها الشنقيطي: "أشهر أقوال النحويين فيها أنها تعمل عمل ليس وأنها لا تعمل إلا في الحين خاصة أو في لفظ الحين ونحوه من الأزمنة، كالساعة والأوان ولا بد أن يحذف اسمها وخبرها والأكثر حذف المرفوع منهما وإتيان المنصوب، وهذا قول سيبويه أشار إليه ابن مالك في الخلاصة بقوله:

في النكرات أعملت كليس (لا) وقد تلى (لات) و(أن) ذا العمـلا.

وما للات في سوى حين عمل وحذف ذي الرفع فشاو والعكس قل".[7]

وذكر هذا عند تفسير قوله تعالى: «وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ» ص 03، فاسم (لات) محذوف تقديره (هو)، وهو من المرفوعات.

[1]- المصدر السابق، ج2، ص 262 وما بعدها.
[2]- المصدر نفسه ، ج1، ص 210.
[3]-المصدر نفسه ، ج7، ص504.
[4]- نفسه، ج7، ص 500.
[5]- نفسه ، ج6، ص 318.
[6]- نفسه ، ج4، ص 77.
[7]- المصدر نفسه، ج7، ص 10.

ومن المرفوعات كذلك **خبر (لا) النافية للجنس** وعنها يقول الشنقيطي: "قرأ الباقون «لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ» الطور 23، بالرفع والتنوين لأن (لا) النافية للجنس إذا تكررت كما هو جاز إعمالها وإهمالها، وإعمالها كثير"[1]، وقبلها قال: قرأ ابن كثير وأبو عمرو (لا لغو) بالبناء على الفتح، (ولا تأثيم) كذلك لأنها (لا) التي لنفي الجنس فبنيت معها"[2]، فـ(لا) بقراءة الرفع بعدها مهملة لا عمل لها، وأما (لا) الثانية فاسمها (لغو)، وخبرها هو الذي يعد من المرفُوعات محذوف تقديره (موجودٌ)، وكذلك الكلام على (تأثيم).

وعن (لا) النافية للجنس يقول النحاة: "هي نافية وهي نوعان: داخلة على معرفة فيجب إهمالها وتكرارها نحو (لا زيد في الدار ولا عمرو)، وداخلة على نكرة وهي ضربان: عاملة (ليس) فترفع الاسم وتنصب الخبر وهو قليل، وعاملة عمل (إن) فتنصبُ الاسم وترفع الخبر، وهي التي أُريد بها نفي الجنس على سبيل الإحتمال، وشرط إعمالها هذا العمل أمران: أن يكون اسمها وخبرها نكرتين وأن يكون الاسم مقدّماً على الخبر مثل (لا صاحب علم ممقوت) (ولا طالعاً جبلاً حاضرٌ)، ويضيف آخرون شرطاً ثالثاً هو ألاّ يدخُل عليها حرف جرّ، فإذا دخل عليها حرف جر كانت زائدة مثل (جئت بلا زاد)".[3]

<u>ب-المنصوبات:</u> المنصوبات خمسة عشر اسماً كما يذكر النحاة وهي: المفعول به والمفعُول المطلق والمفعول له والمفعُول فيه والمفعول معه والمنصُوب بالصفة المشبهة والحال والتمييز والمستثنى وخبر كاد وأخواتها وخبر الحروف النافية واسم إن وأخواتها واسم (لا) والفعل المضارع المسبوق بناصب من أربعة (لن وكي وأن إذن) أو ما يسمى بالمصدر المؤول ويسميه الشنقيطي المصدر المنسبك.

فمن المنصوبات التي أولاها الشنقيطي أهمية وتحدث عنها أحاديث كثيرة **المفعول به،** فالمفعولية معنى من المعاني النحوية الخاصة التي تدخل في باب المنصوبات والتي تعرف وظيفياً بالمخصّصات التي تأتي بعد جمل الإسناد[4]، فهناك بعض الآيات لم يذكر فيها المفعول به لمقتضيات معينة استنبطه الشنقيطي منها سواء كان مفعولاً أولا أو ثانياً حسب تعدي الفعل وحاجته للمفعول ومثل ذلك قوله تعالى: «لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ» الأعراف 02، بحسب الشنقيطي لم تبين الآية المفعول به هنا للفعل (تنذر)، ولكن بينه تعالى في مواضع أخر كقوله: « لِتُنذِرَ قَوۡمًا» يس 06، وغيرها من الآيات، كما أنه بين المفعول به الثاني (لأنذَرَ) في آيات أخر، كقوله: «لِّيُنذِرَ بَأۡسًا شَدِيدًا» الكهف02، وقوله «فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارًا» الليل 14، وقوله: «إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابًا» النبأ 40، إلى غير ذلك من الآيات.[5]

فالمفعول به تجلّى في أربعة مناح (قوماً) وَ(بأساً) وَ(ناراً) وَ(عذاباً) ومما لا شك فيه أن الابتداء بالقوم باعتبارهم المفعول بهم والتدرج بهم في ألفاظ العذاب لهو أقوى دليل على أنَّ الله نظم

---

[1]- المصدر السابق، ج7، ص 453.
[2]- نفسه، ج7، ص 453.
[3]- ابن هشام الأنصاري: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ص 237.
[4]- بولنوار سعد: آليات تحليل الخطاب في تفسير أضواء البيان، مخطوط دكتوراه، ص 132.
[5]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج2، ص 216.

القرآن نظاماً محكماً عبر الآيات، بحيث ما يقع بعد فعل (أنذر) من مفاعيل يصبُّ في تلك المعاني المتعاضدة سواءً من حيث البنية أو من حيث الدلالة.[1]

ومن أمثلة المفعول به التي حدّثنا عنها الشنقيطي مفعول «تَخۡشَىٰ» النازعات 26، و«ٱتَّخَذۡتُمُ» البقرة 51، و«سَوَّىٰكَ» الكهف 37، و«يَحۡسَبُونَ» الكهف 104، «أَعۡطَىٰ» طه 50، و«يُؤۡتُوٓاْ» النور 22[2]...وغيرها من الأمثلة الكثيرة.

ومن المنصوبات **المفعُول المطلق:** وهو الاسم الذي يؤكّد عامله أو يبيّن نوعَه أو عدَده وليس خبراً ولا حالاً وأكثر ما يكون المفعُول المطلق مصدراً".[3]

ومثاله يقول تعالى: «جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا» الإسراء 63، فذكر الشنقيطي أن (جزاءً) هو مفعول مطلق منصوب بالمصدر قبله، ويستشهد ببيت ابن مالك في الخلاصة إذ يقول:

بمثله أو فعل أو وصف نصب وكونه أصلا لهذين انتخب.[4]

وعن قوله تعالى: «تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى» طه04، يقول الشنقيطي: "(تنزيلاً) أوجه كثيرة من الإعراب ذكرها المفسّرون، وأظهرها عندي أنه مفعول مطلق منصوب بـ(نزّل) دل عليها قوله: (ما أنزلنا عليك القرآن) طه03، أي نزله الله تنزيلاً"[5]، وعن لفظة (سبحان) يقول الشنقيطي: "وأحسن أوجه الإعراب في «سُبۡحَٰنَ» الإسراء 01، أنه مفعُول مطلق منصوب بفعل محذوف، أي أسبح الله سبحاناً أي تسبيحاً".[6]

ومن المنصُوبات أيضاً **المفعول له** أو المفعول من أجله أو لأجله كما يطلق عليه الشنقيطي وهو: "الذي لا يكون إلا مصدراً ولكنّ العامل فيه غير مشتق منه، وإنما يذكر لأنه عذر لوقوع الأمر نحو قولك: فعلت ذاك حذار الشر، وجئتك مخافة فلان"[7] ومن أمثلته في تفسير الشنقيطي لقوله تعالى: «إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا» الكهف 06، فـ(أسفاً) يقول الشنقيطي "مفعول من أجله، أي مهلك نفسه من أجل الأسف، ويجوز إعرابه حالاً أي في حال كونك آسفاً عليهم".[8]

و"عبثًا" كذلك مفعول من أجله في قوله تعالى: «أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ» المؤمنون 115، أي إنما خلقناكم لأجل العبث لا لحكمة اقتضت خلقنا إياكم، ويجوز إعرابه أيضاً حال لأنه مصدر منكر أي إنما خلقناكم في حال كوننا عابثين، وأعربه بعضهم مفعولاً مطلقاً وليس بظاهر"[9] على حد تعبير الشنقيطي.

وفي تفسير قوله تعالى: «هُدٗى وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ» غافر 54، يقول الشنقيطي: "(هدى) مفعول من أجله أي من أجل الهدى والتذكير، وأعربه بعضهم حال"[10] وكذلك قوله تعالى:

1- بولنوار سعد: آليات تحليل الخطاب في تفسير أضواء البيان ، ص132 وما بعدها.

2- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1: ص 14/ ج1: ص 15/ ج4: ص 81/ ج4: ص 148/ ج4: ص 318/ ج6: ص 108 بحسب توارد الأمثلة.

3- هارون عبد السلام: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 5، 1421هـ/2001م، ص 74.

4- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج3، ص 442.

5- المصدر نفسه، ج4، ص 305.

6- نفسه، ج3، ص 295.

7- ابن السراج النحوي البغدادي (أبو بكر محمد بن سهل) (ت 316هـ): الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسن الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 3، 1417هـ/1996م، ج1، ص 206.

8- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص 13.

9- المصدر نفسه، ج5، ص 566.

10- نفسه، ج7، ص 61.

«إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتۡنَةً لَّهُمۡ» القمر 27، (ففتنة) هو مفعول من أجله[1] أي أرسلناها لهم من أجل الاختبار والابتلاء، وهنَاك نماذج أخرى نكتفي بذكر الذي ذكرنا.

ومن المنصوبات **المفعول فيه** المسمى ظرفاً، وهو "كل اسم زمان أو مكان سلط عليه عامل على معنى (في) كقولك (صمت يوم الخميس) أو حيناً فأسبوعاً أو اسم مكانٍ مبهم وهو الجهات الستُّ كالأمام والفوق واليمين وعكسهنّ ونحوهنّ كعند ولدى، والمقادير كالفرسخ وما صيغ من مصدر عامله (كقعدتُ مقعد زيد)".[2]

ويسمى المفعُول فيه ظرفاً، والظرف في الأصل ما كان وعاءً لشيءٍ، وتسمى الأواني ظروفاً لأنها أوعية لما يجعل فيها، وسميت الأزمنة والأمكنة (ظروفاً) لأن الأفعال تحصل فيها فصَارت كالأوعية لها، وهو قسمان: ظرف مكان وظرف زمان.[3]

ومن الأمثلة الشاهدة على هذا عند الشنقيطي قوله تعالى: «وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًا» الزخرف 19، فعلى قراءة (عنْدَ) بسكون النون وفتح الدال ظرف كقوله تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ» الأعراف 206.[4]

وعن قوله تعالى: «فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ» النحل 4، يقول الشنقيطي عن اللفظة (إذا): "اختلف علماء العربية في (إذا) الفجائية فقال بعضهم: هو حرف... وقال بعضُهم: هي ظرف مكان وممن قال به المبّرد، وقال بعضهم: هي ظرف زمان، وممن قال به الزجاج"[5] وقال عن قوله تعالى: «ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ» الكهف 17، أنه منصُوب على الظرف[6]، أي يمين الداخل إلى الكهف أو يمين الفتية وهي تدل عَلى المكان، ونفس الظرف (مكاناً) في قوله تعالى: **«وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا»** الفرقان 14، أن (مكاناً) منْصوب على الظرف أي في مكانٍ ضيق من النار.[7]

ومن المنصوبات **الحال** وتعرف بأنها (وصف فضلة يبين هيئة صاحبه عند صدور الفعل نحو: أقبل سليم مستبشراً، وانقل الخبر صحيحاً، والحال لا تجيء إلا عنْ فاعل أو مفعول لفظاً أو معنىً نحو: (جاء أخوك راكباً) و(شربت الماء صافياً) والأصل أن تكون الحال صفة منتقلة نكرة مشتقة، نحْو (جاء الصديقُ باسماً) و(عاد القائد ظافراً)، وقد تأتي في الحال (صفة ثابتة) لا منتقلة نحو (خلق الإنسان ضعيفاً)، وقد تأتي الحال معرفة لا نكرة، وذلك إذا صح تأويلها بنكرة نحو: (جاء أخوك وحده) أي منفرداً".[8]

وكتب الشنقيطي حافلة بالآراء والشواهد والأمثلة والشروح حول هذا المبحث النّحوي وَمن أمثلة ذلك قول الشنقيطي عند تفسير قوله تعالى: «مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ» الروم 31: "هو حال من ضمير الفاعل المستتر المخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: «فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ» الروم 30، وتقرير المعنى: فأقم وجهك يا نبي الله في حال كونكم منيبين، فلو لم تدخل الأمة حكماً في الخطاب

---

[1]- المصدر السابق، ج1، ص 475.
[2]- ابن هشام الأنصاري: شرح قطر الندى وبل الصدى، ص 308.
[3]- الغلاييني مصطفى: جامع الدروس العربية، ص 442.
[4]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج7، ص 141.
[5]- المصدر نفسه، ج3، ص 163.
[6]- نفسه، ج4، ص 29.
[7]- نفسه، ج6، ص 195.
[8]- الحمادي يوسف وآخرون: القواعد الأساسية في النحو والصرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، 1415هـ/1994م، ص 223.

الخاص به صلى الله عليه وسلّم لقال: منيباً إليه بالإفراد لإجماع أهل اللسان العربي على أن الحال الحقيقية أعني التي لم تكن سببية تلزم مطابقتها لصاحبها إفراداً وجمعا وثنية وتأنيثاً وتذكيراً، فلا يجوز أن نقول: جاء زيد ضاحكين، ولا جاءت هنْد ضَاحكاتٌ"[1] فهذه الحال حقيقية، وأما الحال المعنوية فيقول الشنقيطي يردّ على فرقة المعتزلة "وأما الصفات المعنوية عندهم (المعتزلة) فهي الأوصاف المشتقة من صفات المعاني السبع المذكورة وهي كونُه تعالى: قادراً مريداً عالماً حيّاً سميعاً بصيراً متكلّماً، والتحقيق أنها عبارة عن كيفية الإتّصاف بالمعاني، وعدُّ المتكلمين لها صفات زائدة على صفات المعاني مبني على ما يسمونه الحال المعنوية، زاعمين أنها أمرٌ ثبوتي ليس بموجود ولا معدوم، والتحقيق الذي لا شك فيه أنّ هذا الذي يسمونه الحال المعنوية لا أصل له، وإنما هو مطلق تخييلات يتخيّلونها"[2] وإذاً فلا وجود للحال المعنوية عنْده.

ويتوافق هذا الرأي مع كتب النحو، فالنحاة يقسمون الحال إلى حقيقية وسببية: فالحقيقية هي التي تبين هيئة صاحبها وهو الغائب، نحو (جئت فرحاً)، وأما السببية فهي ما تبين هيئة ما يحمل ضميراً يعود إلى صاحبها نحو (ركبت الفرس غائباً صاحبه) ونحو (كلمتُ هنداً حاضراً أبوها)[3]، وهنا ما ذكره الشنقيطي في القول الأوّل الذي ذكرناه، وبالتالي فلا وجود للحال المعنويّة كما يزعم المعتزلة.

ومن أمثلة الحال في القرآن ألفاظ ذكرها الشنقيطي من القرآن الكريم وهي على سبيل المثال لا الحصر: «سَوِيًّا» مريم 10، و«نُفُورًا» الإسراء 46، و«قَبِيلاً» الإسراء 92[4]،... هذا في حال مجيء الحال كلمة.

وفي حال كونه جملة يذكر الشنقيطي أمثلة عن هذا من القرآن الكريم، مثل: «وَأَهْلُهَا غَـٰفِلُونَ» الأنعام 131، و«أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ» الأعراف 04، «يَقُولُونَ» الحشر 10[5]... وغيرها الشواهد.

ومن المنصوبات **التمييز** وهو: "يطلق على التبيين والتفسير، والمميّز المبين والمفَسِّر، والتمييز ينقسم إلى قسمين: الأوّل منتصب على تمام الكلام وهو ما كان الإبهام فيه حاصلاً في الإسناد، والثاني منتصب عن تمام الإسم وهو ما كان الإبهام حاصلاً في الإسم الذي هو جزء كلام".[6]

وهو أيضاً "اسم نكرة يذكر تفسيراً للمبهم من ذات أو نسبة، فالأوّل نحو: (اشتريت عشرين كتاباً) والثاني نحو: (طاب المجتهد نفساً)، والمفسِّر للمبهم يسمى تمييزاً ومميّزاً وتفسيراً ومفسِّراً وتبييناً ومبيّناً، والمفسَّر يسمّى مميزاً ومفسّراً ومبيّناً، والتمييز يكون على معنى (مِن) كما أن الحال

[1]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج2، ص 53.
[2]- المصدر نفسه، ج2، ص 232.
[3]- الغلاييني مصطفى: جامع الدروس العربية، ص 479.
[4]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1: ص 218، ج3: ص436، ج3: ص 457، بحسب توالي الأمثلة.
[5]- المصدر نفسه، ج2: ص 160/ ج2: ص 217/ ج2: ص 277 بحسب توالي الأمثلة.
[6]- التوحيدي أبو حيان (ت 745هـ): ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 1418هـ/1998م، ص 1621.

تكون على معنى (في) فإذا قلت (اشتريت عشرين كتاباً) فالمعنى أنك اشتريت عشرين من الكتب".[1]

ومن الأمثلة التي ساقها الشنقيطي عن هذا المبحث قوله في (كفى) "تُستعمل متعدية لازمة... ويكثر إتيان التمييز بعد فاعلها المجرور بالباء، وزعم بعض علماء العربية أن جرّ فاعلها بالباء لازم، والحق أنه يجوز عدم جره بها"[2] وذكر شواهد شعرية على صحة قوله، فالشاهد هنا أن لفظة «حَسِيبًا» النساء 06، و«وَكِيلًا» الأحزاب 03، وغيرهما يعرب تمييزاً إذا أخذنا بالرأي الثاني بلزومية الفعل (كفى) وعدم تعديته.

و«أَمَدًا» الكهف 12، وَ«مُنقَلَبًا» الكهف 36، و«ثَوَابًا» وَ«عُقُبًا» الكهف 44، و«أَعۡمَٰلًا» الكهف 103، و«مَدَدًا» الكهف 109، و«طُولاً» الإسراء 37، وَ«أَمَدًا» الكهف 12، وَ«شيباً» مريم 04، وَ«رُطَبًا» مريم 25، و«مقاما ونديا وأثاثا ومكانا وجندا» مريم75[3]، وغيرها من الألفاظ تعرب تمييزاً كما ذكر الشنقيطي.

ومن المنصوبات المستثنى وهو: "اسم يذكر بعد (إلا) مخالفاً للحكم لما قبلها نحو: (لكل داء دواءٌ إلا الموت)[4]، ويعرّف الاستثناء أيضاً بأنه "إخراج ما بعد "إلا وأخواتها من أدوات الاستثناء من حكم ما قبله، نحْو: (جاء التلاميذ إلا علياً) والمخرج هو مُستثنى والمُخرَج منه هو (مستثنى منه)، وللاستثناء ثماني أدوات وهي: (إلا وغيْر وسوى وخلا وعدا وحاشا وليس ولا يكون)".[5]

والمستثنى قسمان: متَّصل ومنقطع، فالمتصل ما كان من جنس المستثنى منه نحو (جاء المسافرون إلا سعيداً)، والمنقطع ما ليس من جنس ما استثني منه نحْو (احترقت الدار إلا الكتبَ)[6].

وعن الاستثناء يقول الشنقيطي: "ومن المعلوم أنَّ الأصل في الاستثناء الإتصال لا الانقطاع"[7]، وهذا يتوافق مع ما قاله النحاة وأن الاستثناء قسمان: متصل وهو الأصل، ومنقطع وهو الفرع، ومن أمثلة القسمين قوله تعالى: «لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ» البقرة 78، فيقول الشنقيطي: "إن الاستثناء منقطع، والمعنى لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون أماني باطلة"[8] وكذلك في قوله تعالى: «وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ» النساء 24، فالاستثناء منقطع أي حرّمت عليكم الحرائر وأحل لكم ما ملكت أيمانكم من الإماء[9]، وفي قوله تعالى: «وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ» الكهف 16، يقول الشنقيطي: "قيل هو استثناء متصل بناءً على أنهم كانوا يعبدون الله والأصنام، وقيل هو استثناء منقطع بناءً على القول بأنهم كانوا لا يعبدون إلا الأصنام ولا يعرفون الله ولا يعبدونه"[10]، ويقول عند تفسير قوله تعالى: «إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا» الواقعة 26،

---

[1]- الغلاييني مصطفى: جامع الدروس العربية، ص 488.
[2]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج3، ص 344.
[3]- المصدر السابق، ج4: ص 20/ ج4: ص 79/ ج4: ص 84/ ج4: ص 146/ ج4: ص 151/ ج3: ص 432/ ج4: ص 22/ ج4: ص 157/ ج4: ص 193/، ج4: ص 274، بحسب توالي الأمثلة.
[4]- ناصف حفني وآخرون: الدروس النحوية، ج 4، ص 437.
[5]- الغلاييني مصطفى: جامع الدروس العربية، ص 498.
[6]- المرجع نفسه، ص 498.
[7]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص 94.
[8]- المصدر نفسه، ج 1، ص 65.
[9]- نفسه، ج1، ص 250.
[10]- نفسه، ج4، ص 254.

"جاء هذا الاستثناء المنقطع في آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى: «إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ» الليل 20، وقوله: «إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ» الدخان 56، ... فكل الاستثناءات المذكورة في هذه الآيات منقطعة، ونظير ذلك من كلام العرب في الاستثناء المنقطع قول نابغة ذبيان:

وقفت بها أصيلاً لا أسائلها　　عيت جواباً وما بالربع من أحدِ

إلا الأواري لأياً ما أبيّنُها　　والنُّوى كالحوض بالمظلومة الجلد.

وقول الفرزدق: **وبنت كريم قد نكحنا ولم يكن　　لها خاطب إلا السنانَ وعاملُه.**

وقول جران العود: **وبلدة ليس بها أنيس　　إلا اليعافير وإلا العيس".**[1]

وعن الفرق بين الاستثناء المتصل والمنقطع يقول الشنقيطي موضحاً: "اعلم أن تحقيق الفرق بين الاستثناء المتصل والمنقطع يحصل بأمرين يتحقق بوجودها أن الاستثناء متصل، وإن اختل واحدٌ منهما فهو منقطع، الأوّل: أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه نحو: جاء القوم إلا زيداً، فإن كان من غير جنسه فهو منقطع نحو: جاء القوم إلا حماراً، والثاني: أن يكون الحكم على المستثنى بنقيض الحكم على المستثنى منه، ومعلوم أن نقيض الإثبات النفي كالعكس، ومن هنا كان الاستثناء من النفي إثباتاً ومن الإثبات نفياً، فإن كان الحكم على المستثنى ليس نقيض الحكم على المستثنى منه فهو منقطع ولو كان المستثنى من جنس المستثنى منه، فقوله تعالى: «لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰ» الدخان 56، استثناء منقطع على التحقيق مع أن المستثنى من جنس المستثنى منه، وكذلك قوله: «لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ» النساء 29، وإنما كان منقطعاً في الآيتين لأنه لم يحكم على المستثنى نقيض الحكم على المستثنى منه، فنقيض (لا يذوقون فيها الموت) هو (يذوقون فيها الموت) وهذا النقيض الذي هو ذوق الموت في الآخرة لم يحكم به على المستثنى بل حكم بالذوق في الدنيا، ونقيض (لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل): (كلوها بالباطل) ولم يحكم به في المستثنى.

فتحصل أن انقطاع الاستثناء قسمان: أحدهما بالحكم على غير جنس المستثنى منه كقولك: رأيت أخويك إلا ثوباً، الثاني بالحكم بغير النقيض نحو: رأيت أخويك إلا زيداً لم يسافر".[2]

وكتب الشنقيطي حافلة بمثل هذه الأمثلة والأقوال والاستدلالات حول مبحث الاستثناء، فالشيخ يمازج الأمور النحوية بالقضايا الفقهية والأصولية والمنطقية لذلك لا يخلو كتاب من كتبه من توصيف هذا المبحث اللغوي (الاستثناء).

ومن المنصُوبات أيضاً **اسم (إنّ)** ومن أمثلته في القرآن التي وقف عندَها الشنقيطي قولها تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلاً» الكهف 30، فقال: "وفي هذا المعنى للآية الكريمة سؤالان معروفان عند العلماء الأول: أن يقال: أين خبر (إن) في قوله تعالى: «إن الذين آمنوا» فإذا قيل: خبرها جملة (إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً) توجه السؤال الثاني وهو أن يقال: أين رابط الجملة الخبرية بالمبتدأ الذي هو اسم (إن)، اِعلم أن خبر

[1]- المصدر السابق، ج4، ص 254.
[2]- المصدر نفسه، ج4، ص 256.

(إن) في قوله: «إن الذين آمنوا» قيل هو جملة «أولئك لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٍ» الكهف 31، وعليه فقوله (إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً) جملة اعتراضية، وعلى هذا فالرابط موجود ولا إشكال فيه.

وقيل (إن) الثانية واسمها وخبرها، كل ذلك خبر (إن) الأولى، ونظير الآية من القرآن في الإخبار عن (إن) بـ(إن) وخبرها واسمها قوله تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ» الحج 17"[1]، وذكر شاهداً من الشعر العربي أيضاً.

فالشنقيطي في قوله تعالى يذكر أنّ اسم الموصُول (الذين) هو اسم إن في محل نصب، واسم إن الثانية الضمير المتصل (نا) لأن أصلها (إننا) ونفس الكلام يذكره في الآية الثانية (آية الحج) والبيت الشعري هو نفسه الذي استدل به الشنقيطي، وهذا دليل على (إن) هي من الأحرف المشبهة بالفعل كما يقول العلماء وسميت كذلك لأنها مثل الفعْل الماضي مفتوحة الأواخر ووجود معنى الفعل في كل واحدة منها، كالتوكيد والاستدراك والتشبيه والتمني والترجي، وهذه الحروف تدخل على المبتدأ والخبر فتنصب وترفع، ويسمى الأول اسماً والثاني خبراً.

وعن قوله تعالى: «إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ» طه 69، يذكر الشنقيطي أن: "(ما) موصولة وهي اسم (إنَّ)، و(كيدُ) خبرها[2]، ونفس الكلام قاله عن قوله تعالى: «إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ» الأنبياء 92، فـ(هذه) اسم (إن)، وخبرها (أمةٌ)، وقوله (أمةً واحدةً) حال كما هو ظاهر.[3]

والملاحظ أننا ذكرنا من المنصوبات بما فيه الكفاية في بعضها وذكرنا شواهد كثيرة عنها، في حين غضضنا الطرف عن البعض الآخر وهو قليل وهذا لقلة الشواهد حولها أو لعدمها في كتب وأعمال الشنقيطي، والحديث عن أكثر المنصوبات يغنينا عن ذكرها كلّها.

<u>**ج-المجرورات:**</u> وهي قليلة مقارنة بالمنصوبات والمرفوعات من الأسماء، وعدد الأسماء التي تجَر في لغة العرب وفي النحو العربي ثلاثة وهي كما يلي:

<u>**1-المجرور بالحرف:**</u> وحروف الجر عشرون حرفاً وهي (الباء ومن وإلى وعن وعلى وفي والكاف واللام وواو القسم وتاءه ومذ ومنذ ورب وحتى وخلا وعدا وحاشا وكي ومتى في لغة هذيل ولعلّ في لغة عقيل).[4]

ومن أمثلة ذلك في آثار الشنقيطي قوله تعالى: «وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ» النحل 57، يقول الشنقيطي: "لهم مجرور باللام، ويذكر نظير هذا في القرآن بقوله تعالى: «وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ» النحل 58، وقوله تعالى: «فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» آل عمران 21[5]، ومن أمثلة المجرور بالحرف قوله تعالى: «فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا» مريم 24، بكسر الميم على أن (مِن) حرف جر وخفض تاء (تحتها)، لأن الظرف مجرور بـ (من) كما يقول الشنقيطي[6].

---

[1]- المصدر السابق: ج 4، ص 77.
[2]- المصدر نفسه، ج4، ص 334.
[3]- نفسه، ج4، ص 522.
[4]- الغلاييني مصطفى: جامع الدروس العربية، ص 527.
[5]- الشنقيطي محمد الأمين، أضواء البيان، ج 3، ص 215.
[6]- المصدر نفسه، ج4، ص 187.

2-المجرور بالإضافة: والإضافة هي "نسبة بين اسمين على تقدير حرف الجر، توجب جر الثاني أبداً نحو (هذا كتابُ التلميذِ) ويسمى الأول مضافاً والثاني مضافاً إليه، فالمضاف والمضاف إليه: اسمان بينهما جر مقدر، وعامل الجر في المضاف إليه هو المضاف لا حرف الجر المقدر بينهما على الصحيح".[1]

ويذكر النحاة أن الإضافة أربعة أنواع: لامية وبيانية وظرفية وتشبيهية، فأما اللامية ما كانت على تقدير "اللام" وتفيد المِلك والاختصاص، والبيانية ما كانت على كتقدير (من) وضابطهما أن يكون المضاف إليه جنسا للمضاف بحيث يكون المضاف بعضاً من المضاف إليه، نحو (هذا باب خشب)، والظرفية ما كانت على تقدير (في) وضابطهما أن يكون المضاف إليه ظرفاً للمضاف وتفيد زمان المضاف أو مكانه ومثاله قوله تعالى: «يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ» يوسف 39، والتشبيهية: ما كانت على تقدير كاف التشبيه وضابطهما أن يضاف المشبه به إلَى المشبه نحو (انتثر لؤلؤ الدمع على ورد الخُدود)".[2]

ومثل هذا المجرور في قوله تعالى: « فجزاء مثل ما قتل من النعم» الأنعام 95، يقول الشنقيطي: "وعلى قراءة الجمهور (فجزاء مثل) بالإضافة، فأظهر الأقوال أن الإضافة بيانية أي جزاء هو ما قتل من النعم".[3]

وعن قوله تعالى: «وقرن في بيوتكن» الأحزاب 33، يقول الشنقيطي: "إن حقيقة الإضافة تقتضي الملك، ولذلك لو قال: (هذه الدار لزيد يملكها زيد)، ولو قال أردت به السكنى واليد لم يقبل، ونظير هذه الآية ما احتج به من الإضافة أيضاً في قوله "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن"."[4]

ويقول الشنقيطي في قوله تعالى: «وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕ» فاطر 43، "إن المكر هنا شيء غير السيئ أضيف إلى السيئ للزوم المغايرة بين المضاف والمضاف إليه، والذي يظهر والله تعالى أعلم أن التحقيق جواز إضافة الشيء إلى نفسه إذا اختلفت الألفاظ لأن المغايرة بين الألفاظ ربما كفت في المغايرة بين المضاف والمضاف إليه... ويشير إليه ابن مالك في الخلاصة بقوله:

وإن يكونا مفردين فأضف حتماً وإلا أتبع الذي ردف،

وأما قوله: **ولا يضاف اسم لما به اتحد معنى وأوّل موهماً إذا ورد.**

فالذي يظهر فيه بعد البحث أنه لا حاجة إلى تأويله مع كثرته في القرآن واللغة العربية، فالظاهر أنه أسلوب من أساليب العربية بدليل كثرته ووروده، كقوله هنا (ومكر السيء)، والمكر هنا هو السيء بدليل قوله: «ولا يحيق المكر السيء» فاطر 44، وكقوله «وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ» الأحزاب 29، والدار هي الآخرة، وكقوله: «شَهۡرُ رَمَضَانَ» البقرة 185، والشهر هو رمضان على التحقيق وكقوله: «مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ» ق16، والحبل هو الوريد"[5]، وذكر شاهدين من الشعر العربي: الأول لعنترة والثاني لامرئ القيس.

1- الغلاييني مصطفى، جامع الدروس العربية، ص 555.
2- المرجع نفسه، ص 556.
3- الشنقيطي محمد الأمين، أضواء البيان، ج 2، ص 129
4- المصدر نفسه، ج2، ص 224.
5- الشنقيطي محمد الأمين: دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب، ملحق بكتاب "أضواء البيان"، ج10، ص 168 و169.

3. المجرور بالمجاورة: وهذا المجرور شاذ كما يقول النحاة نحو (هذا حجر ضب خرب)، وهو ما جر لمجاورة المجرور[1]، وهو كما سماه الشنقيطي الخفض بالمجاورة، وعنه قال: "التحقيق أن الخفض بالمجاورة أسلوب من أساليب اللغة العربية، وأنه جاء في القرآن لأنه بلسان عربي مبين"[2]، وقبل هذا يقول في تفسير قوله تعالى: "وامسحوا برءوسكم وأرجلكم" البقرة 06، والعرب تخفض الكلمة لمجاورتها للمخفوض مع أن إعرابها النصب أو الرفع، وما ذكره بعضهم من أن الخفض بالمجاورة معدود من اللحن الذي يُتحمَّل لضرورة الشعر خاصة ... فهو مردود بأن أئمة اللغة العربية صرّحوا بجوازه"[3]، ويذكر أمثلة من الشعر العربي كقول امرئ القيس:

كأن ثبيرا في عرانين ودقه   كبيرا أناس في بجاد مزمّلِ

بخفض (مزمّل) بالمجاورة مع أنه نعت (كبير) المرفوع بأنه خبر (كأن)، وقول ذي الرمة:

تُريك سنة وجه غير مقرفة   ملساء ليس بها خال ولا ندب.

إذ الرواية بخفض (غير) كما قاله غير واحد للمجاورة مع أنه نعت (سنة) المنصوب بالمفعولية"[4].

ويضيف قائلا في نفس السياق: "ومن الخفض بالمجاورة في العطف قول زهير:

لعب الزمان بها وغيرها   بعدي سوافي المور والقطر.

بجر (القطر) لمجاورته للمخفوض مع أنه معطوف على سوافي (المرفوع) بأنه فاعل غير، ومنه في التوكيد قول الشاعر:

يا صاح بلغ ذوي الزوجات كلّهم   أن ليس وصل إذا انحلت عرى الذنب.

بجر (كلّهم) على ما حكاه الفراء لمجاورة المخفوض مع أنه توكيد (ذوي) المنصوب بالمفعولية، ومن أمثلته في القرآن العظيم في العطف قوله تعالى: "وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون" الواقعة22و23، على قراءة حمزة والكسائي، ورواية المفضل عن عاصم بالجر لمجاورته لأكواب وأباريق، إلى قوله: (وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ) الواقعة 21، مع أنّ قوله: (وَحُورٌ عِينٌ) الواقعة 22، حكمه الرفع ...[5].

ويذكر الشيخ أمثلة أخرى فيقول: "ومن أمثلة الخفض بالمجاورة في القرآن في النعت قوله تعالى: "عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ" هود 84، بخفض (محيط) مع أنه نعت للعذاب، وقوله تعالى: "عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ" هود 26 ...، وقوله تعالى: "بل هو قرآن مجيد في لوحٍ محفوظٍ" البروج 21 و22، على قراءة من قرأ بخفض (محفوظ) كما قاله القرطبي، ومن كلام العرب "هذا جحر ضبٍّ خَربٍ" بخفض خرب لمجاورة المخفوض مع أنه نعت خبر المبتدأ ... على حد قول ابن مالك في الخلاصة: **وجرّ ما يَتْبع ما جُرَّ ومَن   راعى في الإتباع المحل فحسن**[6].

---

[1]- ابن هشام الانصاري: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ص 347.
[2]- الشنقيطي محمد الأمين، أضواء البيان، ج2، ص 07.
[3]- المصدر نفسه، ج2، ص 07.
[4]- المصدر نفسه، ج2، ص 08.
[5]- نفسه، ج2، ص 09.
[6]- نفسه، ج2، ص 10 و11.

وكتبُ الشنقيطي تزخر بمثل هذه الأمثلة المتعلقة بالجر بالمجاورة أو الخفض بالمجاورة كما يسميها الشيخ.

د. الاسم بين الرفع والنّصب: جاءت الأسماء في القرآن الكريم إمّا مرفوعة أو منصوبة أو مجرورة، لكن بعض الأسماء قرئت بوجهين اثنين مختلفين: بالرفع والنصب أو الرفع والجر أو النصب والجر، وهذا يتعلق بموضوع القراءات، وما أوطد العلاقة وأمتنها بين هذين العلمين: علم النحو وعلم القراءات، ونتيجة لهذا صار عندنا في التراث العربي ما يمكن تسميته بالإعراب الوظيفي أو الدلالي أو الإعراب الجمالي ما أفرز نظرية نحوية دلالية مثيرة أساسها ومنطلقها الإعراب، فهي نظرية (الاحتمالات الإعرابية) التي تقدم لنا إمكانيات التعدد في الأوجه الإعرابية للكلمة الواحدة داخل النص المعين بحيث يتخصص كل وجه من وجوه هذا التعدّد الإعرابي بدلالة خاصة لا يؤديها الوجه الإعرابي المقابل الذي تحتمله الكلمة نفسها في التركيب النحوي نفسه[1].

فالحركات الإعرابية في أواخر الأسماء تُساهم في إنتاج الدلالة مع كل وجهٍ في التركيب نفسه، وتعدّد المعاني الإعرابية هذا ينسجم ويتوافق مع النهج الذي اتبعه اللغويون والنحويون والمفَسرون والأصوليون والقراء في تعاملهم مع الخطاب القرآني، وهذا ما وجد عند الشنقيطي الذي ورثته عن الأسلاف.

ومن أمثلة الأسماء التي تراوحت بين الرفع والنَّصب في القرآن الكريم والذي خصها الشنقيطي بحديث كاف ووافٍ عنها قوله تعالى: «وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٌۖ»البقرة 07، يقول الشنقيطي في تفسيرها: "غشاوةٌ، بالرفع مبتدأ خبره الجار والمجرور، وسوغ الإبتداء بالنكرة فيه اعتمادها على الجار والمجرور قبلها، ولذلك يجب تقديم هذا الخبر لأنه هو الذي سوّغ الإبتداء بالمبتدأ... وعلى قراءة من نَصَبَ (غشاوةً) فهي منصوبة بفعل محذوف أي (جَعَلَ على أبصارهم غشاوةً) كما في سورة الجاثية"[2]، ومثال سورة الجاثية لم يذكره الشيخ وهو قوله تعالى: «وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً » الجاثية 23.

فلفظَة (غشاوة) قرأها البعض بالرفع على أنها مبتدأ، وقرأها البعض الثاني بالنصب على أنها مفعول به لفعْل محذوف أي (جعل على أبصارهم غشاوةً) والقراءتان صحيحتان، وتغيير الحركة لا يؤدي إلى تناقض في الدلالة.

ومثال هذه الظاهرة الإعرابية التي تحتمل النصب والرفع قوله تعالى: «وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ» المائدة 06، يقول الشنقيطي: "أما القراءة الشاذة فقراءة الرفع وهي قراءة الحسن... أما النصب فهي قراءة نافع وابن عامر والكسائي وعاصم في رواية حفص من السبعة ويعقوب من الثلاثة... أما قراءة النصب فلا إشكال فيها لأن الأرجل فيها معطوفة على الوجوه، وتقدير المعنى: (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين)، وإنما أدخل مسح الرأس بين المغسولات محافظة على الترتيب"[3] أي (اغسلوا وجوهكم

---

[1]- نهر هادي: علم الدلالة التطبيقي في القرآن العربي، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 1427ه/ 2007، ص 118.

[2]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج 1، ص 39.

[3]- المصدر نفسه، ج2، ص 06، وما بعدها.

وأرجلكم)، بينما قراءة الرفع لم يفصّل فيها الشنقيطي لأنها قراءة شاذة، وهو لا يهتم كثيراً بالقراءات الشاذة، وقراءة (أرجلكم) بالرفع فهي بعد الواو الاستئنافية مبتدأ خبره الجار والمجرور.

وكذلك قوله تعالى: «ذِكۡرَىٰ» الشعراء 209، يقول الشنقيطي: "ذكرى" أعربه بعضهم مرفوعاً على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هذه ذكرى، وأعربه بعضهم منصوباً، وفي إعرابه على أنه منصوب أوجه: منها أنه ما ناب عن المطلق من قوله: منذرون لأن أنذر وذكر متقاربان، ومنها أنه مفعول من أجله أي منذرون من أجل الذكرى بمعنى التذكر ومنها أنها حال من الضمير في منذرون أي ينذرونهم في حال كونهم ذوي تذكرة".[1]

<u>هـ- الاسم بين الرفع والجر:</u> هناك أسماء في القرآن الكريم وردت بوجهين مختلفين من القراءة، فهي إما مرفوعة وإما مجرورة بتغيير في أواخر الكلمة، ومن أمثلة ما ذكره الشنقيطي قوله تعالى: «ٱلۡوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ» الكهف 44، فقرأ السبعة ما عدا أبا عمرو والكسائي بالخفض نعتاً لله، وقرأه أبو عمرو والكسائي بالرفع نعتاً للولاية"[2]، فلفظة (الحق) قرئت بوجهين: الأول بالجر وهي بهذا تكون نعتاً لله، والثاني بالرفع وهي بهذا تكون نعتاً للولاية، وهتان قراءتان صحيحتان مأثورتان عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ومثال هذا أيضاً قوله تعالى: «وأرجلكم إلى الكعبين» التي مرت بنا آنفاً فيقول الشيخ: "«وأرجلكم» ثلاث قراءات: واحدة شاذة واثنتان صحيحتان، أما الشاذة فقراءة الرفع، وأما المتواترتان فقراءة النّصب وقراءة الجر، ... وأما الجر فهو قراءة ابن كثير وحمزة وأبي عمرو وعاصم في رواية أبي بكر".[3]

كنا تحدثنا عن قراءة الرفع والنصب من قبل، وأما قراءة الجر فيفصل فيها الشيخ قائلاً: "وأما قراءة الجر ففي الآية الكريمة إجمال... فقراءة الخفض إنما هي لمجاورة المخفوض مع أنها في الأصل منصوبةٌ بدليل قراءة النصب، والعربُ تخفض الكلمة لمجاورتها المخفوض مع أن إعرابها النصب أو الرفع... قال الأعمش: كانوا يقرؤونها بالخفض وكانوا يغسلون"[4]. وذكر شواهد كثيرة من القرآن ومن الشعر على صحة القراءة بالخفض.

<u>و-الاسم بين النَّصب والجر:</u> وهناك أسماء في القرآن تراوحت علامتها الإعرابية بين الفتحة والكسرة في أواخرها والوجهان صحيحان نقلا إلينا بالتواتر، ومثال ذلك قوله تعالى: «وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ» الزخرف 88، وعنها يقول الشنقيطي: "قرأ هذا الحرف نافع وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو والكسائي (وقيلَهُ) بفتح اللام وضم الهاء، وقرأه عاصم وحمزة (وقيلِهِ) بكسر اللام والهاء، قال بعض العلماء: إعرابه بأنه عطف على الساعة...، فلفظ (الساعة) مجروراً لفظاً بالإضافة منصوب محلاً بالمفعولية، وقال بعضهم هو معطوف على (سِرَّهُمۡ) الزخرف 80، وعليه فالمعنى (أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ وقيله يارب) وقال بعضهم: هو منصوب على أنه مفعول

---

[1]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج6، ص 256 و257.
[2]-المصدر نفسه، ج4، ص 83.
[3]- المصدر نفسه ، ج2، ص 06.
[4]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج2، ص ص 7-10.

مطلق...، وقال بعضهم: هو منصُوب بيعلم محذوفة... وأما على قراءة الخفض فهو معطوف على الساعة أي وعنده علم الساعة وعلم قيله يا رب".[1]

ومن أمثلة هذا ما ذكرناه من قبل قوله تعالى: «وأرجلكم إلى الكعبين» فهي تحتمل كذلك الجر في (أرجلكم) وتحتمل النصب كما فصّلنا من قبل وهما قراءتان صحيحتان متواترتان عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا التغاير في الحركة الإعرابية لا يؤدي إلى التناقض في المعنى والتأويل بل يؤدي فقط إلى اختلاف العلماء في الشرح والتفسير وفي الإعراب أيضاً لا المساس بالعقيدة والتوحيد.

ونفس الكلام يقال عن قوله تعالى: «أولئك لهم عذاب من رجز أليم» الجاثية 11، فقرأ بعضهم (أليمٌ) بالضم وبعضهم الآخر (أليمٍ) بالكسر فبالأول نعت لقوله (عذابٌ) وبالثاني نعت لرجز كما ذكر الشنقيطي.[2]

<u>2- ما يتعلق بالأفعال:</u> الفعل لغة هو: "كناية عن كل عمل متعدّ أو غير متعدٍّ، فعل يفعل فِعلا وفَعلا، فالاسم مكسور والمصدر مفتوح، والجمع الفعال... والفَعل بالفتح مصدر فعل يفعل، وقد قرأ بعضهم: "وأوحينا إليهم فَعل (بالفتح)، وقوله تعالى في قصة موسى عليه السلام: «وفعلت فَعلتك التي فعلت» بالفتح... وقرأ الشعبي (فِعلتك) بالكسر،... والأول أجود".[3]

أما اصطلاحاً فالفعل "قسم من الكلمة وهو ما دل على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة... والفعل مشتمل على ثلاثة معانٍ يدل عليها مفصلة: أحدها الحدث الذي هو المعنى المصدري وثانيها الزمان وثالثها النسبة إلى فاعل ما".[4]

ويقسم النحاة الفعل باعتبار زمانه إلى ثلاثة أقسام: ماضٍ ومضارعٌ وأمرٌ ومن هذا الاعتبار يمكن تقسيم هذا الموضوع (الفعل) إلى مباحث عدة تعرض لها الشنقيطي في كتبه وكلامه، ومن هذه المباحث نذكر ما يلي:

<u>أ-الفعل الماضي:</u> هو كل فعل جاء على صيغة (فعَل) "الدالة على اقتران حدث بزمان قبل زمانك، وهو مبني على الفتح إلا أن يعترضه ما يوجب سكونه أو ضمه، فالسكون عند الإعلال ولحوق بعض الضمائر، والضم مع واو الضمير".[5]

وفي هذا المبحث يقول الشنقيطي: "الفعل نوعان: أحدهما الفعل الحقيقي والثاني الفعل الصناعي: أما الفعل الحقيقي فهو الحدث المتجدِّد المعروف عند النحويين بالمصدر، وأما الفعل الصناعي فهو المعروف في صناعة علم النّحو بالفعل الماضي والفعل المضارع وفعل الأمر على القول بأنه مستقل عن المضارع".[6]

فالفعل الماضي عند الشنقيطي قسم من أقسام الفعل الصناعي، وهو يبنى على الفتح في الأصل لكنه عند العوارض يبنى على الضم ويبنى على السكون، ومن أمثلته عند الشنقيطي قوله

---

[1]- المصدر نفسه، ج7، ص 205 وما بعدها.
[2]- نفسه، ج6، ص 403.
[3]- ابن منظور: لسان العرب، ج11، ص 528 (مادة فعل).
[4]- التهانوي محمد علي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج2، ص 1280.
[5] ابن يعيش النحوي : (موقف الدين يعيش بن علي)(ت643هـ): شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، دط، دت، ج7، ص 04.
[6] الشنقيطي مُحمد الأمين: أضواء البيان، ج7، ص 19.

تعالى: (فَإِن قَـٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡ) البقرة 191، فيذكر الشيخ أنَّ الفعل الأول قرئ بلا ألف بعد القاف وهو فعل ماضٍ من القتل.[1] وفي قوله تعالى: (أَحۡصَىٰ) الكهف 12، يقول الشنقيطي: "ذهب بعضهم إلى أنه فعل ماض... وممن اختار أن (أَحۡصَى) فعل ماضٍ الفارسي والزمخشري وابن عطية وغيرهم... و(أحصى) رباعي فلا تصاغ منه صيغة التفضيل ولا التعجب قياساً (كما ذهب البعض)[2]، ونفس القول على الفعل(أَخۡفَى) طه 07.[3]

وقال الشنقيطي في لفظة (تبارك): " قال أبو حيان في البحر المحيط (تبارك) فعل ماض لا ينصرف".[4]

وعن قوله تعالى: (وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا) الأنعام 94، يقول الشنقيطي: "قول عبر بصيغة الماضي وأراد المستقبل لأن تحقيق وقوع الفعل ينزله منزلة الواقع بالفعل والتعبير بصيغة الماضي عن المستقبل لما ذكرنا كثير جداً في القرآن العظيم ومنه قوله: (وَحَشَرۡنَـٰهُمۡ) (الكهف 47)، وقوله: (وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا) (الكهف48)، ومنه قوله: (أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ) (النحل 01)، وقوله (ونفخ في الصور)، وقوله: (وَسِيق ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ) (الزمر71)، وقوله: (وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ) (الزمر73)، ونحو ذلك كثير في القرآن لما ذكرنا".[5]

ويعيد الشنقيطي الكلام نفسه عند تفسير قوله تعالى: (وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ) (الكهف 53)، فالفعل في الآية من رأى البصرية، فهي تتعدى لمفعول واحدٍ، والتعبيِر بالماضي عن المستقبل نظرا لتحقق الوقوع، فكان ذلك لتحقق وقوعه كالواقع بالفعل".[6]

والأمثلة على إطلاق الماضي وإرادة المستقبل كثير في القرآن وفي أعمال الشنقيطي، وعن الأفعال الجامدة فهي دوماً تأتي بصيغة الماضي فقط، ذكر الشنقيطي بعضاً منها وهي (نعم) فعل ماضٍ جامد لإنشاء المدح، وبئس فعل ماضٍ جامد لإنشاء الذم وتبارى فعل ماضٍ لا ينصرف.[7]

ب-الفعل المضارع: وهو "ما يعقب في صدره الهمزة والنون والتاء والياء، وذلك قولك للمخاطب أو للغائبة أو للغائب تفعل وللغائب يفعل وللمتكلم أفعلُ، وله إذا كان معه غيره واحداً أو جماعة نفعل، وتسمى الزوائد الأربع، ويشترك فيه الحاضر والمستقبل، واللام في قولك: إن زيداً ليفعل مخلصة للحال كالسين أو سوف للاستقبال وبدخولهما عليه قد ضارع الاسم فأعرب بالنصب والرفع والجزم مكان الجر".[8]

وفي تعريف موجز وبسيط الفعل المضارع هو: كل فعل "يدل على حدث واقع في الزمن الحاضر أو المستقبل أو محتمل لهما، ويتعين الحال إذا وجدت القرينة مثل سبْق الفعل بـ(ما) النافية أو بلام الابتداء، ويتعين المستقبل إذا وجدت القرينة كذلك مثل سبْق الفعل بـ(لن) أو (السين) أو

---

[1] المصدر السابق، ج1، ص 231.
[2] نفسه، ج4، ص 20.
[3] نفسه، ج4، ص 306.
[4] نفسه، ج5، ص 533.
[5] المصدر نفسه، ج4، ص 90.
[6] المصدر نفسه، ج4، ص 101.
[7] - المصدر نفسه: ج7، ص 31 و ج6 ص244 وج5، ص533 بحسب توارد الأمثلة (نعم، بئس، تبارك).
[8] ابن يعيش النحوي : شرح المفصل، ج7، ص06.

(سوف) ومثل دلالة السياق، وقد يتحوّل زمن الفعل إلى الماضي إذا سبقته (لم) الجازمة أو دلّ السياق على أنه لحكاية حال ماضية".[1]

ويكون الفعل المضارع إما مرفوعاً أو منصوباً أو مجزوماً، ويكون مبنياً إذا اتصلت به نون التوكيد الخفيفة أو الثقيلة ويكون بناؤها على الفتح، ويبنى على السكون إذا اتصلت به نون النسوة، كما يذكر النحاة.

وينصب الفعل المضارع إذا كان قبله أحد الحروف الأربعة (أن) و(لن) و(كي) و(إذاً)، ويجزم إذا كان مسبوقاً بإحدى هذه الكلمات (لم) و(لما) و(لام الأمر) و(لا الناهية) و(إن) و(إذا ما) و(من) و(مَا) و(مهما) و(متى) و(أيان) و(أين) و(أنى) و(حينما) و(كيفما) و(أيٌّ)، ويكون مرفوعاً إذا تجرّد من كل ذلك كله.[2]

ومن الأمثلة التي تحدّث عنها الشنقيطي حول مبحث الفعل المضارع قوله تعالى: (وهو يُطعِم ولا يطعَم) حيث يذكر الشيخ بأن الفعلين من الإطعام، والأول مبني للفاعل والثاني مبني للمفعول... وقرئ الأول كقراءة الجمهور، والثاني بفتح الياء والعين مضارع (طعِم) الثلاثي بكسر العين في الماضي[3]، وفي قوله تعالى: (وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ) (الفجر 04)، يقول الشيخ: "إن فتح ياء (يسر) يدل على أنه مضارع (سرى) الثلاثية"[4]، وقوله تعالى: (تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ)(المؤمنون20)، قرئ الفعل (تنبِت) بضم التاء وكسر الباء وهو مضارع أنبت الرباعي".[5]

ويقول الشنقيطي عن المضارع المسبوق بـ(كان): "تقرر في الأصول أن صيغة المضارع بعد لفظة (كان) في نحو (كان يفعل كذا) تدل على كثرة التكرار والمداومة على ذلك الفعل".[6]

وعن الفعل المضارع المجزوم يقول الشنقيطي عند تفسير قوله تعالى: (فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَ)(مريم 05و06)، "قرأ أبو عمرو والكسائي بإسكان الثاء المثلثة من الفعلين (يرثْي ويرثْ) وهما على هذه القراءة مجزومان لأجل جواب الطلب الذي هو (هب)، والمقرر عند علماء العربية أن المضارع المجزوم في جواب الطلب مجزوم بشرط مقدر يدل عليه فعل الطلب وتقديره في هذه الآية :"إن تهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب"، وقرأ الباقون (يرثُني ويرثُ) برفع الفعلين على أن الجملة نعت لقوله (وليا) أي (ولياً وارثاً لي ووارثاً من آل يعقوب)".[7]

وقوله تعالى: (يَأۡخُذۡهُ) (طه 39)، فالفعل مجزوم في جواب الطلب الذي هو (فليلقه اليم بالساحل)[8]، ويقول الشنقيطي في معرض حديثه عن المضارع المجزوم: "كلٍ فعل مضارع في القرآن مجزوم بـ(لم) إذا تقدمتها همزة استفهام كقوله: (أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًا)(طه 86)،

---

[1] عمر أحمد مختار وآخرون: التدريبات اللغوية والقواعد النحوية، لجنة التأليف والتعريب والنشر، مطبوعات جامعة الكويت، ط2، 1420هـ/ 1999م، ص 115 وما بعدها.
[2] ناصف حنفي وآخرون: الدروس النحوية، ج1، ص ص 36- 38.
[3] الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج2، ص 142.
[4] المصدر نفسه ، ج3، ص 28.
[5] نفسه، ج4، ص 192.
[6] الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج2، ص183 وج3، ص 226.
[7] المصدر نفسه ، ج4، ص 162 وما بعدها.
[8] نفسه، ج4، ص 309.

فيه وجهان معروفان للعلماء:**الأول:** أن مضارعته تنقلب ماضوية ونفيه ينقلب إثباتاً فيصير قوله (ألم يعدكم) بمعنى وعدكم، وقوله: (أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ)(الشرح01)، بمعنى شرحاً، وقوله: (ألم نجعل له عينين) بمعنى جعلنا له عينين وهكذا، ووجه انقلاب مضارعته ماضوية ظاهر لأن (لم) حرف قلب تقلب الفعل المضارع من معنى الاستقبال إلى معنى المضي كما هو معروف،... **الوجه الثاني:** أن الاستفهام في ذلك التقرير وهو حمل المخاطب على أن يقر فيقول (بلى) وعليه فالمراد من قول(ألم يعدكم ربكم وعداً حسنا) حَمَلهم على أن يقروا بذلك فيقولوا (بلى هكذا، ونظير هذا من كلام العرب قول جرير: **ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح**[1]

وهذا عند تفسيره لقوله تعالى: (أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ)(طه 86).

وعن المضارع المنفي (بلا) يقول الشيخ: "قد تقرر في علم النحو أن الفعل المضارع المنفي بلا إذا كانت جملته حالية وجب الربط فيها بالضمير وامتنع بالواو كقوله (فاضرب لهم طريقاً) أي في حال كونك لا تخاف دركاً وقوله: (مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ) (النمل20) ، وقوله: (وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ) (المائدة 84)، ونظير ذلك من كلام العرب قول الشاعر:

ولو أنّ قوما لارتفاع قبيلة دخلوا السماء دخلتها لا أحجب

بمعنى دخلتها في حال كوني غير محجوب، وبذلك تعلم أن قوله في الخلاصة:

وذات بدءٍ بمضارع ثبت حوت ضميراً ومن الواو خلت"[2]، وهذا عند تفسيره لقوله تعالى: (فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقًا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخۡشَىٰ) (طه 77).

ويذكر النحاة أن المضارع يأتي بصيغة الماضي وأمثلته كثيرة في القرآن ذكرها الشنقيطي في أحاديث كثيرة من كتبه مثل قوله تعالى:(وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ) (الكهف99)، وقوله: (أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ) (النحل01)، وكذلك في حديث النبي صلى الله عليه وسلم :(منعت العراق درهمها وقفيزها، ومنعت الشام مُديها ودينارها، ومنعت مصر اردّبها ودينارها، وعدتم من حيث بدأتم وعدتم من حيث بدأتم وعدتم من حيث بدأتم".[3]

وقد يعبّر المضارع عن الماضي وهذا ذكره الشنقيطي في تفسيره قوله تعالى: (وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ) (النحل 61)، يقول: "وقوله (يؤاخذ) إن قلنا: إنّ المضارع فيه بمعنى الماضي فلا إشكال، وإن قلنا: إنه بمعنى الاستقبال فهو على إيلاء (لو) المستقبل وهو قليل كقوله: (وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ) (النساء 09)، وقول قيس بن الملوح:

ولو تلتقي أصداؤنا بعد موتـــنـــا ومن دون رمسينا من الأرض سيسب
لظل صدى صوتي وإن كنت رمة لصوت صـــدى ليلــى يهش ويطـربُ

والجواب بحمله على المضي في الآية تكلف ظاهر، ولا يمكن بتاتا في البيتين، وأمثلته كثيرة في القرآن وفي كلام العرب، وقد أشار لذلك في الخلاصة بقوله:

---

[1] المصدر السابق، ج4، ص374 و ج7، ص 531 وما بعدها.
[2] المصدر نفسه، ج4، ص364.
[3] نفسه، ج2، ص276.

لو حرف شرط في مضي ويقل ايلاؤها مستقبلا لكن قبل.[1]

وفي كتب الشنقيطي أمثلة كثيرة وأحاديث جمة عن الفعل المضارع مرفوعاً كان أو منصوباً أو مجزوماً أفاد بها فأجاد.

ج- فعل الأمر: ويعرَّف بأنه: "الفعل الذي يكون طريقة المضارع للفاعل المخاطب، لا يخالف بصيغته صيغة إلا أن تنزع الزائدة فتقول في: يضعُ:ضعْ، وفي تضارب ضاربْ، وفي تدحرجَ: دحرجْ ونحوهما ممّا أوّله متحرّك، فإن سكّن زدْتَ لئلا تبتدئ بالساكن همزة وصلٍ فتقول في يضرب: اضربْ، وفي ينطلق ويستخرج : انطلقْ واستخرجْ"[2].

وهو ببساطة "ما يطلب به حدوث شيء في الاستقبال نحو: اسمع وهات وتعالَ، وعلامتُه الخاصة به: ياءُ المخاطبة مع دلالته على الطلب بنفسه نحو: احْفَظِي، أو قبوله نون التوكيد مع دلالته على الطلب بصيغته نحو: اجتهدنَّ فإن قبلت كلمة نون التوكيد ولم تدل على الطلب بصيغته فهي فعل مضارع نحو: ليسجننّ وليكونا (فقد دل الفعل المضارع على الطلب باللام) وإن دلت على الطلب ولم تقبل النون فهي إما: اسم لمصدر نحو: صبراً على الشدائد (بمعنى اصبر)، وإمّا اسم لفعل أمر نحو : نزال (بمعنى انزلْ).[3]

وحكم فعل الأمر البناء كما يقول النحاة: "فهو يبنى على السكون، كاضربْ واذهبْ، وقد يبنى على حذف آخره وذلك إذا كان معتلا نحو: اغزُ واخشَ وارْم، وقد يبنى على حذف النون، وذلك إذا كان مسنداً لألف اثنين نحو (قوما) أو واو جمع نحو (قُوموا)، أو ياء مخاطبة نحو (قومي)".[4]

وعن الأمر وشواهده وصيغه يقول الشنقيطي: "ومعلوم أنّ صيغ الأمر في العربية أربعٌ: وهي فعل الأمر كقوله تعالى:(أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ) الاسراء78، واسم فعل الأمر كقوله تعالى:(عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ) (المائدة 105)، والفعل المضارع المجزوم بلام الأمر كقوله تعالى: (ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ)(الحج29)، والمصدر النائب عن فعله كقوله تعالى: (فضربَ الرقاب) أي فاضربوا رقابهم"[5]، وذكر الشنقيطي هذا عند تفسيره قوله تعالى: (حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ) (محمد04)، ويضيف قائلا: "وقوله (فشدوا الوثاق) أي فأسروهم".[6]

وفي قوله تعالى: (قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءً مَّوۡفُورًا) (الاسراء63)، قال الشنقيطي: "قال القرطبي في تفسيره هذه الآية: "قال اذهب هذا أمر إهانة، أي أجهد جهدك...، وقال الزمخشري وأبو حيان (اذهب) ليس من الذهاب الذي هو نقيض المجيء، إنما معناه: امض لشأنك الذي اخترته"[7]، وقال في الآية التي بعدها (وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡ) (الإسراء64)، "الذي يظهر لي أنّ صيغ الأمر في قوله (واستفزز) وقوله (وأجلب) وقوله (وشاركهم) إنما هي

---

[1] المصدر السابق: ج3، ص 219.

[2] الخوارزمي القاسم بن الحسين(ت617هـ): شرح المفصل في صنعة الإعراب الموسوم بالتخمير، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، دار الغرب الإسلامي، مكة، ط1، 1990م، ج3، ص257.

[3] الهاشمي السيد أحمد: القواعد الأساسية للغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص21.

[4] ابن هشام الأنصاري: شرح قطر الندى وبل الصدى، ص43.

[5] الشنقيطي محمد الأمين : أضواء البيان، ج7، ص271.

[6] المصدر نفسه، ج7، ص271.

[7] نفسه، ج3، ص442.

للتهديد، أي اِفعل ذلك فسترى عاقبته الوخيمة كقوله: (ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ)(فصلت40)، وبهذا جزم أبو حيان في (البحر)... والأمر في (عدْهم) كالأمر في (واستفزز) و(أجلب) وقد قدمنا أنه للتهديد".[1]

وعن الأمر يقول الشنقيطي عندما وقف عند آية قوله تعالى: (فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ) (طه39): "وصيغة الأمر في الآية فيها وجهان معروفان عند العلماء: أحدهما أنّ صيغة الأمر معناه الخبر، قال أبو حيان في البحر المحيط: "فليلقه" أمرٌ معناه الخبر، وجاء بصيغة الأمر مبالغة، إذاً الأمر أقطع الأفعال وأوجبها، والوجه الثاني: أن صيغة الأمر في قوله (فليلقه) أريد بها الأمر الكوني القدري، كقوله: (إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ) (يس82)، فالبحر لابد أن يلقيه بالساحل لأن الله أمره بذلك كوناً وقدراً مثل قوله: (فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّا) (مريم75)، وقوله: (وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ) (القصص 7و8)، وقوله تعالى: (يأخذه) مجزوم في جواب الطلب الذي هو (فليلقه اليم بالساحل) وعلى أنه بمعنى الأمر الكوني، فالأمر واضح".[2]

وهذه الأمثلة شرحها الشنقيطي شرحاً وافياً أفاد به فأجاد ولا يستدعي منا ذلك إعادة للشرح للسبب الذي ذكرنا، والأمثلة عن الأمر وصيغه في كتب الشنقيطي كثيرة والأحاديث عنها مبثوثة في التفسير وغيره، ومن أمثلة ذلك هذه الصيغ (وَأَوۡفُواْ) (الانعام152)، و(قُلۡ) (الاعراف187)، و(فَلۡيَرۡتَقُواْ) (ص10)، و(فَلۡيَمۡدُدۡ) و(لۡيَقۡطَعۡ) (الحج15)، و(وَأَنذِرۡ) (الشعراء214)، و(ٱسۡجُدُوٓاْ) (النمل25)، و(تَقَاسَمُواْ) (النمل49)، وغيرها.[3]

د-الفعل بين الجزم والحركات: هذا المبحث يزاوج بين علم النحو وعلم القراءات، فهناك أفعال قرأها القراء بالتحريك، أي بالنصب أو الرفع أو الجر، في المقابل قرأها البعض الثاني بالإسكان أي بالجزم، وعندما نقول الجزم فهذا يتعلق بأواخر الفعل، ولا يتضح المقال إلا بالمثال.

قال تعالى: (وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدًا) (الكهف26)، وفي تفسير هذه الآية يقول الشنقيطي: "قرأ هذا الحرف عامة السبعة ما عدا ابن عامر(ولا يشركُ) بالياء المثناة التحتية، وضم الكاف على الخبر، و(لا) نافية، والمعنى لا يشرك الله جل وعلا أحداً في حكمه بل الحكم له وحده جل وعلا، لا حكم لغيره البتة...وقرأ ابن عامر من السبعة (ولا تُشركْ) بضم التاء المثناة الفوقية وسكون الكاف بصيغة النهي، أي لا تشرك يا نبي الله أو لا تشرك أيها المخاطب أحدا في حكم الله جل وعلا".[4]

فالشاهد هنا أن الآية قرئت بوجهين اثنين: الأول بالضم ومعناه إخبار من الله تعالى بأنه لا يشرك أحداً في حكمه، والثاني الجزم ومعناه: لا تشرك أنت أحداً مع الله تعالى في حكمه، فلا يجوز لأحد الحكم بغير حكم الله فيما نص عليه حكم الله، ولا يجوز لأحد أن يحكم بحسب هواه أو ما تملي عليه نفسه فهذا مخالف للعقيدة والتوحيد.

---

[1] الشنقيطي محمد الأمين : أضواء البيان، ج3، ص ص 442-445.
[2] المصدر نفسه، ج4، ص 308 وما بعدها.
[3] المصدر نفسه، ج2، ص 211/ج2، ص253/ ج3، ص92/ج5، ص33/ج6، ص257/ج6، 268/ج6، 274 بحسب توالي الأمثلة.
[4] الشنقيطي محمد الأمين : أضواء البيان، ج4، ص162 وما بعدها.

وكذلك يقول تعالى: (فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا) (مريم 5و6)، وفي هذه الآية يقول الشنقيطي: "قرأه أبو عمرو والكسائي بإسكان الثاء المثلثة من الفعلين، هما على هذه القراءة مجزومان لأجل جواب الطلب هو (هب لي)، والمقرر عند علماء العربية أن المضارع المجزوم في جواب الطلب مجزوم بشرط مقدَّر يدل عليه فعل الطلب، وتقديره هنا (إن تهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب)، وقرأ الباقون (يرثني ويرث من آل يعقوب)، برفع الفعلين على أن الجملة نعت لقوله (ولياً) أي ولياً وارثاً ووارثاً من آل يعقوب، كما قال في الخلاصة: **ونعتوا بجملة منكرا فأعطيتُ ما أعطيته خبرا**"[1]

وبعدما ذكر الشيخ وجه القراءتين بالرفع والجزم في الفعلين، راح يبدي رأيه فيما هو الأقرب إلى الصواب حيث قال: "وقراءة الجمهور برفع الفعلين أوضح معنى"[2]، مع أن القراءتين سبعيتان.

ويقول تعالى:(وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْ) (طه69)، يذكر الشنقيطي أن في هذه الآية وجهان من القراءة: الأول بالجزم: والجزم هنا يكون بشرط مقدر يدل عليه فعل الطلب تقديره (إن تلق ما في يمينك تلقف ما صنعوا)، والثاني قراءة الرفع أي بضم الفاء، ووجه رفعه أن جملة الفعل حال أي (ألق ما في يمينك في حال كونها متلقفة ما صنعوا) أو مستأنفة وعليه فهي خبر مبتدأ محذوف، أي فهي تلقف ما صنعوا.[3]

ومن أمثلة الجزم والتحريك قوله تعالى: (فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ) (طه 77)، فمن قرأ بالجزم (لا تخف) فهو نهي من الله لموسى عن الخوف، أي لا تخف يا موسى أن يدركك فرعون وجنده ولا تخش الغرق، ومن الرفع (لا تخاف) فإن المعنى (لست تخاف دركاً لأن فرعون يغرق قبل خروجه من البحر) أي أن فرعون لن يدركك ولن يلحق بك ولن يصل إليك[4]، ومثلها في القول قوله تعالى: (وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا)(طه112)، فكذلك قرئت بالجزم وحذف الألف (لا تخف) وقرئت أيضاً بالضم والألف بين الخاء والفاء (لا تخاف) مثل المثال السابق، وهذا الاختلاف في الحركات لا يعني تناقض في المعنى، فالقراءتان سبعيتان مأثورتان عن النبي صلى الله عليه وسلم.

3- <u>ما يتعلق بالحروف والأدوات:</u> يعرّف الحرف بأنه: "طرف الشيء كحرف الجبل، وفي التنزيل (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ) (الحج11)، أي على طرف وجانب من الدين، أي لا يدخل فيه على ثبات وتمكن فهو إن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة أي شر انقلب على وجهه منه، هذا في اللغة، وأما اصطلاحاً فهو ما دلّ على معنى في غيره".[5]

ويعرّف البعض الحروف بأنّها "الألفاظ الدالة على معانٍ، وأهل اللسان اليوناني صنفوها بالخوالف والواصلات والوسائط والحواشي والروابط، والخوالف كل لفظ قام مقام الاسم مثل الهاء في ضربه وأنا وأنت وهذا وذلك وأشباهها من الحروف التي تخلف الاسم وتقوم مقامه،

---

[1] المصدر السابق، ج4، ص163.
[2] نفسه، ج4، ص333.
[3] المصدر نفسه، ج4، ص 363.
[4] المصدر نفسه ، ج4، ص 391.
[5] ابن هشام الأنصاري: شرح شذور الذهب من كلام العرب، ص 36.

والواصلاتُ مثل (لام التعريف) والذي وأشباهه ويا النداء وأخواتها وكل التي تقترن بالاسم، والواسطة كلّ ما قرن باسم فيدل أن المسمى به منسوب إلى آخر مثل مِن وعن وإلى وعلى وما أشبه ذلك، والحواشي مثل: إن ونعم وليت وكأن ولعلّ وأدوات الاستفهام وغيرها والروابط مثل: إما ولما وإذنْ...".[1]

وتنقسم الحروف إلى ثلاثة أقسام: الأول منها يدخل على الأسماء فقط دون الأفعال، فما كان كذلك فهو عامل في الاسم، ومنها ما يدخل على الأفعال فقط ولا يدخل على الأسماء، وهي التي تعمل في الأفعال فتنصبها وتجزمها، والقسم الثالث ما يدخل على الأسماء وعلى الأفعال فلم تختص به الأسماء دون الأفعال ولا الأفعال دون الأسماء، وما كان من الحروف بهذه الصفة فلا يعمل في اسم نحو ألف الاستفهام مثل: أيقوم زيد و أزيد أخوك؟".[2]

وأما الأدوات فهي ما يرادف مفهوم المصرّف القواعدي الحر، وعادة ما تكون الأداة اسماً أو حرفاً حسب التقسيم الثلاثي المألوف للكلمة، وتعد الأداة من أهم الوسائل التي تغير المعنى النحوي في الجمل العربية.[3]

ومن أمثلة هذا المبحث في كتب الشنقيطي كثير ولا يمكن أن يُحْصَر في هذا الفضاء الضيق، فنكتفي بذكر شواهد مما ذكره الشيخ في بعض أحاديثه التي خصّ بها الحروف مع شيءٍ من التركيز والاختصار خوف الإطالة، ومن الحروف:

1-الواو: وتكون عاطفة أو استئنافية مثل قوله تعالى: (خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ) (البقرة 07)، فيقول الشنقيطي في هذه الواو: "إن الواو في قوله (وعلى سمعهم)، وقَوله (وعلى أبصارهم) محتمله للعطف على ما قبلها وللإستئناف...ومن أمثلة الاشتراك في الحرف أيضاً الاشتراك في الواو من قوله تعالى: (ﷲ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ) (آل عمران 07)، فإنها محتملة للعطف فيكون (الراسخون في العلم) يعلمون تأويل المتشابه، ومحتملة للإستئناف فيكون الله مستأثراً بعلمه دون خلقه"، والواو دلالة على الجماعة كما في قوله تعالى (يملكون) وتسمى واو الجمع، ويقيد واو الجمع الشمول، كما قوله تعالى (يدخلونها).[4]

فمن خلال هذا القول يتضح أو الواو في بعض المواضع من القرآن تحتمل وجهين من الإعراب، قد تكون عاطفة بين المعطوف والمعطوف عليه، وقد تكون في ابتداء الكلام بعد تتمة التركيب قبلها وبالتالي فهي استئنافية كما لها دلالات أخرى في مواضع متفرقة من الكلمة كواو الجماعة وغير ذلك.

2-الفاء: هي حرف من حروف المعاني وتكون عاطفة وتفيد معنى الترتيب والتعقيب[5]، مثل قوله تعالى: (نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ)[6] (البقرة 223) ، وقد تكون سببية كما في قوله تعالى: (فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ) (غافر04)، أي فلا يمكن تقلبهم في بلاد الله متنعمين

---

[1] زرقة أحمد: أسرار الحروف، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1993م، ص29.
[2] ابن السراج النحوي: الأصول في النحو، ج1، ص54 وما بعدها.
[3] يونس علي محمد محمد: المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، ص333.
[4] الشنقيطي محمد الأمين : أضواء البيان، ج1، ص09/ج4، ص298 وما بعدها، ج6، ص111 على التوالي.
[5] الحمد علي توفيق ويوسف جميل الزعبي: المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، دار الأمل، إربد، الأردن، ط2، 1414هـ/1993م، ص 216.
[6] الشنقيطي محمد الأمين : أضواء البيان، ج1، ص119.

بالأموال والأرزاق سبباً لاغترارك بهم[1]، وقد تكون تعليلية مثل قوله تعالى: (فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ) (غافر45)، فالفاء من حروف التعليل كقولهم (سها فسجد) أي سجد لعلة سهوه، و(سرق فقطعت يده) أي لعلة سرقته.[2]

3-الباء: تكون سببية مثل قوله تعالى: (رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي) (الحجر39)[3]، وتكون للتعدية كقوله تعالى: (فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً) (الاسراء79)، وكقوله تعالى أيضاً (ذهب الله بنورهم) (البقرة10)[4]، وتكون زائدة للتوكيد كقوله تعالى: (بِمُخۡرَجِينَ) (الحجر48)[5]، وقوله: (بكاهن)(الطور 26)[6]، وهي في كل الحالات جارة ولها دلالات أخرى أيضا.

4-الكاف: قد تكون زائدة ويحتمل أنها غير زائدة في قوله تعالى: (لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٌ) (الشورى11)[7]، وتكون للتشبيه كقوله تعالى: (كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ) (التوبة69)[8]، وتكون للخطاب مثل قوله تعالى: (قَالَ أَرَءَيۡتَكَ) (الاسراء62)، فالكاف هنا حرف خطاب كما يقول الشيخ[9]، وتتخذ معان أخرى غير هذا المعنى.

5-الهمزة: تكون همزة استفهام التي تتزحلق عن محلها وتتقدم على الواو والفاء في مثل قوله تعالى: (أَفَأَمِنَ) (النحل45)[10]، وهي بمعنى الإنكار كقوله (أفأصفاكم) و(أأسجد) و(أكفرت) و(أفحسب) وغيرها من الآيات التي وقف عندها الشنقيطي متحدثاً عن الهمزة[11]، كما تفيد معان أخرى.

6-التاء: وتأتي كحرف يفرق به بين الذكر والأنثى وسمي بتاء الفرق بين الذكر والأنثى كالحبيب والحبيبة[12]، و(الحائض والحائضة) و(بغي وبغية)[13]، وتأتي التاء عوض عن الياء كما في قوله تعالى:(يَٰٓأَبَتِ) (مريم42)، فالتاء فيه عوض عن ياء المتكلم، فالأصل (يا أبي)[14] ولها دلالات أخرى أيضا.

7-النون: تكون النون مصدرة في أول الفعل ويسميها الشنقيطي بنون العظمة كما في قوله (نجزين) و(نخرج) أو نون التعظيم في اصطلاح آخر له مثل (نسير)، وتكون في آخر الفعل فتسمى نون التوكيد كما قال تعالى: (تَرَيِنَّ)(مريم26)، ونون الرفع ونون الوقاية كما في قوله تعالى(أتعدانني)[15]، ولها معان أخرى كذلك.

---

1 المصدر السابق، ج7، ص45.
2 نفسه، ج7، ص57.
3 نفسه، ج3، ص109.
4 نفسه، ج3، ص296.
5 نفسه، ج3، ص112.
6 نفسه، ج7، ص456.
7 الشنقيطي محمد الأمين : أضواء البيان، ج3، ص266.
8 المصدر نفسه، ج4، ص464.
9 المصدر نفسه، ج3، ص 441.
10 المصدر نفسه ، ج3، ص 208.
11 نفسه، ج3 ص432/ ج3ص440/ ج4ص81/ ج4ص145 بحسب توالي الأمثلة.
12 نفسه، ج3، ص 185.
13 نفسه، ج3، ص 182.
14 نفسه، ج3، ص 216.
15 الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج3، ص 263/ج3، ص345/ج4، ص87/ج4، ص204/ج7، ص253 على التوالي.

8-اللام: تأتي للتعليل كما في قوله تعالى: (لِتَرۡكَبُوهَا) (النحل08)، وللتأكيد كقوله تعالى: (لِنَصۡرِفَ) (يوسف24)، فهي هنا للتأكيد والمبالغة، وتكون مؤكّدةً كقوله تعالى: (وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌ) (الحجر85)، فأكد ذلك بحرف التوكيد الذي هو(إنَّ) وبلام الابتداء التي تزحلقها (إن) المكسورة عن المبتدأ إلى الخبر، وتكون ظرفية كقوله تعالى (لوقعتها)، ولام الدعاء كقوله (ليقض) وموطئة للقسم كقوله تعالى (ولنبلونكم)، وتأتي بمعنى(عن) أو (في) كما في قوله تعالى (لما قالوا)، وهي للجر أيضا كما في (لله)، وللبيان كقوله تعالى (لهم)[1]، ولها معان مختلفة أيضا.

9-أدوات الجر: (من وعلى وعن وإلى وفي وربَّ وحتى): فالشنقيطي يذكر عن هذه الحروف أنّها تخلف بعضها بعضاً، فاللام تأتي بمعنى (إلى) كعكس ذلك كقوله تعالى: (فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ) (طه120)، وقوله: (فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ) (الاعراف20).[2]

فحرف الجر(من) يفيد التبعيض أو لابتداء الغاية كما في قوله تعالى: (فامسحوا بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُ) (المائدة06)، وقد تكون تبعيضية أو لبيان الجنس كقوله تعالى: (يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ) (النحل02)، وقد تحتمل التجريد أو التبعيض كما في قوله تعالى: (مِنۡ أَمۡرِنَا) (الكهف10)، وتكون بمعنى البديلة كقوله تعالى: (وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقًا) (الكهف16)، وتكون أيضا زائدة للتوكيد كقوله تعالى: (مِن كُلِّ مَثَلٖ) (الكهف54).[3]

وحرف الجر(على) يفيد الاستعلاء كقوله تعالى: (عَلَى ٱلنَّارِ)(طه10) وقول الشاعر (وبات على النار)، وتأتي أيضاً بمعنى (عن) كقوله تعالى: (إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ) (المؤمنون06).[4]

وحرف الجر(عن) لفظة تكون سببية كقوله تعالى: (عَن قَوۡلِكَ)(هود 53)، وعن والباء يتعاقبان كقولك(رميت بالقوس وعن القوس)، وكقوله تعالى: (يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗا)(ق44)[5] .

وحرف الجر(في) يأتي بمعنى (الباء) كقوله تعالى: (فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ) (إبراهيم09).[6]

10-أدوات العطف: ومن أدوات العطف التي لم تذكر من قبل مع الحروف (ثم وحتى و أو وأم وبل ولا ولكن) تحدّث الشيخ عن بعضها ولم تكن الفرص متاحة للحديث عن الأخرى، فالحرف (ثم) يقتضي الترتيب كما في قوله تعالى (ثم لا يوذن للذين كفروا) (النحل84) (وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا) (النحل84)، وقوله أيضا (ثم استوى إلى السماء) على قوله:(قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ)(فصلت09)[7].

وعن الحرف (أم) تحدّث عنه الشيخ أحاديث عديدة في كتبه، فتكون مرة جامعة بين الإضراب والإنكار كما قال تعالى: (أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ) (الكهف09)، وتفيد

[1] المصدر السابق، ج3، ص43/ج3، ص145/ج7، ص500/ج7،ص187/ج7، ص393/ج6، ص338/ج5، ص555/ج4، ص386 بحسب توالي الأمثلة.
[2] نفسه، ج4، ص399.
[3] المصدر نفسه، ج2، ص30/ج3، ص160/ج4، ص14/ج4، ص26/ج4، ص103 على التوالي.
[4] نفسه، ج4، ص221/ج5، ص527 على التوالي.
[5] المصدر نفسه ، ج4، ص95/ج6، ص209 وما بعدها على التوالي.
[6] نفسه، ج3، ص78.
[7] الشنقيطي محمد الأمين : أضواء البيان، ج3، ص247/ج7،ص 75 على التوالي.

الإضراب الانتقالي في نفس الآية كما قال الشنقيطي، وتكون (أم) مرة أخرى للانقطاع كما قال تعالى: (أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٌ) (طه86)، وقد تكون مرة ثالثة بمعنى (بل) أو الهمزة فهي تشتمل على معنى الإضراب والإنكار مثل قوله تعالى: (أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٌ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَا) (الأنبياء43).[1]

ومن حروف العطف أيضاً (بل) ويكون حرف إضراب إبطالي كما في قوله تعالى: (بَلۡ عِبَادٌ مُّكۡرَمُونَ) (الانبياء26)، ويكون حرف إضراب انتقالي كما في قوله تعالى: (بَلۡ مَتَّعۡنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ) (الانبياء44)، وكذا قوله: (بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِ) (الفرقان11).[2]

<u>11-أحرف التحضيض:</u> ومن أحرف التحضيض في كلام الشنقيطي (لولا)، والتحضيض هو الطلب بحثٍّ وشدة وإليه أشار في الخلاصة:

وبهما التحضيض مز وهلا ألا وألاّ و أولينها الفعلا

ويقول تعالى: (لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٌ)(الفرقان07)، وقوله: (لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ) (المنافقون10)، وقوله: (لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ) (الفرقان21)، ومن أحرف التحضيض (لَومَا) كما في قوله تعالى: (لوما تاتينا بَالملائكة) (الحجر09)[3]، وفي تفسيرها يقول الشيخ: "اِعلم أنّ (لو) تركّب مع (لا) و(ما) لمعنيين: الأول منهما للتحضيض، ومثاله في (لوما) هذه الآية الكريمة، ومثاله في لولا قول جرير:

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم بني ضوطري لولا الكمي المقنعا

والمعنى الثاني هو امتناع شيء لوجود غيره وهو في (لولا) كثير جداً كقول عامر بن الأكوع: **تا الله لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدّقنا ولا صلّينا**

ومثاله في (لوما) قول ابن مقبل:

لوما الحياء ولوما الدين عبتكما ببعض ما فيكما إذ عبتما عوري

وأما (هل) فلم تركّب إلا مع (لا) وحدها للتحضيض، وقد ترد أدوات التحضيض للتوبيخ والتنديم فتختص بالماضي أو ما في تأويله نحو (فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ)(يونس98)، وقوله: (لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ) (النور13)، وقوله: (فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢ) (الأحقاف28).[4]

<u>12-أحرف النصب والجزم:</u> ومن أحرف النصب (أن) يقول عنها الشنقيطي: "اعلم أن (أن) لها ثلاث حالات: الأولى أن تكون مخففة من الثقيلة قولاً واحداً، وضابط هذه أن تكون بعد فعل العلم وما جرى مجراه من الأفعال الدالة على اليقين كقوله تعالى: (عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ) (المزمل20)، وقوله: (لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ) (الجن28)، والثانية أن تكون محتملة لكونها المصدرية الناصبة للمضارع ومحتملة لأن تكون هي المخففة من الثقيلة كقوله تعالى: (أَلَّا

[1] المصدر السابق، ج4، ص15/ج4، ص373/ج4، ص437 على التوالي.
[2] نفسه، ج4، ص422/ج4، ص438/ج6، ص193 على التوالي.
[3] المصدر السابق ، ج6، ص189/ج6، ص189/ ج6، ص204 على التوالي.
[4] الشنقيطي محمد الأمين : أضواء البيان، ج3، ص88 وما بعدها.

تَكُونَ فِتۡنَةٌ﴾ (المائدة71)، والثالثة أن تكون (أن) ليست بعدما يقتضي اليقين ولا الظن ولم يجر مجراهما، فهي المصدرية الناصبة للمضارع قولاً واحداً"[1].

ومن النواصب (كي) وتكون مصدرية أو تعليلية في قوله تعالى: (كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا) (طه40)، فإن (كي) هنا حرف مصدري واللام محذوفة أي (لكي تقر) هذا إن قلنا مصدرية، وإن قلنا تعليلية فالفعل منصوب بأن المضمرة.[2]

أما حروف الجزم فمنها (إن) الشرطية، كما في قوله تعالى: (وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ) (الاحقاف26)، وعنها يقول الشنقيطي: "لفظة (إنْ) في هذه الآية فيها للمفسّرين ثلاثة أوجه يدل استقراء القرآن على أنّ واحداً منها هو الحقّ دون الاثنين الآخرين، قال بعض العلماء: (إن) زائدة بعد (ما) الموصولة حملا لـ(ما) الموصولة على (ما) النافية لأنّ (ما) النافية تزاد بعدها لفظة (إن) كما هو معلوم، كقول قتيلة بنت الحارث والنضر العبدرية :

أبلغ بها ميتاً بأن تحية ما إن نزل بها النجائب تخفقوا

وقول دريد بن الصمة: **ما إن رأيت ولا سمعت به كاليوم طالى أينق جرب**

فإن (إن) زائدة بعد (ما) النافية في البيتين وهو كثير، وقد حملوا على ذلك (ما) الموصولة، فقالوا تزاد بعدها (إن) كآية الأحقاف هذه، وأنشد لذلك الأخفش :

يرجى المرء ما إن لا يراه وتعرض دون أدناه الخطوب

أي يرجى المرء الشيء الذي لا يراه، و(إن) زائدة، وهذان هما الوجهان اللذان لا تظهر صحة واحدٍ منهما، لأن الأول فيه حذف وتقدير والثاني منهما فيه زيادة كلمة، وكل ذلك لا يصار إليه إلا بدليل يجب الرجوع إليه.

أما الوجه الثالث الذي هو الصواب إن شاء الله، فهو أن لفظة (إن) نافية بعد (ما) الموصولة، أي ولقد مكناهم في الذي ما مكناكم فيه من القوة في الأجسام وكثرة الأموال والأولاد والعدد"[3] ونفس القول قاله الشيخ في قوله تعالى: (قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ) (الزخرف81)[4]، ومن أحرف الجزم أيضاً (لمّا) كقوله تعالى: (فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحًا) (هود66).[5]

وتدل (إن) كذلك على الشك في حصول الشرط كما في قراءة (أَن صَدُّوكُمۡ) (المائدة02) بكسر الهمزة.[6]

<u>13-أحرف(إذا وإذ):</u> فالحرف (إذا) يُفيد الزمن كقوله تعالى: (فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ) (النازعات34)، وقوله: (فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ) (عبس33)[7]، وتكون(إذا) أيضاً فجائية كقوله تعالى: (فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ) (النحل04)، واختلف فيها، فمنهم من يقول إنها حرف، ومنهم من يقول

---

[1] المصدر السابق، ج4، ص 376 وما بعدها.
[2] نفسه، ج4، ص 311.
[3] المصدر نفسه، ج7، ص 259 وما بعدها.
[4] المصدر نفسه، ج7، ص ص 188-191
[5] نفسه، ج3، ص 22
[6] نفسه، ج2، ص 06
[7] نفسه، ج2، ص 211.

بكونها ظرف مكان[1]، وتكون ظرفية متضمنة معنى الشرط كقوله تعالى: (إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ) (الواقعة01).[2]

وأما الحرف (إذ) فيأتي ظرفاً وهو بدل اشتمال كقوله تعالى:(إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ) (مريم42)، فهو بدل اشتمال من إبراهيم[3]، وتفيد معنى الظرفية الزمانية كقوله تعالى: (إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ) (ق17)، فـ(إذ) هنا منصوب بقوله (أقرب) أي نحن أقرب إليه من حبل الوريد في الوقت الذي يتلقّى فيه المكان جميع ما يصدر منه".[4]

14- أحرف (ما) و(لا) و(بلى) و(لو) و(كلا): تحدث الشنقيطي عن هذه الحروف المختلفة الوظائف النحوية والمتعددة المعاني والدلالات في كتبه كثيراً، فالحرف (ما) قال عنه إنه يفيد الظرفية أو المصدرية كما في قوله تعالى: (مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ) (هود20)[5]، وتكون مزيدة لتوكيد الشرط كقوله تعالى: (وإما نرينك بعض الذي نعدهم) (يوسف46)، فـ(إما) هي (إن) الشرطية مدغمة في (ما) المزيدة لتوكيد الشرط[6]، وهي استفهامية أو موصولة في قوله تعالى: (مَا يُوعَدُونَ) (مريم75).[7]

أما الحرف (لا) فله عدة معان يذكرها الشنقيطي في كلامه كثيراً، فتكون ناهية كقوله تعالى: (لَا تَمُدَّنَّ) (وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ) (الحجر 88و89)[8]، وتكون زائدة كقوله تعالى: (أَلَّا تَتَّبِعَنِ) (طه93)، و(أَلَّا تَسۡجُدَ) (الاعراف12)[9]، فهي زائدة للتوكيد كما ذكر الشيخ وتكون (لا) نافية فيه أيضاً كقول الشاعر: **أعائش ما لقومك لا أراهم يضيعون الهجان مع المضيع**

فهنا (لا) نافية وليست زائدة كما قال الشيخ[10]، وتأتي (لا) في مواضع أخر نافية للجنس كما في قوله تعالى: (لا لغو فيها ولا تأثيم) بقراءة النصب.[11]

ويقول الشنقيطي عن الحرف (بلى): "(بلى) لفظة لا تأتي في اللغة العربية إلا لأحد معنيين اثنين لا ثالث لهما: **الأول:** أن تأتي لإبطال نفي سابق في الكلام، فهي نقيضة (لا) لأن (لا) لنفي الإثبات، و(بلى) لنفي النفي، كقوله تعالى: (مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۢ) (النحل28)، فهذا النفي نفته لفظة (بلى)، وكقوله تعالى: (زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ) (التغابن07)، ومثل هذا كثير في كلام العرب وفي القرآن.

الثاني: أن تكون جواباً لاستفهام مقترن بنفي خاصة، كقوله: (أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ) (الاعراف172)، وقوله: (أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ) (يس81)، وهذا أيضاً كثير في القرآن وفي كلام العرب".[12]

---

[1] الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج3، ص163.
[2] المصدر نفسه، ج7، ص499.
[3] الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص215.
[4] المصدر نفسه، ج7، ص428.
[5] نفسه، ج3، ص13.
[6] المصدر نفسه، ج2، ص264.
[7] نفسه، ج4، ص274.
[8] نفسه، ج3، ص148.
[9] نفسه، ج4، ص380.
[10] الشنقيطي محمد الامين : أضواء البيان، ج6، ص268.
[11] المصدر نفسه ، ج7، ص453.
[12] نفسه، ج3، ص197.

وأما الحرف (لو) فيكون للنفي كقوله تعالى: (لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةً) (البقرة167)[1] وما إلى ذلك من المعاني.

وأما (كلا) فتفيد الردع والزجر كقوله تعالى: (أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا) (مريم78)، وقوله: (لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا) (مريم81)[2]، وغيرها من الآيات بنفس المعنى.

15- أحرف أخرى(إنما وكلما وربما وإلا وماذا وكم وسوف): يقول الله تعالى: (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ) النحل 115، يقول الشنقيطي عن الأداة (إنما) "إن الله حصر المحرّمات في الأربعة المذكورة، لأن (إنما) أداة حصر عند الجمهور،[3] ونظير هذا قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ) (المائدة90).[4]

ويقول تعالى:(قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ) (الانبياء108)، فالتعبير بـ(إنما) يدل على الحصر عند الجمهور، وعليه فهي تدل على حصر الوحي في الألوهية"[5] كما يقول الشنقيطي.

وأما لفظة (كلما) فهي صيغة عموم كما في قوله تعالى: (تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ) (الملك08)[6]، وهي تقتضي التكرار بتكرار الفعل الذي بعدها، كما في قوله تعالى: (كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا) (الاسراء97)، ونظيرها قوله تعالى: (كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا) (النساء56)، وكذلك قوله تعالى: (كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا) (السجدة20)[7]، فالأداة (كلما) تقتضي التكرار بتكرار الفعل الذي بعدها.

وعن الأداة (كلما) يقول الشنقيطي في تفسير قوله تعالى: (رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ) (الحجر2)، "قرأ نافع وعاصم (ربما) بتخفيف الباء وقرأ الباقون بتشديدها، والتخفيف لغة أهل الحجاز، والتثقيل لغة تميم وقيس وربيعة، ومن الأول قول عدي بن الرعلاء الغساني:

ربما ضربة سيف صقيل   بين بصرى وطعنة نجلاء

والثاني كثير جداً، ومنه قول الآخر:

ألا ربما أهدت لك العين نظرة   قصاراك منها أنها عنك لا تجدي

و(رب) في هذا الموضع قال بعض العلماء للتكثير، وقال بعض العلماء هي هنا للتقليل".[8]

ويذكر النحاة أن (ربما) لا تدخل إلا على الماضي، فلماذا دخلت هنا على الفعل المضارع؟ فيجيب الشيخ قائلا: "إن الله تعالى لما وعد بوقوع ذلك صار ذلك الوعد للجزم بتحقيق وقوعه

---

[1] المصدر السابق، ج6، ص212.
[2] المصدر نفسه ، ج4، ص 278 و ج4، ص292.
[3] نفسه، ج2، ص186.
[4] نفسه، ج2، ص186.
[5] الشنقيطي محمد الأمين: دفع ايهام الاضطراب عن آي الكتاب، ملحق بتفسير أضواء البيان، ج10، ص 138 وما بعدها.
[6] الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج3، ص 38.
[7] الشنقيطي محمد الأمين: رفع ابهام الاضطراب عن أي الكتاب، ص87.
[8] الشنقيطي محمد الأمين : أضواء البيان، ج3، ص87.

كالواقع بالفعل ونظيره قوله تعالى: (أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ)(النحل1)، فعبر بالماضي تنزيلا لتحقيق الوقوع منزلة الوقوع بالفعل.[1]

وأما لفظة(إلا) فتفيد الاستثناء باتفاق العلماء بمن فيهم الشنقيطي، ومن أمثلة الاستثناء بـ(إلا) قوله تعالى: (لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمًا) (مريم62)، وقوله: (لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا وَلَا تَأۡثِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا)(الواقعة25و26)، وقوله: (لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ) (النساء29).[2]

ومن أمثلة الاستثناء بـ(إلا) من كلام العرب قول النابغة الذبياني :

وقفت فيها أصيلا لا أسائلها　　　عيت جواباً وما بالربع من أحد

إلا الأواري لأيــا مــا أبينــها　　　والنؤى كالحوض بالمظلومة الجلد

وقول الراجز: **وبلدة ليس بها أنيس　　　إلا اليعافير وإلا العيس**[3]

ولفظة (ماذا) تفيد معنى الاستفهام، فهي اسم استفهام كما في قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ) (النحل24)، ويقول الشنقيطي: "(ماذا) يحتمل أن تكون (ذا) موصولة و(ما) مبتدأ، وجملة (أنزل) صلة موصول، والموصول وصلته خبر المبتدإ، ويحتمل أن يكون مجموعهما اسماً واحداً في محل نصب على أنه مفعول (أنزل) كما أشار له في الخلاصة بقوله: **ومثل ماذا بعد ما استفهام　　　أو من إذا لم تلغ في الكلام**[4]

فـ (ماذا) تبدو كالحرف لكنها اسم يعرب إعراب الأسماء وموقعيتها من التركيب.

ولفظة (كم) خبرية كما في قوله تعالى: (وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖ) (الاسراء17)، يقول الشيخ في هذه الآية "(كم) هنا خبرية، معناها الإخبار بعدد كثير"[5]، ومثلها في الكلام قوله تعالى: (وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ) (مريم 74)، وقوله تعالى: (وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ) (الانبياء11)، وقوله تعالى: (كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ) (ص3)[6].

فـ(كم) في هذه الآيات تبدو كالحرف ولكنها غير ذلك، فهي اسم يعرب حسب موقعه من الكلام، ويفيد في الآيات كلها معنى الإخبار عن عدد كثير، وهي في محل نصب على أنها مفعول به للفعل الذي بعدها.

وأما (سوف) فهو حرف تنفيس لا يمنع من عمل ما بعده فيما قبله، ويذكر الشيخ هذا عند تفسير قوله تعالى: (لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا) (مريم 66)، ويذكر أن هذا موجود في كلام العرب أيضا كقول الشاعر: **فلما رأته آمنا هانَ وجدها　　　وقالت أبونا هكذا سوف يفعل**[7]

و(سوف) من الحروف التي تدخل على الفعل المضارع تشبه السين وتخالفه في أمور منها: جواز دخول اللام عليها، وجواز الفصل بينها وبين المضارع الداخلة عليه بفعل من أفعال القلوب

[1] المصدر السابق، ج3، ص87.
[2] الشنقيطي محمد الأمين: مذكرة في أصول الفقه، ص271.
[3] المصدر نفسه، ص274.
[4] الشنقيطي محمد الأمين : أضواء البيان، ج3، ص192.
[5] المصدر نفسه، ج3، ص359.
[6] نفسه، ج4، ص271/ج4، ص422/ج7، ص09 على التوالي.
[7] المصدر نفسه ، ج4، ص261.

ولا يتقدم معمول الفعل الداخلة عليه على الفعل نفسه، وأنها أكثر تنفيساً من السين أي أنها أشد تراخياً في الاستقبال.[1]

وصفوة القول: إن الشنقيطي تحدث بإسهاب كبير عن معظم أدوات النحو العربي، وتحدّث عن أخرى بلا تفصيل ولا إيجاز، وتحدث بإيجاز ثالثا عن القلة القليلة من تلك الحروف والأدوات، وهذا عند تفسيره لآي القرآن الكريم أو في الحديث عن قضية لغوية أو مسألة بيانية أو موضوع بلاغي أو مبحث صرفي أو نحوي، فهذا يدل دلالة واضحة على أنه متمكن في فنون وعلوم اللغة العربية، ضف إلى ذلك تمكنه من علوم القرآن والكلام والمنطق والأصول، فهذه العلوم متكاملة متلازمة يكمّل بعضها بعضا، وهناك بعض أدوات النحو العربي لم يتطرق لها الشيخ لأنها لم تعترضْه في كلامه، ولم تلتق به في أحاديثه وتفسيره.

4- ما يتعلق بالضمير: يعرّف النحاة الضمير بأنه: "الموضوع لتعيين مسمّاه مشعراً بتكلمه أو خطابه أو غيبته، فمنه واجب الخفاء وهو المرفوع بالمضارع ذي الهمزة أو النون وبفعل أمر المخاطب ومضارعه واسم فعل الأمر مطلقا، ومنه جائز الخفاء وهو المرفوع بفعل الغائب والغائبة أو معناه من اسم فعل وصفة وظرف وشبهه"[2].

وببساطة: الضمير هو "اسم وضع ليدل على المتكلم مثل أنا أو المخاطب مثل أنت، أو الغائب مثل هو، وهو قسمان:

- **جائز:** وهو ما له صورة ظاهرة يلفظ بها كالضمائر السابقة.
- **مستتر:** وهو ما يلحظ من الكلام، وليست له صورة ظاهرة يلفظ بها كالضمير المستتر مثل: (الصحفي نقل الأنباء دقيقة) أي نقل هو".[3]

والضمير أو المضمر هو تسمية البصريين، بينما الكوفيون يقولون (الكناية) أو (المكنيّ)[4]، وينقسم الضمير إلى ظاهر ومستتر كما ذكرنا، والضمير البارز(الظاهر) ينقسم كذلك إلى قسمين: متصل بعامله، ومنفصل عن عامله فالمتصل هو ما لا يفتتح به النطق ولا يقع بعد (إلا) كباء كتابي وكاف أعرفك وياء دعيه وهائه وكالتاء المتحركة وألف الاثنين وواو الجماعة ونون النسوة في نحو: وقفت والصديقان وقفا والأصدقاء وقفوا والصديقات وقفن.

وأما قول الشاعر: **وما علينا إذا ما كنت جارتنا ألا يجاورنا إلاكِ دَيّارُ**

فشاذ للضرورة.

والمنفصل هو ما يمكن أن يبدأ به في النطق نحو: (أنا كاتب المقال)، ويقع بعد (إلا) نحو: (ما كتب المقال إلا أنا)[5]، وينقسم المتصل إلى ثلاثة أقسام :

أ- ما يختص بالرفع: وهو خمسة: تاء المتكلم وألف الاثنين وواو الجماعة ونون النسوة وياء المخاطبة.

---

[1] الحمد علي توفيق ويوسف جميل الزعبي: المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، ص184 وما بعدها.
[2] التوحيدي الأندلسي أبو حيان: التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1418هـ/1997م، ج2، ص128.
[3] الحمادي يوسف وآخرون: القواعد الأساسية في النحو والصرف، ص 09.
[4] التوحيدي الأندلسي أبو حيان: التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، ج2، ص128.
[5] النادري محمد أسعد: نحو اللغة العربية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط2، 1418هـ/1997م، ص209.

ب- ما هو مشترك بين الرفع والنصب والجر: وهو ثلاثة: ياء المتكلم وكاف المخاطب وهاء الغائب.

ج- ما هو مشترك بين الرفع والنصب والجر: وهو (نَا) كقوله تعالى: (رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا) (آل عمران 193)[1].

وأما المنفصل فينقسم بحسب محله الإعرابي إلى قسمين :

أ- ما يختص بالرفع: وهو اثنا عشر ضميراً: أنا وأنت وهو، وفروعُهن.

ب- ما يختص بالنصب: وهو اثنا عشر ضميراً أيضا: إياي وإياك وإياه، وفروعهن.[2]

وينقسم الضمير المستتر إلى قسمين :

أ-المستتر وجوباً: هو ما لا يخلُفه اسم ظاهرٌ ولا ضمير منفصل كـ(اِفهمْ وتفهمُ وأفهمُ نفهم) ولا يكون إلا في محل رفع.

ب-المستتر جوازاً: هو ما يمكن أن يخلفه اسم ظاهرٌ أو ضميرٌ منفصل، وهو ما يلحظ في فعل الغائب والغائبة والصفات واسم الفعل الماضي كـ: فهمَ وفهمت وفاهِم والكتاب مفهوم، وخطه حسنٌ وشتان[3].

ومن نماذج هذا المبحث عند الشنقيطي: قوله تعالى: (أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ) (النحل1)، فيقول فيها الشيخ: "الضمير في قوله (فلا تستعجلوه) في تفسيره وجهان أحدهما أنه العذاب الموعد به يوم القيامة، المفهوم من قوله (أتى أمر الله) والثاني أن يعود إلى الله، أي لا تطلبوا من الله أن يعجل لكم العذاب".[4]

وعن قوله تعالى: (مَّنۡ أَعۡرَضَ عَنۡهُ فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا) (طه100)، يقول الشنقيطي: "إفراد الضمير في قوله (أعرض) وقوله (فإنه) وقوله (يحمل) باعتبار لفظ (من)، وأما جمع (خالدين) وضمير (لهم يوم القيامة) فباعتبار معنى (من) كقوله: (وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ)(الطلاق11)، وقوله: (وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا) (الجن23).[5]

وعن واو الجماعة في قوله تعالى: (لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ) (النحل56)، يقول الشيخ: "في ضمير الفاعل هنا وجهان أحدهما أنه عائد إلى الكفار أي ويجعل الكفار للأصنام التي لا يعلمون أن الله أمر بعبادتها ولا يعلمون أنها تنفع عابدها أو تضر عاصيها نصيباً... والوجه الثاني أن واو (يعلمون) واقعة على الأصنام فهي جماد لا يعلم شيئا أي ويجعلون للأصنام الذين لا يعلمون شيئا لكونهم جماداً... وعلى هذا القول فالواو راجعة إلى (ما) من قوله (لما لا يعلمون)، وعبّر عنهم بـ(ما) التي هي لغير العاقل... وعبّر بالواو في (لا يعلمون) على هذا القول لتنزيل الكفار لها منزلة العقلاء في زعمهم أنّها تشفع وتضر وتنفع".[6]

---

[1] ناصف حفني وآخرون: الدروس النحوية، ج4، ص410 وما بعدها.
[2] المرجع نفسه، ج4، ص410 وما بعدها.
[3] النادري محمد أسعد: نحو اللغة العربية، ص214 و ناصف حفني وآخرون: الدروس النحوية، ج4، ص412.
[4] الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج3، ص159.
[5] المصدر نفسه، ج4، ص386.
[6] المصدر نفسه ، ج3، ص213 وما بعدها.

فذكر الشنقيطي وجهي التفسير ثم أبدى رأيه في الأخير على أن الوجه الثاني هو الأقرب للصواب لدلالة القرينة على صوابه وهي (ما) التي دلت على الأصنام لأن (ما) في لغة العرب توظف في التركيب لغير العقلاء، ويقول الشنقيطي عن الضمير (فيه) في قوله تعالى: (يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِ) (الشورى11)، الظاهر أن ضمير الخطاب في الفعل شامل للآدميين والأنعام، وتغليب الآدميين على الأنعام في ضمير المخاطبين في قوله (يذرؤكم) واضح لا إشكال فيه، والتحقيق إن شاء الله أن الضمير في قوله (فيه) راجع إلى ما ذكر من الذكور والإناث من بني آدم والأنعام في قوله تعالى: (جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِ) (الشورى11).[1]

وفي نفس السياق يطرح الشيخ سؤالاً عن هذا ويجيب عنه قائلاً: "ما وجه إفراد الضمير المجرور في قوله (يذرؤكم) فيه، مع أنه عائد إلى الذكور والإناث من الآدميين والأنعام؟ فالجواب: أن من أساليب اللغة العربية التي نزل بها القرآن رجوع الضمير أو الإشارة بصيغة الإفراد إلى مثنى أو مجموع باعتبار ما ذكر مثلاً، ومثاله في الضمير (غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِ) (الانعام46)، فالضمير في قوله (به) مفرد مع أنه راجع إلى السمع والأبصار والقلوب... ، ومن هذا المعنى قول رؤبة بن العجاج: **فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق**

فقوله (كأنه) أي ما ذكر من خطوط من سواد وبلق".[2]

وعن ضمير الفصل (المنفصل) في قوله تعالى: (أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ) (الشورى5)، يقول الشيخ: "ووجه دلالة هذه الآية على أن الله وحده هو الذي يغفر الذنوب هو أن ضمير الفصل بين المسند والمسند إليه يدل على ذلك كما هو معلوم في محله، وأما الأمر الثاني هو توكيده تعالى أنه هو الغفور الرحيم فإنه أكد ذلك بحرف الاستفتاح الذي هو (ألا) وحرف التوكيد الذي هو (إن)"[3]

والحديث عن مبحث الضمير يطول والأمثلة كثيرة مثل قوله تعالى: (وَتَبۡغُونَهَا) (الاعراف86)، و(لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ) (الزخرف28)، و(وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا) (الكهف57)، و(أَتَيۡنَا بِهَا) (الانبياء47)[4]، وغيرها من النماذج والشواهد التي توقف عندها الشنقيطي وأسهب في الحديث عنها طويلاً مبدياً آراء العلماء والمفسرين ويبيّن موقفه من تلك الآراء والرأي الأقرب إليه للحقيقة والصواب.

<u>5- ما تعلق بالإعمال والتعلق:</u> المقصود بالإعمال هو الوظيفة التي تؤديها الكلمة سواء كانت اسماً أو فعلاً أو حرفاً في التركيب، كالجر والنصب والرفع والجزم وما إلى ذلك، وأما التعلق فهو تلك الصلة التي تربط الكلمة بما يلحقها أو ما يسبقها في تركيب الكلام، فكل كلمة لها ترتيبها في الجملة وإذا حدث تغيير في الرتبة يتغير المعنى وربما يختل المعنى، وهذا ما يطلق عليه في النحو

[1] المصدر السابق، ج7، ص112 وما بعدها.
[2] الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج7، ص113.
[3] المصدر نفسه، ج7، ص99.
[4] نفسه، ج2، ص244/ج7، ص151/ج4، ص112/ج4، ص442 بحسب توالي الآيات.

العربي بالقواعد وفي النحو المعاصر بالنحو الوظيفي، أو نظرية العامل القائمة على المعادلة الآتية: العامل+المعمول+الأثر الذي يحدثه العامل في المعمول.[1]

فالعامل في النحو هو العمود الفقري الذي تدور حوله كثير من أبحاثه الرئيسية والفرعية، وإذا كانت أهميته تعود إلى ارتباطه بصلب النحو فإن سيطرته على تفكير النحاة لم تكن أقوى من سواها من أصول النحو الأخرى، والخلاصة إن هذه الفكرة ذات أهمية أساسية في موضوعات النحو لكنها ليست أقوى الأفكار التي سيطرت على تفكير النحاة.[2]

والإعمال والتعلق مبحثان متكاملان متلازمان، الواحد منهما هو سبيل إلى فهم الثاني، ومن أمثلة ما تحدث عنه الشنقيطي في هذا المقام تفسيره لقوله تعالى: (وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا) (النحل5)، فيقول: "الأظهر في إعراب (والأنعام) أن عامله وهو (خلق) اشتغل عنه بالضمير فنصب بفعل مقدر وجوبا يفسره (خلق) المذكور على حد قول ابن مالك في الخلاصة:

فالسابق انصبه بفعل اضمرا   حتما موافق لما قد ظهرا

و إنما كان النصب هنا أرجح من الرفع لأنه معطوف على معمول فعل وهو قوله تعالى:(خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ) (النحل4)، فيكون عطف الجملة الفعلية على الفعلية أولى من عطف الاسمية على الفعلية لو رفع الاسم السابق".[3]

ويقول في موضع آخر عند تفسيره قوله تعالى: (وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ) (الكهف18)، فإن قيل ما وجه عمل اسم الفاعل الذي هو (باسط) في مفعوله الذي هو (ذراعيه)، والمقرر في علم النحو أن اسم الفاعل إذا لم يكن صلة (ال) لا يعمل إلا إذا كان واقعا في الحال أو المستقبل؟ فالجواب أن الآية هنا حكاية حال ماضية، ونظير ذلك من القرآن قوله تعالى: (إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً) (البقرة30)، وقوله تعالى: (وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ) (البقرة72).[4]

وعن العامل (كاد) يقول الشيخ عن قوله تعالى: (تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ) (الشورى5)، (تكاد) مضارع (كاد) التي هي فعل مقاربة، ومعلوم أنها تعمل في المبتدإ والخبر معنى كونها فعل مقاربة أنها تدل على قرب اتصاف المبتدإ والخبر".[5]

أما عن التعلق فيذكر الشيخ شواهد عن هذا منها قوله في تفسيره الآية: (فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ) (البقرة210)، "الجار والمجرور يتعلق بقوله (يأتيهم)"[6]، ويقول في قوله تعالى: (إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) (التوبة117)، "جاء فيه بالياء المتعلقة بالرحيم الجارة للضمير الواقع على النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والأنصار.[7]

ويقول في تفسير قوله: (كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ) (الحجر90)، "فإن قيل بم تتعلق الكاف في قوله (كما)، فالجواب ما ذكره الزمخشري في كشافه قال: فإن قلت بم تعلق قوله (كما أنزلنا)،

---

[1] بلعيد صالح: في أصول النحو، دار هومة، الجزائر، 2005، ص 73.
[2] عيد محمد: أصول النحو العربي في نظر النحاة وابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 1410هـ/1989م، ص193.
[3] الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج3، ص164 وما بعدها.
[4] المصدر نفسه، ج4، ص34.
[5] نفسه، ج7، ص97.
[6] نفسه، ج1، ص15.
[7] نفسه، ج1، ص32.

قلت: فيه وجهان أحدهما أن يتعلق بقوله (وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ) (الحجر87)....، والوجه الثاني أن يتعلق بقوله (وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ) (الحجر89)....، أما الوجه الأول وهو تعلق (الكاف) بـ(آتيناك) فذكره أبو البقاء على تقدير وهو أن يكون في موضع نصب نعتاً لمصدر محذوف تقديره (آتيناك سبعا من المثاني إيتاء كما أنزلنا) أو (إنزالا كما أنزلنا)، لأن (آتيناك) بمعنى أنزلنا عليك".[1]

فنقل الشيخ رأي الزمخشري بكل أمانة ووجهي التعلق المحتملة في الآية ثم أبدى رأيه مع التعليل.

<u>6- ما تعلق بالحذف:</u> الحذف يلجأ إليه المتكلم أحيانا لضرورة أو تجنبا لتكرار أو لمعنى بياني فني أراده المتكلم ويقدره المتلقي، ومن أمثلة الحذف في أعمال الشنقيطي كثيرة نذكر على سبيل المثال ما يلي:

أ- حذف المضاف: كقوله تعالى: (وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ) (الكهف55)، وتقدير المحذوف (إلا طلبهم أن تأتيهم).[2]

ب- حذف الضمير: كقوله تعالى: (فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ) (النحل36)، أي هداه.[3]

ج- حذف الموصوف: كقوله تعالى: (وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا) (النحل 67) أي (والأعناب ثمر).[4]

د- حذف حرف الجر: كقوله تعالى: (وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ) (النساء127) أي (عن) نكاحهن وقيل (في) نكاحهن.[5]

هـ- حذف أداة الاستفهام: كقوله تعالى:(هَٰذَا رَبِّي) (الانعام76)، أي أهذا ربي.[6]

و- حذف نون الرفع لاستثقال اجتماعها مع نون الوقاية: كقوله تعالى:(فَبِمَ تُبَشِّرُونَ) (الحجر54).[7]

ز- حذف العامل (الفعل): كقوله تعالى: (ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ) (الكهف1)، أي (لم يجعل له عوجا وجعله قيما).[8]

ح- حذف جزاء الشرط: كقوله تعالى: (فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـٔۥُاْ وُجُوهَكُمۡ) (الاسراء7) أي (فإذا جاء وعد الآخرة بعثناهم).[9]

ط- حذف المفعول: كقوله تعالى: (وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ) (الفرقان3)، أي (اتخذوا من دونه أصناماً آلهة).[10]

---

[1] الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان ، ج3، ص150.
[2] المصدر نفسه ، ج4، ص105
[3] نفسه، ج3، ص203.
[4] نفسه، ج3، ص231.
[5] نفسه، ج1، ص332.
[6] المصدر نفسه، ج2، ص153.
[7] نفسه، ج3، ص114.
[8] نفسه، ج6، ص48.
[9] نفسه، ج3، ص302.
[10] نفسه، ج6، ص104.

ي- **حذف المبتدأ:** كقوله تعالى: (ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا) (طه53)، أي (هو الذي جعل).[1]

ك- **حذف الخبر:** كقوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ) (الحج25)، فخبر (أن) محذوف تقديره (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله نذيقهم).[2]

ن- **حذف تاء المضارع:** كقوله تعالى: (لِتَعَارَفُوٓاْ)(الحجرات13)، أي (لتتعارفوا).[3]

م- **حذف المنادى:** كقول الشاعر:

يا قاتل الله صبيانا تجيء بهم أم الهنينين من زند لها واري، أي "يا قوم قاتل الله".[4]

ن- **حذف حرف النداء:** كقوله تعالى: (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ) (الاسراء3)، فـ(ذرية) منادى بحرف محذوف.[5]

س- **حذف الضمير:** كقوله تعالى: (مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً) (الكهف30)، أي (لا نضيع أجر من أحسن منهم عملا).[6]

ع- **حذف النعت:** كقوله تعالى: (وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا) (الكهف79)، أي (سفينة صحيحة لا عيب فيها).[7]

ف- **حذف النون:** كقوله تعالى: (ويذكروا) (الحج29)، فالفعل منصوب بحذف النون لأنه معطوف على المنصوب بأنْ المضمرة بعد لام التعليل يعني قوله (ليشهدوا).[8]

7- ما يتعلق بالتقديم والتأخير: ما هو متعارف عليه في قواعد اللغة العربية واللسان العربي أن لكل عنصر من عناصر التركيب موقع في ترتيب بناء الجملة سواء كانت اسمية أو فعلية، فالأصل في الجملة الفعلية تقديم المسند وهو الفعل ويُلحَق به ما يعمل عمل الفعل، وتأخير المسند إليه وهو الفاعل وما ينوب عنه ثم تأتي متعلقات الفعل أو ما يعمل عمله، وأن الأصل في الجملة الاسمية تقديم المسند إليه وهو المبتدأ وما يتصل به وتأخير المسند وهو الخبر وما يتصل به، وبعد ذلك تأتي متعلقات الخبر المماثلة لمتعلقات الفعل إذا كان الخبر مما يعمل عمل الفعل أو جملة مصدرة بفعل.[9]

فالتقديم من قدم الشيء أي وضعه أمام غيره والتأخير نقيض ذلك، فهما أحد أساليب البلاغة فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام وانقياد لهم، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق".[10]

---

[1] الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص319.
[2] المصدر نفسه، ج5، ص36.
[3] نفسه، ج3، ص329.
[4] المصدر نفسه: ج6، ص269.
[5] نفسه، ج3، ص301.
[6] نفسه، ج4، ص77.
[7] نفسه، ج7، ص430.
[8] نفسه، ج5، ص339.
[9] جبنكه الميداني عبد الرحمن حسن: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق والدار الشامية، بيروت، ط1، 1416هـ/1996م، ج1، ص350.
[10] عكاوي إنعام فوال: المعجم المفصل في علوم البلاغة:البديع والبيان والمعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1417هـ/1997م، ج3، ص411 وما بعدها.

وتمكّن الشنقيطي من معرفة ماهية هذا المبحث وأهميته فتحدث عنه أحاديث مختلفة في كتبه، ومن أمثلة ذلك تقديم المعمول وتأخير العامل، ففي تفسير قوله تعالى: (فَإِيَّىَ فَٱرۡهَبُونِ) (النحل51)، يقول: "قدم المفعول هنا للدلالة على الحصر، وقد تقرر في الأصول في مبحث (مفهوم المخالفة وفي المعاني في مبحث القصر): أن (تقديم المعمول من صيغ الحصر) أي خافون وحدي ولا تخافوا سواي، وهذا الحصر المشار إليه هنا بتقديم المعمول بينه جل وعلا في مواضع أخرى كقوله: (فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ) (المائدة44)، وقوله: (فلا تخافوهم وخافون) (آل عمران175) ونحو ذلك.[1]

وعن جواز تقديم الحال على صاحب الحال يقول الشيخ: "وقوله تعالى: (إلا كافة للناس) سبأ27، استشهد به بعض علماء العربية على جواز تقدم الحال على صاحبها المجرور بالحرف كما أشار له ابن مالك في الخلاصة بقوله:

وسبق حال ما بحرف جر قد أبوا ولا أمنعه فقد ورد

قالوا لأن المعنى: وما أرسلناك إلا للناس كافة أي أرسلنا في حال كونهم مجتمعين في رسالتك، وممن أجاز ذلك أبو علي الفارسي وابن كيسان وابن برهان ولذلك شواهد في شعر العرب"[2]، وذكر ستة شواهد من الشعر العربي مشروحة مبيّنة تقدم الحال على صاحبها كما في الآية.

وعن تقديم جواب (لولا) يقول الشيخ: "واعلم أن جماعة من علماء العربية أجازوا تقديم جواب (لولا) وتقديم الجواب في سائر الشروط، وعلى هذا القول يكون جواب (لولا) في قوله: (لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَـٰنَ رَبِّهِۦ) (يوسف24)، هو ما قبله من قوله: (وهم بها)، والى جواز التقديم المذكور ذهب الكوفيون، ومن أعلام البصريين أبو العباس المبرد وأبو زيد الأنصاري...والمعنى: لولا أن رآه هم بها".[3]

ويقول في تفسير قوله تعالى: (فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون) (الزخرف29)، قال القرطبي في تفسير هذه الآية الكريمة، وفي الكلام تقديم وتأخير، والمعنى (فإنه سيهدين لعلهم يرجعون وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون).[4]

<u>8- الشنقيطي والإعراب:</u> الإعراب في اللغة هو الإبانة والوضوح، أعرب عن غرضه: أفصح عنه، واصطلاحا أثر ظاهر أو مقدر يحدثه العامل على أواخر الكلم، وبذلك تتغير أواخر الكلمات لفظا أو تقديرا بتغير وظائفها النحوية ويقابله البناء فيقال (أعرب الكلام) أي أتى به وفق قواعد النحو الذي يفتح مغاليق الألفاظ.[5]

إن أي تغيير في الحركة يؤدي إلى تغيير في المعنى، والإعراب هو السمة التي تميز العربية عن كثير من اللغات، وقد كان العرب يهتمون به اهتماما كبيرا ويعتبرونه معيارا للتفاصيل بينهم

---

[1] الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج3، ص310.
[2] الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج6، ص408.
[3] المصدر نفسه، ج3، ص46.
[4] نفسه، ج7، ص151.
[5] بلعيد صالح: في أصول النحو، ص80.

ونقل عنهم كثير من الأقوال التي تشهد بأهميته عندهم ومن ذلك قول عمر رضي الله عنه: "لأن أقرأ فأخطئ أحب إلي من أن أقرأ فألحن لأني إذا أخطأت رجعت وإذا لحنتُ افتريت"، وقال بعض السلف: "ربما دعوت فلحنت فأخاف ألا يستجاب لي".[1]

فالشنقيطي كان عالما متمرسا بالإعراب، ولا يمر بلفظة أو آية إلا ويعربها ويذكر كل الوجوه المحتملة في إعرابها، ومن أمثلة ذلك إعرابه لقوله تعالى: (وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ) (البقرة177)، فيقول: "لم يبين هنا هل هذا المصدر مضاف إلى فاعله فيكون الضمير عائدا إلى (من آتى المال) والمفعول محذوفا، أو مضاف إلى مفعوله فيكون الضمير عائدا إلى المال ولكنه ذكر في موضع آخر ما يدل على أن المصدر مضاف إلى فاعله وأن المعنى (على حبه) أي (حب مؤتي المال لذلك المال) وهي قوله تعالى: (لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ) (آل عمران92)، ولا يخفى أن بين القولين تلازما في المعنى.[2]

ويقول في إعراب (كلالة) من قوله تعالى: (وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً) (النساء12)، قال بعضهم هي حال من نائب الفاعل (يورث) على حذف مضاف أي يورث في حال كونه ذا كلالة أي قرابة غير الآباء والأبناء... وقيل هي مفعول له أي يورث لأجل الكلالة، وقيل هي خبر كان و(يورث) صفة لرجل أي كان رجل موروث ذا كلالة... وقيل غير ذلك.[3]

وفي إعراب (أمراً من عندنا) يذكر الشنقيطي الخلاف في إعراب هذه الآية بقوله: "واختلف العلماء في إعراب قوله: (أمرا من عندنا) (الدخان4)، قال بعضهم: هو مصدر منكر في موضع الحال أي أنزلناه في حال كوننا آمرين به، وممن قال بهذا الأخفش، وقال بعضهم: هو ما ناب عن المطلق من قوله (أنزلناه) وجعل (أمراً) بمعنى: إنزالاً وممن قال به المبرد، وقال بعضهم: هو ما ناب عن المطلق من (يفرق)، فجعل (أمرا) بمعنى فرقا أو فرق أمراً، وممن قال بهذا الفراء والزجاج، وقال بعضهم: هو حال من (أمر) أي (يفرق فيها بين كل أمر حكيم) في حال كونه أمراً من عندنا، وهذا الوجه جيد ظاهر، وإنما ساغ إتيان الحال من النكرة وهي متأخرة عنها لأن النكرة التي هي (أمر) وصفت بقوله (حكيم) كما لا يخفى، وقال بعضهم (أمراً) مفعول به لقوله (منذرين)، وقيل غير ذلك.

واختار الزمخشري: أنه منصوب بالاختصاص فقال: جعل كل أمر جزلا فخما بأن وصفه الحكيم ثم زاده جزالة وأكسبه فخامة بأن قال: أعني بهذا الأمر أمرا حاصلا من عندنا كائنا من لدنّا،وكما اقتضاه علمنا وتدبيرنا، وهذا الوجه أيضا ممكن والعلم عند الله تعالى".[4]

فالشيخ فصّل في جميع وجوه الإعراب للفظة (أمرا) وذكر أصحاب كل رأي، وأبدى رأيه الذي بدا له أقرب للصواب والحقيقة فاختار الرأي القائل بكونها حال من (أمر)، وأبدى موافقته أيضا على رأي الزمخشري، رغم ذلك كله يضيف ويختم بعبارة (والعلم عند الله تعالى) وهذه سمة العلماء وتواضعهم.

---

[1] يونس علي محمد محمد: المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، ص322.
[2] الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، ص97.
[3] المصدر نفسه ، ج1، ص245.
[4] المصدر نفسه، ج7، ص210.

وسئل الشيخ مرة من طرف الأمير خالد (أمير تبوك) عن معنى قول جرير في شعره: (ومسحهم صلبهم رحمن قربانا)، وعن إعراب (قربانا) من بيت شعر لجرير، فأجاب "هذا البيت من قصيدة لجرير يهجو بها الأخطل التغلبي وقومه ويعيرهم بدين النصرانية، وذكرنا له القصيدة ومعنى البيت وإعراب الكلمة، (وذكر القصيدة كاملة)، ومعنى البيت الذي سأل عنه الأمير المذكور الذي هو قوله: **هل تتركنَّ إلى القسين هجرتكم ومسحهم صلبهم رحمن قربانا**

أن جريراً يذم الأخطل وقومه بني تغلب بأنهم على دين النصرانية وأنهم يهاجرون إلى النصارى ويتمسحون بصلبهم التي يعبدونها ويدّعون أنها ترحمهم وتقربهم إلى الله، فقوله (مسحهم صلبهم) مصدر مضاف إلى فاعله كمل عمله بمفعوله المنصوب على حد قول ابن مالك في ألفيته:

وبعد جره الذي أضيف له كمل برفع أو بنصب عمله

والمفعول المنصوب المذكور هو قوله (صلبهم) وهو جمع صليب، والصلب ما يعبده النصارى وقوله (رحمن) فهو فعلان من الرحمة والرحمن عندهم ما يعبدونه من دون الله لدعواهم الكاذبة أن عبادته سبب لرحمة الله لهم، وقوله (رحمن قربانا) يحتمل فيما يظهر وجهين من الإعراب: أحدهما أن رحمن بدل من قوله (صلبهم) لأن الرحمن المذكور هو عين الصليب المتقرب به إلى الله عندهم، فهو تابع له مقصود بالنسبة بلا وساطة كما هي عادة البدل، وقربانا بدل من رحمن بناء على جواز أن يكون البدل بدل... ، والوجه الثاني من الإعراب أن يكون قوله (رحمن قربانا) منصوبا بعامل محذوف دل المقام عليه، وتقديره (ومسحهم صلبهم يدعونها أو يجعلونها رحمن) وناصب الفضلة إذا دل المقام عليه جاز حذفه...، وما يسبق إلى الذهن من أن قوله (قرباناً) مفعول لأجله لا يصح، لأن القربان اسم لما يتقرب به إلى الله لا مصدر بمعنى التقرب فظهر أنه ليس مفعولا لأجله".[1]

وعلاقة الشنقيطي بالإعراب وثيقة ولازمة فيه لأنه تعلّم علومه في صباه وكان متمرساً متفرساً فيه منذ نعومة أظافره، ومن أمثلة ذلك نذكر على سبيل المثال لا الحصر إعرابه لقوله تعالى: (سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ) (الحج25)، وقوله تعالى: (ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ) (الحج32)، وإعراب قوله تعالى: (وقل الحق من ربكم) (الكهف28)، وقوله أيضا: (ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ) (مريم34)، وإعراب أبيات لكعب بن زهير، وأبيات أخر للفرزدق.[2]

وتطرق الشنقيطي إلى ما يسمى بإعراب الجمل فهناك جمل فعلية أو اسمية لها مكانها وموقعيتها من الإعراب، ومن نماذج هذا اللون من الإعراب نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

1- **الجملة الحالية:** كقوله تعالى: (وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ) (مريم 39)، وقوله:(تَلۡقَفۡ) (طه69).[3]
2- **الجملة الاعتراضية:** كقوله تعالى:(إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلاً)(الكهف30).[4]

---

[1] الشنقيطي محمد الأمين: رحلة الحج إلى بيت الله الحرام، ص ص 323-238.
[2] الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج5، ص37/ج5، ص475/ج4، ص72/ج4، ص209/ج2، ص211/ج2، ص240 بحسب توالي الأمثلة.
[3] المصدر نفسه، ج4، ص213/ج4، ص393 على التوالي.
[4] نفسه، ج4، ص77.

3- **الجملة النعتية:** كقوله تعالى: (يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَ) (مريم6)[1]، أي وليا وارثا لي ووارثا من آل يعقوب.
4- **جملة المفعول به:** كقوله تعالى:(هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ) (الانبياء3).[2]
5- **الجملة البدل:** كقوله تعالى: (حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ)(مريم75).[3]
6- **الجملة المعطوفة:** كقوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ) (الحج25).[4]
7- **الجملة الخبرية:** كقوله تعالى: (عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ) (سبأ3).[5]
8- **الجملة الشرطية:** كقوله تعالى: (أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ) (الزمر19).[6]
9- **الجملة الاستئنافية:** كقوله تعالى: (لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ) (مريم87).[7]
10- **جملة المفعول لأجله:** كقوله تعالى: (وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ) (الفرقان50)[8]، أي لأجل أن يتذكروا.

فإعراب الشنقيطي للجمل يدل دلالة بينة على أنه كان لا يترك لا صغيرة ولا كبيرة في الإعراب إلا وضّحها وبيّنها وشرحها، ووصوله إلى إعراب الجمل دلالة ثانية على أنه كان يتم الإعراب من بدايته إلى آخره، وإعراب الجمل يأتي بعد إعراب المفردات في التركيب، وهذا ليس بالعسير على من آتاه الله العلم والحكمة، ومن أوتيها فقد أوتي خيرا كثيرا، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء لرجل مثل الشنقيطي.

<u>وصفوة القول في هذا الفصل:</u> إن المستوى الصرفي والمستوى النحوي اللذين أطلقنا عليهما المستوى التركيبي كانا حاضرين بكثافة في أعمال الشنقيطي، فمباحثهما ماثلة في كل سورة من سور القرآن التي قام الشيخ بتفسيرها، وكان الشيخ بارعا في شرح تلك المسائل والقضايا صرفية كانت أو نحوية، وكان يحيلنا دائما إلى أئمة النحو والصرف وفحولهما من أمثال ابن مالك وابن عصفور والمبرد والزمخشري والفراء وثعلب وأمثالهم ممن ينتمون إلى مدرستي الكوفة والبصرة، وهذا دليل على أنه كان أمينا في نقل ما تعلمه وحفظه من متون الصرف والنحو، وكان من تواضعه يختم بعبارة (والعلم عند الله تعالى)، فتنوع المباحث الصرفية والنحوية في كلامه يدل دلالة واضحة أنه عالم بهما، وخبير بكل مسألة متعلقة بالنحو أو الصرف، وهذا من فضل الله ومنه عليه بإكرامه بهذه العلوم.

---

[1] الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص163.
[2] المصدر نفسه، ج4، ص418.
[3] المصدر نفسه، ج4، ص274.
[4] المصدر نفسه ، ج5، ص37
[5] نفسه، ج6، ص402
[6] نفسه، ج4، ص32
[7] نفسه، ج4، ص299.
[8] نفسه، ج6، ص226.

الفصـــل الرابع:

الشنقيطي وعلاقة الدلالة بالمعجم

تمهيد: سنحاول في هذا الفصل أن نزاوج بين مستويين اثنين من مستويات اللغة، وهما: المستوى الدلالي والمستوى المعجمي، وإن كان بعض الباحثين يفصل بينهما في اللسانيات المعاصرة، والبعض الآخر يسميهما بمسمى واحد: إما المستوى الدلالي ويدرج ضمنه ماله علاقة بالمباحث المعجمية وإما المستوى المعجمي ويضم إليه ما تعلق بالدلالة، ونحن إنما زاوجنا بين المستويين كما هو واضح في العنونة لأن البحث الدلالي لا ينفصم عن البحث المعجمي، وأدى تطور البحث في الدلالة إلى ظهور ما يعرف بالمعاجم. فالبحث الدلالي ينزع إلى النظر إلى العجمات من حيث علاقة بعضها ببعض أكثر من النظر إليها من حيث علاقتها بما تحيل عليه في العالم الخارجي، ويعزى هذا التوجه إلى تأثير معالجة منظري الحقل الدلالي في دراستهم العجمات، والظاهر أن أهم الأسباب التي دفعت علماء الدلالة إلى هذا التوجه إدراكهم أن كل لغة من اللغات تصور العالم الخارجي بطريقتها الخاصة، وأن كل عجمة من عجماتها ترتبط ببعض العجمات الأخرى في تلك اللغة على وجه قد يخالف ما هو موجود في لغات أخرى، وذلك ما اضطرهم إلى اعتبار أن الحقول الدلالية مختلفة بين اللغات[1].

فالبحث في دلالة الألفاظ ينتج مباحث كثيرة لها علاقة بالمعجم، فمقارنة الألفاظ بعضها ببعض يولد إما علاقات تباين أو علاقة تضاد أو علاقة اشتراك أو علاقة ترادف أو علاقة تشابك أو تشابه فيما بين معانيها، وهذه المسائل التي ولدها البحث الدلالي تكون في علاقة تلازم بينها وبين علم المعاجم، فالدلالة والمعجم وجهان لعملة واحدة لا قيمة للأول بدون وجود الثاني وإن كانت كل العلوم اللغوية متكاملة ومتلازمة فيما بينها، فنبدأ بالحديث عن البحث الدلالي عند الشنقيطي لنصل إلى ماله علاقة بالمعجم.

أولا: البحث الدلالي عند الشنقيطي: ومن المباحث التي تطرق إليها الشنقيطي في هذا المجال ما يلي:

1- المنطوق والمفهوم: يقول الشنقيطي: "اعلم أن المفهوم يسمى منطوقا إليه، يعني أن المنطوق هو المعنى الذي قصده المتكلم باللفظ أصالة أي بالذات هو اللفظ، وإيضاح كونه مقصودا بالأصالة من اللفظ أنه لا يتوقف فهمه من اللفظ إلا على مجرد النطق باللفظ حقيقة أو مجازا، فالتحقيق أن المجاز من المنطوق لأن نفس المعنى المجازي هو مقصود المتكلم باللفظ".[2]

فالمنطوق في منظور الشيخ هو ما دل عليه اللفظ في محل النطق، وذلك كقوله تعالى: "فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ" الإسراء 23، فإن هذه الآية تدل بصريح العبارة على تحريم التأفف من الوالدين، ويفهم هذا المعنى بمجرد النطق بهذا الكلام.

ويقسم العلماء المنطوق إلى أقسام أهمها وأشهرها أربعة هي:

أ- منطوق صريح: وهو ما وضع اللفظ له أصلا[3]، ومن أمثلته عند الشنقيطي قوله تعالى: "وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ

---

[1]-يونس علي محمد محمد: المعنى وظلال المعنى، ص372.

[2]-الشنقيطي محمد الامين : نثر الورود على مرا قي السعود، ص97.

[3]-الإبراهيم موسى إبراهيم: بحوث منهجية في علوم القران، دار عمار، الأردن، ط2، 1416هـ/1996،ص174.

وَرَضُواْ عَنۡهُ" التوبة 100، يقول الشيخ: "وهو دليل قرآني صريح في أن من يسبهم ويبغضهم أنه ضال مخالف لله جل وعلا، حيث أبغض من رضي الله عنه، ولا شك أن من بغض من رضي عنه مضادة له جل وعلا وتمرد وطغيان"[1]، وكقوله تعالى: "وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ" البقرة 102، فهو نص صريح على كفر معلّم السحر[2].

ب- دلالة الاقتضاء: وهو ما توقفت دلالة اللفظ فيه على إضمار، ومثاله قوله تعالى: "فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر" البقرة 184 ، فدلالة اللفظ على المعنى تلزم إضمار كلمة (فأفطر) والمعنى "فمن كان منكم مريضا أو على سفر فأفطر فعدة من أيام أخر"، لأن قضاء الصوم إنما يجب إذا أفطر وليس لمجرد السفر أو المرض[3].

ويقول الشنقيطي: "دلالة الاقتضاء هي أن يدل لفظ دلالة الالتزام على محذوف لا يستقل الكلام دونه لتوقف صدقه عليه أو توقفه عليه عقلا وشرعا، فمثال ما دل عليه بالاقتضاء لتوقف الصدق عليه قوله صلى الله عليه وسلم لذي اليدين لما قال له: "أقصرت الصلاة أم نسيت؟" يعني في ظني ولولا تقدير هذا المدلول عليه بالاقتضاء لكان الكلام كذبا لأنه سلم من ركعتين وهو صلى الله عليه وسلم يستحيل في حقه الكذب، ومن أمثلته أيضا حديث: "رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه" فالمدلول عليه بالاقتضاء هو المؤاخذة لأنها هي المرفوعة،... فلولا تقدير المقتضي لكان الكلام كذبا، وقوله "حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ"، النساء 23،...فدل الكلام بالاقتضاء على محذوف تقديرُه (نكاح أمهاتكم)"[4].

فصحة المعنى في أمثلة الشنقيطي تقتضي إضافة الكلمة المنقوصة، ولذا سميت بدلالة الإقتضاء.

ج- دلالة الإيماء: وهي دلالة اللفظ على معنى مقصود للمتكلم ولا يتوقف عليه صدق الكلام ولا صحته، ومثال ذلك قوله تعالى: "وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا" المائدة 38، فالأمر بقطع اليد مقترن بالوصف الذي هو السرقة، وهذا إيماء إلى أن علة القطع هي السرقة وإلا لما كان لهذا الوصف معنى[5].

يقول تعالى: "إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ" الذاريات 15، يقول الشيخ في تفسيرها: "إن هذه الآية فيها للدلالة المعروفة عند أهل الأصول بدلالة الإيماء والتنبيه على أن سبب نيل هذه الجنات والعيون هو تقوى الله، والسبب الشرعي هو العلة الشرعية على الأصح وكون التقوى سبب دخول الجنات"[6]، وعند تفسير قوله تعالى: "فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ" ص 26، قال: "تقرر في مسلك الإيماء والتنبيه أن الفاء من حروف التعليل كقوله سها فسجد، وسرق فقطعت يده، أو لعلة السهو في الأولى ولعلة السرقة في الثاني"[7].

---

[1]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان،ج2، ص353.
[2]- المصدر نفسه، ج4، ص335.
[3]- الرومي فهد بن عبد الرحمن بن سليمان: دراسات في علوم القرآن الكريم، مكتب الملك فهد الوطنية، الرياض، ط14، 1426هـ/2005م، ص569.
[4]- الشنقيطي محمد الأمين: نثر الورود على مرا في السعود، ص97
[5]- الإبراهيم موسى إبراهيم: بحوث منهجية في علوم القرآن،ص175.
[6]-الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان،ج7، ص439.
[7]- المصدر نفسه، ج7، ص17.

د- دلالة الإشارة: وهي دلالة اللفظ على معنى لازم غير مقصود للمتكلم، ومثاله قوله تعالى: "وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا" الأحقاف 15، مع قوله تعالى: "وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ" لقمان 14، فإن المتأمل في الآيتين يتبين له أن أقل الحمل ستة أشهر، وهذا المعنى ليس هو المقصود من سياق ونص كل من الآيتين وإنما يفهم ذلك من التأمل فيهما[1].

ويعرفها الشنقيطي بقوله: "دلالة الإشارة هي إشارة اللفظ إلى معنى ليس مقصودا منه بالأصالة بل بالتبع مع أنه لم تدع إليه ضرورة لصحة الاقتصار على المذكور دون تقديره كدلالة قوله تعالى: "أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ" البقرة 187، على صحة صوم من أصبح جنبا من الوطء فإن الآية لم يقصد بها بالأصل صحة صوم من أصبح جنبا من الوطء، ولكن قصد بها جواز الجماع في جميع أجزاء ليلة الصوم، وذلك يصدق بآخر جزء من الليل بحيث لم يبق ما يسع للاغتسال قبل النهار فدل بالإشارة على صحة صوم من أصبح جنبا".[2]

ويذكر الشيخ أن ضابط دلالة الإشارة هو "أن يساق النص لمعنى مقصود، فيلزم ذلك المعنى المقصود أمرا آخر غير مقصود باللفظ لزوما لا ينفك كما أشار له في المراقي بقوله:

فأول إشارة اللفظ لما   لم يكن القصد له قد علما".[3]

هذه هي أشهر أقسام المنطوق، وعنها يقول الشنقيطي: "ومعلوم في الأصول أن دلالة الإشارة ودلالة الاقتضاء ودلالة الإيماء والتنبيه كلها من دلالة الالتزام، ومعلوم أن هذه الأنواع من دلالة الالتزام اختلف فيها هل هي من قبيل المنطوق غير الصريح أو من قبيل المفهوم؟ وإلى ذلك أشار في مراقي السعود بقوله: **وفي كلام الوحي والمنطوق هل   ما ليس بالصريح فيه قد دخل.**

وهو دلالة اقتضاء أن يدل   لفظ ما دونه لا يستقل

دلالة اللزوم مثل ذات   إشارة كذلك الإيما آتي".[4]

هذا عن المنطوق وأقسامه.

أما المفهوم فهو: "غير المنطوق وهو ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق"[5]، أي هو ما دل عليه اللفظ في محل السكوت كقوله تعالى: "فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ" الإسراء 23، دلت الآية على تحريم التأفف بمنطوقها ودلت بمفهومها على تحريم الضرب، بل هو أولى لأنه أشد في الإيذاء.[6]

وينقسم المفهوم إلى قسمين اثنين:

أ- **مفهوم الموافقة:** "فهو ما يكون فيه المسكوت عنه موافقا لحكم المنطوق مع كون ذلك مفهوما من لفظ المنطوق وعرف في المراقي بقوله:

إعطاء ما للفظة المسكوتا   من باب أولى نفيا أو ثبوتا"[7]

---

[1]-القطان مناع: مباحث في علوم القران، مكتبة وهبة، القاهرة، ط11، 1421هـ/2000م، ص175.
[2]- الشنقيطي محمد الأمين: نثر الورود على مراقي السعود،ج1، ص100.
[3]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان،ج5، ص184.
[4]-المصدر نفسه، ج5، ص181، وما بعدها: ويراجع: الشنقيطي محمد الأمين رحلة الحج إلى بيت الله الحرام، ص207.
[5]- الشنقيطي محمد الأمين: نثر الورود على مرا قي السعود،ج1، ص102.
[6]- الإبراهيم موسى إبراهيم: بحوث منهجية في علوم القرآن، ص175.
[7]-الشنقيطي محمد الأمين: مذكرة في أصول الفقه، ص284.

ويذكر الشنقيطي أن مفهوم الموافقة أربعة أقسام باعتبار المسكوت عنه وهي:

أ- تارة يكون أولى بالحكم من المنطوق: كقوله تعالى: "فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ" الزلزلة07، فمثقال الجبل المسكوت عنه أولى بالحكم من مثقال الذرة، وقوله تعالى: "وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ" الطلاق2، فأربعة عدول المسكوت عنهم أولى"[1]، ويطلق عليه أيضا فحوى الخطاب.[2]

ب- وعادة يكون مساويا: كإحراق مال اليتيم وإغراقه المفهوم منعه من قوله: **"إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما"** النساء 100.[3] ويسمى أيضا بلحن الخطاب.[4]

وكلا من القسمين المذكورين يكون قطعيا وظنيا كما ذكر الشنقيطي[5]، ومنه فمجموع أقسام مفهوم الموافقة أربعة: فحوى الخطاب الظني وفحوى الخطاب القطعي، ولحن الخطاب الظني ولحن الخطاب القطعي.

ب- مفهوم المخالفة: يعرفه الشنقيطي بقوله: "هو أن يكون المسكوت عنه مخالفا لحكم المنطوق لقوله صلى الله عليه وسلم: "في الغنم السائمة الزكاة"، فالمنطوق: السائمة، والمسكوت عنه: المعلوفة، والتقييد بالسوم يفهم منه عدم الزكاة في المعلوفة ويسمى دليل الخطاب وتنبيه الخطاب، وهو ثمانية أقسام:

1- **مفهوم الحصر:** وأقوى صيغ الحصر: النفي والإثبات نحو (لا اله إلا الله)، فالأصوليون يقولون منطوقها نفي الألوهية عن غيره جل وعلا، ومفهومها إثباتها له وحده جل وعلا، والبيانين يعكسون.

2- **مفهوم الغاية:** نحو "فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ" البقرة 230، مفهومه أنها إن نكحت زوجا غيره حلت له.

3- **مفهوم الشرط**: نحو: "وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ" الطلاق 6، يفهم منه أن غير الحوامل لا نفقة لهن.

4- **مفهوم الوصف:** نحو: في الغنم السائمة الزكاة، كما سبق.

5- **مفهوم العدد:** نحو: "فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ" النور04، يفهم منه أنه لا يجلد أكثر من ذلك.

6- **مفهوم الظرف:** زمانا كان أو مكانا، مثال الزماني: "ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞ" أي لا حج في غيره، ومثال المكاني: **(وأنتم عاكفون في المساجد)** يفهم منه أنه لا اعتكاف في غير المسجد عند من يقول ذلك.

7- **مفهوم العلة:** نحو: (أعط السائل حاجته)، يفهم منه أنه لا يعطى غير المحتاج.

8- مفهوم اللقب: وهو أضعفها: وضابط اللقب عند الأصوليين هو كل اسم جامد سواء كان اسم جنس أو اسم جمع أو اسم عين لقبا كان أو كنية أو اسما فلو قلت: (جاء زيد) لم يفهم منه عدم

---

[1]- الشنقيطي محمد الأمين: مذكرة في أصول الفقه، ص284.

[2]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان،ج1، ص242/ وج1، ص342.

[3]- الشنقيطي محمد الأمين: مذكرة في أصول الفقه، ص284.

[4]- الرومي فهد بن عبد الرحمن بن سليمان: دراسات في علوم القرآن الكريم، ص572.

[5]- الشنقيطي محمد الامين: مذكرة في أصول الفقه، ص284.

مجيء عمرو، بل ربما كان اعتباره كفرا، كما قيل (محمد رسول الله) يفهم من مفهوم لقبه أو غيره لم يكن رسول الله".[1]

ومن أمثلة دلالة المفهوم ما ذكره الشنقيطي عندما وقف عند قوله تعالى: "يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ " النور 36، والتحقيق أن البيوت المذكورة هي المساجد، وإذا علمت ذلك فاعلم أن تخصيصه من يسبح له فيها بالرجال في الآية يدل بمفهومه على أن النساء يسبحن له في بيوتهن لا في المساجد".[2]

ويقول تعالى: "يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ" الأحقاف 31، يقول فيها الشيخ: "منطوق هذه الآية أن من أجاب داعي الله محمدا صلى الله عليه وسلم وآمن به وبما جاء به من الحق غفر الله ذنوبه وأجاره من العذاب الأليم، ومفهومها أعني مفهوم مخالفتها والمعروف بدليل الخطاب أن من لم يجب داعي الله من الجن ولم يؤمن به لم يغفر له ولم يجره من عذاب أليم بل يعذبه ويدخله النار، وهذا المفهوم جاء مصرحا به في آيات أخر لقوله تعالى: "وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ" هود 119، وقوله تعالى: "وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ" السجدة 13، وقوله تعالى: "قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ" الأعراف 38، وقوله: "فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ " الشعراء94، إلى غير ذلك من الآيات"[3].

ومن أمثلة دلالة المفهوم قول الشيخ في قوله تعالى: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" الفاتحة5، أشار إلى النفي من (لا اله إلا الله) بتقديم المعمول الذي هو (إياك) وقد تقرر في الأصول في مبحث دليل الخطاب الذي هو مفهوم المخالفة، وفي المعاني في مبحث القصر أن تقديم المعمول من صيغ الحصر، وأشار إلى الإثبات منها بقوله (نعبد) وقد بين معناها المشار إليه هنا مفصلا في آيات أخر كقوله: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ" البقرة 21. فصرح بالإثبات (اعبدوا ربكم) وصرح بالنفي (فلا تجعلوا لله أندادا)..."[4]

ويقول في تفسير قوله تعالى: "فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ" الطور 27، ما تضمنته الآية بمنطوقها ومفهومها جاء موضحا في غير هذا الموضوع فذكر تعالى أن السرور في الدنيا وعدم الخوف من الله سبب العذاب يوم القيامة وذلك في قوله: "وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا" الانشقاق 14. وقد تقرر في مسلك الإيماء والتنبيه أن (إن) المكسورة المشددة من حروف التعليل فقوله: "إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا" علة لقوله "فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا"[5]

[1]- يراجع كل من: الشنقيطي محمد الامين: مذكرة في أصول الفقه، ص285 وما بعدها، ونثر الورود على مرا قي السعود ج1، ص107 وما بعدها.
[2]- الشنقيطي محمد الامين: أضواء البيان،ج6، ص 155.
[3]- المصدر نفسه، ج7، ص261.
[4]- نفسه، ج1، ص33.
[5]- نفسه،ج7، ص455.

وفي حديث النبي صلى الله وسلم: **"من قتل له قتيل فهو بخير النظرين، إما أن يفدي وإما أن يقتل"** يقول الشيخ: "الحديث جار مجرى الغالب فلا مفهوم مخالفة له، وقد تقرر في الأصول: أن النص إذا جرى على الغالب لا يكون له مفهوم مخالفة لاحتمال قصد نفس الأغلبية دون قصد إخراج المفهوم عن حكم المنطوق، ولذا لم يعتبر العلماء مفهوم المخالفة في قوله تعالى: "وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم" النساء 23، لجريه على الغالب"[1].

والحديث عن المفهوم والمنطوق عند الشنقيطي[2] من المباحث التي أسهب في الحديث عنها خصوصا عندما يتعلق الأمر بمسألة أصولية أو اجتهادية أو فقهية أو منطقية، فيشرح ويفصل ويوضح ويستقي الشواهد من آي القرآن ومن الحديث الشريف ومن كلام العرب، فيجيب ويفيد بكلامه أولي العقول والألباب.

<u>2- الخاص والعام:</u> في علم الدلالة صيغ عامة تشمل جماعة المخاطبين وفيه ألفاظ خاصة، وأحيانا يكون اللفظ عاما ويراد به الخصوص وأحيانا أخرى يكون اللفظ خاصا ويراد به العموم، والقرائن هي التي توضح هذا وتزيل اللبس والإبهام في فهم النص واستنباط الأحكام، ولذلك اهتم العلماء بهذا المبحث في كتب الأصول وكتب الفقه وعلوم القرآن، فلا تجد كتابا متعلقا بهذه العلوم إلا وأفرد في ثناياه هذا المبحث (الخاص والعام)، فما مفهوم كل من الخاص والعام وما مدى حديث الشنقيطي عنهما في مؤلفاته؟.

<u>أ- العام:</u> لغة: يفيد الشامل المتفرد المستغرق، يقال: "أمر عمم تام عام... وعمهم الأمر يعمهم عموما، شملهم يقال عمهم بالعطية والعامة خلاف الخاصة"[3]، واصطلاحا: هو اللفظ المستغرق للصالح من غير حصر والقرآن الذي نزل بلسان عربي مبين يعبر عن العام بالألفاظ التي وضعها العرب لإفادة الشمول والاستغراق"[4].

ويعرفه الشنقيطي بأنه: "لفظ يستغرق جميع المعاني الصالحة له أو الصالح هو للدلالة عليها دفعة من غير حصر، والمراد بالصالح له جميع الأفراد باعتبار الوضع الذي استعمل اللفظ باعتباره"[5].

وعند شرحه لبيت لعبد الله بن الحاج إبراهيم بن الإمام محنض أحمد العلوي في مراقي السعود الذي يقول فيه: **وهو من عوارض المباني وقيل للألفاظ والمعاني.**

يقول الشيخ: "ومراده بالمباني الألفاظ، وعرف المؤلف (العام) تعريفين: الأول: العام هو اللفظ الواحد الدال على شيئين فصاعدا مطلقا... والثاني العام: كلام مستغرق لجميع ما يصلح له، وهذا التعريف (الأخير) جيد إلا أنه ينبغي أن يزاد عليه ثلاث كلمات: الأولى (بحسب وضع واحد)، والثانية (دفعة)، والثالثة (بلا حصر) من اللفظ فيكون تعريفا جامعا مانعا"[6].

---

[1] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان،ج3، ص277.

[2] - حول مبحث المفهوم والمنطوق يراجع الشنقيطي محمد الأمين ، أضواء البيان: ج4 ص194/ج4 ص58/ج5 ص11، ج5 ص547/ ج5 ص567/ ج7 ص261/ج7،ص263.

[3] -ابن منظور: لسان العرب، ج12، ص422 (مادة عمم).

[4] -محمد أبو سليمان صابر حسن، مورد الظمآن في علوم القرآن، الدار للسلفية، بومباي، الهند، ط1، 1404هـ/1984م، ص63.

[5] - الشنقيطي محمد الأمين: نثر الورود على مراقي السعود، ج1، ص243.

[6] - الشنقيطي محمد الأمين: مذكرة في أصول الفقه، ص243.

ومبحث العموم يعبر عنه بألفاظ خاصة يقول عنها الشنقيطي: "وألفاظ العموم خمسة أقسام:

الأول: اسم عرف بالألف واللام لغير المعهود، وهو ثلاثة أنواع:

1- ألفاظ الجموع كالمسلمين والمشركين والذين.

2- أسماء الأجناس وهو ما لا واحد له من لفظه كالناس والحيوان والماء والتراب.

3- لفظ الواحد، كالسارق والسارقة، والزاني والزانية.

القسم الثاني: أدوات الشرط: كـ (من) فيمن يعقل، و(ما) فيما لا يعقل، و(أي) في الجميع، و(أين) و(أيان) في المكان و(متى) في الزمان.

القسم الثالث: من ألفاظ العموم ما أضيف من هذه الأنواع الثلاثة إلى معرفة كعبيد زيد ومال عمرو...، واعلم أن (ما) و(من) و(أي) تعم مطلقا سواء كانت شروطا أو موصولات أو استفهامية.

القسم الرابع: كل وجميع.

والقسم الخامس: النكرة في سياق النفي: تكون نصا صريحا في العموم في ثلاثة مسائل:

الأولى: المركبة مع (لا) التي لنفي الجنس نحو (لا ريب فيه).

الثانية: التي زيدت قبلها (من) وتطرد زيادتها في الفاعل والمفعول والمبتدإ.

الثالثة: الملازمة للنفي: كالعريب والصافر والدابر والديار وفيما سوى هذه الثلاثة فهي ظاهرة في العموم كالعاملة فيها (لا) عمل ليس".[1]

وهذا الكلام لابن قدامة الحنبلي في كتابه (روضة الناظر) لكن هناك تصويبات قام بها الشيخ إثر شرحه لها منها:

1/كلامه في القسم الأول ظاهر إلا أن إدخال (الذين) و(السارق والسارقة) مثلا من المعرف بـ (ال) فيه نظر، لأن (ال) في الذين زائدة لزوما على الصحيح، وهو اسم موصول معرف...، والمثنى يعم كذلك نحو **"إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار"** فإنه يعم كل مسلمَين، وهذا بناء على تنامي الوصفية في المسلم وإن لم نتناس فـ (ال) فيه موصولة.

2/كلامه في القسم الثاني: جعل ابن قدامى (أيان) للمكان، فهو سهو منه -رحمه الله- بل هو للزمان كمتى.

3/يضيف الشنقيطي في شرحه أن مِن صيغ العموم: النكرة في سياق الشرط، وكذا النكرة في سياق الإثبات أحيانا".[2]

ومن الشواهد التي استقاها الشيخ في مبحث العموم قوله: "أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ" المائدة 96، فيقول: "وقد تقرر في الأصول أن المفرد إذا أضيف إلى معرفة كان من صيغ العموم لقوله: "فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ" النور 63، وقوله: "وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ" إبراهيم 34. وإليه أشار في مراقي السعود بقوله عاطفا على صيغ العموم:

وما معرفا بال قد وجدا أو بإضافة إلى معرف.

إذا تحقق الخصوص قد نفى".[3]

---

[1]- الشنقيطي محمد الأمين: مذكرة في أصول الفقه، ص ص244-247.

[2]- يراجع: الشنقيطي محمد الأمين: مذكرة في أصول الفقه، ص ص 245-247.

[3]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، ص76.

ويقول في تفسير قوله تعالى: "مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ" المائدة 6، فقوله (من حرج) نكرة في سياق النفي زيدت قبلها (مِن)، والنكرة إذا كانت كذلك فهي نص في العموم، كما تقرر في الأصول... فالآية تدل على عموم النفي في كل أنواع الحرج".[1]

وفي قوله تعالى: "إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ" الإسراء23، يقول الشيخ: "الخطاب بصيغة المفرد الذي يراد به عموم كل من صح خطابه كقول طرفه بن العبد في معلقته: **ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود.**

أي ستبدي لك أيها الإنسان الذي يصح خطابك".[2]

ويقول في شرح حديث النبي صلى الله عليه وسلم: **"فدين الله أحق أن يقضى"**، فقوله (دين الله) اسم جنس مضاف إلى معرفة فهو عام في كل دين كقوله: "وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ" إبراهيم 34، فهو عام في كل نعمة، فدل عموم الحديث على أنها حقيقة جديرة بأن تقضى ولا معارض لهذا العموم".[3]

ويقول كذلك: "وقد تقرر في الأصول أن الموصولات كالذي والتي وفروعهما من صيغ العموم، لعمومها في كل ما تشمله صلاتها، وعقده في مراقي السعود بقوله في صيغ العموم:

صيغة كل أو الجميع وقد تلا الذي التي الفروع.

والمراد بالبيت أن لفظة (كل وجميع والذي والتي) وفروعهما، كل ذلك من صيغ العموم كقوله تعالى: **"وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا"** عام في جميع الكفار".[4] وذكر شواهد قرآنية أخرى لتوضيح كلامه.

وأمثلة العموم كثيرة في مؤلفات الشيخ، وهذا قليل من كثير ذكرناه فقط لتوضيح موقف الشيخ من العموم وصيغه في كلامه.

وأقسام العام ثلاثة هي:[5]

أ- العام الذي لا يدخله التخصيص: وهو العام الذي لا يمكن تخصيصه، وهذا النوع قليل جدا، إذ الأصل في العموم أن يقبل التخصيص...ومثاله قوله تعالى: "وَٱلله بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ" النساء 176، وقوله: "وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا" الكهف 49.

ب- العام الذي يدخله التخصيص: وهو الذي يمكن تخصيصه، ولعل هذا النوع هو أشهر أنواع العموم والذي ينصرف إليه الذهن عند إطلاق العموم، وهو ميدان الخلاف بين العلماء في تخصيصه أو بقائه على عمومه، وأمثلته كثيرة في القرآن منها قوله تعالى: "وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ" آل عمران 97، فلفظ (الناس) عام خصص، ومنها قوله تعالى: **"كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا"**، فلفظ (أحدكم) يفيد العموم وخصص، وقوله:

---

[1]- المصدر السابق، ج2، ص30.

[2]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج7، ص18.

[3]- المصدر نفسه، ج4، ص252.

[4]- نفسه،ج3، ص348.

[5]- يراجع كل من: الرومي فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، دراسات في علوم القرآن والقطان مناع: مباحث في علوم القرآن، ص215، وطويلة عبد الوهاب عبد السلام: أثر اللغة في اختلاف المجتهدين، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، 2000، ص361.

"وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ" البقرة 228، فلفظ (المطلقات) عام يشمل الحامل وغير الحامل، وخصص بقوله: "وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّ" الطلاق4.

<u>ج- العام المراد به الخصوص:</u> وهو ما دل لفظه على العموم ودلت القرينة على الخصوص كقوله تعالى: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ" البقرة 13، والمراد بالناس عبد الله بن سلام، فالآية دعوة لليهود إلى الإيمان كما آمن عبد الله بن سلام رضي الله عنه وقد كان يهوديا، ثم إن الناس لم يؤمنوا كلهم، فدلت القرينة على وجوب حمله على فئة منهم.

ويوضح الشنقيطي الفرق بين العام المخصوص والعام المراد به المخصوص بقوله: "العام المراد به الخصوص عندهم (الأصوليون) مَجاز من غير خلاف بينهم، والعام المخصوص فيه عندهم طرق: الأولى: أنه يصير مجازا أيضا والثانية أنه حقيقة...والثالثة: إن خص بما لا يستقل بنفسه كالاستثناء والشرط والصفة والغاية فهو حقيقة، وإن خص بمستقل مِن سمع أو عقل فهو مجاز".[1]

ومن أمثلة العام المراد به الخصوص قوله تعالى: **"والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا"** البقرة 224.، يقول الشيخ: "بينت السنة الصحيحة أن عموم (وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّ) الطلاق 4، مخصص لعموم **"والذين يتوفون منكم"**[2].

ويقول عليه الصلاة والسلام: **"الطعام بالطعام مثلا بمثل"** وكان طعامهم يومئذ الشعير، يقول الشنقيطي: "وهذا صريح في أن الطعام في عرفهم الشعير، وقد تقرر في الأصول أن العرف المقارن للخطاب من مخصصات النص العام".[3]

ومن العام المخصوص قوله تعالى: "وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّ" الأنبياء30، وعنها يقول الشنقيطي: "اختلف العلماء في معنى خلق كل شيء من الماء، قال بعض العلماء: الماء الذي خلق منه كل شيء هو النطفة، لأن الله خلق جميع الحيوانات التي تولد عن طريق التناسل من النطف، وعلى هذا فهو من العام المخصوص".[4]

ويقول تعالى: "هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۢ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ" الحديد:9، يقول الشنقيطي في تفسيرها: "هذا المعنى الذي تضمنته الآية جاء مبينا في قوله تعالى في الطلاق: "أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا رَّسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ" الطلاق 10 و11، وآية الطلاق هذه بينت أن آية الحديد من العام المخصوص"[5] وما إلى ذلك من الأمثلة.

---

[1]- الشنقيطي محمد الامين: مذكرة في أصول الفقه، ص257 وما بعدها.
[2]- الشنقيطي محمد الامين: أضواء البيان،ج1، ص172.
[3]- المصدر نفسه، ج1، ص195.
[4]- نفسه، ج4، ص426.
[5]- نفسه، ج7، ص528.

ب-الخاص: لغة: يقال خصه بالشيء يخصه خصا... أفرده به دون غيره، ويقال: اختص فلان بالأمر وتخصص له إذا انفرد"[1]، **وفي الاصطلاح** هو: "اللفظ الذي لا يستغرق الصالح له من غير حصر"[2], وهو "الذي يقابل العام، والتخصيص هو إخراج بعض ما تناوله اللفظ العام"[3].

من هنا نفهم أنه كما يوجد في اللفظ ألفاظ دالة على العموم، فإنه يوجد فيها كذلك ألفاظ دالة على الخصوص، وللدلالة الخاصة أهمية في المجتمع إذ يفضل كثير من أبنائه التعامل بها في مخاطباتهم، ونظرا لهذه الأهمية فقد تناولها الأصوليون بالبحث والدراسة إلى جانب دراساتهم للدلالة العامة"[4].

وإذا جئنا إلى تعريف الشنقيطي للتخصيص يقول: "هو مصدر (خصص) بمعنى خص، هذا لغة، والتخصيص في الإصلاح هو قصر العام على بعض أفراده لدليل، والدليل المخصص هو مراده كقوله: "وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ" البقرة 228، فإنه مقصور على بعض أفراد المطلقات دون بعض لخروج الحوامل منه بقوله تعالى: "وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّ" الطلاق 4، وخروج المطلقات قبل الدخول بقوله: "فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَا" الأحزاب 49، وسواء كان العموم لفظيا أو عرفيا أو عقليا فالعموم اللفظي كما مثلنا، والعموم العرفي كعموم الموافقة، والعموم العقلي كعموم مفهوم المخالفة"[5].

وينقسم المخصص عند الأصوليين وعند الشنقيطي إلى قسمين[6]:

أ-المخصص المتصل: وهو خمسة أنواع:

1- **الاستثناء:** نحو: "وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗا" النور04، إلى قوله: "إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ" النور 05، وقوله: "لا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ" الطلاق 01.

2- **الشرط:** نحو: **"فلكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد"** النساء 11، وقوله: "وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗا" النور 33.

3- **الصفة:** نحو: "مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ" النساء 25، وأيضا الحديث: **(وفي الغنم السائبة الزكاة)**.

4- **الغاية:** نحو: "وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَ" البقرة 222، وقوله: "وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَه" البقرة 235.

5- بدل البعض من الكل: نحو: "وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗا" آل عمران97.

ب- المخصص المنفصل: فهو ما يستقل بنفسه دون العام أو غيره وهو عدة أقسام هي:

[1]- ابن منظور: لسان العرب، ج7، ص24 (خصص).
[2]- الرومي فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، دراسات في علوم القرآن، ص536.
[3]- القطان مناع: مباحث في علوم القرآن، ص217.
[4]- العيدان موسى بن مصطفى: دلال تراكيب الجمل عند الأصوليين، دار الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2002م، ص131.
[5]- الشنقيطي محمد الأمين، مذكرة في أصول الفقه، ص272.
[6]- الشنقيطي محمد الأمين، مذكرة في أصول الفقه، ص ص 262- 266 ، وكتابه أيضا: "نثر الورود على مراقي السعود، ج1، ص280، وص303.

1- الحس: كقوله تعالى: "تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ" الأحقاف 25، أي أثبت للحس أمورا لم تدمرها تلك الرياح كالسماوات والأرض والجبال، وقوله تعالى: "وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ" النمل 23، وقوله أيضا: **"تجبى إليه ثمرات كل شيء"** القصص 57، لأن تتبع أقطار الدنيا يشاهد بالحس بعض الأشياء التي لم تؤتها بلقيس ولم تجب إلى الحرم.

2- العقل: ويمثلون له بقوله تعالى: "خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ" الأنعام 102، يقولون (الأصوليون): دل العقل على أنه تعالى لا يتناوله ذلك وإن كان لفظ الشيء يتناوله كقوله: "كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ" القصص 88، وقوله: "قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ" الأنعام 19، ومثل له المؤلف بقوله: "وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً" آل عمران 97، فإن العقل دل على أن فاقد العقل بالكلية لا يدخل في هذا الخطاب.

3- الإجماع: مثل له بعضهم بإجماع المسلمين على أن الأخت من الرضاع لا تحل بملك اليمين فيلزم تخصيص "أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ" المومنون 6، بالإجماع... فمستند هذا الإجماع الذي ذكرنا هو قوله تعالى: "وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ " النساء 23.

4- القياس: لقوله تعالى: "الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ" النور2، فإن عموم الزانية خصص بالنص وهو قوله في الإماء: "فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ" النساء25.

5- المفهوم ومفهوم موافقة ومفهوم مخالفة: فمثال التخصيص بمفهوم الموافقة قوله صلى الله عليه وسلم: **"لَيُّ الواجِدِ ظلم يحل عرضه وعقوبته"** بمفهوم الموافقة: **"فلا تقل لهما أف"** الإسراء 23، فإنه يفهم منه حبس الوالد في الدين فلا يحبس في دين ولده، ومثال التخصيص بمفهوم المخالفة تخصيص حديث **"في أربعين شاة شاة "** بمفهوم المخالفة في قوله: **"في الغنم السائمة الزكاة"** فمفهوم السائمة أنه لا زكاة في المعلوفة فتخرج من عموم **"في أربعين شاة شاة"**.

6- العرف المقارن للخطاب: ومثاله قول النبي صلى الله عليه وسلم: **"الطعام بالطعام مثلا بمثل"** وكان طعامهم يومئذ الشعير، فخصص الطعام بالشعير للعرف المقارن للخطاب.

7- نص آخر يخصص العموم: وهذا النوع أربعة أقسام (تخصيص كتاب بكتاب وتخصيص كتاب بسنة، وتخصيص سنة بسنة وتخصيص السنة بالكتاب).

ومن أمثلة التخصيص يقول الشنقيطي: "أما الخطاب الخاص بالنبي صلى الله عليه وسلم في نحو قوله: "فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ" الأنعام 90، فقد دلت النصوص على شمول حكمة للأمة، كما في قوله تعالى: "لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ" الأحزاب 21، وقد علمنا ذلك من استقراء القرآن العظيم حيث يعبر فيه دائما بالصيغة الخاصة به صلى الله عليه وسلم ثم يشير إلى أن المراد عموم حكم الخطاب للأمة، كقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ" الطلاق 01، ثم قال: **(إذا طلقتم النساء)** فدل على دخول الكل حكما تحت قوله **(يا أيها النبي)**، وقال في سورة التحريم: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ

تُحَرِّمُ" التحريم 01، ثم قال: "قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡ" التحريم 02، فدل على عموم حكم الخطاب بقوله **(يا أيها النبي)**...".[1]

ويقول الشيخ عن الإنذار في القرآن: "وحاصل تحرير المقام أن الإنذار يطلق في القرآن إطلاقين:

أحدهما عام لجميع الناس كقوله: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ قُمۡ فَأَنذِرۡ" المدثر 01 و02، وقوله: "تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا" الفرقان 01.

والثاني: إنذار خاص بالكفار لأنهم هو الواقعون فيما أنذروا به من النكال والعذاب كقوله: "لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمًا لُّدًّا" مريم 97[2].

ومن القواعد الأصولية التي ذكرها الشيخ والمتعلقة بهذا المبحث ما يلي:

<u>1- العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب:</u> وأمثلته كثيرة في كتب الشنقيطي منها، قوله تعالى: "وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ" المائدة 44، وفي آية ثانية: **"فأولئك هم الظالمون"** وفي آية ثالثة: **"فأولئك هم الفاسقون"**، يقول الشنقيطي: "واعلم أن تحرير المقام في هذا المبحث أن الكفر والظلم والفسق كل واحد منها ربما أطلق في الشرع مرادا به المعصية تارة، والكفر المخرج من الملة أخرى **(ومن لم يحكم بما أنزل الله)** معارضة للرسل وإبطالا لأحكام الله، فظلمه وفسقه وكفره مخرج عن الملة (ومن لم يحكم بما انزل الله) معتقدا أنه مرتكب حراما فاعل قبيحا، فكفره وظلمه وفسقه غير مخرج من الملة، وقد عرفت أن ظاهر القرآن يدل على أن الأولى في المسلمين والثانية في اليهود والثالثة في النصارى، والعبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب".[3]

ويقول تعالى: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا" النساء 61، فذكر الشنقيطي أن من دلالة هذه الآية أن من دعي إلى العمل بالقرآن والسنة وصد عن ذلك أنه من جملة المنافقين لأن العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب[4].

ومن أمثلته كذلك ما جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "أن رجلا أصاب من امرأة قبلة، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فأنزل الله: "وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ" هود 114، فقال الرجل: يا رسول الله: "ألِيَ هذا؟ قال: لجميع أمتي كلهم".

يقول الشنقيطي في هذا الصدد: "فهذا الذي أصاب القبلة من المرأة نزلت في خصوصه آية عامة اللفظ، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم ألي هذا؟ ومعنى ذلك: هل النص خاص بي لأني سبب وروده أو هو على عموم لفظه؟ وقول النبي صلى الله عليه وسلم (لجميع أمتي) معناه إن العبرة بعموم لفظ (إن الحسنات يذهبن السيئات) لا بخصوص السبب والعلم عند الله تعالى"[5]. ولو كان

---

[1]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج2، ص52 وما بعدها

[2]- المصدر نفسه، ج2، ص216 وما بعدها.

[3]- المصدر نفسه، ج2، ص81.

[4]- نفسه، ج7، ص314.

[5]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان،ج3، ص189.

المراد تخصيصه بالحكم لكان النص: إن حسناتك تذهب سيئاتك، فدل عمومها على عموم حكمها وعدم اعتبار سببها، واعتمد هذه القاعدة أكثر علماء الأمة من مفسرين وعلماء ومحققين من أهل الأصول وغيرهم.

2- لا يتعارض العام والخاص: ومن أمثلة هذا يذكر الشيخ أن الضبع من جملة السباع فيدخل في عموم النهي عن أكل كل ذي ناب من السباع، ولم يخص سبعا منها عن سبع....، قال مقيده عفا الله عنه، للمخالف أن يقول أحاديث النهي عامة في كل ذي ناب من السباع، ودليل إباحة الضبع خاص، ولا يتعارض عام وخاص لأن الخاص يقضي على العام فيخصص عمومه به كما هو مقرر في الأصول[1].

ويقول تعالى: "أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ" المائدة 96، وقوله صلى الله عليه وسلم في البحر **"هو الطهور ماؤه الحل ميتته"** أقوى من حديث جابر (أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"إذا طفا السمك على الماء فلا تأكله وإذا جزر عنه البحر فكله وما كان على حافته فكله")** وقد يجاب عن هذا بأنه لا يتعارض عام وخاص، وحديث جابر في خصوص الطافي فهو مخصص لعموم أدلة الإباحة.[2]

3- العلة تعمم معلولها: ومن صور هذه القاعدة من كلام الشنقيطي : "إن آية الحجاب: "وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ" الأحزاب 53، خاصة بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم، فإن تعليله تعالى لهذا الحكم الذي هو إيجاب الحجاب بكونه أطهر لقلوب الرجال والنساء من الريبة في قوله **(ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن)** قرينة واضحة على إرادة تعميم الحكم، إذ لم يقل أحد من جميع المسلمين: إن غير أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لا حاجة إلى أطهرية قلوبهن وقلوب الرجال من الريبة منهن وقد تقرر في الأصول: أن العلة قد تعمم معلولها... فالدليل واضح على أن وجوب الحجاب حكم عام في جميع النساء"[3].

4- نفي الأخص لايستلزم نفي الأعم: ومثال هذا يقول الشنقيطي: "قال تعالى: "قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ" الحجرات 14، ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن هؤلاء الأعراب وهم أهل البادية من العرب قالوا آمنا، وأن الله جل وعلا أمر نبيه أن يقول لهم **(لم تومنوا ولكن قولوا أسلمنا)** وهذا دليل على نفي الإيمان عنهم ثبوت الإسلام لهم، وذلك يستلزم أن الإيمان أخص من الإسلام لأن نفي الأخص لايستلزم نفي الأعم".[4]

5- قواعد أصولية أخرى ذكرناها من قبل ومثلنا لها بأمثلة، لكن لا بأس أن نعيد ذكرها مختصرة موجزة بدون شرح وبدون شواهد، ومن هذه القواعد **(الموصولات من صيغ العموم)** و**(النكرة في سياق النفي من صيغ العموم)** و**(المفرد إذا كان اسم جنس أضيف إلى معرفة يعم)** و**(الخاص مقدم على العام)** و**(ذكر بعض أفراد العام بحكم العام لا يخصصه)** و**(كلما من صيغ العموم)** و**(كل**

---

[1]-المصدر السابق، ج2، ص199.
[2]- نفسه، ج1، ص80.
[3]- المصدر نفسه، ج6، ص383.
[4]- نفسه ج7، ص422.

من صيغ العموم) و(اسم الجنس المضاف إلى نكرة فهو عام) و(خطاب الواحد يراد به العموم) و(لا يتعارض العام والخاص) و(الخاص مقدم على العام).[1]

ومن القواعد أيضا ذكر الشنقيطي في مؤلفاته ما يلي:

(المثبت مقدم على النافي)، و(إذا تعارض في الحديث إرسال وإسناد حكم بالمسند) و(أخذ الأحكام من مظانها أولى من أخذها من غير مظانها) و(الظن لا ينافي احتمال النقيض)، (النهي مقدم على الأمر)، (لا تحريم إلا بدليل)، (النص إذا دار بين الحقيقة الشرعية والحقيقة اللغوية حمل على الشرعية)، (المتواتر مقدم على الآحاد)، و(إذا دار التلازم بين التوكيد والتأسيس رجح حكمه على التأسيس)، (النظير يعرف بنظيره)، (نفي اللازم يقتضي نفي الملزوم)[2].

<u>3- المطلق والمقيد:</u> يعرف المطلق لغة بأنه المنفك من كل قيد حسيا كان أو معنويا، تقول: أطلقت الدابة إذا فككت قيدها وسرحتها وهذا إطلاق حسي، ويقال طلق الرجل زوجته إذا فك قيدها من الارتباط به، وهذا إطلاق معنوي[3]، وأما اصطلاحا فذكر له العلماء عدة تعريفات منها:

<u>المطلق:</u> "ما دل على الماهية بلا قيد من حيث هي هي"[4] وهو تعريف الزركشي، والمطلق هو "المتناول لواحد لا بعينه باعتبار حقيقة شاملة لجنسه"[5]. كما ذكر ابن قدامة، ويعرفه ابن فارس بأنه "أن يذكر الشيء باسمه لا يقرن به صفة ولا شرط ولا شيء يشبه ذلك"[6]. وهو عند الآمدي: "النكرة في سياق الإثبات"[7]. ويقول القرافي: "كل شيء يقول الأصوليون إنه مطلق: "يقول النحاة: إنه نكرة، وكل شيء يقول النحاة إنه نكرة يقول الأصوليون: إنه مطلق فكل نكرة في سياق الإثبات مطلق عند الأصوليين، فما أعلم موضعا ولا لفظا من ألفاظ النكرات يختلف فيها النحاة والأصوليون، بل أسماء الأجناس كلها في سياق الثبوت هي نكرات عند النحاة، ومطلقات عند الأصوليين"[8].

فمن هنا يتضح أن المطلق ما دل على حقيقة بلا قيد فهو يتناول واحدا لا بعينه من الحقيقة ولا فرق بين المطلق والنكرة في سياق الإثبات بل هما بمعنى واحد في عرف النحاة والأصوليين.

أما **<u>المقيد</u>** فهو خلاف المطلق وهو ما دل على حقيقة بقيد، ويكون القيد إما حسيا وإما معنويا، تقول: قيدت الدابة إذا ربطتها بحبل ونحوه وهذا قيد حسي، وفي الحديث: **"الإيمان قيد الفتك، لا يفتك مؤمن"**[9]. ومعناه أن الإيمان يمنع عن الفتك بالمؤمن، ومنه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "قيدوا العلم بالكتابة".[10] وهذا وذاك قيد معنوي[11].

---

[1]- يراجع الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان: ج6 ص03/ ج2 ص30/ج3 ص191/ج3 ص179/ج3 ص187/ ج2 ص252/ ج4 ص252/ ج7 ص18/ ج2 ص199/ ج3 ص179 بحسب توالي تلك القواعد الأصولية المذكورة.

[2]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1 ص279 و286/ ج1 ص294/ ج1 ص301/ ج1، ص306/ ج2 ص59/ ج2 ص200/ ج3 ص74/ ج3 ص179/ ج3 ص265/ ج4 ص103/ ج5 ص527 بحسب توالي القواعد الموضوعة بين قوسين.

[3]-الرومي فهد بن عبد الرحمن بن سليمان: دراسات في علوم القرآن الكريم، ص557.

[4]- المرجع نفسه، ص558.

[5]- ابن قدامة المقدسي: روضة الناظر وجنة المناظر، مطابع الجزيرة، الرياض، 1319هـ، ص136.

[6]- ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، المكتبة السلفية، القاهرة، مصر، 1910، ص164.

[7]- الآمدي: سيف الدين أبو الحسن علي: الإحكام في أصول الأحكام، تعليق عبد الرزاق عفيفي، مؤسسة النور، الرياض، ط1، 1387هـ، ج3، ص03.

[8]- القرافي شهاب الدين: العقد المنظوم في الخصوص والعموم، تحقيق محمد علوي بنصر، وزارة الأوقاف المغربية، 1418هـ، ج1، ص304.

[9]- ابن أبي شيبة الكوفي: مصنف ابن أبي شيبة تعليق سعيد اللحام، دار الفكر، دط، دت، ج8، ص644.

[10]- الدارمي: سنن الدارمي، دار الفكر، القاهرة، 1398هـ، ج1، ص138.

[11]-الرومي فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، دراسات في علوم القرآن الكريم، ص559.

فمطلق القرآن ومقيده باب من أبواب البيان العربي، ذلك أن الأحكام التشريعية بعضها يرد تارة مطلقا غير متقيد لا بصفة ولا بشرط، ويرد تارة ثانية مقيدا إما بصفة وإما بقيد، ومن أمثلة المطلق في القرآن قوله تعالى: "قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٍ" المجادلة 03، فلفظ (رقبة) هنا مطلق يتناول عتق إنسان مملوك، وهو شائع في جنس العبيد مؤمنهم وكافرهم على السواء، وهو نكرة في الإثبات لأن المعنى (فعليه تحرير رقبة). وكقوله عليه الصلاة والسلام" **لا نكاح إلا بولي"** فلفظ (الولي) مطلق هنا في جنس الأولياء سواء كان رشيدا أو غير رشيد[1].

ومثال المقيد في القرآن قوله تعالى: "فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤۡمِنَةٍ" النساء 92، فاشترط في الرقبة هنا أن تكون مؤمنة وهذا قيدها، ولو لم يذكر لفظ (مؤمنة) لجاء الخطاب مطلقا.

ولو جئنا إلى ما ذكره الشنقيطي حول هذا المبحث لوجدناه يتفق مع علماء الأصول في التعريف به والأمثلة التي ساقها، كما يلي:

يعرف الشنقيطي المطلق بأنه "هو المتناول لواحد لا بعينه باعتبار حقيقة شاملة لجنسه، وهي النكرة في سياق الأمر: كقوله تعالى: "فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤۡمِنَةٍ" النساء 92، وقد يكون في الخبر نحو: **"لا نكاح إلا بولي وشاهدين"**[2].

وهذا ذكره علماء الأصول والباحثون في علوم القرآن، ويشير الشيخ إلى اتحاد النكرة والمطلق الذي هو اسم الجنس، وكثير من الأصوليين يفرقون بينهما[3].

وأما تعريف المقيد فهو عنده "المتناول لمعين أو لغير معين موصوف بأمر زائد على الحقيقة الشاملة لجنسه كقوله تعالى: "وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤۡمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ" النساء 92، قيد الرقبة بالإيمان والصيام بالتتابع.[4]

ويضيف الشيخ: "وقد يكون اللفظ مقيدا من جهة ومطلقا من جهة أخرى، كقوله: "رقبة مؤمنة" فهي مقيدة بالإيمان مطلق بالنسبة إلى السلامة وسائر الأوصاف".[5]

ويقول في موضع آخر معرفا المقيد بقوله: "هو ما زيد معنى على معناه لغير معناه نحو: "رقبة مؤمنة"، فالإيمان معنى زيد على معنى الرقبة، فالرقبة مقيدة بالإيمان"[6]. وهذا أثناء شرحه لبيت من أبيات صاحب "مراقي السعود" عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي الشنقيطي في قوله:

فما على معناه زيد مسجلا ‏ ‏ ‏ ‏ معنى لغيره اعتقده الأوَّلا.

ويضيف شارحا: "وقوله (مسجلا): معناه مطلقا أي سواء ذكر القيد أو كان مقدرا، فمثال ذكره قوله تعالى: "فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤۡمِنَةٍ" النساء 92، ومثال تقديره قوله تعالى: "وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبًا" الكهف 79، فالسفينة هنا مقيدة بالصفة المقدرة، أي (كل سفينة صالحة صحيحة) وكذلك كان يقرؤها ابن عباس، وقول عبيد بن الأبرص:

من قوله قول ومن فعله ‏ ‏ ‏ ‏ فعل ومن نائله نائل.

---

[1]-إسماعيل شعبان محمد: المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية، دار الأنصار القاهرة، 1399هـ، ج1، ص484.

[2]-الشنقيطي محمد الأمين: مذكرة في أصول الفقه، ص277.

[3]-المصدر نفسه، ص277.

[4]-المصدر نفسه، ص278 وما بعدها.

[5]-نفسه، ص278.

[6]-الشنقيطي محمد الأمين، نثر الورود على مراقي السعود، ج1، ص319.

أي قوله فصل، وفعل فعل جميل، ونائله نائل جزل، وقول آخر:

وربَّ أسيلة الخدين بكر   مهفهفة لها فرع وجيد.

أي فرع فاحم وجيد طويل.[1]

فإذا ورد الخطاب مطلقا لا مقيد له وجب حمله على إطلاقه، وإذا ورد الخطاب مقيدا لا مطلقا له وجب حمله على تقييده، وإذا ورد الخطاب مطلقا في موضع ومقيدا في آخر فله صور أربعة يذكرها الشيخ:

الأولى: أن يتحد حكمهما والسبب واحد، **والثانية** أن يتحد الحكم ويختلف السبب، **والثالثة** أن يتحد السبب ويختلف الحكم **والرابعة** أن يختلفا معا"[2].

ويفصل الشنقيطي في أحوال وصور المطلق والمقيد قائلا: "فإن اتحد السبب والحكم وجب حمل المطلق على المقيد خلافا لأبي حنيفة ومثاله: "حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ" المائدة 03، مع قوله: "أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا" الأنعام 145، وحجة أبي حنيفَة: إن الزيادة على النص نسخ، وإن اتحد الحكم واختلف السبب كقوله في كفارة القتل "رقبة مؤمنة" مع قوله: اليمين والظهار: رقبة فقط، فقيل يحمل المطلق على المقيد فيشترط الإيمان في رقبة الظهار واليمين... وقيل لا يحمل عليه....، وأما إن اختلف الحكم فقال المؤلف (يقصد ابن قدامة الحنبلي): لا يحمل المطلق على المقيد سواء اختلف السبب أو اتفق، كخصال الكفارة، إذ قيد الصوم بالتتابع أو أطلق الإطعام لأن القياس من شرطه اتحاد الحكم والحكم هنا مختلف، قلت: (يعني الشنقيطي): أما إن اختلف الحكم والسبب معا فهو كما قال المؤلف (يقصد ابن قدامة) لا خلاف في عدم حمله عليه، وأما إن اختلف الحكم واتحد السبب، فبعض العلماء يقول في هذه الصورة: يحمل المطلق على المقيد كما قبلها ومثّلوا له بصوم الظهار وعتقه فإنهما مقيدان بقوله: "مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّا" المجادلة 03، وإطعامه مطلق على ذلك فيقيده بكونه قبل المسيس حملا للمطلق على المقيد لاتحاد السبب، ومثل له اللخمي بالإطعام في كفارة اليمين حيث قيد في قوله: "أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ" المائدة 89، فيحمل المطلق على المقيد فيشترط في الكسوة أن تكون من أوسط ما تكسون أهليكم".[3]

ويضيف الشنقيطي: "وحمل المطلق على المقيد قيل من أساليب اللغة لأن العرب يثبتون ويحذفون اتكالا على المثبت كقول قيس بن الخطيم:

نحن بما عندنا وأنت بما   عندك راض والرأي مختلف.

فحذف (راضون) لدلالة (راض) عليه، وقول عمرو بن أحمد الباهلي:

رماني بأمرٍ كنتُ منه ووالدي   بريئا ومن أجل الطوى رماني.

وقيل بالقياس، وقيل بالعقل وهو أضعفها، هذا الذي ذكرنا فيما إذا كان المقيد واحدا"[4].

---

[1]-المصدر السابق، ج1، ص319.

[2]- يراجع كل من: الشنقيطي: مذكرة في أصول الفقه، ص278، ونثر الورود على مراقي السعود، ج1، ص325 و(دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) ص86، و(أضواء البيان، ج6 ص357).

[3]-الشنقيطي محمد الأمين: مذكرة في أصول الفقه، ص279.

[4]-المصدر نفسه، ص280.

ومن صور حمل المطلق على المقيد يقول الشنقيطي: "أما إذا كان هناك مقيدان بقيدين مختلفين فإن كان أحدهما أقرب للمطلق حمل عليه عند جماعة من العلماء... وإن لم يكن أحدهما أقرب لم يحمل على واحد منهما اتفاقا، مثال الأول إطلاق صوم كفارة اليمين عن القيد مع قيد التتابع في صوم الظهار وقيد التفريق في صوم التمتع، فالظهار أقرب لليمين من التمتع لأن كلا منهما كفارة فيقيد بالتتابع دون التفريق...ومثال الثاني: صوم قضاء رمضان فإنه تعالى أطلقه في قوله: "فَعِدَّةٌ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَ" البقرة 184، مع قيد صوم الظهار بالتتابع وصوم التمتع بالتفريق، وقضاء رمضان ليس أقرب لواحد منهما فيبقى على إطلاقه من شاء تابعه ومن شاء فرقه".[1]

ومن أمثلة الإطلاق والتقييد في مؤلفات الشيخ قوله تعالىَ: "حُرِّمَت عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ" المائدة 03، يذكر الشيخ أن "ظاهر الآية يدل على أن جميع أنواع الميتَة والدم حرام، ولكنه بين في موضع آخر أن ميتة البحر خارجة عن ذلك التحريم وهو قوله: "إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمًا مَّسۡفُوحًا" الأنعام 145، فيفهم منه أن غير المسفوح كالحمرة التي تعلو القدر من أثر تقطيع اللحم ليس بحرام، إذ لو كان كالمسفوح لما كان في التقييد بقوله (مسفوحا) فائدة".[2]

وفي تفسير قوله تعالى: "فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤۡمِنَةٍ" النساء 92، يقول الشيخ: "وهذه من مسائل المطلق والمقيد في حال اتفاق الحَكم مع اختلاف السبب، وكثير من العلماء يقولون فيه بحمل المطلق على المقيد فيقيد رقبة اليمين والظهار بالقيد الذي في رقبة القتل خطأ حملا للمطلق على المقيد، وخالف في ذلك أبو حنيفة ومن وافقه".[3] فلم يقيد هنا (رقبة) كفارة اليمين بالإيمان وقيد به كفارة القتل خطأ، وفي سياق متصل يقول عن آية: "فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤۡمِنَةٍ" النساء 92، قيد في هذه الآية الرقبة المعتقة في كفارة القتل خطأ بالإيمان، فأطلق َالرقبة في كفارة الظهار واليمين عن قيد الإيمان حيث قال: "فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٍ" ولم يقل (مؤمنة). وهذه المسألة من مسائل تعارض المطلق والمقيد".[4] وذكر الحالات اَلأربعة لمسألة حمل المطلق على المقيد.

ومن أمثلة المطلق والمقيد عند الشنقيطي ما ذكره في تفسير قوله تعالى: "وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡ" الأحزاب 04، فقال: "اعلم أن أهل العلم اختلفوا في الرقبة في كفارة الظهار هل يشترط فيها الإيمان أم لا يشترط فيها؟ فقال بعضهم: لا يشترط فيها الإيمان، فلو أعتق المظاهر عبدا ذميا مثلا أجزاه، وممن قال بهذا القول: أبو حنيفة وأصحابه وعطاء والثوري والنخعي وأبو ثور وابن المنذر، وحجة أهل هذا القول أن الله تعالى قال في الآية الكريمة (فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٍ) ولم يقيدها بالإيمان فوجب أن يجزي ما تناوله إطلاق الآية، قالوا: وليس لأحد أن يقيد َما أطلقه الله في كتابه إلا بدليل يجب الرجوع إليه، وممن قال باشتراط الإيمان في رقبة كفارة الظهار مالك والشافعي والحسن وإسحاق وأبو عبيدة، واحتج لأهل هذا القول بما تقرر في الأصول من حمل المطلق على المقيد".[5] وذكر الحالات الأربعة لتعارض المطلق والمقيد.

---

[1]-الشنقيطي محمد الأمين، مذكرة في أصول الفقه، ص280.
[2]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، ص740.
[3]- المصدر نفسه، ج2، ص97.
[4]- الشنقيطي محمد الأمين، إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص58 وما بعدها.
[5]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج6، ص357.

4- التأويل والمحكم: التأويل **لغة** مصدر من باب التفعيل وأصله من (أوَل) من (آل يؤول) ومادته اللغوية على عدة معان[1]، وهي:

أ- الإصلاح: ويتعدى بنفسه، قال أبو العباس المبرد: "أصله من الإصلاح، يقال آله يؤوله أولا، إذا أصلحه".

ب- العودة والرجوع: يقال: آل الرجل عن الشيء ارتد عنه.

ج- التغيير والخثور: يقال: آل اللبن والعسل والشراب ونحوه إذا خثر وتغير.

د- العاقبة: قال ابن فارس: "ومن هذا الباب تأويل الكلام وهو عاقبته وما يؤول إليه".

هـ- التفسير: يقال: أول الكلام تأويلا، وتأوَّله: دبَّره وقدَّره وفسَّره".[2]

من هذه التعاريف نفهم أن التأويل من الأوَل وهو الرجوع والتدبر والتقدير والتفسير هذا من حيث معناه **اللغوي**.

أما المفهوم **الاصطلاحي** فهو تفسير الكلام وبيان معناه سواء كان موافقا للظاهر أم مخالفا له[3]، وهو "صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقا للكتاب والسنة"[4]، ويعرفه الآمدي في تعريف دقيق وشامل فقال: "أما التأويل - من حيث هو تأويل مع قطع النظر عن الصحة والبطلان- هو حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه مع احتماله له".[5]

غير أن بعض علماء الأصول والقرآن يفرقون بين التأويل والتفسير مع أن البعض يجعلهما مفهوما واحدا بحسب عرف الاستعمال، ويذكر الفريق الأول الاختلاف بين التأويل والتفسير فقيل: التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل، وقيل التفسير أعم من التأويل وأكثر استعماله في الألفاظ، وأكثر استعمال التأويل في المعاني كتأويل الرؤيا وأكثره يستعمل في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل في غيرها، والتفسير أكثر ما يستعمل في معاني مفردات الألفاظ[6]، وقيل: إن التفسير ما يتعلق بالرواية والتأويل ما يتعلق بالدراية، وعلى هذا فهما متباينان...ويعتبر في التفسير الإتباع والسماع وإنما الاستنباط ما يتعلق بالتأويل.[7]

وخلاصة الآراء: إن الفرق بين التفسير والتأويل هو أن الأول ما كان راجعا إلى الرواية والتأويل ما كان راجعا إلى الدراية، والتفسير معناه الكشف والشرح والبيان والإيضاح وهذا لا يكون إلا بالنقل الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن بعض الصحابة الذين شهدوا نزول الوحي وخالطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورجعوا إليه فيما أشكل عليهم من معاني القرآن، وأما التأويل فملحوظ فيه ترجيح أحد محتملات اللفظ بدليل وهذا يعتمد على الاجتهاد، ويتوصل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها في العربية، وحسب ورودها في السياق ومعرفة الأساليب العربية واستنباط المعاني من ذلك.

---

[1]- حول تعريف التأويل يراجع كل من: يعقوب طاهر محمود محمد: أسباب الخطإ في التفسير، دراسة تأصيلية، دارا بن الجوزي، السعودية، ط1، 1425هـ ج1، ص441، والذهبي محمد حسين: علم التفسير، دار المعارف، القاهرة، دط، دت، ص07، ومناع قطان: مباحث في علوم القرآن ص210.

[2]- يعقوب طاهر محمود محمد، أسباب الخطإ في التفسير، ج1، ص442.

[3]-الذهبي محمد حسين، علم التفسير، ص07.

[4]-الجرجاني علي محمد بن علي (ت 816هـ) التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت ط1، 1405هـ، ص28.

[5]-يعقوب طاهر محمود محمد، أسباب الخطإ في التفسير، ص444.

[6]-الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، دار التراث، القاهرة، ط3، 1404هـ/1984، ج2، ص149.

[7]-الذهبي محمد حسين، علم التفسير، ص08.

وأما **المحكم فلغة** له عدة معان لكنها مع تعددها تعود إلى شيء واحد هو المنع، فيقال: أحكَم الأمرَ أي أتقنه ومنعه عن الفساد، ويقال أحكمه عن الأمر أي رجعه عنه ومنعه منه، ويقال: حكم نفسه وحكم الناس أي منع نفسه ومنع الناس عما لا ينبغي، ويقال: أحكم الفرسَ أي جعل له حَكَمة، والحَكَمَة ما يحاط بحنكي الفرس من لجامه تمنعه من الاضطراب، وقيل **"آتاه الله الحكمة"** أي العدل أو العلم أو الحلم أو النبوة أو القرآن".[1]

وأما **اصطلاحا** فهو ما عرف المراد منه إما بالظهور وإما بالتأويل، وقيل: هو ما لا يحتمل إلا وجها واحدا[2]، وهو أيضا ما أحكمته بالأمر والنهي وبيان الحلال والحرام، وقيل: هو الذي لم ينسخ، وقيل: هو الناسخ، وقيل: الفرائض والوعد والوعيد، وقيل: الذي وعد عليه ثوابا أو عقابا، وقيل: الذي تأويله تنزيله يجعل القلوب تعرفه عند سماعه، وقيل ما لا يحتمل في التأويل إلا وجها واحدا، وقيل: ما تكرر لفظه[3].

وأما الشنقيطي فله تعريف يوافق ما ذكرنا، فقد عرف التأويل بقوله: "التأويل في اللغة ما تؤول إليه حقيقة الشيء وذلك هو معناه في القرآن حيث جاء، وبعض العلماء كابن جرير الطبري يطلق التأويل يعني به التفسير، وفي اصطلاح الأصوليين هو ما صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى محتمل مرجوح، وحمله عن ذلك المحتمل المرجوح لدليل اقتضى ذلك...، والمحكم في اللغة اسم مفعول من أحكمه بمعنى أتقنه[4]، وفي الاصطلاح يراد به غير المنسوخ ويطلق أيضا مرادا به المتقن لقوله: "كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ" هود 01.[5]

وينقسم التأويل عند الشنقيطي إلى تأويل صحيح وآخر فاسد فيقول: "التأويل ينقسم إلى تأويل صحيح وتأويل فاسد، والصحيح هو القريب والفاسد هو البعيد، أما التأويل القريب فهو الذي يكون فيه الدليل الذي دل على صرف اللفظ عن المعنى الراجح الظاهر إلى المعنى الخفي المرجوح قويا في نفس الأمر، لا في ظن المؤول...، وأما التأويل البعيد فهو كون الدليل الذي استبدل به على صرف اللفظ عن الظاهر الراجح إلى الخفي المرجوح ليس قويا في نفس الأمر وإن كان المؤول يظنه قويا[6].

ومن الأمثلة التي ضربها الشنقيطي عن التأويل الفاسد قوله تعالى: "سِتِّينَ مِسۡكِينًا" المجادلة 4، أوَّلها الحنفية بالمُد حيث جوزوا إعطاء ستين مُدا لمسكين واحد في ستين يوما، حيث جعلوا الذي لم يذكر وهو المُد هو المقصود والذي ذكر وهو المسكين غير مقصود مع أن قصد العدد فيه من الفائدة ما لم يكن في الواحد لأن إعطاء المكفر ستين رجلا يستدعي تظافر الكل على الدعاء له، وكثرة الداعين مظنة الإجابة ومظنة صلاح البعض إن لم يكن الكل صالحا وهذا لا يوجد من الواحد".[7]

---

[1]-الزرقاني محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1415هـ/ 1995، ج2، ص213.

[2]-الصباغ محمد لطفي: لمحات في علوم القران، المكتب الإسلامي: بيروت، ط3، 1410هـ/1990، ص152.

[3]-الزركشي بدر الدين: البرهان في علوم القرآن، ج2، ص68، وما بعدها.

[4]- الشنقيطي محمد الأمين، نثر الورود على مراقي السعود، ج1،ص328.

[5]- المصدر نفسه، ج1، ص332.

[6]- المصدر نفسه، ج1، ص329.

[7]- نفسه، ج1، ص330.

ومن التأويل الفاسد أيضا ما يسمى باللعب كقول غلاة الشيعة في "أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةً" البقرة 67، هي عائشة[1]، وكذا قوله تعالى: "مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ" الرحمن 19، إنهما علي وفاطمة رضي الله عنهما، وأن قوله: "بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ" الرحمن20، يعني الحسن والحسين، ومعنى اللعب أنه متلاعب بكتاب الله أو سنة نبيه عليه الصلاة والسلام[2]، وغير ذلك من الأمثلة كدليل على فساد التأويل.

وفي تفسير آية "وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ" آل عمران 07، يقول الشنقيطي: "يحتمل أن يكون المراد بالتأويل في هذه الآية الكريمة التفسير وإدراك المعنى، ويحتمل أن المراد به حقيقة أمره التي يؤول إليها، وقد قدمنا في مقدمة هذه الكتاب أن من أنواع البيان أن كون أحد الاحتمالين هو الغالب في القرآن، يبين ذلك أن الاحتمال الغالب هو المراد، لأن الحمل على الأغلب أولى من الحمل على غيره، وإذا عرفت ذلك فاعلم أن الغالب في القرآن إطلاق التأويل على حقيقة الأمر التي يؤول إليها كقوله: "هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ" يوسف 100، وقوله: "هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُ" الأعراف 53، وقوله: "بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُ" يونس 39، وقوله: "ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلاً" النساء 59، إلى غير ذلك من الآيات، قال ابن جرير الطبري: وأصل التأويل من آل الشيء إلى كذا إذا صار إليه ورجع يؤول أوْلا، وأوَّلته أنا صيرته إليه، وقال وقد أنشد بعض الرواة بيت الأعشى:

على أنها كانت تَأَوُّلُ حبِّها   تأول ربعِي السِّقاب فأصحبا

قال: ويعني بقوله: تأوَّل حبها: مصير حبها ومرجعه، وإنما يريد بذلك أن حبَّها كان صغيرا في قلبه، فآل من الصغر إلى العظم، فلم يزل ينبت حتى أصعب فصار قديما كالسقب الصغير الذي لم يشب حتى أصحب فصار كبيرا مثل أمه..."[3]

ويستخلص الشنقيطي من كلام الطبري عدة تعاريف فيقول: "اعلم أن التأويل يطلق ثلاثة إطلاقات:

الأول: هو ما ذكرنا من أنه الحقيقة التي يؤول إليها الأمر وهذا هو معناه في القرآن.

الثاني: يراد به التفسير والبيان ومنه بهذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم في ابن عباس: **"اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل".**

الثالث: هو معناه المتعارف في اصطلاح الأصوليين، وهو صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى محتمل مرجوح بدليل يدل على ذلك"[4].

ويفرق الشيخ بين الفقه والتأويل الواردين في دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"، فقال:"والفرق بين الفقه والتأويل أن الفقه هو فهم المعنى المراد، والتأويل إدراك الحقيقة التي يؤول إليها المعنى التي هي أخيته وأصله، وليس كل من فقه

[1]- الشنقيطي محمد الأمين، مذكرة في أصول الفقه، ص212.
[2]- الشنقيطي محمد الأمين، نثر الورود على مراقي السعود، ج1، ص329.
[3]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، ص208.
[4]- المصدر نفسه، ج1، ص209.

في الدين عرف التأويل، فمعرفة التأويل يختص بها الراسخون في العلم وليس المراد به تأويل التحريف وتبديل المعنى، فإن الراسخين في العلم يعلمون بطلانه والله يعلم بطلانه".[1]

ويشير الشنقيطي إلى أن يلتزم المؤوِّل أمرين اثنين لا ثالث لهما فيقول:

"واعلم أن كل مؤوِّل يلزمه أمران: الأول: بيانه احتمال اللفظ لما حمله عليه، والثاني: الدليل الصارف له إلى المحتمل المرجوح"[2].

وكل ما قاله الشيخ يوافق ما قاله علماء القرآن والتفسير وهذا دليل على اطلاع الشيخ على كتب علم الأصول وعلوم القرآن وكتب التفسير، أما أمثلة المحكم فهو واضح المعنى وكثير الأدلة على أنه بيان الحلال والحرام بإتيان أوامر الله ورسوله واجتناب نواهيهما وهو ما لا يحتمل إلا وجها واحدا، وأخذاً بهذا المفهوم فشواهده كثيرة في القرآن نحو: **"أقيموا الصلاة"** و**"لا تقربوا الزنا"**[3]، لأن صيغة الأمر تقتضي الوجوب، وصيغة النهي تقتضي التحريم كما جاء في علم الأصول.

5- المجمَل والمبيَّن: المجمل هو اللفظ الذي لا يدل بصيغته على المراد منه، ويتوقف إدراكه على بيان من الشارع نفسه[4]، والمبين يقابل المجمل فهو الذي اتضحت دلالته بأنه يكون مستغنيا عن البيان أو أن يكون محتاجا إلى البيان فبُيِّن، والمبين قد يكون فعلا وقد يكون قولا، والقول إما مفرد وإما مركب[5].

ويعرفهما الشنقيطي بقوله: "اعلم أن المجمل في اللغة هو المجموع وجملة الشيء مجموعه، وأما في الاصطلاح فقد اختلفت فيه عبارات أهل الأصول، والتحقيق أنه هو: "ما احتمل معنيين أو أكثر من غير ترجح لواحد منهما أو منها على غيرها، وعرفه في مراقي السعود بقوله:

وذو وضوح محكَم والمجمَل   هو الذي المراد منه يجهل.

واعلم أن المبهم أعم من المجمل عموما مطلقا، فكل مجمل مبهم وليس كل مبهم مجملا، فمثلا: قولك لعبد: تصدق بهذا الدرهم على رجل فيه إبهام وليس مجملا، لأن معناه لا إشكال فيه، لأن كل رجل تصدق عليه به حصل به المقصود، والدليل على أن المجمل هو ما ذكرنا أن اللفظ لا يخلو من أحد أمرين: إما أن يدل على معنى واحد لا يحتمل غيره فهو النص نحو: "تِلۡكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ" البقرة 196، وإما أن يحتمل غيره، وهذا له حالتان:

الأولى: أن يكون أحد المحتملين أظهر، والثانية: أن يتساويا بأن لا يكون أحدهما أظهر من الآخر، فإن كان أحد المعنيين أظهر فهو الظاهر ومقابله محتمل، وإن استويا فهو المجمل...، وأما البيان: فهو لغة اسم مصدر بمعنى التبيين وهو الإيضاح والإظهار كالسلام بمعنى التسليم والكلام بمعنى التكليم والطلاق بمعنى التطليق، وقد يطلق على المبيِّن والمبيَّن بالكسر والفتح، ومن أهل الأصول من يطلق البيان على كل إيضاح سواء أتقدمه خفاء أم لا، وكثير من الأصوليين لا يطلقون

---

[1]- المصدر السابق، ج4، ص293.
[2]- للتفصيل في الأمرين يراجع: الشنقيطي محمد الأمين: مذكرة في أصول الفقه، ص213 وما بعدها.
[3]- الشنقيطي محمد الأمين: نثر الورود على مراقي السعود، ج1، ص332.
[4]-إسماعيل شعبان محمد، المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية، ج1، ص488.
[5]-المرجع نفسه، ج1، ص490.

البيان بالاصطلاح الأصولي إلا على إظهار ما كان فيه خفاء وعليه درج في مراقي السعود بقوله معرفا للبيان في الإصلاح:

تصيير مشكل من الجلي وهو واجـــب علـى النبي.

إذا أريد فهمه وهو بمـــا من الدليل مطلقا يجلو العمى.

فكل ما يزيل الإشكال يسمى بيانا في الاصطلاح بمعنى المبيِّن بالكسر"[1].

ومن أمثلة هذا المبحث قوله تعالى: "وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ" الأنعام 59، يقول الشيخ: "بين تعالى المراد بمفاتح الغيب بقوله: "إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ" لقمان 34"[2]، فقد أوردها لفظا مجملا مبهما في آية الأنعام وبين المقصود بها في آية لقمان، والمبهم المجمل هو قوله: **"مفاتح الغيب".**

ومثال ثان أيضا في قوله تعالى: "وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً" النعام 61، يقول الشيخ: "لم يبين هنا ماذا يحفظون وبينه في مواضع أخر فذكر أن مما يحفظونه بدن الإنسان لقوله: "لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ" الرعد 11، وذكر أن مما يحفظونه جميع أعماله من خير وشر بقوله: "وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ" الانفطار 10-12، وقوله: "إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ" ق17-18، وقوله: "أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ" الزخرف 80".[3]

ومن المجمل قوله تعالى: "وبينهما حجاب" الأعراف 47، فذكر تعالى أنّ بيْن أهل الجنة وأهل النار حجابا يوم القيامة ولم يبين هذا الحجاب هنا، ولكنه بينه في سورة الحديد بقوله: "فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ" الحديد 13[4]، وذكر الموعدة مجملة مبهمة في قوله: "وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ" التوبة 114، لكنه بينها في موضع آخر بقوله: "قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا" مريم 47[5].

وذكر تعالى (البشرى) في قوله: "وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗا" هود 69، فلم يبين هنا ما المراد بهذه البشرى التي جاءت بها الملائكة لإبراهيم، لكنه أشار إليها إلى أنها البشارة بإسحاق ويعقوب يقول: "وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ" هود 71.[6]

ويقول تعالى: "وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ" طه:115، فيقول الشنقيطي: "وهذا العهد الذي أجمله هنا بينه في غير هذا الموضع كقوله في سورة البقرة: "وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ

[1]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، ص24 وما بعدها.
[2]- المصدر نفسه، ج2، ص148 وما بعدها.
[3]- نفسه، ج2، ص152 وما بعدها.
[4]- نفسه، ج2، ص226.
[5]- نفسه، ج2، ص354.
[6]- المصدر نفسه، ج3، ص22.

ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ" البقرة 35، فقوله: "وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ" هو عهده المذكور"[1]. وكذا بينه في الآية 19 من سورة الأعراف.

وعن البيان يضيف الشنقيطي قائلا: "واختلف في البيان فقيل هو الدليل وهو ما يتوصل بصحيح النظر فيه إلى علم أو ظن ، وقيل هو إخراج الشيء من الإشكال إلى الوضوح، وقيل هو ما دل على المراد بما لا يستقل بنفسه في الدلالة على المراد، وقد قيل هذان الحدان مختصان بالمجمل ...الخ.

حاصل هذا الخلاف هو: "هل البيان يطلق على كل إيضاح تقدمه خفاء أو لا، أو هو إيضاح ما فيه خفاء خاص؟.

فأكثر الأصوليين يرون أن البيان في الاصطلاح الأصولي هو تصيير المشكل واضحا، والبيان يحصل بكل ما يزيل بالإشكال من:

أ- **كلام:** كبيان قوله تعالى: "إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ" المائدة 01، بقوله "حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ" المائدة 3.

ب- أو **كتابة:** ككتابته صلى الله عليه وسلم إلى عماله على الصدقات.

ج- أو **إشارة:** كقوله صلى الله عليه وسلم: "الشهر هكذا هكذا" وأشار بأصابعه إلى كونه مرة ثلاثين ومرة تسعا وعشرين.

د- أو **فعل:** كبيانه صلى الله عليه وعلى آله وسلم للصلاة والحج بالفعل وقال في الأولى: "صلوا كما رأيتموني أصلي" وفي الثاني: "خذوا عني مناسككم".

هـ- أو **سكوت على فعل**: فإنه بيان لجوازه".[2]

وذكر الشنقيطي في مقدمة تفسير "أضواء البيان" أن هناك أنواع متعددة للبيان فيقول: "واعلم أن أنواع البيان المذكورة في هذا الكتاب كثيرة جدا، وقد أردنا أن نذكر في هذه الترجمة جملا من ذلك ليعلم بها الناظر كثرة ما تضمنه هذا الكتاب المبارك من أنواع بيان القرآن بالقرآن. ويكون على بصيرة في الجملة من فائدته قبل الوقوف على جميع ما فيه".[3]

ومن أنواع البيان التي ذكرها الشيخ نذكر ما يلي:[4]

1-بيان الإجمال الواقع بسبب إبهام في اسم جنس جمعا كان أو مفردا أو اسم جمع أو صلة موصول أو معنى حرف.

2-بيان الإجمال الواقع بسبب احتمال في مفسر الضمير وهو كثير.

3-أن يذكر شيء في موضع ثم يقع سؤال عنه وجواب في موضع آخر.

4-أن يكون الظاهر المتبادر من الآية بحسب الوضع اللغوي غير مراد بدليل قرآني آخر على أن المراد غيره.

---

[1]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص392.
[2]- الشنقيطي محمد الأمين: مذكرة في أصول الفقه، ص220.
[3]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، ص07.
[4]- للتفصيل في هذه الأنواع بالأدلة والشواهد، يراجع: الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، ص ص10-31.

5-أن يقول بعض العلماء في الآية قولا ويكون في نفس الآية قرينة تدل على بطلان ذلك.

6-الاستدلال على أحد المعاني الداخلة في معنى الآية بكونه هو الغالب في القرآن فغلبته فيه دليل على عدم خروجه من معنى الآية.

7-بيان أن جميع ما وصف الله به نفسه في القرآن من الصفات كالاستواء واليد والوجه نحو ذلك من جميع الصفات، فهو موصوف به حقيقة لا مجازا مع تنزيهه جل وعلا من مشابهة صفات الحوادث سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا، وهو من أهم أنواع البيان.

8-يقول الشيخ: "إنا إذا بينا قرآنا بقرآن في مسألة يخالفنا فيها غيرنا، ويدعي أن مذهبه المخالف لنا يدل عليه قرآن أيضا، فإنا نبين بالنسبة الصحيحة صحة بياننا وبطلان بيانه، فيكون استدلالنا بقرآن وسنة، فإن من خالفنا بسنة أيضا مع القرآن الذي استدل به فإننا نبين رجحان ما يظهر لنا أنه الراجح، وكذلك إذا استدل مخالفنا بقرآن ولم يقم دليل من سنة شاهدا لنا ولا له، فإنا نبين وجه رجحان بياننا على بيانه"[1].

9- تفسير اللفظ بلفظ أشهر منه وأوضح عند السامع.

10- أن يكون الله خلق شيئا لحكم متعددة فيذكر بعضها في موضع، فإنا نبين البقية المذكورة في المواضع الأخر كما يقول الشيخ[2].

11- أن يذكر أن شيئا سيقع ثم يبين وقوعه بالفعل.

12- أن يحيل الله تعالى على شيء ذكر في آية أخرى فإنا نبين الآية المحال عليها.[3]

13- أن يشير تعالى في الآية من غير تصريح إلى برهان يكثر الاستدلال به في القرآن العظيم على شيء فإنا نبين ذلك[4]، والكلام للشيخ.

14- أن يذكر لفظ عام ثم يصرح في بعض المواضع بدخول بعض أفراد ذلك العام فيه.

15- إن كان للآية الكريمة مبين من القرآن غير واف بالمقصود من تمام البيان، فإنا نتمم البيان من السنة من حيث إنها تفسير للمبين باسم الفاعل[5]، كما ذكر الشيخ.

ويلخص الشنقيطي هذه الأنواع ويختصرها في أربعة أقسام بالنسبة للمنطوق والمفهوم فيقول: "اعلم أن أقسام البيان في هذا الكتاب المبارك بالنسبة إلى المنطوق والمفهوم أربعة لأن كلا من المبين باسم المفعول والمبين باسم الفاعل قد يكون منطوقا وقد يكون مفهوما، فالمجموع أربعة من ضرب حالتي المنطوق في حالتي المفهوم: الأولى: بيان منطوق، والثانية: بيان مفهوم بمنطوق، والثالثة: بيان منطوق بمفهوم، والرابعة بيان مفهوم بمفهوم"[6].

وهذه الأنواع من البيان التي ذكرها الشنقيطي قليل من كثير، لأن القرآن يتضمن أنواعا كثيرة جدا من بيان القرآن بالقرآن غير ما ذكره الشيخ، وفي البعض تنبيه لطيف على الكل، والغرض أن

---

[1]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، ص16 وما بعدها.
[2]- المصدر نفسه، ج1، ص20.
[3]- نفسه، ج1، ص21.
[4]- نفسه، ج1، ص22.
[5]- نفسه، ج1، ص23.
[6]- المصدر نفسه، ج1، ص24.

يكون الناظر في الترجمة على بصيرة مما يتضمنه الكتاب في الجملة قبل الوقوف على جميع ما فيه كما قال الشيخ[1].

ومبحث البيان تكلم فيه الشيخ بإسهاب لأن عنوان كتابه في التفسير يحمل هذا اللفظ (أضواء البيان)، فنكتفي بما ذكرنا خوف الإطالة رغم أنه مبحث في غاية الأهمية والفائدة.

6- الناسخ والمنسوخ: يعرف الشنقيطي النسخ بقوله: "لغة هو الرفع والإزالة، ومنه نسخت الشمس الظل والريح الأثر، وهذا هو أصل معناه الاصطلاحي، ويطلق النسخ لغة أيضا على النقل والتحويل، ومنه تناسخ المواريث وتناسخ الأرواح، واصطلاحا هو ما أشار له المؤلف (عبد الله بن الحاج إبراهيم بن الإمام محنض أحمد العلوي) بقوله:

رفع لحكم أو بيان الزمن   بمحكم القرآن أو بالسنن

يعني أن النسخ اختلف في حده قيل: هو رفع حكم شرعي بخطاب شرعي متراخ عنه، كرفع الحكم بالاعتداد بحول الاعتداد بأربعة أشهر وعشر"[2].

ويعرفه أيضا: "هو رفع حكم شرعي بخطاب جديد، وذلك في قوله تعالى: "مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا " البقرة 106، وجاء بمعنى نسخ الكتاب أي كتابته كقوله تعالى: "هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ" الجاثية 29، وقوله: "فِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ " الأعراف 154.[3]

وعن قوله: "فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ" الحج 52، يقول الشنقيطي: "المراد بالنسخ في الآية النسخ اللغوي الذي هو الإزالة والإبطال، لا النسخ الشرعي الذي هو رفع حكم شرعي بخطاب جديد أو بيان انقضاء زمن العمل به، لأن ما ألقاه الشيطان ليس بحكم حتى يكون رفعه نسخا شرعيا بل هو باطل أبطله الله وأزاله"[4].

والنسخ عند الشنقيطي ثلاثة أقسام وهي:

1- نسخ التلاوة والحكم معا: ومثاله ما ثبت في صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: "كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن..."، فآية عشر رضعات منسوخة التلاوة والحكم إجماعا.

2- نسخ التلاوة وبقاء الحكم: ومثاله: آية الرجم، وخمس رضعات على قول الشافعي وعائشة ومن وافقهما.

3- نسخ الحكم وبقاء التلاوة: وهو غالب ما في القرآن من المنسوخ، كآية المصابرة والعدة، والتخيير بين الصوم والإطعام، وحبس الزواني[5].

ويقصد الشيخ بآية الرجم في النوع الثاني من النسخ قوله: "الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم" وآية المصابرة في النوع الثالث هي آيتي (الأنفال: 65 و66).

---

[1]- المصدر السابق، ج1، ص24.

[2]- الشنقيطي محمد الأمين: نثر الورود على مراقي السعود، ج1، ص342.

[3]- الشنقيطي محمد الأمين: مذكرة في أصول الفقه، ص78.

[4]-الشنقيطي محمد الأمين: رحلة الحج إلى بيت الله الحرام، ص112.

[5]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج3، ص273.

ومن الشواهد التي استدل بها الشنقيطي في هذا الباب: قوله تعالى: "وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ " الأنفال 41، ناسخ لقوله تعالى: "يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِ" الأنفال 01.[1]

ويقول تعالى: "وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي" يونس 41، يقول الشيخ: "قال ابن زيد وغيره إنها منسوخة بآيات السيف"، والظاهر أن معناها محكم لأن البراءة إلى الله من عمل السوء لا شك في بقاء مشروعيتها"[2].

ومن أمثلة النسخ في القرآن قوله تعالى: "ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُ" الحجر 03، فيذكر الشيخ أن بعض العلماء قالوا بأنها منسوخة بآيات السيف، والعلم عند الله تعالى[3].

وعن قوله تعالى: "فاصفح الصفح الجميل" الحجر 58، يقول الشنقيطي: "قال بعض العلماء: هذا الأمر منسوخ بآيات السيف وقيل: هو غير منسوخ والمراد به حسن المخالقة وهي المعاملة بحسن الخلق".[4]

وأما قوله تعالى: "وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًا" النحل 67، فيقول الشنقيطي: "إن آية تحريم الخمر ناسخة لقوله "تتخذون منه سكرا" ونسخها له هو التحقيق، ...وإنما قلنا التحقيق هو كون تحريم الخمر ناسخا لإباحتها لأن قوله "تتخذون منه سكرا" يدل على إباحة الخمر شرعا، فرفع هذه الإباحة المدلول عليها بالقرآن رفع حكم شرعي فهو نسخ بلا شك، ولا يمكن أن تكون إباحتها عقلية إلا قبل نزول الآية كما هو ظاهر"[5].

ومن المسائل المتعلقة بالنسخ التي فصل فيها الشنقيطي ما يلي:[6]

1- لا خلاف بين المسلمين في جواز النسخ عقلا وشرعا ولا في وقوعه فعلا.

2- لا يصح نسخ حكم شرعي إلا بوحي من كتاب أو سنة، وهذا معناه أن النسخ بمجرد العقل ممنوع وكذلك لا نسخ بالإجماع لأن الإجماع لا ينعقد إلا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، لأنه ما دام حيا فالعبرة بقوله وفعله وتقريره، ولا حجة معه في قول الأمة، لأن اتباعه فرض على كل أحد.

3- ما يقال عن البعض أن النسخ جائز بلا بدل فهو باطل بلا شك، مخالف مخالفة صريحة لقوله تعالى: "مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآ" البقرة 106.

4- يجوز نسخ الأخف بالأثقل والأثقل بالأخف.

5- لا خلاف بين العلماء في نسخ القرآن بالقرآن، ونسخ السنة بمتواتر السنة، واختلفوا في نسخ القرآن بالسنة وعكسه، وفي نسخ المتواتر بأخبار الآحاد.

6- جواز النسخ قبل التمكن من الفعل.

7- كل زيادة على النص تكون نسخا، وإن خالف في ذلك أبو حنيفة - رحمه الله -.

---

[1]- المصدر السابق، ج2، ص258.

[2]- نفسه، ج3، ص362.

[3]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، ص88.

[4]-المصدر نفسه، ج3، ص146.

[5]- الشنقيطي محمد الأمين: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ملحق بأضواء البيان، ج10، ص120.

[6]- للتفصيل في هذه المسائل بأمثلتها وشواهدها يراجع: الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان ، ج3، ص ص 268-275.

وعن قوله تعالى: "قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ" الشورى 23، يقول في تفسيرها الشنقيطي: "وأما القول بأن قوله تعالى: "إلا المودة في القربى" منسوخ بقوله: "قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ" سبأ 47، فهو ضعيف والعلم عند الله تعالى"[1].

وأما قوله تعالى: "وما أدري ما يفعل بي ولا بكم" الأحقاف 10، فهناك رواية تقول بأن الآية هذه منسوخة بقوله تعالى: "لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ" الفتح 02، وقوله تعالى: "لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ" الفتح 05، وقوله تعالى أيضا: "وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا" الأحزاب 47، فيقول الشيخ عن هذه الرواية: "الظاهر أن هذا كله خلاف التحقيق، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يجهل مصيره يوم القيامة لعصمته صلوات الله وسلامه عليه، وقد قال له الله تعالى: "وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ" الضحى 4 و5، وأن قوله: "وما أدري ما يفعل بي وبكم" في أمور الدنيا"[2].

ونفس الرأي ذكره الشيخ في من قال عن قوله تعالى: "فإما منا بعد وإما فداء" الأحقاف 04، بأنها منسوخة بالآيات "فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم" التوبة 85، وقوله: "فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ" الأنفال 12، وقوله تعالى: "وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗ" التوبة 36، وقوله: "فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ" الأنفال 57، ويقول الشيخ: " ونسخ هذه الآية هو مذهب أبي حنيفة... وأكثر أهل العلم يقولون: إن الآية ليست منسوخة، وإن جميع الآيات المذكورة محكمة، فالإمام مخير وله أن يفعل ما رآه مصلحة للمسلمين منْ منٍّ وفداء وقتل واسترقاق"[3].

فالشيخ عالم بالنسخ والناسخ والمنسوخ، ومعرفته به معرفة اكتسبها من البيئة الموريتانية قبل رحلته إلى بيت الله الحرام، وحتى بعد ذلك بالمطالعة والبحث المستمر والاحتكاك بالعلماء وسؤالهم عن كل ما له علاقة بفنون العلم وبخاصة علوم القرآن ومباحثه وموضوعاته، والناسخ والمنسوخ من المباحث التي يضمها هذا العلم.

7- السياق والدلالة: يعرف السياق لغة من السوق" والسوق معروف، ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا، وهو سائق وسواق شدد للمبالغة، وقد استاقت وتساوقت الإبل تساوقا إذا تتابعت، وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساوقة، وفي حديث أم معبد "فجاء زوجها يسوق أعنزا ما تساوَقُ" أي ما تتابع، والمساوقة: المتابعة كأن بعضها يسوق بعضا، وساق إليها الصداق والمهر سياقا وأساقه، وإن كان دراهم أو دنانير، لأن أصل الصداق عند العرب الإبل وهي تساق والسياق المهر، وساق بنفسه سياقا: نزع بها عند الموت، تقول: رأيت فلانا يسوق سوقا أي ينزع نزعا عند الموت".[4]

---

[1]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج7، ص123.

[2]- المصدر نفسه، ج7، ص246.

[3]-المصدر نفسه، ج7، ص272.

[4]-ابن منظور: لسان العرب، ج10، ص166 (سوق).

من خلال هذا التعريف يتضح أن دلالة مادة (سوق) في اللغة هو التتابع والتتالي والتوالي والإيراد كما يذكر ويؤكد تمام حسان هذا بقوله: "المقصود بالسياق التوالي ومن ثم ينظر إليه من ناحيتين: أولاهما: توالي العناصر التي يتحقق بها التركيب والسبك، والسياق من هذه الزاوية يسمى (سياق النص)، والثانية: توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي وكانت ذات علاقة بالاتصال ومن هذه الناحية يسمى السياق بـ (سياق الموقف)"[1].

أما اصطلاحا ففي تعريفه اختلاف بين العلماء والدارسين ويمكن حوصلته في ثلاث نقاط تعريفية وهي:

1- السياق هو الغرض أي مقصود المتكلم من إيراد الكلام، وهو واحد من المفاهيم التي عبر عنها بلفظ السياق(السوق)، وهو ما استعمل عن علماء الأصول.

2- السياق هو الظروف والمواقف والأحداث التي ورد فيها النص أو نزل أو قيل بشأنها، وأوضح ما عبر به عن هذا المفهوم لفظا الحال والمقام.

3- السياق هو ما يعرف الآن بالسياق اللغوي الذي يمثله الكلام موضع النظر أو التحليل، ويشمل ما يسبق أو يلحق به من كلام يمكن أن يضيء دلالة القدر منه (موضع التحليل) أو يجعل منها وجها استدلاليا.[2]

وللسياق عدة مدلولات في الدرس الدلالي الحديث منها: المقام والحال والموقف والمقتضى والنظم[3].

وفي تعريف آخر للسياق القرآني يقول بعض الدارسين: "السياق هو ما يحيط بالنص من عوامل داخلية أو خارجية لها أثر في فهمه من سابق أو لاحق به، أو حال المخاطِب والمخاطَب والغرض الذي سيق له والجو الذي نزل فيه".[4]

ويقول آخر: "هو تتابع الكلام وتساوقه وتقاوده، وهو فهم النص بمراعاة ما قبله وما بعده، ودلالة السياق في التفسير هي بيان اللفظ أو الجملة في الآية بما لا يخرجها عن السابق واللاحق بدليل يجب التسليم به".[5]

من التعاريف يتبين أن للسياق أهمية عظمى في تحديد مقاصد النص والخطاب وخصوصا الخطاب القرآني، لأن كل المعاني والمقاصد لابد لها من سياق معين ترد فيه، وتكلم العلماء قديما وحديثا عن السياق وأنواعه وأهميته ووظائفه، لذلك صعب عليهم تحديده وتعريفه بدقة، لأنه مبحث يدَّعيه كل علم لنفسه ومنها علم الأصول وعلم الفقه وعلم التفسير وعلم اللغة والنحو والبلاغة وعلم الدلالة وعلم المنطق وما إلى ذلك، فأغلب العلوم تستعمل هذا المفهوم في مجالاتها المختلفة.

---

[1]-حسان تمام: قرينة السياق، بحث مقدم في (الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم، (مطبعة عبير ،للكتاب، القاهرة، مصر 1413هـ/1993م، ص375.

[2]-الطلحي ردة الله بن ردة بن ضيف الله: دلالة السياق، مخطوط دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المجلد الأول، 1427هـ، ص40.

[3]--البركاوي عبد الفتاح: دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق، دار المنار، القاهرة ط1، 1411هـ، ص30.

[4]-الشهراني سعيد بن محمد: السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، مخطوط دكتوراه، جامعة أم القرى، 1427هـ/2006م، ص22.

[5]-القاسم عبد الحكيم: دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير، دراسة نظرية من خلال تفسير ابن جرير، مخطوط ماجستير، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ص62.

وما يهمنا في هذا المبحث هو السياق ومعنى الألفاظ والتراكيب، فمفردات اللغة العربية واسعة الدلالة ولا يتحدد المراد والمقصود من المفردة العربية إلا إذا نظر إليها في ضوء سياقها، فحينئذ تتضح معالمها، وينتفي تعدد المعاني واشتراكه وتعميمه ويقطع بإرادة أحد معانيها المحتملة، ولدلالة السياق القرآني أهمية بالغة في تفسير كلام الله تعالى، فهي أصل أصيل من أصول هذا العلم وبإهمالها يضع المفسر قدمه على عتبات الخطإ والزلل ويركب مراكب الخلل وتوسم آراؤه بالعلل، فيعظم الخطب ويصبح جللا[1]، وفي هذا الصدد يقول بييرغيرو: "إن الغموض الذي يلف العلامة المتعددة الدلالات يزول حيث توضع في سياقها"[2].

ومن أهمية دلالة السياق القرآني أنها تعتبر من تفسير القرآن بالقرآن كما فعل الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، ومن ملامح دلالة السياق في مؤلفاته وأعماله نذكر بعض الأمثلة التي تؤكد هذه الأهمية في تفسير وفهم النص القرآني.

يقول تعالى: "وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ" هود8، وقف الشنقيطي عند لفظه (أمة) وورودها في سياق الآيات القرآنية فقال: "المراد بالأمة هنا: المدة من الزمن، ونظيره: "وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ " يوسف 45، أي تذكر بعد مدة"[3].

إن لفظة **(هنا)** في كلام الشيخ لدليل واضح وجلي على تعدد معاني (الأمة) في مواضع أخر من القرآن الكريم غير ما ذكره، وهذا دليل على أن المفردة لا يفهم معناها إلا بوضعها في السياق، وهي خارج سياقها تكون متعددة المعاني.

ويضيف الشنقيطي قائلا: "استعمل لفظ (الأمة) في القرآن أربعة استعمالات:

الأول: هو ما ذكرنا هنا من استعمال الأمة في البرهة من الزمن.

الثاني: استعمالها في الجماعة من الناس، وهو الاستعمال الغالب كقوله: "وجد عليه أمة من الناس يسقون" القصص 23، وقوله: "وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ" يونس 47، وقوله: "كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً" البقرة 213، إلى غير ذلك من الآيات.

الثالث: استعمال (الأمة) في الرجل المقتدى به، كقوله تعالى: "إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً" النحل120.

الرابع: استعمال (الأمة) في الشريعة والطريقة، كقوله: "إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ" الزخرف 22، وقوله: "إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً" الأنبياء 92، إلى غير ذلك من الآيات".[4]

فلفظ (الأمة) في سياق القرآن بحسب ما أورده الشنقيطي لها معان أربعة ذكرها كلها مع الشواهد وبعض المواضع التي وردت فيها في كل سياق.

وفي قوله تعالى: "يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ" الرعد 6، يقول في تفسيرها الشنقيطي: "المراد بالسيئة هنا: العقوبة وإنزال العذاب قبل الحسنة أي قبل العافية،... وقد بين هذا المعنى في آيات كثيرة كقوله: "يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ" الحج 47، وكقوله:

---

[1]-المطيري عبد الرحمن عبد الله بن سرور جرمان: السياق القرآني وإثره في التفسير من خلال تفسير ابن جرير، مخطوط ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1429هـ/2008، ص75.

[2]-أوشان آيت علي: السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة، الدار البيضاء ، المغرب، ط1، 1421هـ/2000م، ص39.

[3]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج3، ص10.

[4]- المصدر نفسه ، ج3، ص 10 وما بعدها.

"يَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ" العنكبوت 54..." [1]، فعندما يذكر الشنقيطي في تفسير معنى اللفظ (هنا) فاعلم بأنه يريد السياق الذي وردت فيه اللفظة وأن اللفظة سواء في القرآن أو في غيره لها معان غير المعنى الذي ذكره وبينه.

وفي تفسير قوله تعالى: "مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ" إبراهيم 16، يقول الشيخ: "(وراء) هنا بمعنى أمام كما هو ظاهر، ويدل له إطلاق وراء بمعنى أمام في القرآن وفي كلام العرب، فمنه في القرآن قوله تعالى: "وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ" الكهف 79، أي أمامهم ملك، وكان ابن عباس يقرؤها (وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) ومن إطلاق (وراء) بمعنى (أمام) في كلام العرب قول لبيد:

أليس ورائي إن تراخت منيتي لزوم العصا تحنى عليها الأصابع".[2]

فالسياق الذي وظفت فيه لفظة (وراء) يدل دلالة واضحة على أن معناها هو (أمام) وليس (خلف) أو (بعد) كما في سياقات أخرى.

ويسمي الشنقيطي السياق مقاما أيضا حيث يقول في تفسير قوله تعالى: "مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٍ" النحل 61، فيقول: "الضمير في (عليها) راجع إلى غير مذكور وهو الأرض، لأن قوله (من دابة) يدل عليه، لأنه من المعلوم أن الدواب إنما تدب على الأرض، ونظيره قوله تعالى: "مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٍ" فاطر 45، وقوله: "حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ" ص 32، أي الشمس ولم يجر لها ذكر، ورجوع الضمير إلى غير مذكور يدل عليه المقام كثير في كلام العرب، ومنه قول حميد بن ثور: **وصهباء منها كالسفينة نضجت به الحمل حتى زاد شهرا عديدُها.**

فقوله (صهباء منها) أي من الإبل، وتدل قرينة (كالسفينة) مع أن الإبل لم يجر لها ذكر، ومنه أيضا قول حاتم الطائي: **أماوي ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر.**

فقوله (حشرجت وضاق بها الصدر) يعني النفس، ولم يجر لها ذكر كما تدل له قرينة (وضاق بها الصدر)...."[3].

وعن الآيات الثلاثة في قوله تعالى: "وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ" المائدة 44، "والظالمون" المائدة 45، "والفاسقون" المائدة 47، يقول الشنقيطي: "سياق القرآن ظاهر في أن آية "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون" في اليهود لأنه قال قبلها: " وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٌ" المائدة 45، فالخطاب لهم لوضوح دلالة السياق عليه، كما أنه ظاهر أيضا في أن آية "فأولئك هم الفاسقون" في النصارى لأنه قال قبلها "وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ" المائدة 47"[4]، ويقول قبل هذا: "الظاهر المتبادر من سياق الآيات أن آية "هم الكافرون" نازلة في المسلمين لأنه تعالى قال قبلها مخاطبا لمسلمي هذه الأمة: "فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًاۚ" المائدة 44"[5]

[1]- المصدر السابق، ج3، ص58.
[2]- المصدر نفسه ، ج3، ص80.
[3]- نفسه، ج3، ص 218.
[4]- نفسه، ج3، ص81.
[5]- نفسه، ج2، ص80.

فالشنقيطي نظر إلى ما سبق الألفاظ الثلاثة (الكافرون) و(الظالمون) و(الفاسقون) ليخلص إلى أن السياق الذي وضعت فيه الألفاظ الثلاثة يدل على أن الأولى قيلت في المؤمنين، والثانية في اليهود، والثالثة في النصارى، ومِثْلُ هذه الأمثلة التي ذكرها الشيخ كثيرة لا يمكننا ذكرها كلها خوفا من الإطالة.

8- الدلالات البلاغية وأثرها في توضيح المعنى: بعد استقرائنا لأعمال الشنقيطي اتضح لنا أن الشيخ لم يترك بابا من أبواب البلاغة إلا طرقه، ولا أسلوبا من الأساليب البلاغية إلا وضحه وشرحه وأدلى برأيه فيه وأبان عن موقفه منه، خصوصا في كتاب التفسير (أضواء البيان)، فكان ينتقل من آية إلى أخرى موضحا المباحث البلاغية التي وردت في هذه الآية وتلك فيشرحها ويفصل فيها ويبين أثرها في توضيح المعنى وتحقيق الدلالة.

ومن الأبواب البلاغية التي سنتوقف عندها، والتي تناولها الشنقيطي ما يلي:

أ- المجاز والحقيقة: يعرف الشنقيطي المجاز بقوله: "وأما المجاز فهو المعروف عند أهل البلاغة وغيرهم استعمال الكلمة في غير ما وضعت له لعلاقة بينهما قرينة صارفة عن المعنى الحقيقي".[1]

فالمجاز من أهم مباحث علوم اللغة والدلالة والبلاغة، تحدث عنه العلماء في القديم والحديث، فمنهم من آمن بوجوده في اللغة والقرآن، ومنهم من أنكر وجوده في اللغة العربية وفي القرآن لأمر يتعلق بالدين والعقيدة والتوحيد، ومن الذين قالوا بالرأي الأخير الشيخ محمد الأمين الشنقيطي الذي سنعرض آراءه ونبين أدلته وبراهينه في القول بمنع جواز المجاز:

يذكر الشنقيطي في أول أمره أن المجاز ينقسم إلى أربعة أقسام وهي:[2]

1- المجاز المفرد وينقسم إلى مجاز مرسل وإلى استعارة.

2- المجاز المركب وينقسم إلى استعارة تمثيلية ومجاز مرسل مركب.

3- المجاز العقلي: والتجوز فيه في الإسناد لا في لفظ المسند إليه ولا المسند.

4- مجاز النقص والزيادة.

ويذكر أن من المجاز ما هو جائز بالإجماع، ومنه ما هو ممتنع بالإجماع، وقسم مختلف فيه وهو الجمع بين حقيقتين أو مجازين أو حقيقة ومجاز، فهو ثلاثة أقسام باعتبار المنع والجواز، فأما الجائز اتفاقا فهو "ما كان له محمل واحد وكانت علاقته بينة كقولك: رأيت أسدا يرمي فمجمل هذا الكلام واحد، إذ لا يحتمل غير الرجل الشجاع، والعلاقة بين الأسد والرجل ظاهرة وهي الشجاعة".[3]

وأما القسم الثاني وهو القسم الممنوع اتفاقا "هو ما كان غير مفيد للمقصود لما فيه من التعقيد المعنوي المانع من فهم المراد كما لو قلت: رأيت أسدا يرمي تريد رجلا أبخر فإن الأسد وإن كان

[1]- الشنقيطي محمد الأمين: مذكرة في أصول الفقه، ص210.

[2]- المصدر نفسه، ص210.

[3]- الشنقيطي محمد الأمين: نثر الورود على مراقي السعود، ص147.

أبخر فاستعارته للرجل الأبخر بعلاقة البخر غير متعارفة في اللسان العربي، وعدم تعارفها يمنع من فهم المراد، فهذا التعقيد المعنوي يمنع المجاز".[1]

والقسم الثالث هو القسم المختلف فيه وهو الجمع بين حقيقتين أو مجازين أو حقيقة ومجاز،"فمثال إطلاقه على مجازيه قولك: لا أشتري، وتريد لا أسوم، ولا يشتري لي وكيل، ومثال إطلاقه على حقيقته ومجازه عندهم قوله: "وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ" الحج 77، فإن صيغة الأمر حقيقة في الوجوب مجاز في الندب، وهو مستعمل هنا فيهما لتناول الأمر للواجب والمندوب في قوله: "وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ"[2].

ينقل إلينا الشنقيطي نصا لابن قدامة الحنبلي صاحب كتاب "روضة الناظر" فيقول: "يقول المؤلف- يقصد ابن قدامة - والقرآن يشتمل على الحقيقة والمجاز، وهو اللفظ المستعمل في غير موضعه الأصلي على وجه يصح، كقوله: "واخفض لهما جناح الذل" الإسراء24، "وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ" يوسف82، "جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ" الكهف77، "أَوۡ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ" المائدة6، "وجزاء سيئة سيئة مثلها" الشورى40، "فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ" البقرة194، "إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ" الأحزاب57، أي أولياء الله، وذلك كله مجاز لأنه استعمال اللفظ في غير موضعه، ومن منع فقد كابر، ومن سلم وقال: لا أسميه مجازا فهو نزاع في عبارة لا فائدة في المشاحة فيه".[3]

هذا هو رأي ابن قدامة في التسليم بوجود المجاز في القرآن، فيعارضه الشنقيطي وهو يشرح قوله برأي مختلف تماما فيقول رادا عليه: "اعلم أن من منع القول في المجاز في القرآن ابن خويز من المالكية وأبا الحسن الخزري البغدادي وأبا عبد الله بن حامد وأبا الفضل التميمي وداود بن علي وابنه أبا بكر ومنذر بن سعيد البلوطي وألف فيه مصنفا، وقد بينا أدلة منعه في القرآن في رسالتنا المسماة "منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز"[4].

في هذا القول أحالنا الشيخ إلى كتابه، فرجعنا إليه فوجدناه يدافع عن رأيه وينفي ورود المجاز في القرآن قائلا: "لما رأينا جل أهل هذا الزمان يقولون بجواز المجاز في القرآن، ولم ينتبهوا لأن هذا المنزل للتعبد والإعجاز كله حقائق وليس فيه مجاز، وإن القول بالمجاز ذريعة لنفي كثير من صفات الكمال والجلال، وأن نفي ما ثبت في كتاب الله أو سنة لا شك أنه محال، أردنا أن نبين في هذه الرسالة ما يفهم منه الحاذق الذائق أن القرآن كله حقائق، وكيف يمكن أن يكون شيء منه غير حقيقة، وكل كلام منه بغاية الكمال جديرة حقيقة، إنه لقول فصل وما هو بالهزل، أخباره كلها صدق وأحكامه كلها عدل".[5]

ومن الأدلة التي ساقها عن صحة رأيه ما يلي:[6]

---

[1]- المصدر السابق، ج1، ص149.

[2]- المصدر نفسه، ج1، ص141 وما بعدها.

[3]- الشنقيطي محمد الأمين، مذكرة في أصول الفقه، ص68 وما بعدها.

[4]- المصدر نفسه، ص69.

[5]-الشنقيطي محمد الأمين: منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز، إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد، دار علم الفوائد، جدة، د ت، دط، ص3.

[6]- للتفصيل في هذا الموضوع يراجع: جلول دواجي عبد القادر: ظاهر المجاز عند الشنقيطي، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، جامعة الجلفة، عدد 13، مارس 2013، ص77 وما بعدها.

1- إن التسليم بوجود المجاز في القرآن لدلالة واضحة على نفي صفات الكمال والجلال التي وصف الله تعالى بها نفسه وأثبتها في كتابه العزيز، فالمجاز يجوز نفيه وهذا من أعظم وسائل التعطيل.[1]

2- إن قوله تعالى: **"واخفض لهما جناح الذل"** المثال الذي ساقه ابن قدامة الحنبلي على أنه مجاز، ليس بمجاز وليس المراد به أن للذل جناحا، وإنما (اخفض لهما جناح الذليل من الرحمة) ونظيره من كلام العرب قولهم "حاتم الجود" أي موصوف بالجود، وهذا ما يعرف بإضافة الموصوف إلى الصفة... وإضافة صفة الإنسان لبعض أجزائه أسلوب من أساليب اللغة العربية"[2].

3- يقول تعالى: "واسأل القرية" ففيه حذف مضاف، وحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أسلوب من أساليب اللغة العربية، والمضاف مدلول عليه بدلالة الاقتضاء وليست من المجاز[3]، أي إنه أراد (أهل القرية).

4- وقوله تعالى: **"جدارا يريد أن ينقض"** لا مجاز فيه، لأن آيات القرآن دلت على أنه لا مانع من كون إرادة الجدار حقيقة لأن الله تعالى يعلم للجمادات إرادات وأفعالا وأقوالا لا يدركها الخلق كقوله تعالى: "وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ" الاسراء44، وقوله: "وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله" البقرة 44، وقوله: "إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا" الأحزاب 72، ومن الأحاديث الدالة على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إني لأعرف حجرا كان يسلم علي بمكة"....[4]

5- وأما قوله تعالى: "وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا" الشورى 40، وقوله: "فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ" البقرة 194، لا مجاز فيه وبذلك اعترف أكثر علماء البلاغة حيث عدوا هذا النوع من البديع وسموه باسم المشاكلة، ومعلوم أن المجاز من فن البيان لا من فن البديع، وهذا أسلوب من أساليب العربية.[5]

6- وأما قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ" الأحزاب 57، فليس صحيح ، (يؤذون أولياءه)، بل معنى إيذاءهم الله كفرهم به وجعلهم له الأولاد والشركاء وتكذيبهم رسله.[6]

7- إن الله تبارك وتعالى موصوف بالصفات التي وصف بها نفسه في القرآن حقيقة لا مجازا... لأن المجاز يجوز نفيه، والحقيقة لا يجوز نفيها، فقالوا مثلا: اليد مجاز يراد به القدرة والنعمة أو الجود، فنفوا صفة اليد لأنها مجاز، وقالوا (على العرش استوى) مجاز، فنفوا الاستواء لأنه مجاز، وقالوا معنى استوى: استولى وشبهوا استيلاءه باستيلاء بشر بن مروان على العراق، ولو تدبروا كتاب الله لمنعهم ذلك من تبديل الاستواء بالاستيلاء، واليد بالقدرة والنعمة، لأن الله تعالى يقول:

---

[1]- الشنقيطي محمد الأمين: منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز، ص03 وما بعدها.
[2]- المصدر نفسه، ص69 وما بعدها.
[3]- المصدر نفسه، ص70.
[4]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص137.
[5]- الشنقيطي محمد الأمين: منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز، ص71 وما بعدها.
[6]-المصدر نفسه، ص72.

"فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون" الأعراف 162"[1].

8- إن الشنقيطي كان مقتنعا بما قاله العلماء قبله من مثل الشيخ ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية حيث قال: "قال قوم لا يجوز أن يقال في القرآن مجاز.... والذي ندين الله به ويلزم به قبوله كل منصف محقق أنه لا يجوز إطلاق المجاز في القرآن مطلقا.... وذكر أن المجاز لا وجود له في اللغة أيضا"[2].

ويذكر الشنقيطي أن أقسام المجاز ثلاثة هي: مجاز عقلي ومجاز مركب ومجاز مفرد.[3]

ويعرف الأول (**المجاز العقلي**) أو ما يسمى الإسناد المجازي أو المجاز الحكمي في الإثبات، وهو "إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له في اعتقاد المتكلم لأجل ملابسة بينهما أي المسند وذلك الغير الذي أسند إليه مع قرينة مانعة عن إرادة ما هو له، والقرينة لفظية أو معنوية، والملابسة المذكورة كملابسة الفعل لفاعله لوقوعه منه أو مفعوله لوقوعه عليه أو مصدره لأنه جزء من معناه...."[4]، كقوله تعالى: "فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ" الحاقة 21، وقولهم " سيل مفهم"...

وأما **المجاز المركب** وهو القسم الثاني فهو "اللفظ المركب الذي استعملت مفرداته في حقائقها اللغوية، واستعمل مجموع معناه في غير ما وضع له مجموع تلك الكلمات المستعملة في حقائقها لعلاقة بينهما مع قرينة صارفة عن قصد المعنى الأصلي، كقولك للمتردد في فعل أمر(مالك تقدم رجلا وتؤخر أخرى)"[5]

والقسم الثالث من المجاز هو **المجاز المفرد** وهو "الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح به التخاطب لعلاقة جامعة بينهما مع قرينة صارفة عن قصد المعنى الأصلي: كقولك: رأيت أسدا يرمي"[6].

ويقابل المجاز **الحقيقة** وهي "من حق الشيء يحق بالكسر والضم إذا ثبت ووجب، فهي فعيل بمعنى فاعل أو بمعنى مفعول من حققته إذا أثبته، وهي في الاصطلاح: الكلمة الثابتة في معناها الأصلي على الأول أو المثبتة فيه على الثاني، والتاء في الحقيقة للنقل من الوصفية إلى العلمية فهي علامة للفرعية كما أن المؤنث فرع المذكر، وقيل: للتأنيث".[7]

وتنقسم الحقيقة كما ذكر الشنقيطي إلى حقيقة شرعية وحقيقة عرفية وحقيقة لغوية، **فالحقيقة الشرعية** هي أن يكون اللفظ موضوعا وضعا عاما شاملا لجميع الأفراد الداخلة تحت مسماه فيسمي الشرع بعض تلك الأفراد بذكر الاسم العام، كالصوم فإنه وضع لكل إمساك، فمن أمسك عن الكلام فقد صام لغة،....وقد خص الشرع هذه الحقيقة ببعض أفرادها وهو إمساك البطن والفرج عن شهوتهما من الفجر إلى الغروب".[8]

---

[1]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج7، ص295.
[2]- الشنقيطي محمد الأمين: منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز، ص6، و أضواء البيان، ج7، ص48 وج3 ص281.
[3]- الشنقيطي محمد الأمين: رحلة الحج إلى بيت الله الحرام، ص157.
[4]- المصدر نفسه، ص157.
[5]- نفسه، ص161.
[6]- نفسه، ص162.
[7]- الشنقيطي محمد الأمين: نثر الورود على مرا قي السعود، ج1، ص143.
[8]- المصدر نفسه، ج1، ص143 وما بعدها.

والحقيقة العرفية هي "أن يختص الاستعمال عرفا ببعض ما دل عليه اللفظ لغة، كالدابة في اللغة لكل ما دب، وفي العرف تستعمل في بعض ما يدب دون بعض، فالنوع الذي تستعمل فيه من الدواب عرفا هو حقيقتها العرفية"[1].

والحقيقة اللغوية هي: "التي لم ينقلها عن أصلها استعمال شرعي ولا عرفي"[2] أي هي الكلمة المستعملة فيما وضعت له من غير تأويل في الوضع.

ب-الاستعارة: الاستعارة وهي من أقسام المجاز المفرد كما ذكر الشنقيطي حيث يقول: "الاستعارة هي مجاز علاقته المشابهة"[3]، وتنقسم إلى قسمين : أصلية وتبعية.

فالإستعارة الأصلية هي: "الاستعارة في أسماء الأجناس الجامدة والمصادر....ومثال الاستعارة الأصلية: رأيت أسدا على فرسه، ففي لفظة (أسد) في هذا المثال استعارة أصلية صريحة، فإنه أراد تشبيه الرجل الشجاع بالأسد لعلاقة الشجاعة، فحذف المشبه الذي هو الرجل الشجاع، وصرح بالمشبه به الذي هو الأسد على سبيل الاستعارة التصريحية، وصارت أصلية لأن الأسد اسم جنس جامد"[4].

أما الإستعارة التبعية فهي: "قسمان: أحدهما الاستعارة في المشتقات كاسم الفاعل والفعل، والثاني: الاستعارة في متعلق معنى الحرف وهو المقصود بالبيان، ... ومثال الاستعارة التبعية في المشتق قولك: الحل ناطقة بكذا، فالمراد عندهم تشبيه دلالة الحال بالنطق بجامع الفهم والإدراك بسبب كل منهما، فحذف الدلالة التي هي المشبه، وصرح بالنطق الذي هو المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية، واشتق من النطق اسم الفاعل الذي هو ناطقة، فجرت الاستعارة التبعية في اسم الفاعل الذي هو ناطقة، وإنما قيل تبعية لأنها إنما جرت فيه تبعا لجريانها في المصدر الذي هو النطق لأن المشتق تابع للمشتق منه، ولا يمكن فهمه بدون فهمه"[5]. ومثال الاستعارة التبعية في متعلق معنى الحرف: (مِن) معناها ابتداء الغاية، نحو(سرت من البصرة إلى الكوفة) و(في) معناها الظرفية نحو(زيد في الدار)، و(كي) معناها العلة والغرض نحو(جئتك كي تكرمني) وهكذا، فهذه متعلقات معاني الحروف لا نفس معانيها، وإلا لكانت أسماء"[6].

ومن أمثلة الاستعارة في القرآن التي فصل شرحها الشنقيطي بإسهاب قوله تعالى: "فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ" النحل 112، وقوله: "وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ " الحج 4، وقوله: "هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٌ لَّهُنَّ" البقرة 187، وغيرها.[7]

ج-التشبيه (التمثيل): وهذا المبحث لم يعرِّفه الشنقيطي، ومر عليه سريعا دون التفصيل فيه والإسهاب في الحديث عنه، وسماه بالتمثيل مرة وبالتشبيه مرة أخرى، ومن أمثلة حديثه في هذا المبحث قوله تعالى: "إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٌ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٌ مِّثۡلُهُۥ" آل عمران 140، فقال الشيخ

---

[1]- الشنقيطي محمد الأمين: نثر الورود على مرا قي السعود، ج1، ص144.
[2]- المصدر نفسه، ج1، ص144.
[3]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج6، ص301.
[4]- المصدر نفسه، ج6، ص301.
[5]- نفسه، ج6، ص301.
[6]- الشنقيطي محمد الأمين: رحلة الحج إلى بيت الله الحرام، ص183.
[7]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج3، ص282 وما بعدها/ج5 ص12/ج3 ص282 بحسب توالي الآيات.

مفسرا: "المراد بإفراد المثل: تشبيه القرح بالقرح في مطلق النكاية والألم".[1] وقال وهو يتحدث عن المثل: " فإن الأمثال كلها قياسات يعلم منها حكم الممثل من الممثل به، وقد اشتمل القرآن على بضعة وأربعين مثلا تتضمن تشبيه الشيء بنظيره والتسوية بينهما في الحكم"[2].

ويقول في موضع آخر: "أجاز البلاغيون قلب المشبه مشبها به والمشبه به مشبها بشرط أن يتضمن ذلك نكتة وسرا لطيفا كما هو المعروف عندهم في مبحث التشبيه المقلوب، وأجازه كثير من علماء العربية، والذي يظهر لنا أنه أسلوب عربي نطقت به في لغتها إلا أنه يحفظ ما يسمع منه ولا يقاس عليه ومن أمثلته في التشبيه المقلوب قول الراجز:

ومنهل مغبرة أرجاؤه   كأن لو أرضه سماؤه.

أي كأن سماءه لون الأرض، وقول الآخر:

وبدا الصباح كأن غرته   وجه الخليفة حين يمتدح

لأن أصل المراد تشبيه وجه الخليفة بغرة الصباح، فقلب التشبيه ليوهم أن الفرع أقوى من الأصل في وجه الشبه، وقالوا: ومن أمثلته في القرآن: "وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ" القصص 76، لأن العصبة من الرجال هي التي تنوء بالمفاتيح أي تنهض بها بمشقة وجهد لكثرتها وثقلها، وقوله تعالى: "فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ" القصص 66، أي عموا عنها، ومن أمثلته في كلام العرب قول كعب بن زهير:

كأن أوب ذراعيها إذا عرقت   وقد تلفع بالقور العساقيل.

لأن معنى قوله (تلفع) لبس اللفاع وهو اللحاف والفوز الحجارة العظام، والعساقيل: السراب، والكلام مقلوب لأن القور هي التي تلتحف بالعساقيل..."[3].

ومن التشبيه قوله تعالى: **"كذلك يوحي إليك"** الشورى 3، فيقول الشنقيطي: "ظاهر كلامه أن التشبيه في قوله: "كذلك يوحي" بالنسبة إلى الموحى باسم المفعول، والأظهر أن التشبيه في المعنى المصدري الذي هو الإيحاء"[4].

وأما قوله تعالى: "وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ" الشورى 32، فشبه السفن بالجبال لعظمتها كما ذكر الشيخ[5].

<u>د- الكناية:</u> وهي مبحث بلاغي تحدث عنه الشنقيطي ويعرفها بأنها: "لفظ مستعمل في لازم معناه الموضوع هو له مع جواز إرادة ذلك المعنى الحقيقي".[6]

وتنقسم الكناية إلى قسمين: حقيقة ومجاز، "فالحقيقة منها هي: اللفظ المستعمل في أصله أي ما وضع له مرادا منه لازمه نحو: فلان طويل النجاد بكسر النون وهي حمائل السيف استعمل في طول الحمائل مقصودا به طول القامة، لكن قصد المعنى الحقيقي لا يتعلق به الإثبات والنفي ويرجع إلى الصدق والكذب، بل لينتقل إلى لازمه فيكون مناط الإثبات والنفي ومرجع الصدق

---

[1]- المصدر السابق، ج1، ص226.
[2]- نفسه، ج4، ص462.
[3]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج7، ص255.
[4]- المصدر نفسه، ج7، ص95.
[5]- نفسه، ج7، ص125.
[6]- الشنقيطي محمد الأمين: نثر الورود على مراقي السعود، ج1، ص169.

والكذب فيصح الكلام وإن لم يكن له نجاد قط، والمجاز منها هو اللفظ المستعمل في لازم معناه الحقيقي"[1].

ويضيف الشيخ شارحا: "والحاصل على هذا المذهب، أنك إذا قلت: زيد كثير الرماد، فإن أردت معناه ليستفاد منه الكرم فهو حقيقة، وإن لم ترد المعنى، وإنما عبرت بالملزوم الذي هو كثرة الرماد عن اللازم الذي هو الكرم كان مجازا لأنه استعمال اللفظ في غير ما وضع له"[2].

ومن شواهد الكناية في أعمال الشنقيطي نذكر على سبيل المثال قوله تعالى: "وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ" الشعراء 215، فيقول الشيخ: "وخفض الجناح كناية عن لين الجانب والتواضع، ومنه قول الشاعر:

وأنت الشهير بخفض الجناح فلا تك في رفعه أجدلا.

وبين هذا المعنى في مواضع أخر، كقوله في الشعراء: "وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ" الشعراء 215 ، وكقوله: "فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ" آل عمران 159"[3].

ويقول تعالى: "فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ" الكهف 11، فذكر الشيخ أن هذه الآية كناية عن كونه أنامهم أي أنمناهم إنامة ثقيلة لا تنبههم فيها الأصوات[4]، وقوله تعالى: "يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا" المزمل 17، فهذا كناية عن شدة الهول[5]، وقوله تعالى: "وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ" الفرقان 27 يذكر الشيخ أن هذا كناية عن شدة الندم والحسرة لأن النادم ندما شديدا يعض على يديه[6]، وغيرها من الشواهد التي استدل بها الشنقيطي في مبحث الكناية.

<u>هـ-الالتفات:</u> لغة: "لفت الشيء بفتح الفاء: لواه على وجهه ولفت فلانا عن الشيء: صرفه، ولفت رداءه على عنقه: عطفه، واللفت: اللي،....ولفت الشيء وفتله إذا لواه....واللفوت من النساء التي تكثر التلفت".[7]

فمادة (لفت) في هذا التعريف والتعاريف اللغوية الأخرى تدور حول دلالة واحدة هي التحول أو الانحراف عن المألوف أو الدوران إلى جهة غير مستقيمة.

واصطلاحا فهو: "الانتقال في الكلام عن صيغة إلى صيغة أخرى، كانتقال من خطاب حاضر إلى غائب أو من خطاب غائب إلى حاضر أو من فعل ماض إلى مستقبل أو من مستقبل إلى ماض"[8].

وفي كتب التراث البلاغي والنقدي تعاريف متعددة ومتباينة ذكرها الدارسون في مصنفاتهم وكتبهم[9].

---

[1]- المصدر السابق، ج1، ص169.
[2]- نفسه، ج1، ص170.
[3]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج3، ص148 وما بعدها.
[4]- المصدر نفسه، ج4، ص17 وما بعدها.
[5]- نفسه، ج5، ص9.
[6]- نفسه، ج6، ص211.
[7]-ابن منظور: لسان العرب، ج2، ص84 (لفت).
[8]-عكاوي إنعام فوال: المعجم المفصل في علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1417هـ/ 1996، ج2، 208.
[9]-يراجع: طبل حسن: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر القاهرة، ط1، 1998م، ص ص 11-29 .

وأوردوا له مصطلحات متعددة منها الصرف والعدول والانصراف والتلون ومخالفة مقتضى الحال وشجاعة العربية والعدول والانزياح والتحول الأسلوبي وغيرها من تلك المصطلحات.

ومن الأمثلة والشواهد التي ضربها الشنقيطي في هذا المجال قوله تعالى: "ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ" طه 53، فيقول الشيخ: "هذا التفات من الغيبة إلى التكلم بصيغة التعظيم... فهو يدل على عظمته جل وعلا وشدة احتياج الخلق إليه ولزوم طاعتهم له جل وعلا"[1].

ومن أمثلة الالتفات ذكر الشنقيطي قوله تعالى: "وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا" الأنعام 99، وقوله: "أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَا" فاطر 27، وقوله: "أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ" النمل 60"[2]

ومن الالتفات: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة كما في قوله تعالى: "فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشٗا" الزخرف 8.[3]

فالالتفات في هذه الأمثلة ساهم في بيان معنى الآيات، فأمر التفكر في خلق الكون والإنسان هو أمر يأخذ العقل بالشرود في التفكير، غير أن هذا الالتفات أحيانا أشد من هذا الشرود بأن يبقى الإنسان أمام عظمة الله حاضرا بعقله وضميره الحي نابضا بحيوية التدبر.

<u>و-القسم:</u> هو "عبارة عن أن يُحلف على شيء بما فيه فخر أو مدح أو تعظيم أو تغزل أو زهو، أو غير ذلك مما يكون فيه رشاقة في الكلام وتحسين له".[4]

وللقسم صيغ كثيرة منها: "أقسم بالله لفعلت أو لأفعلن، أحلف بالله لأفعل أو لتفعلن، أشهد لأفعلن، وأشهد الله لأفعلن، علم الله أو يعلم الله لأفعلن".[5]

والعرب يختصرون عبارات وصيغ القسم فيحذفون منها فعل القسم، ويشيرون إليه بأداة كحرف القسم، مثل: والله وتالله وبالله، والغرض من إنشاء القسم تأكيد الجملة الخبرية، وهو من مؤكدات الخبر.

ومن أمثلة القسم في مؤلفات الشنقيطي قوله تعالى: "فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ" النساء 65، فيقول الشيخ شارحا: "أقسم في هذه الآية بنفسه الكريمة المقدسة، أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم رسول صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور ثم ينقاد لما حكم به ظاهرا أو باطنا ويسلم تسليما كليا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة".[6]

---

[1]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص320.
[2]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص320.
[3]- المصدر نفسه، ج7، ص133.
[4]-عكاوي إنعام فوال: المعجم المفصل في علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، ج2، ص621.
[5]- الميداني عبد الرحمن حسن جبنكة: البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها: دار القلم دمشق والدار الشامية بيروت، ط1، 1416هـ/ 1996م، ج1، ص226.
[6]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، ص262.

ومن شواهد القسم أيضا يقول الشنقيطي: "أقسم جل وعلا على أنه يسألهم (الكفار) عن هذا الافتراء والكذب، وهو زعمهم أن نصيبا مما خلق الله للأوثان التي لا تنفع ولا تضر في قوله: "تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ" النحل 56، وهو سؤال توبيخ وتقريع".[1]

ومن القسم أيضا قوله تعالى: "وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ" النحل 96، فيذكر الشنقيطي بأن الله جل وعلا أقسم في هذه الآية أنه سيجزي الذين صبروا أجرهم أي جزاء عملهم بأحسن ما كانوا يعملون"[2].

ومن القسم قوله تعالى: "وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ إِنَّكُمۡ لَفِى قَوۡلٍ مُّخۡتَلِفٍ" الذاريات 7 و8، فيقول الشيخ: "المقسم عليه في هذه الآية هو قوله تعالى: "إنكم لفي قول مختلف"[3]، وكذلك قوله تعالى: "وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ" الحج 40".[4]

ويقول الشيخ عن قوله تعالى: "وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ" سبأ 3، ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن الكفار أنكروا البعث، وقالوا: لا تأتينا الساعة أي القيامة، وأنه جل وعلا أمر نبيه أن يقسم لهم بربه العظيم أن الساعة سوف تأتيهم مؤكدا ذلك توكيدا متعددا"[5].

ويضيف في نفس السياق: "قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية الكريمة: هذه إحدى الآيات الثلاثة التي لا رابعة لهن مما أمر الله رسوله أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد، لما أنكره من أنكره من أهل الكفر والعناد، فإحداهن في سورة يونس عليه السلام وهي قوله تعالى: "وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ" يونس 53، والثانية: "وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ" سبا 03، والثالثة في سورة التغابن وهي قوله تعالى: "زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡ" التغابن 07"[6].

ومن أساليب القسم قوله تعالى: "صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِى ٱلذِّكۡرِ" ص 01، يقول الشيخ بعد استعراضه لأقوال العلماء في حذف لام القسم أو المقسم عليه وإلام يعود المقسم عليه: "الذي يظهر لي صوابه بدليل استقراء القرآن أن جواب القسم محذوف وأن تقديره "والقرآن ذي الذكر" ما الأمر كما يقوله الكفار...أما الدليل من القرآن على أن المقسم عليه محذوف فهو قوله تعالى: "بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ" ص 2، لأن الإضراب بقوله (بل) دليل واضح على أن المقسم عليه المحذوف (ما الأمر كما يقول الذين كفروا بل الذين كفروا في عزة أي في حمية وأنفة واستكبار عن الحق وشقاق أي مخالفة ومعاندة"[7].

[1]- المصدر السابق، ج3، ص214.
[2]- نفسه، ج3، ص263.
[3]-نفسه، ج7، ص438.
[4]- نفسه، ج5، ص481.
[5]- المصدر نفسه، ج6، ص401.
[6]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج6، ص401.
[7]- المصدر نفسه، ج7، ص6 وما بعدها.

ومن الشواهد عن القسم قوله تعالى: "وَٱلطُّورِ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ" الطور 1 و2[1]، وقوله: "وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ" النجم 1 و2[2]، وما إلى ذلك من الآيات.

ز- القصر والحصر: يعرفه البلاغيون بأنه "تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص، وهو الحبس والإلزام، والقصر في علم المعاني تخصيص شيء أو أمر وله طرق أربعة هي: النفي والاستثناء وإنما والعطف بـ (لا) و(لكن) و(بل) وتقديم ما حقه التأخير"[3].

وأما الحصر فهو "من حصر وحصره حصرا: ضيق عليه وأحاط به، والحصر: الإحاطة والتضييق، وعرفه السيوطي بأنه هو القصر ومعناه تخصيص شيء بطريق مخصوص"[4].

ويقول الشيخ عن الحصر: إنما يكون للحصر مفهوم في الأدوات نحو إنما وتقديم المعمول وتعريف الجزأين وكذلك إلا[5]، ومن أمثلة القصر والحصر في مؤلفات الشيخ قوله تعالى: "وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا" الإسراء 94، فذكر الشنقيطي أن "الحصر في هذه الآية حصر في المانع العادي، وأما الحصر في قوله تعالى: "وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلٗا" الكهف 55، فهو حصر في المانع الحقيقي، لأن إرادته جل وعلا عدم إيمانهم وحكمه عليهم بذلك، وقضاؤه به مانع حقيقي من وقوع غيره"[6].

ومن صيغ الحصر بإنما يذكر الشنقيطي آيات أخر مثل قوله تعالى: "قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ" الأحزاب 63، وقوله: "قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ" الأنبياء 108[7]، وقوله: " قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ" الكهف 110[8].

ويتفق الشنقيطي مع البلاغيين في أن أسلوب القصر ينقسم تبعا لغرض المتكلم إلى قسمين: حقيقي وإضافي.

فالحقيقي هو تخصيص الشيء بالشيء لا يتجاوزه إلى سواه حقيقة أو ادعاء، كقوله تعالى: "لا إله إلا أنا"، **والإضافي** فهو تخصيص الشيء قياسا أو إضافة إلى شيء معين، بحيث لا يتعداه إلى ذلك الشيء، وإن صح أن يتعداه إلى شيء آخر، كقولك "ما شاعر إلا شوقي" أي لا حافظ مثلا، فأنت قصرت الشعر على شوقي بحيث لا يتجاوزه إلى حافظ، ويصح أن تخلع الصفة على غير حافظ، فقصر الشعر على شوقي جاء مقارنة مع حافظ لا مع كل الشعراء[9].

1- المصدر السابق، ج7، ص450.
2- نفسه، ج7، ص460.
3- عكاوي إنعام فوال: المعجم المفصل في علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، ج4، ص621.
4- المرجع نفسه، ج3، ص543.
5- الشنقيطي محمد الأمين: مذكرة في أصول الفقه، ص 285.
6- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص106.
7- المصدر نفسه،ج6، ص397.
8- نفسه، ج7، ص71.
9- العاكوب عيسى علي وعلي السعد الشتيوي: الكافي في علوم البلاغة العربية (المعاني والبيان والبديع)، مطبوعات الجامعة المفتوحة، مصر، 1993، ص232 وما بعدها.

ومثال القصر الإضافي في قوله تعالى: "طه مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ" طه 1 و2، يقول الشيخ: "وهذا القصر على التذكرة إضافي، وكذلك القصر في قوله تعالى: "وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه" النحل 63"[1].

ويقول تعالى أيضا في موضع آخر: "قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ" فصلت 6، فيقول الشيخ: "القصر في قوله: "إنما أنا بشر" إضافي أي لا أقول لكم إني ملك، وإنما أنا رجل من البشر"[2].

وفي قوله تعالى: "إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ" يس 11، يقول الشيخ: "هذا إنذار العام هو الذي قصر على المؤمنين قصرا إضافيا في قوله (وذكر الآية)، لأنهم هم المنتفعون به دون غيرهم"[3]، وغير هذه الشواهد والأمثلة كثير في كتب الشنقيطي.

ح-<u>الاستفهام:</u> يعرف الاستفهام بأنه من "الفهم، فهمت الشيء: عقلته، واستفهمه: سأل أن يفهمه، قال الصاحبي: "الاستفهام طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل ، وهو الاستخبار الذي قالوا فيه: إنه طلب خبر ما ليس عندك وهو بمعنى الاستفهام، ومنهم من فرق بينهما، وقال: "إن الاستخبار ما سبق أولا ولم يفهم حق الفهم، فإذا سألت عنه ثانية كان استفهاما""[4].

فالاستفهام أسلوب من أساليب الإنشاء الطلبية التي أفاض فيها البلاغيون حديثا، قدامى ومحدثون عن ماهيته وأدواته وأغراضه وأنواعه.

ومن شواهد هذا المبحث البلاغي قوله تعالى: "وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ" النساء 125، فوقف عندها الشنقيطي قائلا: "ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أنه لا أحد أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله في حال كونه محسنا لأن استفهام الإنكار مضمن معنى النفي"[5].

ففي الآية استفهام أداته (مَن) وتضمن معنى النفي وغرضه الإنكار كما ذكر الشيخ، ومن أمثلة الاستفهام أيضا قوله تعالى: "أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ" الأعراف 63، وفي هذه الآية أنكر الله على قوم نوح وقوم هود عجبهم من إرسال رجل، وبين في مواضع أخر أن جميع الأمم عجبوا من ذلك فقال في عجب قوم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم "أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ" يونس 02...كما ذكر الشنقيطي لما وقف عند الآية[6].

وفي قوله تعالى: "فَبِمَ تُبَشِّرُونَ" الحجر 54 يقول الشنقيطي: "الظاهر أن استفهام النبي إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام للملائكة (فبم تبشرون) استفهام تعجب من كمال قدرة الله تعالى، ويدل أنه تعالى ذكر أن ما وقع له وقع نظيره لامرأته حيث قالت "ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ" هود 72، وقد

---

[1]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج7، ص23.
[2]- المصدر نفسه، ج7، ص71.
[3]- نفسه، ج2، ص217.
[4]-عكاوي إنعام فوال: المعجم المفصل في علوم البلاغة، ج1، ص122.
[5]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، ص332.
[6]- المصدر نفسه، ج2، ص242.

بين تعالى أن ذلك الاستفهام لعجبها من ذلك الأمر الخارق للعادة في قوله: "قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ" هود 73.[1]

ففي القول موافقة لما ورد عن البلاغيين أن من أنواع الاستفهام التعجب، ويسمى أيضا باستفهام التعجيب وسماه البعض الآخر (استفهام التنبيه)[2]، ويسمى بالاستفهام التعجبي حيث يكون صادرا من متعجب فعلا، ويسمى كذلك حين يكون الغرض من إيراده إثارة العجب عند من يخاطَب به أو يتلقاه، ومنه ما يكون صادرا عن الله عز وجل، إذ ليس من صفاته سبحانه أن يتعجب تعجب استغراب واستبعاد نظرا إلى سابق علمه تعالى بكل ما يحدث من عباده قبل حدوثه، وعلمه بخلقه وصفاتهم وخصائصهم النفسية والسلوكية، وما ورد في بعض الأحاديث النبوية من نسبة العجب إلى الله عز وجل فهو بمعنى الاستحسان المقتضي للرضا والمثوبة".[3]

وينبه الشنقيطي في تفسيره إلى قضية مهمة وهي: "كل ما جاء في القرآن من همزة استفهام بعدها واو العطف أو فاؤه كقوله: "أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا" الزخرف 05، "أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ" سبأ 9، "أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ" الجاثية 31، فيه وجهان معروفان عند علماء العربية: أحدهما: أن الفاء والواو كلتاهما عاطفة ما بعدها على محذوف دل المقام عليه، كقولك مثلا(أنمهلكم فنضرب عنكم الذكر صفحا) و(أعموا فلم يروا إلى ما بين أيديهم؟) و(ألم تأتكم آياتي فلم تكن تتلى عليكم) وهكذا...، والوجه الثاني: أن الفاء والواو كلتاهما عاطفة للجملة المصدرة بهمزة الاستفهام على ما قبلها ، إلا أن همزة الاستفهام تزحلقت عن محلها فتقدمت على الفاء والواو وهي متأخرة عنهما في المعنى، وإنما تقدمت لفظا عن محلها معنى لأن الاستفهام له صدر الكلام"[4].

ويؤكد الشنقيطي أن كل الأسئلة المتعلقة بتوحيد الربوبية استفهامات تقدير يراد منها أنهم إذا أقروا رتب لهم التوبيخ والإنكار على ذلك الإقرار لأن المقر بالربوبية يلزمه الإقرار بالألوهية ضرورة، نحو قوله تعالى: "أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ" إبراهيم 10، وقوله: "قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبًّا" الأنعام 164، وإن زعم بعض العلماء أن هذا استفهام إنكار، لأن استقراء القرآن دل على أن الاستفهام المتعلق بالربوبية استفهام تقرير وليس استفهام إنكار لأنهم لا ينكرون الربوبية"[5].

وذكر الشيخ آيات كثيرة عن غرض هذا الاستفهام وهو التقرير والإقرار كقوله تعالى: "أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ " النمل 60 و61 و62 و63 و64، "أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا" وَ"أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ" و"أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ" و"أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ" ... وغيرها من الآيات.[6]

وفي سياق الاستفهام ينوه الشنقيطي إلى قاعدة هامة يقول فيها: "كل فعل مضارع في القرآن مجزوم بلم إذا تقدمتها همزة استفهام كقوله هنا: "أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًا" طه 86، فيه

[1]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج3، ص114.
[2]- عكاوي إنعام فوال: المعجم المفصل في علوم البلاغة، ج1، ص130.
[3]- الميداني عبد الرحمن حسن جبنكة: البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها: ، ج1، ص278.
[4]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج3، ص209.
[5]- المصدر نفسه، ج3، ص306.
[6]- المصدر نفسه، ج3، ص306 وما بعدها.

وجهان معروفان عند العلماء: **الأول:** أن مضارعته تنقلب ماضوية، ونفيه ينقلب إثباتا فيصير (ألم يعدكم) بمعنى وعدكم، وقوله "أَلَمۡ نَشۡرَحۡ" الشرح1، بمعنى شرحنا، وقوله: "أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ" البلد 8، جعلنا له عينين، **والوجه الثاني:** أن الاستفهام في ذلك التقرير، وهو حمل المخاطب على أن يقر فيقول (بلى) ، وعليه فالمراد من قوله (ألم يعدكم ربكم) حملهم على أن يقروا بذلك فيقولوا (بلى) هكذا، ونظير هذا من كلام العرب قول جرير: **ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح"**[1].

وعن قوله تعالى: "قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ" الأنبياء 42، يقول الشنقيطي: "قال أبو حيان في البحر: هو استفهام تقريع وتوبيخ، وهو عندي يحتمل الإنكار والتقرير، فوجه كونه إنكاريا أن المعنى: لا كاليء لكم يحفظكم من عذاب الله البتة إلا الله تعالى، أي فكيف تعبدون غيره، ووجه كونه تقريريا أنهم إذا قيل لهم: من يكلؤكم؟ اضطروا إلى أن يقروا بأن الذي يكلؤهم هو الله....فإذا أقروا بذلك توجه إليهم التقريع والتوبيخ"[2]. والأمثلة من مثل هذا كثيرة.

ولا يخفى على عاقل أنه لا استفهام من دون أداة قد تكون ظاهرة وقد تكون محذوفة، ومن أدوات الاستفهام: الهمزة وهل ومَن وما ومتى وأيان وكيف وأين وأنى وكم وأي.

وقد أحصى البلاغيون معاني كثيرة يخرج إليها الاستفهام عن حقيقته، إذا انتهوا إليها عند دراسة مختلف نصوص الكلام العربي من قرآن وحديث وشعر ونثر، ومن هذه المعاني: الإنكار والتوبيخ والتقرير والتعجب والعتاب والافتخار والتفخيم أو التعظيم والتهويل أو التخويف والتذكير والتهديد والوعيد والتكثير والتسوية والأمر والتنبيه والترغيب والنهي والدعاء والتمني والترجي والعرض والتحضيض والتجاهل والتحقير والتهكم والسخرية والإخبار وغيرها.

<u>ط- التعجب:</u> يعرفه التهانوي في كشافه بقوله: "عند أهل العربية من أقسام الخبر على الأصح، قال ابن فارس: "هو تفضيل الشيء على أضرابه"، وقال ابن الصائغ: "استعظام صفة خرج بها المتعجب منه على نظائره"، وقال الزمخشري: "معنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله"، وقال الرماني: "المطلوب في التعجب الإبهام لأن من شأن الناس أن يتعجبوا مما لا يعرف سببه، فكلما استبهم السبب كان التعجب أحسن""[3].

ومما قاله الشنقيطي في هذا المبحث البلاغي عن قوله تعالى: "أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ" مريم 38، "صيغتا تعجب، ومعنى الآية الكريمة أن الكفار يوم القيامة يسمعون ويبصرون الحقائق التي أخبرتهم بها الرسل سمعا وإبصارا عجيبين".[4]

وعن قوله تعالى: "كَبُرَتۡ كَلِمَةً تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ" الكهف 5، يقول الشيخ: "إن ما قالوه بأفواههم من أن الله اتخذ ولدا أمر عظيم كبير... وقال بعض العربية: "أن قوله (كبرت كلمة) معناه

---

[1]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص374.
[2]- المصدر نفسه، ج4، ص436.
[3]- التهانوي محمد علي : موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج1، ص474.
[4]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص212.

التعجب فهي بمعنى (ما أكبرها كلمة) أو (أكبر بها كلمة)[1].

وللتعجب صيغتين اثنتين لا ثالث لهما كما يقول الشنقيطي: "اعلم أن صيغة التعجب إذا كانت على وزن (أفعل به) فهي فعل عند الجمهور، وأكثرهم يقولون إنه فعل ماض جاء على صورة الأمر، وبعضهم يقول: إنه فعل أمر لإنشاء التعجب، ويؤيده دخول نون التوكيد عليه...، والجمهور أيضا على أن صيغة التعجب الأخرى التي هي (ما أفعله) فعل ماض خلافا لجماعة من الكوفيين في قولهم: إنها اسم بدليل تصغيرها... والتصغير لا يكون إلا في الأسماء، وأجاب من خالفهم بأن تصغيرها شاذ يحفظ ولا يقاس عليه"[2].

والتعجب يكون بصيغ تدل عليه من لفظ المتعجب منه ومن صيغ أخرى من غير لفظه، فالصيغ التي يتعجب بها من لفظ المتعجب به هي (ما أفعله) و(أفعل به) مثلما ذكرنا من قبل، ومن الصيغ غير اللفظية: الاستفهام للتعجب، وعبارات أخرى مثل: سبحان الله ولله در فلان وما أدراك ماهيه، وتستعمل في التعجب كلمة (وي) وهي كناية عن جملة تعجبية، و(واها) في التعجب من طيب الشيء و(هيت) للتعجب.[3]

ي- التمني: يعرفه في علم البلاغة بأنه "طلب الشيء" المحبوب الذي لا يرجى حصوله وهو: إما أن يكون مستحيلا كقوله تعالى: "يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا" مريم 23، وقوله سبحانه: "يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا" الأنعام 27، وإما لكونه ممكنا ولكنه بعيد الحصول وغير مطموع في نيله، كقوله تعالى: "يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ" القصص 79، وقوله: "قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ" يس 27.[4]

وصيغ النهي أربعة هي: ليت وهل ولو ولعل.[5]

ومن الشواهد التي ساقها الشيخ عن هذا المبحث قوله تعالى: "وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا" الفرقان 27 و28، فيقول: "وما ذكره هنا من أن الكافر يتمنى أن يكون آمن بالرسول في دار الدنيا واتخذ معه سبيلا أي طريقا إلى الجنة في قول هنا: "يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا" جاء موضحا في آيات أخر كقوله تعالى: "يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠" الأحزاب 66، وقوله تعالى: "يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي" الفجر 24، وقوله تعالى: "رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ" الحجر 2، إلى غير ذلك من الآيات...."[6].

فالتمني في كل الآيات التي ذكرها الشيخ كان بصيغة التمني المعروفة (ليت)، وعن الصيغة "لو" يذكر الشيخ قوله تعالى: "لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ" البقرة 167. فلو هنا للتمني، ولذلك نصب الفعل

[1]- المصدر السابق، ج4، ص10.
[2]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص213.
[3]- يراجع: الميداني عبد الرحمن حسن جبنكة: البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها: ، ج1، ص109 وما بعدها.
[4]- العاكوب عيسى علي وعلي السعد الشتوي: الكافي في العلوم البلاغة العربية (المعاني والبيان والبديع) ، ص280.
[5]- المرجع نفسه، ص280 و281.
[6]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج6، ص211.

المضارع بعد الفاء في قوله (فنتبرأ منهم)[1]، وكذلك قوله تعالى: "فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ" الشعراء 102[2].

وأما التعبير بصيغة التمني (هل) فيذكر الشنقيطي قوله تعالى: "فَيَقُولُواْ هَلۡ نَحۡنُ مُنظَرُونَ" الشعراء 203، فيقول: "لفظة (هل) هنا يراد بها التمني، والآية تدل على أنهم تمنوا التأخير والإنظار أي الإمهال"[3].

<u>كـ البديع:</u> البديع كما يعرفه الخطيب القزويني في كتابه التلخيص: "هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة"[4].

فالكلام البليغ الجميل هو ذاك الكلام الموشى والمزين بالمحسنات البديعية، وتحسين الكلام يكون إما بأمور لفظية وإما بأخرى معنوية كما يذكر البلاغيون.

فالمعنوي هو ما يزيد المعنى حسنا إما بزيادة تنبيه على شيء أو بزيادة التناسب بين أجزاء الكلام فبعض المحسنات المعنوية لا تخلو عن تحسين اللفظ، **واللفظي** هو ما يزيد الألفاظ حسنا وإن كان لا يخلو عن تحسين المعنى"[5].

وألوان البديع عديدة عند علماء البلاغة، فعند عبد الله بن المعتز (ت 296هـ) ثمانية عشر لونا بديعيا، وعددها عند قدامة بن جعفر ثلاثين لونا، وعند أبي هلال العسكري سبعة وثلاثين بابا، أما عند ابن رشيق فبلغت خمسة وستين، وتوالى الزمن وتزايد عدد أبواب البديع حتى بلغ مائة وثمانين بابا، إلى أن انفصل علم البديع عن علوم البلاغة الثلاثة الأخرى (علم البيان وعلم المعاني)، وأصبح علم البديع فرعا من فروع البلاغة يختص بتحسين أوجه الكلام اللفظية والمعنوية.

ومن ألوان البديع التي ذكرها الشنقيطي في كتبه: إما مفصلا أو مختصرا ما يلي:

<u>1- الجناس:</u> ومن أمثلته ذكر الشنقيطي قوله تعالى: "ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا" الكهف 104، فقال : "وبين قوله (يحسبون ويحسنون) الجناس المسمى عند أهل البديع "تجنيس التصحيف"، وهو أن يكون النقط فرقا بين الكلمتين كقول البحتري: **ولم يكن المغتر بالله إذ سرى ليعجزوا المعتز بالله طالبه**

فبين (المغتر والمعتز) الجناس المذكور"[6].

<u>2- مراعاة النظير:</u> وذكر له الشيخ عدة تسميات منها "التناسب والائتلاف والتوفيق والتلفيق"، فهذه كما يقول الشيخ كلها أسماء لهذا النوع من البديع المعنوي، وضابطه أنه جمع أمر وما يناسبه لا بالتضاد كقوله تعالى: "ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ" الرحمن05، فإن الشمس والقمر متناسبان لا بالتضاد، وكقول البحتري يصف الإبل الأنضاء المهازيل، أي الرماح:

كالسقي المعطفات بل الأسهم مبـــــرية بل الأوتـــــار

---

[1]- المصدر السابق، ج6، ص212.
[2]- نفسه، ج6، ص251.
[3]- نفسه، ج6، ص256.
[4]-عتيق عبد العزيز: علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، 1405هـ/1985م، ص07.
[5]-حسن عبد القادر، فن البديع، دار الشروق، ط1، 1403هـ/ 1983، بيروت، لبنان، ص44.
[6]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص148.

وبين الأسهم والقسي المعطفات والأوتار مناسبة في الرقة وإن كان بعضها أرق من بعض، وهي مناسبة لا بالتضاد.

وكقول ابن رشيق: **أصح وأقوى ما سمعناه في الندى   من الخبر المأثـور منذ قديـم**

أحاديث ترويها السيول عن الحيـا   عن البحر عن كف الأمير تميم.

فقد ناسب بين الصحة والقوة، والسماع والخبر المأثور، والأحاديث والرواية، وكذا ناسب بين السيل والحيا وهو المطر والبحر وكف الأمير تميم، وكقول أسيد بن عنقاء الفزاري:

كأن للثريا علقت في جبينه   وفي خده الشعرى وفي وجهه البدر.

فقد ناسب بين الثريا والشعرى والبدر كما ناسب بين الجبين والوجنة والوجه، وأمثلة هذا النوع كثيرة معروفة في فن البلاغة"[1].

ففي هذا القول عرف الشنقيطي بهذا الفن البديعي الموسوم بـ(مراعاة النظير) وذكر مسمياته عند علماء البلاغة وذكر شواهد من القرآن والشعر العربي، وكل هذا ذكره عند تفسير قوله تعالى: "إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ" طه 118 و119، وقال عندما وقف عندها "الظاهر أن الذي في الآية الكريمة من البديع المعنوي في اصطلاح البلاغيين هو ما يسمى (مراعاة النظير)"[2].

3- <u>الحذف:</u> ذكر الشنقيطي أن حذف همزة الاستفهام إذا دل عليه المقام جائز وهو قياسي عند الأخفش مع (أم) ودونها ذُكِر الجواب أم لا، كقول الكميت:

طربتُ وما شوقا إلى البيض طرب   ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب.

يعني: أوَذو الشيب يلعب؟، ومن أمثلته قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

ثم قالوا تحبها قلت بهرا   عدد النجم والحصى والتراب.

يعني (أتحبها) على القول الصحيح، وقول الأخطل:

كذبتك عينك أم رأيت بواسط   غلس الظلام من الرباب خالا.

يعني (أكذبتك عينك؟) كما نص سيبويه على جواز تلك في بيت الأخطل هذا وإن خالف الخليل زاعما أن (كذبتك) صيغة خبرية وأن (أم) بمعنى (بل)، ففي البيت الأول على قول الخليل نوع من أنواع البديع المعنوي يسمى بالرجوع عند البلاغيين، وقول الخنساء:

قذى بعينك أم بالعين عوار   أم خلت إذ أقفرت من أهلها الدار"[3].

وذكر أمثلة كثيرة عن هذا اللون البلاغي، ومن القرآن قوله تعالى: "أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ" الأنبياء 34، أي (أفهم الخالدون) وقوله تعالى: "وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا" الشعراء 22، وقوله: "فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ" البلد 11.[4]

---

[1]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص397.

[2]- المصدر نفسه، ج4، ص397.

[3]- الشنقيطي محمد الأمين: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ملحق بأضواء البيان، ج10، ص ص 38-40 .

[4]- يراجع: الشنقيطي محمد الأمين: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ملحق بأضواء البيان، ج10، ص40، وكذلك كتاب: أضواء البيان، ج4، ص428.

4- اللف والنشر المرتب: ويعرفه البلاغيون بأنه "ذكر متعدد على التفصيل أو الإجمال ثم ما لكل واحد من غير تعيين ثقة بأن السامع يرده إليه"[1].

وذكر الشنقيطي مثالا عنه وهو قوله تعالى: "وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ" العنكبوت 38-40، فقال: "أشار جل وعلا في هذه الآيات الكريمة إلى هلاك عاد وثمود وفرعون وهامان ثم صرح بأنه أخذ كلا منهم بذنبه، ثم فصل على سبيل ما يسمى باللف والنشر المرتب أسباب إهلاكهم فقال: "فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا" وهي الريح يعني عادا، "ومنهم من أخذته الصيحة" يعني ثمود، "ومنهم من خسفنا به الأرض" أي قارون، "ومنهم من أغرقنا" يعني فرعون"[2].

5- تجاهل العارف: يعرف علماء البلاغة هذا المبحث بقولهم: "هو أن تسأل عن شيء موهما أنك لا تعرفه وأنه مما خالجك فيه الشك والريبة"[3]، وقال السكاكي: "لا أحب تسمية هذا النوع بهذا الاسم لوروده في كلام الله وسماه بسوق المعلوم مساق غيره لنكتة، ونكث التجاهل أكثر من أن تضبط كالمبالغة في المدح أو الذم أو التعظيم أو التحقير أو التوبيخ أو التقرير أو التعويض أو التعجب إلى غير ذلك"[4].

وفي هذا المبحث يقول الشنقيطي في قوله تعالى: "قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ" طه 49: "إن هذا القول تجاهل عارف بأنه عبد مربوب لرب العالمين"[5] ، ومثاله أيضا قوله تعالى: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ" الفرقان 60، فذكر الشيخ أن الكفار يعلمون أن الرحمن هو الله، وأن تجاهلهم له تجاهل عارف"[6].

ومن شواهد هذا الفن البلاغي قوله تعالى: "قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ" الشعراء 23، وقوله: "قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ" طه 49، يذكر الشنقيطي أن هذا تجاهل عارف أنه عبد مربوب لرب العالمين[7].

6- تأكيد المدح بما يشبه الذم: وهذا الفن سماه بعض البلاغيين بالاستثناء، وهو يرد في البلاغة على استعمالين:

1- عكاوي إنعام فوال: المعجم المفصل في علوم البلاغة، ج4، ص633 وما بعدها.
2- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج6، ص309.
3- حسن عبد القادر: فن البديع، ص100.
4- المرجع نفسه، ص100.
5- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص317.
6- المصدر نفسه، ج6، ص232.
7- المصدر نفسه، ج6، ص250.

الأول: أن يؤكد المدح بما يكون مشبها للذم بأن تنفي عن الممدوح وصفا معينا ثم تعقبه بالاستثناء فتوهم بأنه استثنيت ما يذم به، فأتى بما من شأنه أن يذم به وفيه المبالغة في مدح الممدوح[1].

والثاني: أن تثبت للشيء صفة مدح وتعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى له[2].

وتحدث الشنقيطي عن هذا اللون البلاغي ومر عليه سريعا ومثل له ببعض الأمثلة مثل قوله تعالى: "لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمًا" مريم 62، فقال الشيخ عندما فسر هذه الآية: "وما ذكرنا من أن الاستثناء في قوله تعالى (الآية) منقطع هو الظاهر، وقيل: هو من قبيل تأكيد المدح بما يشبه الذم، كقول نابغة ذبيان: **ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب.**

وقول الآخر: **فـــما يك فيَّ من عيب فإنـــي جبان الكلب مهزول الفصيل.**

وعلى هذا القول فالآية كقوله: "وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا" الأعراف 126، وقوله: "وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦ" التوبة 74 ونحو ذلك من الآيات"[3].

ونفس الكلام ذكره الشنقيطي عندما وقف عند قوله تعالى: "قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ" الشورى 23[4]، ومَثَّلَ بنفس البيت كما في المثال السابق.

7- المشاكلة: وهي "ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا أو تقديرا"[5]، وذكره ابن رشيق في كتابه العمدة باسم الاشتراك وذكر أنواعه: "منها ما يكون في اللفظ ومنها ما يكون في المعنى، فالذي يكون في اللفظ ثلاثة أشياء: فأحدها أن يكون اللفظان راجعين إلى حد واحد ومأخوذين من حد واحد، فذلك اشتراك محمود وهو التجنيس، والنوع الثاني أن يكون اللفظ يحتمل تأويلين أحدهما يلائم المعنى الذي أتت فيه والآخر لا يلائمه ولا دليل فيه على المراد، وهذا الاشتراك مذموم قبيح، والنوع الثالث ليس من هذا في شيء، وهو سائر الألفاظ المبتذلة للتكلم بها، لا يسمى تناولها سرقة، ولا تداولها اتباعا لأنها مشتركة لا أحد من الناس أولى بها من الآخر فهي مباحة غير محظورة إلا أن تدخلها استعارة أو تصحبها قرينة تحدث فيها معنى ولو غيرت اللفظة وأوتي بما يقوم مقامها...، وأما الاشتراك في المعاني فنوعان: أحدهما: أن يشترك المعنيان وتختلف العبارة عنهما فيتباعد اللفظان، وذلك هو الجيد المستحسن...، والنوع الثاني على ضربين: أحدهما ما يوجد في الطباع من تشبيه الجاهل بالثور والحمار، والحسن بالشمس والقمر، والشجاع بالأسد وغيره، والسخي بالغيث والبحر، والعزيمة بالسيف والسيل ونحو ذلك ، لأن الناس كلهم الفصيح والأعجم والناطق والأبكم فيه سواء لأنّا نجده مركبا في الخليقة أولا، والآخر ضرب كان مخترعا، ثم كثر ثم استوى فيه الناس وتواطأ عليه الشعراء آخرا عن أول نحو قولهم في صفة الخد (كالورد) وفي القد (كالغصن) وفي العين (كعين المهاة من الوحش) وفي العنق (كعنق الظبي وكإبريق الفضة أو الذهب)، فهذا النوع وما ناسبه كان مخترعا، ثم تساوى فيه الناس إلا أن يُولّد

[1]- عكاوي إنعام فوال: المعجم المفصل في علوم البلاغة، ج2، ص276 وما بعدها.

[2]- حسن عبد القادر: فن البديع، ص93 وما بعدها.

[3]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص257 وما بعدها.

[4]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج7، ص123.

[5]- القزويني الخطيب (جلال الدين أبو عبد الله محمد بن قاضي القضاة سعد الدين أبو محمد الرحمن القزويني): الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص360.

أحدهم منهم فيه زيادة أو يخصه بقرينة فيستوجب بها الانفراد من بينهم، ومثل ذلك تشبيه العزم بهبوب الريح والذكاء بشواظ النار"[1].

فهذا تعريف من ابن رشيق لكل أنواع الاشتراك أو ما يسمى بالمشاكلة، وأما الشنقيطي فيعرفها بقوله: "ومن أساليب اللغة العربية المشاكلة بين الألفاظ، فيؤدي لفظ بغير معناه الموضوع له مشاكلة للفظ آخر مقترن به في الكلام، كقول الشاعر:

قالوا اقترح شيئا نُجِد لك طبخه   قلت اطبخوا لي جبة وقميصا

أي (خيطوا لي)، وقال بعض العلماء: ومنه قول جرير:

هذي الأرامل قد قضيت حاجتها   فمن لحاجة هذا الأرمل الذكر.

بناءً على القول بأن الأرامل لا تطلق في اللغة إلا على الإناث"[2].

وبعد هذا التمثيل من الشعر العربي راح الشنقيطي يسوق أمثلة أخرى من القرآن الكريم فيقول: "ومن إطلاق إحدى العقوبتين على ابتداء الفعل مشاكلة للفظ الآخر قوله تعالى: "ذَٰلِكَ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ" الحج60، ونحوه أيضا قوله: "وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا" الشورى 40، مع أن القصاص ليس بسيئة، وقوله: "فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ" البقرة 194، لأن القصاص من المعتدي أيضا ليس باعتداء كما هو ظاهر وإنما أدى بغير لفظه للمشاكلة بين اللفظين"[3].

وهذا كله ذكره الشيخ عند تفسير قوله تعالى: "وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦ" النحل126، وقال في شأنها: "أطلق جل وعلا في هذه الآية الكريمة اسم العقوبة على الجناية الأولى في قوله (بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦ)، والجناية الأولى ليست عقوبة، لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين، ومن أساليب العربية المشاكلة بين الألفاظ فيؤدي لفظ بغير معناه الموضوع له مشاكلة للفظ آخر مقترن به في الكلام"[4].

<u>8- القلب:</u> يقول التهانوي في كشافه: "هو مصطلح أهل المعاني وهو جعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر والآخر مكانه، ولا ينتقض بقولنا (في الدار زيد) و(ضرب عمرواً زيدٌ) لأن المراد بالجعل مكان الآخر أن يجعل متصفا بصفة لا مجرد أن يوضع موضعه، فدخل في جعل أجزاء أحد الكلام مكان الآخر (ضُرِب زيد)، حيث جعل المفعول مكان الفاعل وخرج بقولنا والآخرُ مكانه، ولابد في الحكم من داع لفظي أو معنوي"[5].

وهذا ما يتطابق مع قول الشنقيطي في هذا المبحث عند تفسيره لقوله تعالى: "وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ "الاحقاف 20، فقال: "قال بعض العلماء: في الكلام قلب، وهو مروي عن ابن عباس وغيره، قالوا: والمعنى: يوم تعرض النار على

---

[1]- القيرواني ابن رشيق (أبو علي الحسين الأزدي): (ت 456هـ) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط5، 1401هـ/1981م، ج2، ص ص96-100.

[2]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج3، ص289.

[3]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج3، ص289.

[4]- المصدر نفسه، ج3، ص289.

[5]- التهانوي محمد علي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج2، ص1336.

الذين كفروا، قالوا: وهو كقول العرب: عرَضتُ الناقة على الحوض يعنون عرضت الحوضَ على الناقة، ويدل لهذا قوله تعالى: "وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا" الكهف 100"[1].

ويضيف الشنقيطي موضحا: "هذا النوع الذي ذكروه مَن القلب في الآية كقلب الفاعل مفعولا والمفعول فاعلا ونحو ذلك اختلف فيه علماء العربية، فمنعه البلاغيون إلا في التشبيه فأجازوا قلب المشبه مشبها به والمشبه به مشبها بشرط أن يتضمن ذلك نكتة وسرا لطيفا كما هو المعروف عندهم في مبحث التشبيه المقلوب، وأجازه كثير من علماء العربية"[2].

وبعد ذكر الاختلاف بين العلماء حول جوازه من منعه في العربية راح الشنقيطي يفصح عن رأيه بجواز ذلك في العربية وأن ذلك من سنن العرب في كلامها لكن يحفظ ولا يقاس عليه، يقول: والذي يظهر لنا أنه أسلوب عربي نطقت به العرب في لغتها، إلا أنه يحفظ ما سمع منه ولا يقاس عليه، ومن أمثلته في التشبيه قول الراجز: **ومنهل مغبرة أرجاؤه كأن لون أرضه سماؤه.**

أي كأن لون سمائه لون أرضه، وقول الآخر:

وبدا الصباح كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدح.

لأن أصل المراد تشبيه وجه الخليفة بغرة الصباح، فقلب التشبيه ليوهم أن النوع أقوى من الأصل في وجه الشبه، قالوا: ومن أمثلته في القرآن: "وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ" القصص76، لأن العصبة هي التي تنوء بالمفاتيح أي تنهض بها بمشقة وجهد لكثرتها وثقلها، وقوله تعالى: "فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ" القصص 66، أي عموا عنها، ومن أمثلته في كلام العرب قول كعب بن زهير: **كأن أوب ذراعيها إذا عرقت وقد تلفع بالقور العساقيل.**

لأن معنى قوله تلفع: لبس اللفاع وهو اللحاف، والقور: الحجارة العظام، والعساقيل: السراب.

والكلام مقلوب، لأن القور هي تلتحف بالعساقيل لا العكس كما أوضحه لبيد في معلقته بقوله:

فبتلك إذ رقص اللوامع بالضحى واجتاب أردية السراب إكامُها.

فصرح بأن الإكام التي هي الحجارة اجتابت أي لبست أردية السراب، والأردية جمع رداء، وهذا النوع من القلب وإن أجازه بعضهم، فلا ينبغي حمل الآية عليه لأنه خلاف الظاهر، ولا دليل عليه يجب الرجوع إليه، وظاهر الآية جار على الأسلوب العربي الفصيح"[3].

هذه هي أهم ألوان البديع التي ذكرها الشنقيطي في مؤلفاته، فكان يعرف ببعضها ويستدل بشواهد من القرآن والشعر العربي، وفي كل مرة يشرح ويفصل ويوضح الغموض والإبهام في كل دليل وشاهد ومثال فلا تحتاج أقواله وشواهده وتعاريفه إلى إعادة شرح، وكل ما ذكره يتطابق ويوافق ما ذكره علماء البلاغة والعربية.

وقد اكتفينا بما ذكرناه من المباحث البلاغية التي تحدث عنها الشنقيطي في كتبه، وتجنبنا إعادة ذكر بعضها خوف الإطالة والتكرار مثل: الاستثناء والشرط والقرائن والأمر والنهي والنداء

1- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج7، ص254.
2- المصدر نفسه، ج7، ص254.
3- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج7، ص254.

والحذف ودلالة الضمير ونحو ذلك، لأن هذه المباحث ذكرناها في المستوى النحوي بالتفصيل والشواهد وموقف الشنقيطي منها، فينبغي الرجوع إليها للاستفادة.

9- القياس والدلالة عند الشنقيطي: للقياس أثر عظيم في توضيح المعنى وإزالة الغموض، وله دور عظيم في بيان واستنباط الأحكام الفقهية واللغوية والمنطقية ولذلك أولاه الشنقيطي بكلام كثير في مؤلفاته، وتحدث عنه أحاديث كثيرة، وهذا ما سنبينه في هذا الموضوع.

يعرف الشنقيطي القياس فيقول: "اعلم أن القياس في اللغة: التقدير والتسوية، يقال قاس الثوب بالذراع، وقاس الجرح بالميل (بالكسر) وهو المِرود: إذا قدر عمقه به، ولهذا سمي الميل مقياسا، ومن هذا المعنى قول البعيث بن بشر يصف جراحة أو شجة:

إذا قاسمها الآسي النطاسي أدبرت غثيثتها وازداد وهيا هزومها.

فقوله (قاسها) يعني قدر عمقها بالميل، والآسي: الطبيب، والنطاسي (بكسر النون وفتحها) الماهر بالطب، والغثيثة مدة الجرح وقيحه وما فيه من لحم ميت، والوهي التخرق والتشقق، والهزوم: غمز الشيء باليد فيصير فيه حفرة كما يقع في الورم الشديد"[1].

هذا تعريف القياس لغة، وأما اصطلاحا فيقول: "وتعريف القياس في اصطلاح علم الأصول- كثرت فيه عبارات الأصوليين- مع مناقشات معروفة في تعريفاتهم له، واختار غير واحد منهم تعريفهم بأنه: حمل معلوم على معلوم أي إلحاقه به في حكمه لمساواته له في علة الحكم، وهذا القياس يشمل القياس الصحيح دون الفاسد، والتعريف الشامل للفاسد هو أن تزيد على تعريف الصحيح لفظة عند الحامل، فتقول: هو إلحاق معلوم في حكمه لمساواته له في علة الحكم عند الحامل، فيدخل الفاسد في الحد مع الصحيح"[2].

وللقياس أركان معروفة عند العلماء يذكرها الشيخ قائلا: "ومعلوم أن أركان القياس أربعة وهي: الأصل: المقيس عليه والنوع: المقيس والعلة الجامعة بينهما وحكم الأصل المقيس عليه"[3].

ويستشهد الشيخ لهذه الأركان بالشاهد الآتي: "فلو قسنا النبيذ على الخمر، فالأصل: الخمر، والفرع: النبيذ، والعلة: الإسكار، وحكم الأصل الذي هو الخمر التحريم"[4].

وذكر الشيخ أنواع القياس فقال: "اعلم أن القياس ينقسم بالنظر إلى الجامع بين الفرع والأصل إلى ثلاثة أقسام: **الأول:** قياس العلة، **والثاني:** قياس الدلالة، **والثالث:** قياس الشبه"[5].

ويفصل الشنقيطي في كل نوع بالأدلة والشواهد، فيقول عن قياس العلة: "أما قياس العلة فضابطه أن يكون الجمع بين الفرع والأصل بنفس علة الحكم، فالجمع بين النبيذ والخمر بنفس العلة التي هي الإسكار، والقصد مطلق التمثيل، وكالجمع بين البر والأرز بنفس العلة التي هي الكيل"[6].

---

[1]- للتفصيل في مبحث القياس يراجع كل من: الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص456، ونثر الورود على مراقي السعود، ج2، ص442، ومذكرة في أصول الفقه، ص293.

[2]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص457.

[3]- الشنقيطي محمد الأمين: نثر الورود على مرا قي السعود، ج2، ص ص447-476.

[4]- الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص457.

[5]- المصدر نفسه، ج4، ص457.

[6]- المصدر نفسه، ج4، ص457 وما بعدها.

ويقول عن قياس الدلالة: "وأما قياس الدلالة فضابطه أن يكون الجمع فيه بدليل العلة لا بنفس العلة، كأن يجمع بين الفرع والأصل بملزوم العلة أو أثرها أو حكمها، فمثال الجمع بملزوم العلة أن يقال: النبيذ حرام كالخمر بجامع الشدة المطربة، وهي ملزوم الإسكار بمعنى أنها يلزم من وجود الإسكار، ومثال الجمع بأثر العلة أن يقال: القتل بالمثقل يوجب القصاص كالقتل بمحدد بجامع الإثم، وهو أثر العلة وهي للقتل العمد العدوان، ومثال الجمع بحكم العلة أن يقال: تقطع الجماعة بالواحد كما يقتلون به، بجامع وجوب الدية عليهم في ذلك حيث كان غير عمد، وهو حكم العلة التي هي القطع منهم في الصورة الأولى، والقتل منهم في الصورة الثانية"[1].

وثالث أنواع القياس يقول فيه الشيخ: "وأما قياس الشبه فقد اختلفت فيه عبارات أهل الأصول، فعرف بعضهم الشبه بأنه منزلة بين المناسب والطرد، وعرفه بعضهم بأنه المناسب بالتبع بالذات، ومعنى هذا كمعنى تعريف من عرفه بأنه المستلزم المناسب.....كالعبد فإنه متردد بين أصلين لشبهه بكل واحد منهما، فهو يشبه المال لكونه يباع ويشترى ويوهب ويورث إلى غير ذلك من أحوال المال ويشبه الحر من حيث إنه إنسان ينكح ويطلق ويثاب ويعاقب وتلزمه أوامر الشرع ونواهيه، وأكثر أهل العلم يقولون: إن شبهه بالمال أكثر من شبهه بالحر لأنه يشبه المال في الحكم والصفة معا أكثر مما يشبه الحر فيهما"[2]، هذا عن القياس في علم الأصول.

وأما القياس في علم المنطق ذكر الشيخ ما يسمى بالقياس المنطقي فقال: "القياس المنطقي هو المقصود الأصلي من فن المنطق لأنه هو العمدة عندهم في تحصيل المطالب التصديقية التي هي أشرف من التصويرية، والقياس في اللغة مصدر قاس الشيء على الشيء إذا قدره بقدره وهو في اصطلاح المنطقيين: قول مؤلف من قضية فأكثر على وجه يستلزم لذاته قضية أخرى"[3].

وعندما يعرف القياس لغة فالتعريف واحد عند كل المنطقيين والأصوليين واللغويين، لكن تعريفه اصطلاحا يختلف من علم إلى علم ومن فن إلى آخر كما هنا عند المناطقة فهو يختلف عن التعريف الذي سلف ذكره عند علماء الأصول.

وبعد تعريف الشيخ للقياس في علم المنطق راح يذكر أقسامه فيقول: "وإذا علمت المراد بالقياس عند المنطقيين فاعلم أنه (القياس) ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: وهو المسمى بالقياس الاقتراني: ويسمى أيضا بالقياس الحملي وقياس الشمول وهو يكون في القضايا الحملية والشرطيات المتصلة.

والقسم الثاني: هو المسمى بالقياس الاستثنائي ويسمى الشرطي، ولا يكون إلا في القضايا الشرطية خاصة، وهو يكون في الشرطيات المتصلة والشرطيات المنفصلة ولا يكون في الحمليات البتة"[4].

ويذكر الشنقيطي أن القياس الاقتراني سمي كذلك لاقتران حدوده الثلاثة من غير أن يتخللها حرف استثناء الذي هو (لكن) وسمي حمليا لأن الحمليات تختص به، وسمي شموليا لأن الحد

---

[1]- المصدر السابق، ج4، ص458.

[2]- نفسه، ج4، ص458 وما بعدها.

[3]- الشنقيطي محمد الأمين: آداب البحث والمناظرة، ص72.

[4]- المصدر نفسه، ص73.

الأصغر إذا اندرج في الأوسط واندرج الأوسط في الأكبر لزم اندماج الأصغر في الأكبر وشموله له، ومثال ما ذكره الشيخ عن هذا القسم: كل إنسان حيوان وكل حيوان حساس فهذا قياس اقتراني يتألف من ثلاث كلمات:

1- الأولى: الإنسان وقد اختصت بها المقدمة الأولى، فلفظة الإنسان في هذا المثال هو الحد الأصغر، المقدمة المشتملة عليه التي هي: كل إنسان حيوان هي المقدمة الصغرى.

2- الثانية حيوان: وهي متكررة لأنها في هذا المثال محمول في الأولى وموضوع في الأخرى، فلفظه الحيوان في هذا المثال هو المسمى بالحد الوسط.

3- والثالثة الحساس: وقد اختص بها المقدمة الأخيرة، والحساس في هذا المثال هو الحد الأكبر والمقدمة المشتملة عليه هي المقدمة الكبرى التي هي: كل حيوان حساس[1]. هذا عن القياس الاقتراني.

وأما القياس الاستثنائي فهو "المعروف بالشرطي، وهو أن النتيجة فيه قول آخر مغاير لمقدمتي القياس في الصورة والمادة، فشكل على ذلك أن نتيجة الاستثنائي قد تكون مذكورة فيه بمادتها وصورتها، وإذاً فليست النتيجة قولا آخر غير القياس مع لزوم مغايرة النتيجة للقياس"[2].

ومن مثال هذا النوع من القياس يذكر الشنقيطي قائلا: "إن القضية الحملية تكون كلاما مستقلا تام الفائدة، وإذا ربطت بأداة شرط تصير جزء قضية شرطية لا قضية حملية مستقلة، فقولك مثلا: قام زيد، قضية حملية تامة المعنى، ولو أدخلت عليها أداة شرط فقلت: إن قام زيد، زاد استقلالها بكونها قضية وصارت غير كلام مفيد لتوقف فهم الشرط على الجزاء"[3].

ويضيف ممثلا عن القياس الشرطي أو الاستثنائي قائلا: "لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا" الأنبياء 22، فهذه شرطية متصلة لزومية استثناء نقيض محذوف لظهور أي (لكنهما لم تفسدا) ينتج (لم يكن فيهما آلهة إلا الله) وهذه النتيجة القطعية لهذا القياس الشرطي المتصل التي هي (لم يكن فيهما آلهة غير الله) نقيض دعواهم تعدد الآلهة....".[4]

ومن صور القياس الاقتراني في القرآن الكريم يقول الشنقيطي: "ومن أمثلة إتيان ما يشبه القياس الاقتراني في القرآن قوله تعالى: "إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا" النساء 146، لأن قوله "فأولئك مع المؤمنين"، في قوة صغرى الدليل وكونهم معهم يستلزم أنهم شركاؤهم فيما يؤتيهم الله، وقوله: (وسوف يوت الله المومنين أجرا عظيما) في قوة كبرى الدليل المذكور، ينتج (أن الذين تابوا وأصلحوا) الآية (سوف يوتيهم الله أجرا عظيما،... وفي القرآن العظيم أدلة كثيرة تستلزم إبطال شبه الضالين"[5].

---

[1]- المصدر السابق، ص74 وما بعدها.
[2]- نفسه، ص90.
[3]- نفسه، ص90.
[4]- الشنقيطي محمد الأمين: آداب البحث والمناظرة، ص100.
[5]-المصدر نفسه، ص101.

وذكر الشيخ أنه لا فرق بين القياس الفقهي والقياس المنطقي فقال: "اعلم أن القياس التمثيلي الذي هو القياس الأصولي المعروف بقياس الفقهاء، وهو أحد أدلة الفقه الأربعة التي هي: الكتاب والسنة والإجماع والقياس عند غير الحنابلة لا فرق بينه وبين القياس المنطقي في الحقيقة لأنك كلما جعلت الفرع فيه حدا أصغر والأصل حدا أكبر والعلة حدا أوسط كان قياسا اقترانيا من الشكل الأول"[1].

وفي القياس كلام طويل للشيخ الشنقيطي اختصرناه قدر الاستطاعة خوف الإطالة المملة، ليس في هذا المبحث الدلالي فحسب، بل تحدث أيضا عن الاجتهاد والإجماع والاستدلال والاستنباط، ومباحث أخرى تعمدنا عدم الحديث فيها لأنها قضايا فقهية أصولية أكثر منها قضايا دلالية، وبالتالي فهي تحتاج إلى كتب مستقلة يتحدث كل كتاب عن مبحث من هذه المباحث.

ومن هنا فإن المستوى الدلالي في أعمال الشنقيطي وورود أغلب المباحث الدلالية في كتبه لدليل واضح على أن الخوض فيه كالخوض في بحر لا ساحل له، فهو موضوع ثري وخصب لمن أراد الاستزادة والاستفادة، وهو دليل ثان أيضا على أن الشيخ كان متمكنا جدا من عدة علوم منها علم الفقه والمنطق والأصول واللغة وعلوم القرآن وعلم القراءات والدلالة، فهو كمثل أسلافنا في القرون الأولى: موسوعة ناطقة بجميع العلوم والفنون، وهذا من فضل الله عليه يؤت الحكمة من يشاء، ومن آتاه الحكمة فقد آتاه خيرا عظيما.

ثانيا: موضوعات البحث المعجمي في آثار الشنقيطي:

ذكرنا في بداية هذا الفصل أن الدلالة والمعجم لا ينفصلان ولا ينفصِمُ أحدهما عن الآخر، فهما متلازمان متكاملان يكمّل أحدهما الثاني، فالبحث في دلالة الألفاظ يوصل حتما إلى تصنيف وتصفيف وترتيب وتبويب هذه الألفاظ بحسب معانيها أو موضوعاتها في مدونة خاصة، وهذا ما يعرف في الدرس اللساني الحديث بالبحث المعجمي أو المستوى المعجمي، ويهتم البحث المعجمي بالنظر إلى علاقة الألفاظ ببعضها البعض كعلاقات التباين والتشابه والترادف والتضاد والمغايرة، وهذه مسائل مشتركة بين علم الدلالة وعلم المعاجم.

وينحصر معنى المفردة في المعجم الذي يعد المدونة الرئيسية والأساسية لمعاني الكلمات، كما لا يعدّ كافياً لاستيعاب جميع المعاني، ولذا أرجع علماء الدلالة ذلك إلى عدة أنواع من المعاني لابد من الإشارة إليها وهي:[2]

1- المعنى الأساسي أو الأولي: وهو الذي يسمّى المعنى التصوّري أو المفهومي أو الإدراكي، وهو العامل الرئيسي للاتصال اللغوي والتفاهم ونقل الأفكار، ويملك هذا النوع من المعنى تنظيما مركّبا راقيًا يمكن مقارنته بالتنظيمات المتشابهة على المستويات الفونولوجية والنحوية، وذلك لاعتماده على التضاد أو المغايرة من جهة وعلى أساس التركيب التكويني من جهة ثانية، فكما

[1]- المصدر السابق، ص102.

[2] صفية مطهري: الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 2003، ص ص13-15، ويراجع: عمر أحمد مختار: علم الدلالة، دار عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998،ص ص 36-41، وعبد الجليل منقور: علم الدلالة ،أصوله ومباحثه في التراث العربي، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا،2001، ص64.

تتميز الأصوات بواسطة ملامحها المتضادة، فهي كذلك تميز المعاني التصورية في الدلالة، مثل: كلمة (رجل) التي تملك الملامح التصورية الآتية: رجل= + إنسان ـ أنثى + بالغ.
وهذه الكلمة تتميز عن كلمة (بنت) التي لها الملامح الآتية: بنت = + إنسان + أنثى ـ بالغ.
2- المعنى الإضافي أو الثانوي أو التضمني: وهو ذلك المعنى الذي يشير إلى اللفظة إضافة إلى معناه التصوري وهو غير ثابت ولا شامل وإنما يتغير بتغير الثقافة أو الزمن أو الخبرة.
فمثلا: امرأة = +إنسان+أنثى+بالغ، فهذه الملامح الثلاثة هي التي تُحدّد معناها (امرأة) الصحيح، وهذا لا يمنع من وجود ملامح ثانوية إضافية قابلة للتغير من زمن إلى زمن، ومن مجتمع إلى مجتمع، إذ تعكس بين الصفات المرتبطة في أذهان الناس بالمرأة كالثرثرة والطبخ والبكاء.
3- المعنى الأسلوبي: وهو الذي تُحدّد ملامحه الظروف الاجتماعية والجغرافية كما يتقيد بالعلاقة بين المتكلم والسامع وبرتبة اللغة المستعملة أدبية أم رسمية أم عامية، وكذا بنوع هذه اللغة أهي لغة الشعر أم لغة القانون.
فقد تتفق الكلمتان في معنييهما الأساسي مثل كلمة (والدي) و(بابا) وتختلفان على المستوى الشخصي.
4- المعنى النفسي: وهذا مرتبط بما يملكه الفردُ من دلالات ذاتية لذلك اللفظ، ويظهر ذلك بوضوح في كتابات الأدباء وأشعار العرب التي تنعكس فيها المعاني النفسية للأديب أو الشاعر بصورة واضحة اتجاه الألفاظ والمفاهيم المتباينة.
5- المعنى الإيحائي: وله أهمية بالغة وذلك لكونه يعمل على استنباط الدلالة الكامنة في المفردة اللغوية لما تؤديه هذه الأخيرة من وظائف، بحيث يستشف قدرتها على الإيحاء بناءً على ما تتميّز به من شفافية معينة، ونجد بأن تأثيرات هذا المعنى مرتبطة ببعض المستويات اللغوية، كالتأثير الصوتي والصرفي والدلالي.

ومن خلال هذه الأقسام للمعنى التي يبحث فيها علم الدلالة، يحاول علم المعاجم تصنيف المفردات وتبويبها وتوصيفها على أساس هذه الأقسام، فالمعجم والدلالة متلازمان لا وجود للأول من دون الثاني والعكس فهما في علاقتي تأثير وتأثّر.

وسنحاول في هذا الموضوع التطرق إلى بعض المباحث المعجمية التي خصّها الشنقيطي في كلامه من خلال مؤلفاته ومسائل معجمية أخرى نستنبطها من خلال أعماله أي أن هناك مباحث تحدّث عنها الشيخ بطريقة مباشرة وهناك من المباحث لا وجود لها في أعمال الشيخ كعناوين مصرح بها، لكن نستطيع استنتاجها من خِلال كلامه وأقواله ومن هذه المباحث ما يلي:
1-المشترك اللفظي (Polysémie): يعرّف الشنقيطي هذا المبحث المعجمي فيقول: "الاشتراك هو أن يتّحد اللفظ ويتعدّد معناه الحقيقي كالعين للباصرة والجارية"[1].

وهذا التعريف يتوافق مع ما قاله فقهاء اللغة قديمًا بقولهم: "إنه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة"[2]، أي هو دلالة اللفظ الواحد على معنيين

[1] الشنقيطي محمد الأمين: نثر الورود على مراقي السعود، ج1، ص139.
[2] السيوطي جلال الدين: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، المكتبة الأزهرية (مطبعة التعارف)، مصر،1325هـ ، ج1 ، ص217.

مختلفين أو أكثر فالاسم واحِدٌ والمُسمّى مختلف، ومثل الشنقيطي في تعريفه السابق بمثال (العين) فهو يدل على حاسة البصر عند الإنسان أو الحيوان كما أن لها مدلولا آخر هو منبع الماء ومكان جريانه.

ومسألة المشترك اللفظي من القضايا التي أثارت جدلا كبيرًا بين علماء اللغة العربية فآمن فريق بوجودها في اللغة العربية، ونفى الفريق الثاني ورودها فيها، وهناك فريقٌ ثالثٌ أجازها في اللغة العربية ونفاها على القرآن الكريم، وهذا ما بينه الشنقيطي عندما شرح بيًنا لعبد الله بن الحاج إبراهيم بن الإمام محض أحمد العلوي في كتابه (مراقي السعود) قائلا:

في رأي الأكثر وقوع المشترك وثالث للمنع في الوحي سلك [1].

فيقول الشيخ: "يعني (الناظم) أن في وقوع المشترك ثلاثة أقوال: **الأوّل** وهو رأي الأكثر وهو الحق بجوازه ووقوعه مطلقًا في الوحي وغيره نحو قوله: (ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ) البقرة 228، لأن القرء مشترك بين الطهر والحيض وحجة هذا القول مشاهدة الوقوع.

القول الثاني: منع وقوع المشترك مطلقا في الوحي وغيره وحجة القائل به أن الاشتراك يخل بفهم المراد من اللفظ لاحتماله لكل من معنيي المشترك، وأجيبُ بأنه يتعين أحد معنييه بقرينة، وإن لم توجد قرينة حمل على معنييه.

القول الثالث: منعه في الوحي دون غيره وحجة القائل به أنه لو وقع في الوحي لوقع إما مبينا فيطول بلا فائدة، أو غير مبيّن فلا يفيد لعدم فهم المراد منه، والوحي ينزّه عن ذلك، وأجيب بأمرين: الأوّل: أنا لا نُسلّم لزوم الطول، فقولك مثلا: شربت من العين، لا طول فيه، مع أنه فيه قرينة تبين أن المقصود الجارية لا الباصرة، الثاني: أنا لو سلمنا جدليّاً أنه يطول فلا نسلّم كون الأول بلا فائدة لأن التفضيل بعد الإجمال من مقاصد اللغة العربية ففيه فائدة لم تكن في غيره لأنه أوقع في الذهن لأن الإجمال يستدعي شوقًا إلى التفصيل، فإذا جاء التفصيل صادف محله للتشوق إليه"[2].

ويضيف الشنقيطي مبينًا وموضحًا موقف المجيزين في الاشتراك قائلا: "إن النبلاء أي الأذكياء من الأصوليين أجازوا إطلاق المشترك في وقت واحدٍ من متكلم واحدٍ كقولك: عندي عينٌ وتعني الباصرة والجارية والذهب....، والمشترك إذا أطلق على معنييه أو معانيه قيل إنه يكون مجازا، لأن اللفظ لم يوضع لمعنيين أو معانٍ وإنما وُضع لكل واحدٍ بانفرادِهِ، وكونه مجازا قول أكثر المالكية، وقيل يطلق على معنييه أو معانيه حقيقة هو قول الباقلاني والشافعي والمعتزلة...ومحل القول بإطلاقه على معنييه أو معانيه إن أمكن ذلك بأن يكون لا منافاة بين المعنيين أو المعاني أو تكون بينهما منافاة ولكنها من غير الوجه الذي حصل فيه الإطلاق، فالأسود والأبيض مثلا متنافيان في ذاتيهما والجون مشترك بينهما، فيجوز على هذا القول أن تقول (ملبوسي الجون) وتعني الأبيض والأسود لأنك لابس لكل منهما، وتقول: أقْرَأتِ المرأةُ بمعنى حاضت وطهرت"[3].

---

[1] الشنقيطي محمد الأمين: نثر الورود على مراقي السعود، ج1، ص139.
[2] المصدر نفسه ،ج1، ص139 وما بعدها.
[3] نفسه ،ج1، ص140.

وهذا القول الطويل هو شرح لبيت من مراقي السعود يقول فه صاحبه:

إطلاقهُ في معنييه مثلا   مجازًا أو ضدًّا أجاز النبلا[1].

ويطلق الشنقيطي على الاشتراك كذلك عبارة "الشيء الواحد المعبّر عنه بعبارات مختلفة"[2]، كما عبر عنه بلفظة (المشترك) في أحاديث كثيرة وذكر بأن الاشتراك يكون في الكلمة سواء كانت فعلا أو اسمًا أو حرفًا، وعبّر عن هذا بقوله: "اعلم وفقني الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن من أنواع البيان التي تضمّنها هذا الكتاب المبارك (يقصد القرآن العظيم) بيان الإجمال الواقع بسبب اشتراك، سواء كان الاشتراك في اسم أو فعل أو حرف"[3].

فالشنقيطي يقرُّ بصراحة وجود ظاهرة الاشتراك في القرآن الكريم وبالتالي فوجودها في لغة العرب حتمية لا ينكرها عاقل، لأن من آمن بوجودها في القرآن أقر بوجودها في لغة العرب، وهو بهذا وقف مع الموقف المجيز المؤمن بوجود الظاهرة في القرآن وفي كلام العرب، وهو رأي الأكثرية من العلماء والدارسين القدماء منهم والمحدثين.

ويضيف مفصّلا قوله السابق: "ومثال الإجمال بسبب الاشتراك في اسم، قوله تعالى: (ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ)البقرة 228، لأن القرء مشترك بين الطهر والحيض، وقد أشار تعالى إلى أن المراد بأقراء العدة الأطهار بقوله: (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) الطلاق(01)، فاللام للتوقيت، ووقت الطلاق المأمور به في الآية الطهر لا الحيض، وتدل له قرينة زيادة التاء في قوله (ثلاثة قروء) لدلالتها على تذكير المعدود وهو الأطهار، فلو أراد الحيضات لقال: (ثلاث قروء) بلا هاءٍ لأن العرب تقول: (ثلاثة أطهار وثلاث حيضات)[4].

ويستدل بمثال ثان من القرآن عن هذا النوع من الاشتراك وهو الاشتراك في الأسماء فيقول: "ومن أمثلة الاشتراك في اسم قوله تعالى: (وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ) الحج 29، فإن العتيق يطلق بالاشتراك على القديم وعلى المعتق من الجبابرة وعلى الكريم، وكلها قيل به في الآية، وتصريح الله بأنه أقدم البيوت التي وضعت للناس في قوله: (إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا) آل عمران 96، يدل للأوّل"[5].

ومن أمثلة القسم الثاني من الاشتراك في الأفعال ذكر الشنقيطي قوله تعالى: (وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ) التكوير 17، فإنه مشترك بين الإقبال والإدبار لليل، وقد جاءت آية تؤيد أن معناه في الآية (أدبر) وهي قوله تعالى: (وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ) المدثر 33و34، فكون (عسعس) في الآية بمعنى (أدبر) يطابق آية المدثر ولكن الغالب في القرآن أن تعالى يقسم بالليل وظلامه إذا أقبل، وبالفجر وضيائه إذا أشرق كقوله: (وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ) الليل 1و2، وقوله: (وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا) الشمس 3و4، وقوله: (وَٱلضُّحَىٰ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ) الضحى 1و2، والحمل على الغالب أولى وهذا اختيار ابن كثير وهو الظاهر خلافًا لابن جرير"[6].

---

[1] المصدر السابق،ج1، ص140.
[2] الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، ص223.
[3] المصدر نفسه، ج1، ص8.
[4] نفسه، ج1، ص8.
[5] نفسه، ج1، ص8.
[6] نفسه، ج1، ص8.

ويمثل لهذا القسم من الاشتراك بمثال آخر وهو قوله تعالى: (ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ) الأنعام 01، فإن هذا مشترك بين قولهم: (عدل به غيره إذا سوّاه)، ومنه قول جرير:

أثعلبة الفوارس أم رياحًا   عدلت بهم طهيه والحسابَا

أي (سوّيتهم بهم)، وبين قولهم (عدل) بمعنى مال وصدّ، ويدل للأوّل قوله تعالى: (تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ) الشعراء 97 و98، وقوله: (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِ) البقرة 165.

وعن الاشتراك في الحروف وهو ثالث قسم من أقسام الاشتراك يقول الشيخ: "ومثال الإجمال بسبب الاشتراك في حرف، قوله تعالى: (خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞ) البقرة 07، فإن الواو في قوله: (وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡ)، وقوله: (وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ) محتملة للعطف على ما قبلها وللاستئناف"[1].

ويذكر الشنقيطي مثالا آخر عن الاشتراك في الحرف وهو قوله تعالى: (ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ) آل عمران 07، فالواو محتملة أيضا العطف فيكون (الراسخون في العلم) يعلمون تأويل المتشابه، ومحتملة الاستئناف فيكون الله تعالى مستأثرا بعلمه دون خلقه[2].

ومن أمثلة الاشتراك في الحرف قوله تعالى: (فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُ) المائدة06، فإن لفظة (مِن) مشتركة بين التبعيض وابتداء الغاية[3].

ومن أمثلة ما ذكر الشنقيطي في حديثه عن الاشتراك: إطلاق (المحصنات) على ثلاثة معانٍ في كتاب الله فيقول: "اعلم أن لفظ (المحصنات) أطلق في القرآن ثلاثة إطلاقات: **الأول:** المحصنات: العفائف، ومنه قوله تعالى: (مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ) النساء 25، أي عفائف غير زانيات.

الثاني: (المحصنات: الحرائر)، ومنه قوله تعالى: (فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ) النساء 25، أي على الإماء نصف ما على الحرائر من الجلد.

الثالث: أن يراد بالإحصان: التزوج، ومنه على التحقيق قوله تعالى: (فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ) النساء 25، أي فإذا تزوجن"[4].

وفيما يلي نُورد أمثلة للمشترك اللفظي من خلال ما ذكره الشنقيطي في كلامه لبعض الألفاظ في مواضعها المختلفة وآياتها التي وردت فيها، ومن ذلك ما يلي:

<u>1- الكفر:</u> يقع هذا اللفظ على أربعة معان في القرآن الكريم ذكرها الشيخ وهي:

أ- بمعنى المخرج من الملة كقوله تعالى: (قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ) الكافرون 1و2.

ب- وبمعنى الظلم، كقوله تعالى: (وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ) البقرة 245.

ت- وقوله: (إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ) لقمان 13.

ث- وبمعنى المعصية، كقوله تعالى: (فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ) فاطر 32.

---

[1] الشنقيطي محمد الأمين، أضواء البيان، ج1، ص9.
[2] المصدر نفسه ، ج1، ص9.
[3] المصدر نفسه، ج1، ص9.
[4] المصدر نفسه، ج1، ص249 وما بعدها.

ج- وبمعنى الفسق، كقوله تعالى: (وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ) السجدة 20[1].

2– الأمة: وتطلق في القرآن إطلاقات عدة منها:

أ- بمعنى البرهة من الزمن في قوله تعالى: (وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ) هود08.

ب- بمعنى الجماعة من الناس: وهو الاستعمال الغالب كقوله تعالى: (وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ) القصص 23.

ت- بمعنى الرجل المقتدى به كقوله تعالى: (إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ) النحل 120.

ث- بمعنى الشريعة والطريقة كقوله تعالى: (إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ) الزخرف 22[2].

3– الغلام: وله في لغة العرب عدة إطلاقات منها:

أ- بمعنى العبد والصغير الذي لم يبلغ، كقوله تعالى: (قَالُواْ لَا تَوۡجَلۡ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ) الحجر 53.

ب- بمعنى الرجل البالغ، كقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم النهروان:

أنا الغلام القرشي المؤتمن   أبو حسين فاعلمن والحسن

وقول ليلى الأخيلية تمدح الحجاج بن يوسف:

إذا نزل الحجاج أرضًا مريضــة   تتبع أقصى دائها فشفاها

شفاها من الداء العُضال الذي بها   غلام إذا هزّ القناة سقاها[3]

4– الفتنة: دل استقراء القرآن على أن اللفظة تطلق على معانٍ أربعة وهي:

أ- بمعنى الإحراق بالنار كقوله تعالى: (يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ) الذاريات 13.

ب- الاختبار وهو أشهرها كقوله تعالى: (وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗ) الأنبياء 35.

ت- نتيجة الاختيار إن كانت سيئة كقوله تعالى: (وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ) البقرة 193.

ث- الحجة كقوله تعالى: (ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ) الأنفال23.[4]

5– الضلال: يطلق في القرآن وفي اللغة العربية ثلاثة إطلاقات:

أ- الذهاب عن حقيقة الشيء فتقول العرب في كلّ من ذهب عن علم حقيقة شيء ضلّ عنه، وهذا الضلال ذهاب عن علم شيء ما، وليس من الضلال في الدين، ومن هذا المعنى قوله تعالى: (قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ) الشعراء20.

ب- الذهاب عن طريقة الإيمان إلى الكفر وهو المشهور في اللغة كقوله تعالى: (عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ) الفاتحة 7.

ت- الغيبوبة والاضمحلال، تقول العرب: ضلّ الشيء إذا غاب واضمحلّ، ومنه قولهم: ضل السمن في الطعام إذا غاب فيه واضمحل، ولأجل هذا سمّت العرب الدفن في القبر إضلالا لأن

---

[1] الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج2، ص84.

[2] المصدر نفسه ، ج3، ص10 وما بعدها.

[3] نفسه، ج3، ص113 وما بعدها.

[4] نفسه ، ج6، ص173.

المدفون تأكله الأرض فيغيب عنها ويضمحل، ومن هذا المعنى قوله تعالى: (وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِى ٱلۡأَرۡضِ) السجدة 10.

وأضاف أهل العلم أن للضلال إطلاقا رابعا هو المحبة، ومنه قوله تعالى: (قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ) يوسف 95[1].

هذا قليل من كثير، فهناك أمثلة كثيرة حدّثنا عن معانيها الشنقيطي بالتفصيل مستشهدا بما جادت به قريحته، إما من القرآن أو من الحديث أو من الشعر العربي كونه ثالث مصدر من مصادر الاحتجاج، فالشنقيطي يصرّح بوجود هذه الظاهرة في اللغة العربية وأيضا في القرآن الكريم، وللإشارة فإننا لا نفقه معنى اللفظة إلا إذا كانت في سياق معين، فالسياق هو الدليل الوحيد للمعنى المحتمل الصحيح.

2- التضاد: إن هذه الظاهرة لم يتحدث عنها محمّد الأمين الشنقيطي بِصورةٍ مباشرة مخصّصا لها عنوانًا مستقلا مثلما فعل مع ظاهرة المشترك اللفظي، ولكن من خلال أحاديثه وكلامه وشواهده التي ضربها وشرحه وتفسيره لهذه الظاهرة، تعمدنا أن نخصّص عنوانًا مستقلا لذلك كواحدة من الظواهر المعجمية التي وردت في ثنايا وبطون ومتون مؤلفاته، وللعلم فإن مسألة التضاد اللغوي هي نوع معيّن من المشترك مثلما يتفق على ذلك علماء وفقهاء اللغة، فإذا كان المشترك هو أن يدل اللفظ الواحد على معنيين مختلفين أو أكثر، فإن التضاد هو أن يدل اللفظ الواحد على معنيين متضادين أو أن يدل اللفظ الواحد على ضدّه، وهو وسيلة من وسائل التوسع اللغوي وفرع من المشترك اللفظي[2].

والتضاد لغة من مادة (ضدد)، حيث جاء في (لسان العرب) لابن منظور قوله: "الضد كل شيء ضادً شيئا ليغلبه، والسواد ضد البياض والموت ضد الحياة والليل ضد النهار إذا جاء هذا ذهب ذلك...وضدُّ الشيء وضديده وضديدته خلافُه...وضدُّه أيضا مثله عنه وحده والجمعُ أضداد، ولقد ضادهُ وهما متضادان....، والضد يكون واحدًا وجماعةً....، ويقال: لا ضد له ولا ضديد أي لا نظير له ولا كفء له"[3].

واصطلاحا يعرّف التضاد بأنه "أن ترد الكلمات دالة على معنيين متضادين ككلمة (ضد) التي تحمل في ذاتها معنى المخالف ومعنى المثل أو النظير على السواء"[4].

ويعرف كذلك بأنه "أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى فيكون اللفظ الواحدُ على معنيين فصاعدًا"[5]، أو "هو اللفظ المستعمل في معنيين متضادين"[6].

ويقول فايز الداية: "وأما التضاد فقد عدّ جزءا من المشترك، ذلك أن المشترك يقع على شيئين ضدّين، وعلى مختلفين غير ضدين، فما يقع على الضدين كالجون (للأبيض والأسود) وجللُ (للعظيم والحقير)، وما يقع على مختلفين غير ضدين كالعين"[7].

---

[1] الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج6، ص248 وما بعدها.
[2] بلعيد صالح: فقه اللغة العربية، دار هومة، الجزائر،2003، ص137.
[3] ابن منظور: لسان العرب، ج3، ص 263 (ضدد).
[4] دراقي زبير: محاضرات في فقه اللغة العربية، ص112.
[5] نهر هادي: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل للنشر والتوزيع، أربد، الأردن، ط1،1427هـ، 2007، ص521 وما بعدها.
[6] عمر أحمد مختار : علم الدلالة، ص191.
[7] الداية فايز: علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، ص87.

ويسميه علماء اللغة المحدثون أيضا باسم "التخالف" (Antonymy)[1].

والتضاد كظاهرة لغوية اختلف العلماء حول ورودها من عدمها مثلما اختلفوا في وجود المشترك من عدمه، ومن المنكرين للتضاد ابن درستويه وثعلب، حيث يرى هذا الفريق تغطية وتعمية للدلالة، ويرى أنه إذا اعترى اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطب أيهما أراد المتكلم، ومن المقرّين بوجوده فهم الغالبية من علماء العربية منهم: الخليل بن أحمد وأبو عمرو الشيباني وأبو عبيدة والأخفش وأبو زيد الأنصاري والأصمعي وأبو عبيدة القاسم بن سلام وابن الأعرابي وعبد الله التوزي وابن السكيت وأبو حاتم السجستاني وغيرهم، وقد أجمع هؤلاء العلماء على قلة الألفاظ المتضادة في لغة العرب.

ويرى اللغويون أن من أسباب هذه الظاهرة ما يلي:[2]

1- عموم المعنى الأصلي.
2- اختلاف اللهجات باختلاف المناطق.
3- التطور الصوتي والتطور في الدلالة يؤديان إلى تداخل المعنيين.
4- التهكم أو التفاؤل.
5- المجاز والاستعارة.

ونستشف من أحاديث محمّد الأمين الشنقيطي أنه يؤمن بوجوده في لغة العرب وحتى في القرآن الكريم، وذلك من خلال شرحه وتفصيله في تفسير ألفاظ ومفردات الآيات القرآنية واستشهاده لما ورد من شواهد خاصة بالتضاد في كلام العرب.

ونورد أمثلة للتضاد اللغوي من مؤلفات الشنقيطي لبعض الألفاظ في سياقاتها المختلفة كما يلي:

1-القُرء: يقول تعالى: (وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ) البقرة 228، وفي هذا المقام يقول الشنقيطي: "القرء يطلق على الحيض، ومنه قوله صلى اله عليه وسلم: **"دعي الصّلاة أيّام أقرائكِ"**، ويطلق القرء لغة أيضا على الطهر ومنه قول الأعشى:

أفي كلّ يوم أنت جاشم غزوة   تشدُّ لأقصاها عزيم عزائكا
مورثة مالاً وفي الحيّ رفعةً   لِما ضاع فيها من قروء نِسائِكا

ومعلومٌ أن القُرء الذي يضيع على الغازي من نسائه هو الطهر دون الحيض، وقد اختلف العلماء في المراد بالقروء في هذه الآية الكريمة، هل هو الأطهار أو الحيضات؟.

وسبب الخلاف بين اشتراك القرء بين الطهر والحيض كما ذكرنا، وممن ذهب إلى أن المراد بالقرء في الآية الطهر، مالك والشافعي وأم المؤمنين عائشة وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمرو والفقهاء السبعة وأبان بن عثمان والزهري وعامة فقهاء المدينة وهو رواية عن أحمد، وممن قال بأن القروء: الحيضات: الخلفاء الراشدون الأربعة وابن مسعود وأبو موسى وعبادة بن الصامت

[1] لاينز جون: علم الدلالة ،ترجمة : مجيد عبد الحليم الماشطة وآخرون، مطبعة جامعة البصرة، العراق، 1980، ص83.
[2] للتفصيل في الموضوع يراجع: بلعيد صالح، فقه اللغة العربية، ص138، وعمر أحمد مختار: علم الدلالة، ص204.

وأبو الدرداء وابن عباس ومعاذ بن جبل وجماعة من التابعين وغيرهم وهو الرواية الصحيحة عن أحمد"[1].

فلفظة القرء من التضاد في اللغة العربية، وهي تطلق على معنيين متضادين: الأول هو كما في الحديث الشريف الذي استدل به الشيخ، والثاني هو الطهر كما في شعر الأعشى، وذكر الشيخ أن (القرء) هي لفظة مختلف فيها في الآية، فبعضهم ذكر بأنها تعني الحيض والبعض الثاني يذكر بأنها تعني الطهر، وذكر أسماء من كل فريق.

ويصرح الشنقيطي في القول الذي سبق بأن التضاد هو من المشترك اللفظي مبيّنا هذا في قوله: "وسبب الخلاف هو اشتراك القرء بين الطهر والحيض"، ويضيف الشيخ قائلا في نفس السياق: "واحتج كل فريق بكتابٍ وسنةٍ، وقد ذكرنا في ترجمة هذا الكتاب أننا في مثل ذلك نرجّح ما يظهر لنا أن دليله أرجح، أما الذين قالوا: (القروء: الحيضات) فاحتجوا بأدلة كثيرة منها قوله تعالى: (وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَ) الطلاق04، قالوا: "فترتيب العدة بالأشهر على عدم الحيض يدل على أن أصل العدة بالحيض، والأشهر بدل من الحيضات عند عدمها، واستدلوا أيضا بقوله: (وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ) البقرة 228، قالوا هو الولد أو الحيض، واحتجوا بحديث: "دعي الصلاة أيام أقرائك"، قالوا: إنه صلى الله عليه وسلم مبيّن الوحي، وقد أطلق القرء على الحيض، فدلّ على أنه المراد في الآية، واستدلوا بحديث اعتداد الأمة بحيضتين، وحديث استبرائها بحيضة.

وأما الذين قالوا: (القروء: الأطهار)، فاحتجوا بقوله تعالى: (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) الطلاق01، قالوا: عدتهن المأمور بطلاقهن لها: الطهر لا الحيض كما هو صريح الآية ويزيده إيضاحا قوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عمر المتفق عليه "فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرًا قبل أن يمسها، فتلك العدة كما أمر الله"، قالوا: إن النبي صلى الله عليه وسلم صرّح في هذا الحديث المتفق عليه بأنّ الطهر هو العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء مبينا أن ذلك هو معنى قوله تعالى: (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) الطلاق01، وهو نص من كتاب الله وسنة نبيه في محل النزاع"[2].

ويبدي الشنقيطي رأيه بعد عرض أدلة كل فريق، فقال: "قال مقيده -عفا الله عنه- (يقصد نفسه): الذي يظهر لي أن دليل هؤلاء هذا (يقصد أصحاب الرأي الثاني)، فصلٌ في محل النزاع لأن مدار الخلاف هل القروء الحيضات أو الأطهار؟ وهذه الآية وهذا الحديث دلا على أنّها الأطهار"[3].

ويدعّم الشنقيطي رأيه بمجموعة من الاستدلالات متواضعا عن صحة رأيه منها:[4]

أ- لا يوجد في كتاب الله ولا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم شيءٌ يُقاوم هذا الدليل، لا من جهة الصحة ولا من جهة الصراحة في محل النزاع لأنه حديث متفق عليه مذكور في معرض بيان معنى آية من كتاب الله تعالى.

---

[1] الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، ص121.
[2] المصدر نفسه ،ج1،ص122.
[3] نفسه ، ج1، ص122.
[4] للتفصيل في هذه الدلائل يراجع: المصدر نفسه، ج1، ص ص 122-126.

ب- الطهر هو العدة بصريح حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مبينا مراد قوله تعالى: (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) فالإشارة في قوله صلى الله عليه وسلم "فتلك العدة"راجعة إلى حال الطهر الواقع في الطلاق، لأن معنى قوله "فليطلقها طاهرا" أي في حال كونها طاهرًا...، وهذا نص صريح في أن العدة بالطهر وأنث الإشارة لتأنيث الخبر.

ت- وفي القاموس "وعدّةُ المرأة أيام أقرائها وأيام إحدادها على الزوج وهو تصريح منه بأن العدة هي نفس القروء لا شيء زائد عليها، وفي اللسان: وعدة المرأة أيام أقرائها وعدّتها أيضا أيام إحدادها على بعلِها وإمساكها عن الزينة: شهوراً كان أو أقراءً أو وضع حملٍ حملته من زوجها، فهذا بيان بالغ من الصحة والوضوح والصراحة في محل النزاع ما لا حاجة معه إلى كلام آخر، وتؤيّده قرينة زيادة التاء في قوله: (ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ) البقرة 228، لدلالتها على تذكير المعدود وهو الأطهار لأنها مذكرة والحيضات مؤنثة، وذكر شواهد من كلام العرب يستدل بها حول تذكير وتأنيث العدد والمعدود، وعلاقة ذلك بما جاء في الآية الكريمة.

ث- الأقراء لا تقال في الأطهار إلا في الأطهار التي يتخللها حيضٌ، فإن عدم الحيض عدِم معه اسم الأطهار، ولا مانع إذن من ترتيب الإعتداد بالأشهر على عدم الحيض مع كون العدة بالطهر، لأن الطهرَ المرادَ يلزمه وجود الحيض، وإذا انتفى اللازم انتفى الملزوم، فانتفاء الحيض يلزمه انتفاء الأطهار.

ويلخص الشنقيطي ذلك كله في قوله: "وما ذكره أجلاء العلماء - رحمهم الله- من أن الآية والحديث المذكورين يدلان على أنّ الأقراءَ الحيضات بعيد جدًّا من ظاهر اللفظ كما ترى، بل لفظ الآية والحديث المذكورين صريح في نقيضه، هذا هو ما ظهر لنا في هذه المسألة والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم"[1].

فالشيخ يدعو بالرحمة للعلماء الأجلاء الذين خالفهم في هذه المسألة وذكروا غير ما ذكر، ووصفهم بالأجلاء دلالة واضحة على تبجيله للعلماء، وإقراره بالاختلاف الذي هو رحمة لعباد الله، ورغم ذلك كُلّه ينهي قوله بأنّ العليم في كلّ الأمور هو اللهُ فنسبة العلم إليه أسلم، وهو وحده أعلم، وهذا من تواضعه والتواضع سمة العلماء.

2-الفُلك: ويعتبر الشيخ من سياق كلامه أن اللفظة هذه من التضاد اللغوي في لغة العرب، وهذا في مواضع متفرقة من كتبه، فيقول: "وترى الفلك" أي السفن، وقد دل القرآن على أن (الفلك) يطلق على الواحِد وعلى الجمع، وأنه إن أطلق على الواحد ذُكِر، وإن أطلق على الجمع أُنِّثَ، فأطلقه على المفرد مُذكرا في قوله: (وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ) يس 41 و42، وأطلقت على الجمع مؤنثا في قوله: (وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ) البقرة 164"[2].

إنَ هذا القول لدليل واضح وصريح على رأي الشنقيطي في وجود التضاد في القرآن وفي لغة العرب هذا من جهة، ومن جهة ثانية يقرّ بصراحة وجود المشترك اللفظي في القرآن وفي لغة

---

[1] الشنقيطي محمد الأمين، أضواء البيان، ج1، ص126.
[2] المصدر نفسه ، ج1، ص189 وما بعدها.

العرب أيضا لأنه كما ذكرنا التضاد هو نوع من المشترك اللفظي، ودلل على وجوده في القرآن بآيات توضّح المقصود، فالفلك متى استعملت في القرآن مفردًا مذكرًا فاعلم بأن اللفظة أطلقت على الواحِد، ومتى استعملت مؤنثة فاعلم بأنها في القرآن بمعنى الجمع، ولا يعرف هذا إلا بوجود قرائن تثبت ذلك، وذكر هذا الرأي في سياق تفسيره لقوله تعالى: (وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ) النحل 14.

ويؤكد هذا في موضع ثان عند تفسيره قوله تعالى: (وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ) المؤمنون22، فيقول: "(وعلى الفلك) وهي السفن، ولفظ الفلك يطلق على الواحد والجمع من السُّفُن"[1]، ويضيف موضحًا في موضع آخر: "والفُلك يُطلق على الواحد والجمع، فإن أطلق على الواحِد جاز تذكيره كقوله هنا "في الفلك المشحون"، وإن جُمع أنِّثَ والمراد بالفلك هنا السفينة كما صرّح بذلك في قوله: (فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ) العنكبوت 15"[2]، وذكر هذا القول عند الوقوف على قوله تعالى: (فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ)الشعراء 119.

3-الظن: وقف الشنقيطي عند قوله تعالى: (وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ) فصلت 48، فقال: "الظن هنا بمعنى اليقين، لأن الكفار يوم القيامة إذا عاينوا العذاب وشاهدوا الحقائق، علموا في ذلك الوقت أنهم ليس لهم من محيص أي ليس لهم مفر ولا ملجأ، (...)، وما ذكرنا من أن الظن في هذه الآية الكريمة بمعنى اليقين والعلم هو التحقيق إن شاء الله(...)، ومعلوم أن الظن يطلق في لغة العرب التي نزل بها القرآن على معنيين: أحدهما: الشك كقوله تعالى: (إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔا) يونس 36، وقوله تعالى عن الكفار: (إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ) الجاثية 32، والثاني: هو إطلاق الظن مرادًا به العلم واليقين، ومنه قوله تعالى: (وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ) فصلت48، أي أيقنوا(...) ومنه بهذا المعنى قوله تعالى: (وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا) الكهف 53، أي أيقنوا ذلك وعلموا، وقوله تعالى: (ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ) البقرة 46، (...) ونظير ذلك من كلام العرب دريد بن الصمة:

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرّد

وقول عمير بن طارف: **"بأن تغترّوا قومي وأقعد فيكم وأجعل مني الظنّ غيباً مرجّما.**

والظن في البيتين المذكورين بمعنى اليقين"[3].

فلفظة "الظنّ" لفظة واحدة دلت على معنيين متضادين في القرآن الكريم يدل عليهما السياق كما ذكر الشنقيطي مستدلاً بآيات من القرآن وبشواهد الشعر العربي[4].

ومن الألفاظ التي وردت بمعنيين متضادين في القرآن الكريم أيضا وذكرها الشنقيطي في مؤلفاته لفظة (الموت) التي تطلق على (النوم) وعلى (الوفاة)، حيث يقول عند تفسير قوله تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا) الفرقان 47، "الموت هو المعبّر عنه بالسبات في

[1] الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج5، ص538 وما بعدها.
[2] نفسه، ج6، ص253.
[3] نفسه ، ج7، ص92 و ما بعدها.
[4] لمزيد من الشواهد عن ظاهرة التضاد عند الشنقيطي يراجع: أضواء البيان، ج4، ص101.

قولـه (والنـوم سباتا)، وإطلاق الموت علـى النـوم معروف فـي القرآن العظيم كقولـه تعـالـى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾ الأنعام 60"[1].

ويوضّح ذلك أيضا عند تفسير قوله تعالى: (إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ) آل عمران55، في قوله: "قال بعض العلماء: أي مُنيمك ورافعك إلي أي في تلك النومة، ويستأنس لهذا التفسير بالآيات التي جاء فيها إطلاق الوفاة على النوم كقوله: (وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ) الأنعام 60، وقوله: (ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِى لَمۡ تَمُتۡ فِى مَنَامِهَا) الزمر42"[2].

من خلال ما سبق يتضح أن التضاد ظاهرة من ظواهر اللغة العربية أقرّ بوجودها الشنقيطي في كلام العرب وفي القرآن الكريم، واستدلّ بشواهد من آي كلام الله ومن أشعار شعراء العرب حتى يوضّح المقصود ويسهم في توضيح الدلالة.

<u>3- التّرادف: (Synonymy):</u> جاء في التعريف اللغوي لهذه الظاهرة في مادة (ردف) أن الرّدف ما تبِع الشيء وكلّ شيء تبع شيئا فهو ردفه، وإذا تتابع شيءٌ خلف شيء فهو الترادف، والجمع الرُّدافَى، قال لبيد: **عُذافرة تقمّصُ بالرُّدافى تخوّنها نزولي وارتحالي**

ويقال: جاء القوم رُدافى أي بعضهم يتبع بعضاً....، وفي حديث بدر: **"فأمدّهم الله بألفٍ من الملائكة مردفين"** أي متتابعين يردف بعضهم بعضاً...، وترادف الشيء: تبع بعضه بعضًا والترادفُ التتابعُ"[3].

أما اصطلاحا فيعرفه فقهاء اللغة بأنه: "دلالة عدة ألفاظ على معنى واحدٍ مثل الليث والأسد والهزبر والضرغام للحيوان المفترس، والقمح والبر والحنطة للحبة المعروفة"[4].

أو هو التعبير عن الشيء الواحِد بالأسماء المتعددة، والألفاظ المترادفةُ هي: "الألفاظ المختلفة في أنفسها دون معانيها، وهذا كقولنا: نظر وفكر، وعلم ومعرفة، وليثٌ وأسدٌ"[5].

ومثلما اختلف اللغويون في وجود المشترك والتضاد من عدمه في القرآن وفي اللغة، اختلفوا كذلك في ظاهرة الترادف، ففريق يقر بوجوده كابن جني الذي خصّص للمترادف بابًا أسماه (باب تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني) في كتابه (الخصائص)، ووصفوه بأنه حسن كثير المنفعة قوي الدلالة على شرف هذه اللغة، مثل: (الخليقة) و(الطبيعة) و(النحيتة) و(الغريزة)....، وهذه المعاني تؤذِنُ بالإلِف والملاينة والإصحاب والمتابعة"[6].

وردّ ابن جني على من أنكروا هذه الظاهرة اللغوية، بأن الحروف واستعمال بعضها مكان بعض شهادة على من أنكر أن يكون في اللغة لفظان بمعنى واحِدٍ حين تكلّف لذلك أن يوجد فرقًا بين (قعد) و(جلس) وبين (ذراع) و(ساعد)[7].

---

[1] الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج6، ص224.
[2] المصدر نفسه، ج1، ص219.
[3] ابن منظور، لسان العرب، ج9، ص114 (ماد ة ردف).
[4] الرديني محمد علي عبد الكريم: فصول في علم الدلالة العام، ص243.
[5] العلوي يحي بن حمزة (ت745هـ): الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مطبعة المقتطف، مصر 1914م، ج2، ص155.
[6] ابن جني أبو الفتح عثمان: الخصائص، ج2، ص118.
[7] المصدر نفسه ، ج2، ص306.

وذهب فريق ثان إلى أن الترادف موجود ولا سبيل لإنكاره كأسماء السيف والعسل مثل ابن خالويه وآخرون، ويرى بعضُ العلماء أن الألفاظ المترادفة إن كانت مرتجلة تكون مترادفة وإلا فلا مثل البر والحنطة والهزبر والأسد...الخ ، فلو سمعت: الصارم والحسام المشرفي والرمح السمهري والرديني لا يخطر ببالك إلا تلك الآلة المستعملة في الضرب والنزال، فإن بعض الألفاظ الموضوعة له قد أخذت إما من عمله: كالحسام لحسمه الأمور، وإما من بلده كالمهند نسبة إلى الهند، وإما من لونه الأبيض وهكذا، لذلك يرى المنكرون للمترادف أن اللفظ الموضوع لهذه الآلة هو (السيف) وجميع الألفاظ الأخرى سماتٌ للسيف[1].

وأنكر فريق ثالث وجود الترادف مطلقا ومنهم أبو علي الفارسي وابن درستويه ورأوا أنه لا وجود للترادف مُطلقا في اللغة، والدليل أنه لا يوجد لفظان يظن السامع أنهما مترادفان إلا ويوجد بينهما فرقٌ في المعنى كما في أسماء السيف،لأن المعنى يتضح بلفظ آخر[2].

ومهما اختلفت الآراء فإن علماء العربية القدامى أولوا عناية كبيرة للترادف[3]، وألف بعضهم كتبا مستقلة مثل الرماني في كتابه (الألفاظ المترادفة) والأصمعي في (ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه) وغيرها من الكتب.

ويورد الشنقيطي هذه التعاريف وهذه الاختلافات في كتابه (نثر الورود على مراقي السعود) فيقول: "الترادف هو تعدد اللفظ واتحاد المعنى، كالأسد والليث"[4].

وعند اختلاف العلماء في وجود الظاهرة من عدمها يقول شارحًا قول الناظم عبد الله بن الحاج إبراهيم بن الإمام محنض أحمد العلوي في منظومة (مراقي السعود) في هذا البيت الذي يقول فيه الناظم: **وذو الترادف له حصول وقيل لا ثالثها التفصيل**[5]

يقول الشنقيطي: "يعني أنه اختلف في الترادف على ثلاثة أقوال: **الأوّل**: أنه واقع في الكلام وهو الحق، ومن فوائده أن أحد الرديفين يصلح لما لا يصلح له الآخر في السجع والشعر والجناس، وقد يكون أحد الرديفين أسهل على الألثغ لا ينطق ببعض الحروف من الآخر، فالذي يتعذر عليه النطق بالراء يعدل عن لفظ البر مثلاً إلى لفظ القمح، **القول الثاني:** وهو قول ثعلب وابن فارس والزجاج وأبي هلال العسكري أن الترادف غير واقع في الكلام، وقالوا: كُلّ ما يظن مترادفًا ليس بمترادف، إذ لابد أن يشتمل أحد اللفظين على معنى ليس في الآخر تحصل به المباينةُ في الصفات، فالإنسانُ مثلا ليس مرادفًا للبشر لاشتمال الإنسان على معنى النسيان أو الأنس واشتمال البشر على معنى ظهور البشرة وقس على ذلك، **القول الثالث:** "هو التفصيل بين الألفاظ الشرعية وغيرها، فيمتنع الترادف في الألفاظ الشرعية، ويجوز في غيرها"[6].

---

[1] الرديني محمد علي عبد الكريم: فصول في علم اللغة العام، ص244.
[2] المرجع نفسه، ص245.
[3] لمزيد من الاستزادة حول ظاهرة الترادف عند العلماء واللغويين يراجع كلا من: لاينز جون: علم الدلالة، ص73، هادي نهر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص490، ابن فارس بن زكريا الرازي اللغوي أبو الحسين أحمد: الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها، تحقيق وضبط: عمر فارق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط1414،1هـ،1993م، ص97، السيوطي جلال الدين: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، ص238، فايز الداية: علم الدلالة العربي، ص77، أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص215.
[4] الشنقيطي محمد الأمين: نثر الورود على مراقي السعود، ج1، ص134.
[5] المصدر نفسه، ج1، ص134.
[6] نفسه ، ج1، ص134 وما بعدها.

وبعد التفصيل في اختلاف العلماء في المواقف الثلاثة التي بينها ووضّحها الشنقيطي يفردُ الشيخ رأيه ويميل إلى أحد هذه الآراء، فيقول: "**والتحقيق:** الجواز والوقوع مطلقًا، فمثاله في كلام العرب: الليث والأسد، ومثاله في الاصطلاحات الشرعية: الفرض والواجب عند غير أبي حنيفة، والسنة والتطوع، ومثاله في القرآن: (يحسبون ويظنون)"[1].

ومن أمثلة الترادف في مؤلفات الشنقيطي لفظتي :"**القرحُ والقُرح**" عند تفسير قوله تعالى: (إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ) آل عمران 140، يقول في لفظة (القرح) بفتح القاف وضمّها في الحرفين معناهما واحدٌ، فهما لغتان كالضَّعف والضُّعف"[2].

ومن أمثلة الترادف قول الشنقيطي: "وقوله (**يُهرعون**)، أي يسرعون ويهرولون من فرحهم بذلك، ومنه قول مهلهل: **فجاؤوا يُهرعون وهم أسارى تقودهم على رغم الأنوف**"[3].

فالهرع والسرعة والهرولة ألفاظ مترادفة تدل على معنى واحدٍ وإن اختلفت المسميات، وذكر هذا عند الوقوف عند قوله تعالى: (وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) هود 78.

ومن أمثلة الترادف أيضا لفظتي: "**السجيل والسجين**"، حيث يقول: "فإن بعض العلماء قالوا: السجيل والسجين أختان: كلاهما الشديد من الحجارة والضرب، ومنه قول ابن مقبل:

ورجله يضربون البيض ضاحية ضربًا تواصى به الأبطال سجينا"[4]

وذكر هذا عند تفسير قوله تعالى: (فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ) هود82.

وعند شرح لفظة (**مرتفقا**) في قوله تعالى: (وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا) الكهف 29، يقول الشنقيطي: "والمرتفق مكان الارتفاق، وأصلهُ أن يتكئ الإنسانُ معتمداً على مرفقِه، وللعلماء في المراد بالمرتفق أقوال متقاربة في المعنى، قيل: مرتفقا أي منزلا....ومقرًا.... وقيل مجلسًا....وقيل مجتمعا، ...وحاصل معنى الأقوال أن النار بئس المستقر هي، وبئس المقام هي: ويدل لهذا قوله تعالى: (إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا) الفرقان 66"[5].

فالمرتفق والمنزل والمقر والمجلس والمجتمع والمستقر والمقام كلها ألفاظ مترادفة لها نفس المعنى.

ويقول أيضا في موضع آخر كشاهد على وجود الترادف في القرآن الكريم: "وقوله بقبس أي شهابٍ، بدليل قوله في النمل: (ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) النمل07، وذلك هو المراد بالجذوة في قوله: (أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) القصص29"[6]، فالقبس والشهاب والجذوة ألفاظ قرآنية متحدة المعنى.

ويحدّثنا الشنقيطي عن المترادفين "**السكين**"و"**المُدية**" بعدما ذكر قصة قصها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وفيهم أبو هريرة رضي الله عنه، فقال أبو هريرة بعد ذلك:

---

[1] المصدر السابق، ج1، ص135.
[2] الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، ص226.
[3] المصدر نفسه ، ج3، ص25.
[4] نفسه، ج3، ص29.
[5] نفسه، ج4، ص76.
[6] نفسه، ج4، ص221.

"والله إن سمعتُ بالسكين قط إلا يومئذٍ وما كنا نقول إلا المُدية"[1]، فالمُدية و السكين بمعنى واحدٍ وإن اختلف لفظهما.

ومن شواهد الترادف التي ذكرها الشنقيطي ما يلي: القاع والقيعة بمعنى واحدٍ[2]، جاء وأتى بمعنى فعل وهما بمعنى واحدٍ[3]، الفقر والإقتار بمعنى واحدٍ[4]، اللازب واللازم واللاتب بمعنى واحدٍ[5]، السدّ والسُّد بمعنى واحدٍ[6]، والفَقر والفُقر بمعنى واحدٍ[7]، الشَّوبَ والشُّوب أيضا[8]، والكره والكُره[9]، والمناص والملجأ والمفر والموئل كذلك[10]، والهون والهوان والذل والصغار بمعنى[11]، ويحادون ويُعادون ويشاقون ويخالفون بمعنى واحد أيضا[12]....الخ.

فالشنقيطي يقر بصراحة بوجود الترادف أو المعنى المتقارب للألفاظ في القرآن كما في لغة العرب، ومثّل لذلك بشواهد قرآنية ومن الشعر العربي، لما له من فائدة جليلة في توضيح النص القرآني وتفسير دلالات الألفاظ، وهو عامل هام من عوامل التوسع اللغوي، فتعدد المسميات للإسم الواحد ذو أثر كبير في تنمية الثورة اللفظية فييسر للشاعر أو للناظم كما للناثر أو الخطيب أو الشارح أو المفسر أو الناقد للتعبير عمّا يسكن في نفسه من المعاني دون تردّد أو تحرّج.

وفي ضوء اللغويات المعاصرة استبدل لفظ الترادف بمصطلحات أخرى منها (الاستبدالية) أو (الاستعاضة) وهو مقياس الترادف عندهم، فالاستبدالية أو الاستعاضة هي إبدال الكلمة بمرادفتها في النص اللغوي من غير أن يصاحب ذلك تغيير في المعنى، وهذا هو المقياس الصحيح للتحقق من الترادف في ضوء فقه اللغة المعاصر[13].

4-الحقول الدلالية:[14] (Semantic Field): إن موضوع الحقول الدلالية من المواضيع اللغوية التي ظهرت في اللغويات المعاصرة ويحاول العلماء التأسيس لها في نظرية دلالية جامعة لها أصولها وقواعدها وأسسها وأهدافها، وإن كان هذا الموضوع (موضوع الحقول الدلالية) له جذور وأصول عند العرب قبل أن يصل إليه الغرب ويستكمل مسيرة التنظير والتأليف فيه، لكن عندما ظهر عند العرب عُرف بمذاهب أخرى ومسميات متعدّدة انطلاقا من التصنيف والتصفيف والتبويب والتقسيم وصولاً إلى التأليف.

---

[1] المصدر السابق، ج4، ص451.

[2] الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج6، ص166.

[3] نفسه، ج6، ص165 وما بعدها.

[4] نفسه، ج6، ص236.

[5] نفسه، ج6 ، ص439 وما بعدها .

[6] نفسه، ج،6 ، ص424.

[7] نفسه، ج6 ، ص446.

[8] نفسه، ج6 ، ص446.

[9] المصدر نفسه، ج7، ص250.

[10] نفسه، ج7، ص12.

[11] نفسه، ج7، ص257.

[12] نفسه، ج7، ص538.

[13] يراجع: جون لاينز: علم الدلالة، ترجمة: مجيد عبد الحليم ماشطة وآخرون، مطبعة جامعة البصرة، 1980، ص74، والشحيري هادي أحمد فرحات: الدراسات اللغوية والنحوية في مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، ص264.

[14] حول هذا الموضوع يراجع: نور الهدى لوشن: علم الدلالة (دراسة وتطبيق)، ص115، وأحمد عزوز: أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2002، ص06، وأف-آر- بالمر: علم الدلالة، ترجمة: مجيد الماشطة، الجامعة المستنصرية، العراق، 1984، ص16، ومنقور عبد الجليل: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص187، ونهر هادي: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص563.

إن علماء اللغة العرب القدامى بعدما جمعوا شتات اللغة من أفواه الأعراب والمتكلمين العرب الأقحاح ومن فضاءاتها الأصيلة ومنابعها الصافية، راحوا يستقرئون الألفاظ المجموعة وقاموا بتبويبها وتصنيفها وتنظيمها، فراح كل عالم يجمعُ المواد اللغوية في الموضوع الذي يرغب التصنيف فيه[1]، وهذا دليل على أن العرب كانوا السباقين إلى تصنيف المفردات بحسب الموضوعات أو المعاني وهو ما يعرف اليوم بالتصنيف على أساس الحقول الدلالية.

فتصنيف المدلولات على حسب الحقول الدلالية طريقة تصنيفية تقوم على بيان مجموعة الكلمات التي تربطها دلالة أسرية، ويمكن أن يجمعها لفظ عام، مثال ذلك كلمات الألوان في اللغة العربية، فهي تقع تحت أصل مصطلح العام (لون)، وتضم ألفاظًا مثل: أحمر، أزرق، أخضر، أبيض، أصفر...الخ، ومثلها الكلمات التي تدل على الحيوانات مثل: بقرة- فرس- جمل...أو كلمات تدل على الأرض مثل: تراب- ماء- حجارة...الخ ،وهذا ما تنبه إليه القدماء، وما تأليف المعاجم وكتب الفروق في اللغة إلا دليل على طرق تصنيفية للمعنى، وإن اختلفت من كاتب لآخر[2].

وتتبدى المحاولات الأولى في كل الرسائل الصغيرة التي أفردها أصحابها للحديث عن موضوع معين، وهي وسائل تعدّ من صميم الحقول الدلالية وإن لم تُسَمَّ بهذا الوسم مثل: رسائل (اللبن) و(المطر) لأبي زيد الأنصاري، ورسائل (الشجر) و(النبات) و(خلق الإنسان) للأصمعي، و(الخيل) لأبي عبيدة معمر بن المثنى، ورسائل (النخل) و(الكرم) و(الشاء) و(الإبل) و(أسماء الوحوش) و(الخيل) و(النبات) و(الشجر) لأبي حنيفة الدينوري[3].

وتوالت المصنفات في هذا الموضوع، فكتب أبو عبيد القاسم (ت224هـ) عن (الغنم) و(النعم) و(البهائم) و(السباع) و(الطير) و(الهوام) و(حشرات الأرض)، واشتهر ابن السكيت (ت244هـ)في هذا اللون من التأليف[4].

ولو عدنا إلى كتاب (فقه اللغة) للثعالبي (ت429هـ) لوجدنا طريقة تصنيف المدلولات على حسب الحقول الدلالية متمثلة فيه، فنأخذ على سبيل المثال الفصل الثاني في ذكر ضروب الحيوانات، والثالث في النبات والشجر، والفصل الرابع في الأمكنة، والفصل الخامس في النبات والفصل السادس في الطعام...الخ، ولو عدنا إلى كتاب الجاحظ (الحيوان) لوقفنا على تصنيف الحقول الدلالية، والتي يعبر عنها عنوان الكتاب، وإن كان المراد من هذه الكتب أن تكون باحثة في اللغة أولاً، فهي بمثابة معجمات لغوية خاصة بما أُلفت له، فهي لا تبحث في طبع الحيوان وخصائصه بحثًا ولا تُعنى بحقائقه وغرائزه وأحواله...، وإنما تجعل همّها الأوّل والثاني هو اللغة"[5].

ومن المهتمين بهذا النوع من التأليف من العرب القدامى أبو حاتم السجستاني (ت248هـ) وابن خالويه وكتب أحمد بن وتد (ت299هـ)عن النبات والأنواء، وألف ابن دريد (ت321هـ) في

[1] المبارك محمد: فقه اللغة وخصائصه العربية: دراسة تحليلية مقارنة وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط7، 1971، ص307.

[2] لوشن نور الهدى: علم الدلالة (دراسة وتطبيق)، ص115.

[3] عزوز أحمد: أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، ص14.

[4] المرجع نفسه، ص14

[5] لوشن نور الهدى: علم الدلالة (دراسة وتطبيق)، ص115 وما بعدها.

(السرج) و(اللجام) و(المطر) و(السحاب)، والزجاج (ت415هـ)، وعبد الله بن سعيد الخوافي (ت480هـ)، ومن المتأخّرين الصاغاني (ت659هـ) وشرف الدين علي بن يوسف بن حيدرة الطيب (ت669هـ)[1].

واستمر التأليف في هذا الباب على أساس التنظيم والترتيب والتبويب في المعاني والموضوعات، وراح بعضهم يهتم ويختص في المجال الصرفي والصوتي، وتوالت الرسائل اللغوية في الإبدال والأبنية ليونس بن حبيب وابن مرار الشيباني كرسائل الهمز والأبنية نحو(فعلتُ وأفعلتُ) و(المقصور والممدود) لابن دريد (321هـ) و(الغريب المصنف) لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت224هـ) و(المخصص) لابن سيده (ت485هـ)...الخ.

وفي بداية القرن العشرين جاء فردينان دي سوسير وتحدّث عن الدراسة التاريخية والدراسة الوصفية للغة، واعتبر اللغة نظاما من العلامات ترتبط بعلاقة عضوية فيما بينها، وهو ميلاد جديد لنظرية الحقول الدلالية وثورة لسانية قام بها دي سوسير على منهج دراسة اللغة وتحليل مكوناتها ذلك أن "قيمة كل عنصر لا تتعلق بسبب طبيعته أو شكله الخاص ولكن بسبب مكانه وعلاقته ضمن المجموع"[2].

وطوّر الفكرة علماء جاؤوا بعد دي سوسير أمثال إيبسن EPSEN (1924) وجولز JOLLES وبروزيق PROZIG (1934) وترايرTRIER(1934)[3]، واستمر البحث والتنظير للموضوع الذي كان فكرة عند دي سوسير إلى أن أصبحت نظرية الحقول الدلالية منهجا يُعنى بتنظيم اللغة وتصنيفها على أساس المكونات الدلالية المشتركة للموضوع الواحِد، وإن سماها الكثير بمسميات مختلفة منها المدى الدلالي والمجال الدلالي والحقل المعجمي وغيرها وباللغة الإنجليزية Semantic fields وLexical fields وSémantic space وSémantic area وSémantic range وSémantic class وSémantic demain وConceptual field وLexical domain... وغيرها من المصطلحات، وشاعت مجموعة جديدة من المصطلحات منها: السيم (Sème) و(Sémème) و(Semiene) وغيرها.

ومنه فإن الحقل الدلالي في المفهوم المعاصر هو: "مجموعة من الكلمات ترتب دلالاتها وتوضع عادةً تحت لفظ عام يجمعها"[4].

وفي تعريف مماثل لهذا هو "مجموعة من مقومات اللغة تخضع لمعنى واحدٍ عام تدور في كل هذه المفردات"[5].

وفي تعريف لجون دي بوا (John Dubois): "هو البحث في استخراج بنية الكلمة أو اقتراح بنائها"[6].

---

[1] عزوز أحمد: أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، ص14.
[2] المبارك محمد: فقه اللغة وخصائص العربية، ص307 وما بعدها.
[3] عزوز أحمد: أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، ص28.
[4] عمر أحمد مختار: علم الدلالة، عالم الكتب،القاهرة،ط5،1998،ص79.
[5] فريد عوض حيدر: علم الدلالة، دار العلوم الجامعية، القاهرة، ط1، 2005م، ص174.
[6] Jhon Dubois et autres. Dictionnaire de linguistique, Librairie Larousse , Paris, 1973, P88.

وعرفه ستيفان إولمان (S.Ullman): "إنه قطاع من المادة اللغوية يعبّر عن مجال معين من الخبرة"[1].

تتفق هذه التعاريف في أن الحقل الدلالي عبارة عن مكوّن من مفردات اللغة يعبّر عن تصوّر أو فكرة أو موضوع معين.

ونظرية الحقول الدلالية ترى أنه من الواجب لمعرفة معنى الكلمة فهم مجموعة الكلمات المتصلة بها دلاليا، كما يقول ليونز: إن معنى اللفظة هو محصّلة علاقاتها بالكلمات الأخرى داخل الحقل المعجمي[2].

ومن المبادئ التي تقوم عليها هذه النظرية ما يلي:

1- انتماء كل وحدة معجمية (اللفظة) إلى حقل دلالي معين.

2- لا يمكن انتماء وحدة معجمية واحدة إلى أكثر من حقل دلالي واحد.

3- لا يمكن تجاهل وإغفال دور السياق الذي ترد فيه كل وحدة معجمية.

4- لا يمكن دراسة المفردات بعيدة عن التركيب النحوي والذي وردت فيه أي لا يمكن دراستها مستقلة[3].

ومن أسسها ما يلي:

أ- <u>الاستبدال (Paradigmatic):</u> فهناك ألفاظ لا يمكن استبدالها بغيرها في الاستعمال أو في المعنى كالخوف والوجل والهيبة، فهذه الألفاظ من المترادفات ولكنها كلها في حقل واحد هو الخوف والخشية[4].

ب- <u>التلاؤم (Syntagmatic)</u> :أي علاقة المفردات بعضها مع بعض تكون من باب واحدٍ كما في الألوان مثلا[5].

ت- <u>التسلسل والترتيب (Séquence):</u> فالترتيب يكون حسب القدم أو الأهمية أو الأولوية مثل أيام الأسبوع أو المقاييس أو الأوزان أو الترتيب الألفبائي[6].

ث- <u>الاقتران (Collocation):</u> أي أن مفردات الحقول الدلالية مقترنة بما يقرّب دلالتها من الفهم، كلفظة (يعضّ) عندما تقترن (بالأسنان) من لفظ (أسنان المشط) أو (أسنان المنشار) أو (أسنان المسامير)، فلا تعرف دلالة اللفظ إلا بما يُصاحبها[7].

وقام بعض اللغويين بتوسعة مفهوم نظرية الحقول الدلالية لتشمل أيضا ما يلي:

1- الكلمات المترادفة والمتضادة.

2- الأوزان الاشتقاقية (الصرفية).

3- أجزاء الكلام وتصنيفاتها النحوية.

---

[1] فريد عوض حيدر: علم الدلالة، نظرية وتطبيق، ص174.
[2] قدور أحمد محمد: مبادئ في اللسانيات، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا،1999، ص303.
[3] أسعد محمد محمد: في علم الدلالة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2002م، ص47.
[4] بالمر: علم الدلالة، إطار جديد، ترجمة صبري السيد، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر،1995، ص78.
[5] المرجع نفسه، ص08.
[6] العبيدي رشيد: مباحث في علم اللغة واللسانيات، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط1، 2002م، ص191.
[7] المرجع نفسه، ص192.

4- الحقول السنتغماتية: وهي مجموع الألفاظ التي تترابط عن طريق الاستعمال، ولكنها لا تقع قط في نفس الموقع النحوي مثل (كلب ونباح، صهيل وفرس، يسمع أذن، أشقر شعر...الخ[1].

وانطلاقا من هذه المبادئ والأسس قسّم العلماء الحقول الدلالية إلى أنواع وهي كالآتي:

1- الكلمات المترادفة والكلمات المتضادة.

2- الأوزان الاشتقاقية.

3- عناصر الكلام وتصنيفاتها النحوية.

4- الحقول التركيبية.

5- الحقول المتدرجة للدلالة[2].

وبالرغم من الجهود المبذولة من طرف العلماء واللغويين حول هذه النظرية إلاّ أنّها لم تكتمل بعد ولم تصل إلى صورتها النهائية، ولا تزال الجهود متواصلة من أجل إرساء نظرية دلالية عامة جامعة لا تخص اللغة العربية فَحَسب بل تشمل جميع اللغات: فهي نظرية هامة استقت أهميتها من علم الدلالة نفسه الذي فرض ذاته على العلوم اللغوية كافة، فمجموع الدلالات: الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية لها علاقة بالمعنى والدلالة وعلم اللغة بوجه عام.

ومن خلال اطلاعنا على مؤلفات الشيخ محمّد الأمين الشنقيطي، رأينا من الضروري تخصيص هذا المبحث لمعرفة معجم الألفاظ التي تردّدت وتكرّرت في حديثه وسنحاول كمحاولة متواضعة منا تصنيفها ضمن ما يسمى بنظرية الحقول الدلالية أو بمعنى آخر إدراج الألفاظ المتشابهة في المعنى تحت لفظ عام يكون رأسا للحقل الدلالي، فمعجم الخطاب أيا كان هذا الخطاب هو دليلنا لمعرفة صاحب الخطاب ولمن سيوجّه هذا الخطاب، وما هي الرسالة التي يحملها هذا الخطاب، فإذا وجدنا بين أيدينا خطابا ولم نستطع تحديد هويته في البداية، فإن المرشد إلى تلك الهوية هو المعجم كما ذكرنا بناء على الفكرة القائلة بأن لكل خطابٍ معجمه الخاص به، وهذا المعجم هو عبارة عن ألفاظ تقل أو تكثر، ويلتقي بعضها في رأس حقل دلالي معين يجمع بينها وتتعلق به .

والخطاب الشنقيطي فيه من هذه الألفاظ ومن هذه الحقول ما ندلّل به قولنا، منها ما يلي:

1- **حقل الأخلاق الحسنة :** ومن الألفاظ التي استخدمها الشيخ في هذا الحقل نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

التحية + السلام[3] /المسلم والاستسلام والخضوع والانقياد والإذعان والصلح والمهادنة[4] / القرى والضيف وبر الوالدين وحمى الجار وصلة الرحم والتنفيس عن المكروب[5] /الرحمة والشفقة والعطف والحنان [6]...إلخ .

---

[1] سليمان أحمد عطية: الدلالة الاجتماعية واللغوية للعبارة في كتاب الفاخر في ضوء نظرية الحقول الدلالية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، 1995م، ص13.

[2]- عزوز أحمد: أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، ص10-11 و لوشن نور الهدى: علم الدلالة (دراسة وتطبيق)، ص611 وما بعدها.

[3]-الشنقيطي محمد الأمين، أضواء البيان، ج2، ص257.

[4]-المصدر نفسه، ج3، ص196.

[5]-نفسه، ج7، ص268.

[6]-نفسه، ج4، ص175

هذه مجموعة من البنيات المعجمية اقتطفناها من أجزاء عديدة من تفسير - أضواء البيان - وتلتقي في معنى واحدٍ هو الخلق الحسن، وهذه الألفاظ تشكل حقلا دلالياً في قرابتها من بعضها وارتباطها برأس الحقل الدلالي وانتمائها لعائلة الخلق الحسن.

<u>2- حقل الأخلاق السيئة:</u> هذا رأس حقل دلالي آخر في علاقة تضادٍ كاملة مع رأس الحقل الدلالي السابق، وهي ثنائية ضدية (الأخلاق الحسنة ≠الأخلاق السيئة) ولا يمكن للألفاظ التي تنتمي إلى الحقل الدلالي الأول أن تدرج في الحقل الدلالي الثاني فهذا مستحيل دلالياً، ومن الألفاظ التي يجمعها الحقل الثاني نذكر على سبيل المثال:

المكر+ الخبث + الخديعة + يخزيهم + يفضحهم[1]/الفحشاء[2] والبغي والظلم[3] /قتورا بخيلاً[4]...إلخ

والملاحظة أن من هذه الألفاظ ما هو من الأسماء وأخرى من الأفعال وثالثة من المصادر وكل هذا لا يمنع من إدراج الجميع في رأس الحقل الدلالي الواحد مهما اختلفت البنية المعجمية للفظ .

<u>3- حقل يدل على مكان:</u> ومن الألفاظ التي تتعلق بهذا المعنى نذكر على سبيل المثال ما يلي: مرابض ومبارك ومعاطن ومِراح ومناخٍ ومواضع ومرابد[5] /والمسجد[6]/ المناص والمحيص والملجأ والموئل والمفر والوَزر[7]/المرتفق والمنزل والمقر والمجلس والمجتمع[8] ...إلخ.

فهذه الألفاظ المتقاربة في المعنى والتي تتميز بوجود عناصر أو ملامح دلالية مشتركة، وهكذا تتميز الكلمات في علاقتها مع بعضها البعض، فلا يفهم معناها إلا إذا قورنت مع بعضها في نفس الحقل أو الحيز الدلالي الذي تتعلق به، فمثلا الألفاظ الأولى في هذا الحقل خاص بالإبل والحيوانات- مرابض ومبارك ومواطن ومراح وأعطان ومناخ ومرابد-، بينما لفظة - المسجد - فهي أيضا تدل على مكان لكن المكان الطاهر الذي يجتمع فيه المسلمون للصلاة والذكر والتعلم، أما ألفاظ - مناص ومحيص وملجأ وموئل ومفر ووزر- هي ألفاظ تدل على مكان اجتماع الناس.

<u>4- حقل المعادن وأدوات الزينة:</u> ومن الألفاظ التي تجتمع وتتعلق بهذا الحقل نذكر ما يلي: الذهب والفضة[9] /الديباج والسندس والإستبرق[10] /المرجان اللؤلؤ والحلية[11]/الرعاث والقرط[12]/الزخرف[13]... إلخ .

1- المصدر السابق، ج3، ص195.
2- نفسه، ج3، ص264.
3- نفسه، ج3، ص262.
4 -نفسه ،ج3،ص462.
5 - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج3، ص134ومابعدها.
6 - المصدر نفسه، ج3، ص128.
7 - نفسه، ج4، ص68 وما بعدها .
8 - نفسه، ج4، ص75 و76.
9 - الشنقيطي محمد الأمين أضواء البيان، ج2، ص350.
10 - نفسه، ج3، ص188 .
11 - نفسه، ج3، ص173.
12 - نفسه، ج3، ص182.
13 - نفسه، ج3، ص457.

5- حقل المعاني النفسية والعواطف: ومن الألفاظ التي ندرجها في هذا الحقل من كلام الشيخ نذكر: الرحمة والعطف والشفقة والحنان[1] /يخافون[2] /تجأرون[3] /الدعاء الاستغاثة[4] /كظيم وممتلئٌ حزناً[5] /المرح وشدة الفرح والنشاط[6] /اليئوس والشديد البأس والقنوط[7] /النصب والتعب والإعياء واللغوب والوجل وصكت وجهها[8] /يرهبون[9]...إلخ .

فهذه الألفاظ من المعجم اللغوي للشنقيطي يجمعها معنى واحدٌ هو العواطف والأحاسيس وما ينتابها من تغير وتبدل وتحول من حال إلى حال في النفس البشرية .

6- حقل ما يتعلق بالإنسان: ومن ألفاظه ما يلي:

الصلب والترائب[10] /عضين والعضَه والعضو[11] /الغلام والبالغ والعبد والصغير[12] ...إلخ .

فهذه ألفاظ تدل على الإنسان وأعضائه والمراحل التي يمر بها ذكرها الشنقيطي في أحاديث متفرقة من كتبه .

7- حقل النسب: وما يتعلق بهذا الرأس من الحقل الدلالي من الألفاظ نذكر ما يلي:

الآل والأهل والذرية والبنون والعقب والقرابة والعشيرة والولد والنسل والقوم والموالي والبطون والجد وأولاد البنات والذرية والبنين والبنات[13] /والنسب والشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة[14] ... إلخ .

فالشنقيطي بهذه الألفاظ يدلنا على أنه خبير بعلم النسب، وتتردد هذه الألفاظ عنده عندما يتعلق الأمر بقضايا فقهية كالتركة والدية والقصاص والرضاعة وغيرها، فهذه القضايا لما يقف عندها الشيخ يجيد ويفيد بها المخاطب والمتلقي، وكل هذه الألفاظ تتعلق بمعنى واحد كبير هو النسب.

8- حقل العذاب: ومن الألفاظ التي تتردد عند الشيخ في الشرح نذكر على سبيل المثال:

الصاعقة والرجفة والصيحة والتدمير والعذاب[15] /الحميم والغساق والمهل[16] / وجهنم[17] / والقاصف والحاصب[18] /الهلاك والطوفان والصيحة ويوم الظلة والريح العقيم وجعل عالي قراهم سافلها وإرسال حجارة السجيل[19]...إلخ .

---

[1] - المصدر السابق، ج4، ص175.
[2] - نفسه، ج3، ص209.
[3] - نفسه، ج3، ص211.
[4]- نفسه، ج3، ص211.
[5] - نفسه، ج3، ص214.
[6] - نفسه، ج3، ص432.
[7] - نفسه، ج3، ص455.
[8]- نفسه، ج3، ص112و113.
[9]- نفسه، ج3، ص 209.
[10] - الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج3، ص162.
[11] - نفسه، ج3 ، ص150.
[12] - نفسه ج3، ص113.
[13] - الشنقيطي محمد الأمين أضواء البيان، ج7، ص152 وما بعدها.
[14] - المصدر نفسه، ج7، ص421.
[15] - نفسه، ج7، ص81 وما بعدها.
[16] - نفسه، ج2، ص356.
[17] - نفسه، ج2، ص352.
[18] - نفسه، ج2، ص446.
[19] نفسه ج4، ص105.

9- حقل اللهجات: ومن اللهجات ولغات القبائل العربية التي يجمعها هذا الحقل ذكر الشنقيطي: لغة حمير[1] ولغة الحجاز[2] ولغة تميم[3] وهذيل[4] ولغة كنانة[5] ولغة طيء[6] ولغة بني أسد[7] واللغة اليمانية[8] أو لغة اليمن[9] ولغة تهامة[10]...إلخ.

10- حقل الألفاظ الدينية: لا تكاد تخلو صفحة من صفحات كتب الشنقيطي من هذه الألفاظ التي يجمعها هذا الحقل، وهو أوسع الحقول الدلالية في خطاب الشيخ ومن هذه الألفاظ نقتصر على ما يلي: الصلاة والزكاة والحج والطهارة والصوم والشهادتان والقصاص والحدود والركوع والسجود والتسليم والتكبير والتهليل والاستعاذة والوضوء والمناسك والقربات والصدقات والدفن والكفن والتغسيل والموت والوصية والدية والقصاص والبيع والشراء والتجارة والصبر والمعاملة والجهاد والحرام والركن والواجب والمستحب والمندوب ...إلخ .

فهذه الحقول العشرة ليست الوحيدة في كتب الشيخ الشنقيطي، بل اقتصرنا عليها كونها هامة وتتردد كثيرا في كتب الشيخ وأحاديثه، واقتصرنا على هذه الحقول الدلالية العشرة خوف - الإطالة المملة - كما يقول الشنقيطي.

تتميز الحقول الدلالية في كتب الشنقيطي بالتعدد والتنوع، والحقل المهيمن في تلك الحقول هو **حقل الألفاظ الدينية**، ويمكن لهذا الأخير أن يقسم إلى حقول دلالية أخرى صغرى، وسبب هيمنة الحقل الديني هو طبيعة تكوين الشيخ الشنقيطي فقد رضع من حليب الثقافة الدينية منذ الصبا، وورث العلم الشرعي عن أقاربه، فهو من نسل شريف ونسب أصيل، ومن الحقول الدلالية الأخرى التي لم نذكرها نذكر بدون ذكر الألفاظ المنضوية تحت كل حقل ما يلي: حقل النبات وحقل الطعام وحقل الحيوان وحقل الآلات وحقل وسائل التنقل وحقل الزمن والوقت وحقل العلوم وحقل أصناف الأنعام ...إلخ .

ونختم بأهمية وفوائد هذه النظرية في التحليل الدلالي لأي خطاب، فتكمن أهمية نظرية الحقول الدلالية في ما يلي:[11]

1- الكشف عن العلاقات وأوجه الشبه وأوجه الخلاف بين الكلمات التي تنضوي تحت حقل معين وبينها وبين المصطلح العام الذي يجمعها.

2- إن تجميع الكلمات داخل الحقل الدلالي وتوزيعها يكشف عن الفجوات المعجمية التي توجد داخل الحقل لا في العربية وحدها وإنما في كل اللغات (أي عدم وجود الكلمات المطلوبة لشرح فكرة ما أو التفسير عن شيء ما وتسمى هذه الفجوة بالفجوة الوظيفية).

---

[1] - المصدر السابق، ج2، ص259.
[2] - نفسه، ج4، ص370.
[3] -نفسه، ج4، ص374.
[4] -نفسه، ج4، ص119.
[5] -نفسه، ج4، ص367.
[6] - نفسه، ج4، ص404.
[7] - نفسه، ج4، ص511.
[8] -نفسه، ج4، ص520.
[9] -نفسه، ج6، ص113.
[10] -نفسه، ج6، ص204.
[11] يراجع أحمد مختار عمر :علم الدلالة، ص ص110 -113 .

3- إن هذا التحليل يمدنا بقائمة لكل موضوع على حدة، كما يمدنا بالتمييزات الدقيقة لكل لفظ مما يسهل على المتكلم أو الكاتب في موضوع معين اختيار ألفاظه بدقة وانتقاء الملائم منها لغرضه.

4- إن هذه النظرية تكشف عن الكثير من العموميات والأسس المشتركة التي تحكم اللغات في تصنيف مفرداتها كما تبين أوجه الخلاف بين اللغات بهذا الخصوص .

5- إن هذه النظرية تضع مفردات اللغة في شكل تجمعي تركيبي ينفي عنها التسيب المزعوم.

وخلاصة الفصل يمكن القول: إن المستوى الدلالي ميدان واسع في مباحثه ومتشعب في موضوعاته، فإنه أسهم بشكل كبير في حل مشكلات لغوية كثيرة كانت في زمن غير بعيد مستعصية وتتسم بالتعقيد، خصوصا علاقة الدلالة بالمعجم فقد أدت هذه العلاقة الوشيجة بين العلمين إلى ظهور علوم أخرى وولادة مباحث وموضوعات جديدة، منها ما استوى على سوقه كنظريات يمكن تطبيقها على الخطاب الأدبي بشعره ونثره أو الخطابات الأخرى، ومنها ما هو في طريقه إلى التبلور بفضل جهود علماء اللسانيات واللغة والدلالة والمعجم.

خاتمة

ها نحن أولاء نصل إلى خاتمة البحث والمتضمنة لحوصلة ونتائج فصول الدراسة، وتتمثل هذه النتائج فيما يلي:

1. أسفر البحث عن تلك العلاقة الوشيجة بين علم العربية وعلوم الشريعة أقصد علوم أصول الفقه والتفسير والقراءات، فالعربية إنما اهتم بها المسلمون لأجل كونها لغة القرآن والسنة، وفي هذا دعوة لكل دارس للعربية ألا يقف عند الوسيلة وينسى الغاية فما فاز من اشتغل بالوسيلة وأهمل الغاية، فعلم العربية سبيل لفهم القرآن والسنة فهما صحيحا فهما متلازمان لا وجود للأول دون الثاني.

2. إن اللغة هي الوسيلة الأرقى للتفاهم وتحقيق التواصل ولكي تبقى كذلك لابد من ضوابط مساعدة تكون عونا للمتلقي إذ تعصمه من الخطإ وسوء الفهم ولا سيما فهم النص القرآني والخطاب النبوي، وهو ما نبه إليه محمد الأمين الشنقيطي مشيرا إلى بعض الضوابط تحفظ من تمسك بها من الزلل والخطإ في فهم النصوص، وهي مبثوثة في فصول هذا البحث مثل التأويل الحسن المقبول والابتعاد عن التأويل الفاسد والعلم بأهمية السياق والتضلع في أصول التفسير والتبحر في فنون العلوم الشرعية واللغوية.

3. إن محمد الأمين الشنقيطي بالرغم من تأخر عصره إلا أنه أجاد وأفاد في بعض المباحث اللغوية التي تعد اليوم هامة في البحوث اللسانية المعاصرة مثل: دلالة الإشارة ودلالة السياق والدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والتناسب الصوتي بين الألفاظ ودور الفونيم والتنغيم والنبر في أداء المعنى وإن لم يسمها بأسمائها.

4. لقد كشفت فصول الدراسة عن معرفة لغوية واسعة للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، وظفها كأداة لفهم شرع الله وإفهامها للنخبة من رجال العلم، فكثير من الأمور الشرعية اتضحت من خلال أثر العربية في الأحكام الشرعية ومنه لا غناء لطالب العلم الشرعي من علم العربية وعليه عدم الاكتفاء بالمفاهيم الأولية فحسب.

5. إن البحث كشف عن الحس اللغوي الذي يتميز به الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، فهو عالم بالأصوات والصرف والنحو والدلالة وهذا ما جعله متميزا ماهرا يفصل في مواطن التفصيل ويوجز عندما تستدعي الضرورة الإيجاز، وفي كل يوصل المعلومة فيجيد ويفيد في أية قضية لغوية يتطرق لها.

6. إن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في بحثه اللغوي وعرضه للمباحث اللغوية يعرض آراء سابقيه من العلماء ويبدي موقفه المتميز القائم على التمحيص والفحص والنقد من القضية، وكثيرا ما يختم رأيه بعبارة "وهذا أظهر عندي"، وهذا ما يصطلح عليه بالموضوعية والأمانة العلمية، وعرضه يتسم بالتفصيل والتفسير.

7. كشف البحث عن رأي الشنقيطي في مسألة ورود المجاز في اللغة والقرآن، فكان له موقفين: **الأول:** موقف الإقرار والاعتراف به لكن ليس في القرآن وإنما في اللغة بشعرها ونثرها، وهذا الموقف أسبق زمنا من **الموقف الثاني** الذي ختم به رأيه واستقر عنده وهو ألا وجود للمجاز في القرآن ولا في اللغة، ورأى رأي شيوخه الأوائل من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية وفي هذا المبحث كتب كتابا سماه: "منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز".

8. دافع الشنقيطي عن اللغة العربية ورد شبهات المضللين من أمثال المعتزلة والصوفية والخوارج والشيعة والجهمية والظاهرية والأشاعرة وغيرها من الفرق الكلامية ممن خاضوا في مسألة التأويل واتخذوه وسيلة لفهم النصوص فهما خاطئا يمس بالعقيدة والدين، كما دافع عن الصحابة والتابعين بكل ما أوتي من علم وبشتى الطرق وكانت وسيلته في ذلك اللغة لا سيما مسألة الصفات وأصول التوحيد وكان تفسيره خير مثال على دحض تلك الشبهات، فتفسيره هو تفسير القرآن بالقرآن كما يدل عليه العنوان "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن".

9. امتزج البحث اللغوي عند الشنقيطي بالمباحث الشرعية وظهرت فيه ثمار المسائل الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والمعجمية جلية بينة، وكان القرآن الكريم والسنة النبوية فضاء لجني تلك الثمار.

10. إن المباحث الصوتية عند الشنقيطي لتؤكد صراحة تلك العلاقة الوشيجة بين علم الأصوات وعلم القراءات، وهذه القراءات وصلتنا متواترة صحيحة كما وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا الاختلاف في القراءات غرضه في الحقيقة التيسير على الأمة بشرط ألا تخالف العقيدة والدين ولا تؤدي إلى تناقض في المعنى، ومنه فلا سبيل لدراسة علم القراءات ما لم يكن للباحث زاد يسير في مجال علم الأصوات، فهما علمان متلازمان ولا غنى لأحدهما عن الآخر وهذا ما اجتمع في شخص الشنقيطي ونبه إليه.

11. إن المباحث الصرفية التي تجلت في كتب الشنقيطي لدليل على أن الشيخ كان عالما بالصرف، فكان يقف عند المسألة الصرفية يشرحها ويفسرها ويذكر خلاف العلماء حولها ويستشهد بما يراه مناسبا وأخيرا يبدي رأيه ويبين موقفه ويوضحه بلا تكرار ولا إعادة الكلام حتى لا يمل المتلقي.

12. يفصح البحث على أن الشنقيطي عالم بالنحو فكان يستعرض المسائل النحوية ويعلق عليها ويشرحها ويذكر الخلاف بين العلماء حولها ويستشهد بما يحفظ من أدلة واستشهادات من كلام العرب، وعندما يقف عند إعراب الآيات والتراكيب لا يترك شاردة ولا واردة إلا وأبداها بدءا بالأسماء والأفعال والحروف ووصولا عند إعراب الجمل، وفي كل مرة يحيلنا إلى أساطين النحو العربي القدامى من أمثال: ابن عصفور وابن مالك والمبرد والفراء والزمخشري وثعلب، فهو أمين عند ذكر المسائل الخلافية ويبدي رأيه مختتما بعبارة (والعلم عند الله تعالى) وهذا من تواضعه رحمه الله.

13. تبين من خلال استعراض المسائل الدلالية عند الشنقيطي أن الشيخ كان عالما بالمعنى، وعند الحديث عن المعنى نجد مجموعة من العلوم اجتمعت في شخص الشيخ كعلم المنطق والكلام والبلاغة والأصول خصوصا لما يتحدث عن العام والخاص والمطلق والمقيد والتأويل والمحكم والمنطوق والمفهوم والمجمل والمبين والناسخ والمنسوخ والحقيقة والمجاز ونحو ذلك، ومثل هذه المباحث لا يخوض فيها إلا عالم فذ آتاه الله العلم والحكمة ومن أوتيهما فقد أوتي خيرا كثيرا من مثل الشنقيطي.

قـــائمـــة
المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولا: المصادر:

1- آل الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله: مشاهير علماء نجد وغيرهم، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ط2، 1394هـ .

2- الآمدي: الموازنة بين شعر تمام والبحتري، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر،ط2، 1973.

1. الآمدي: سيف الدين أبو الحسن علي: الإحكام في أصول الأحكام، تعليق عبد الرزاق عفيفي، مؤسسة النور، الرياض، ط1، 1387هــ.
2. ابن أبي شيبة الكوفي: مصنف ابن أبي شيبة تعليق سعيد اللحام، دار الفكر، القاهرة، مصر، دط، دت.
3. الأزهري: (عبد الدايم بن علي) (ت 870هـ): الطرازات المعلمة في شرح المقدمة، دار عمان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د ت.
4. الأندلسي (أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه): العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، ط2، 1958.
5. ابن الأنباري: أبو البركات (ت 577هـ): البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، تحقيق رمضان عبد التواب، دار الكتب، مصر، 1970.
6. ابن الأنباري (أبو البركات عبد الرحمن بن محمد): نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998م.
7. ابن الأنباري (أبو البركات): الوجيز في علم التصريف، تحقيق علي حسين البواب، دار العلوم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دط، دت.
8. الأستراباذي (رضي الدين محمد بن الحسن) (ت 686هـ)، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد وآخرون، مطبعة حجازي، القاهرة، 1358هـ.
9. الأستراباذي رضى الدين، شرح الرضى على الكافية، تحقيق يوسف حسن عمر، منشورات جامعة بنغازي، ليبيا، 1978م.
10. إخوان الصفا: رسائل إخوان الصفا: دار صادر، بيروت، تحقيق جميل صليب، المجمع العلمي العربي، 1368هـ/ 1949م، د ط.
11. ابن الباذش أحمد بن علي (ت 540هـ): الإقناع في القراءات السبع، تحقيق عبد المجيد قطامش، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، ج1، 1403هـ.
12. ابن بطوطة (أبو عبد الله بن إبراهيم اللواتي): رحلة ابن بطوطة، دار الفكر، بيروت، لبنان، د ط، د ت.
13. الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر): الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1968، ط2.
14. الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1418هـ/ 1998م.
15. ابن الجزري (الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي)(ت833هـ): النشر في القراءات العشر، مراجعة محمد علي الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت.

16. ابن الجزري (أبو الخير محمد بن محمد): التمهيد في علم التجويد، القاهرة، مصر، ط1، 1326هـ/1908م.
17. ابن الجزري (أبو الخير محمد بن محمد): غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة الخانجي، مصر، 1933.
18. الجمحي (محمد بن سلام): طبقات الشعراء، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1968م.
19. ابن جني أبو الفتح عثمان: سر صناعة الإعراب، تحقيق: حسين هنداوي، دار القلم، دمشق، ط2، 1413هـ/1993م.
20. ابن جني: أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط4، 1999م.
21. الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001م.
22. الجرجاني القاضي (علي بن عبد العزيز): الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1966.
23. الجرجاني الشريف: (أبو الحسن علي): التعريفات، المطبعة الخيرية، مصر، ط1، 1306هـ.
24. الجرجاني علي محمد بن علي (ت 816هـ) التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت ط1، 1405هـ.
25. الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد) (ت 444هـ): التحديد في الإتقان والتجويد، تحقيق غانم قدوري الحمد، دار عمان، الأردن، د ت.
26. الدارمي: سنن الدارمي، دار الفكر، القاهرة، مصر/ دط، 1398هـ.
27. ابن الدهان النحوي (أبو محمد سعيد بن المبارك)(ت596هـ): شرح الدروس في النحو، تحقيق إبراهيم محمد أحمد الإدكاوي، مطبعة الأمانة، القاهرة، ط 1، 1411هـ/1991م.
28. ابن دريد (محمد بن الحسن): الاشتقاق، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1411هـ/1991م.
29. ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن احمد بن عبد الله): أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، ط1، 1428هـ، 2007م.
30. ابن هشام الأنصاري، جمال الدين عبد الله: شرح قطر الندى وبل الصدى، ضبط وتصحيح يوسف الشيخ محمد البقاعي، تأليف بركات يوسف هبود، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1427هـ/2007م.
31. ابن هشام الأنصاري (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله): شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، دار الطلائع، القاهرة، 2004م.
32. الزبيدي (محمد مرتضى): تاج العروس من جواهر القاموس، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط3.
33. الزبيدي أبو بكر: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1973م.
34. الزبيدي أبو بكر محمد بن الحسين الأندلسي: طبقات النحويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، 1984.

35. الزجاجي: الإيضاح في علل النحاة، تحقيق مازن مبارك، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1974.
36. أبو زيد بكر عبد الله: آثار الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي، دار علم الفوائد، مكة، السعودية، ط1، 1426هـ.
37. الزركلي خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط5، 1980.
38. الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، دار التراث، القاهرة، ط3، 1404هـ/1984.
39. الزرقاني محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1415هـ/ 1995.
40. ابن الحاجب (عثمان بن عمر): الإيضاح في شرح المفضل، تحقيق موسى بناي العليلي، مطبعة العاني، بغداد، 1983.
41. أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف (ت 745هـ)، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، ط2، 1398هـ/ 1978م.
42. الحملاوي أحمد (ت 1932م): شذا العرف في فن الصرف، دار الكيان للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، د ط، دت.
43. ابن طباطبا العلوي: عيار الشعر، تحقيق طه الحاجري ومحمد زغلول سلام، منشأة لمعارف، الإسكندرية، 1977.
44. الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) (ت 310هـ): جامع البيان عن تأويل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1420هـ/ 1999م.
45. ابن الطحان: (عبد العزيز بن علي السماتي): مخارج الحروف وصفاتها، تحقيق محمد يعقوب تركمنستاني، ط1، بيروت 1404هـ،1984م.
46. ابن يعيش النحوي : (موفق الدين يعيش بن علي)(ت643هـ): شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، دط، دت.
47. اللغوي أبو الطيب (عبد الواحد بن علي): مراتب النحويين، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1955م، د ط.
48. المبرد: الكامل في اللغة والأدب، تحقيق يحي مراد، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2004.
49. المبرد أبو العباس محمد بن يزيد: المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة، لجنة إحياء التراث العربي، القاهرة، مصر، 1415هـ، 1994م.
50. الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري): نزهة الطرف في علم الصرف، تحقيق أسود محمد عبد المقصود الدرويش، دار الطباعة الحديثة، مصر، 1982م.
51. مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق أحمد حسين فرحان، دار عمار، عمان، الأردن، 1404هـ/ 1994م.
52. مكي أبو طالب القيسي، الرعاية في تجويد القرآن، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار عمار، الأردن، 1984.
53. ابن منظور (محمد بن مكرم بم منظور الإفريقي) لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، دت.

54. المعتوق محمد الأحمد: المعاجم اللغوية العربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2008م / 1428هـ.
55. المرادي (الحسن بن قاسم): شرح الواضحة في تجويد الفاتحة، تحقيق عبد الهادي الفضلي، دار القلم بيروت، د ت.
56. ابن النديم (أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق البغدادي): الفهرست، تحقيق رضا تجدد بن علي زين العابدين الحائري المازندراني، طبعة فلوجل، 1971.
57. سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر): الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ط2، 1402هـ/ 1982م .
58. السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج2، دار الفكر، ط2، 1399هـ/1979م.
59. السيوطي (جلال الدين): المزهر في علوم اللغة وأنواعها، مطبعة السعادة، مصر، 1325هـ.
60. السيوطي (جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر(ت 911هـ): الإتقان في علوم القرآن، مطبعة حجازي، القاهرة، د ط، د ت.
61. ابن سينا أبو علي الحسين بن عبد الله: أسباب حدوث الحروف، تحقيق مهر حسان الطيان ومحي الدين علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط1، 1983 م.
62. السيرافي (أبو سعيد): أخبار النحويين البصريين، تحقيق طه الزيني، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، د ط، د ت.
63. ابن السراج النحوي البغدادي (أبو بكر محمد بن سهل) (ت 316هـ): الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسن الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 3، 1417هـ/1996م.
64. العلوي يحي بن حمزة (ت745هـ): الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مطبعة المقتطف، مصر، 1914م.
65. العمري عبد الرحمن، صحفي بقناة المجد الفضائية، تسجيل مصور بعنوان "حياة إنسان"، حصلت على نسخة منه، وهو محفوظ عندنا.
66. العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل: كتاب الصناعتين (الشعر و الكتابة)، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1989م.
67. الفارسي أبو علي: التكملة، تحقيق كاظم بحر المرجان، مطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، العراق، 1981.
68. ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق وضبط عمر الفاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ/ 1993م.
69. الفيومي أحمد بن علي المقري: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للشافعي، تحقيق عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، مصر، د ت، د ط.
70. الفيروزآبادي (أبو طاهر محمد بن يعقوب) (ت 817هـ): القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1978م.
71. الفراهيدي الخليل بن أحمد: العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، دط، دت.
72. قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، مصر، 1963.

73. القزويني الخطيب (جلال الدين أبو عبد الله محمد بن قاضي القضاة سعد الدين أبو محمد الرحمن القزويني): الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت.
74. القيرواني ابن رشيق (أبو علي الحسين الأزدي) (ت 456هـ): العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط5، 1401هـ/1981م.
75. القرافي شهاب الدين: العقد المنظوم في الخصوص والعموم، تحقيق محمد علوي بنصر، وزارة الأوقاف المغربية، المغرب، 1418هـ.
76. القرطاجني ابن الحسن حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، دط، دت.
77. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1981م.
78. القفطي علي بن يوسف: إنباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق أبو الفضل، دار الكتب القاهرة، دت، دط.
79. الشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار الجكني: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة 3، 2006م.
80. الشنقيطي محمد الأمين: رحلة الحج إلى بيت الله الحرام، دار ابن تيمية، القاهرة، مصر، دط، دت.
81. الشنقيطي محمد الأمين: نثر الورود على مراقي السعود، تحقيق وإكمال تلميذه ولد سيدي ولد حبيب الشنقيطي، نشر محمد محمود محمد الخضر القاضي، توزيع دار المنارة، جدة، السعودية، ط3، 1423هـ / 2002م.
82. الشنقيطي محمد الأمين: دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب، ملحق بكتاب أضواء البيان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2006م.
83. الشنقيطي محمد الأمين: مذكرة في أصول الفقه، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، دار المدينة المنورة، السعودية، دمشق، ط 3، 1425هـ/2004م.
84. الشنقيطي محمد الأمين: منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز، إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد، دار علم الفوائد، جدة، دت، دط.
85. الشنقيطي عبد الله: الدر الثمين في سيرة الشيخ الأمين: محاضرة لابن الشنقيطي الأصغر عبد الله، شريط مسموع مسجل في قرص مضغوط، محفوظ عندنا.
86. التوحيدي أبو حيان الأندلسي: التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1418هـ/1997م.
87. التوحيدي أبو حيان (ت 745هـ): ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 1418هـ/1998م.
88. ابن الخباز (ت639 هـ): الغرة المخفية في شرح الدرة الألفية (لابن معطي ت62 هـ): تحقيق حامد محمد العبدلي، دار الأنبار، ط 1، 1990.
89. الخوارزمي القاسم بن الحسين(ت617هـ): شرح المفصل في صنعة الإعراب الموسوم بالتخمير، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، دار الغرب الإسلامي، مكة، ط1، 1990م.
90. ابن خلدون عبد الرحمن (ت 808هـ): تاريخ ابن خلدون، ضبط خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1421هـ/2000م.

91. الغزالي أبو حامد: معيار العلم في علم المنطق (منطق تهافت الفلاسفة)، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، مصر ط2، 1969م.

ثانيا: المراجع:

92. الإبراهيم موسى إبراهيم: بحوث منهجية في علوم القرآن، دار عمار، الأردن، ط2، 1416هـ/1996.
93. إبراهيم مصطفى: إحياء النحو، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط2، 1413هـ - 1992م.
94. أوشان آيت علي: السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1421هـ/2000م.
95. الأزهري خالد: شرح التصريح على التوضيح، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، مصر، دت، دط.
96. أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب، دار الثقافة، بيروت، 1972م.
97. أحمد مختار عمر: علم الدلالة، دار عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط5، 1998م.
98. أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، دار عالم الكتب، القاهرة، الطبعة السادسة، 1988.
99. أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، دار عالم الكتب، القاهرة، 1418هـ/ 1997م.
100. أحمد عمر مختار وآخرون: التدريبات اللغوية والقواعد النحوية، لجنة التأليف والتعريب والنشر، مطبوعات جامعة الكويت، ط2، 1420هـ/ 1999م.
101. الأحمر فيصل ودادوة نبيل: الموسوعة الأدبية، دار المعرفة، الجزائر، ج2، 2009.
102. أيوب عبد الرحمن: أصوات اللغة، مطبعة الكيلاني، ط1، 1968.
103. أمين عبد الله: الإشتقاق، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط 1، 1957م.
104. أنيس إبراهيم: دلالة الألفاظ، مكتبة الانجلو مصرية، ط6، 1991م.
105. أنيس إبراهيم: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1992م
106. أنيس إبراهيم: في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط3، 1965.
107. أنيس إبراهيم: الأصوات اللغوية، مطبعة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط6، 1981.
108. أسبر محمد سعيد وبلال جنيدي: الشامل في علوم اللغة العربية، دار العودة، بيروت، د ط، 2004م.
109. اسماعيل شعبان محمد: المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية، دار الأنصار القاهرة، 1399هـ.
110. بالمر: علم الدلالة، إطار جديد، ترجمة صبري السيد، منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر، 1995.
111. بشر كمال: الأصوات العربية، دار المعارف، مصر، 1980م.
112. بشر كمال: علم اللغة، القسم الثاني(الأصوات)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م.
113. بشر كمال: علم اللغة العام، الأصوات دار المعارف، مصر، ط9، 1986م، ص 12.
114. بشر محمد كمال: علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2000.

115. بشر محمد كمال: دراسات في علم اللغة، دار المعارف، مصر، ط9، 1987.
116. بوجادي خليفة: محاضرات في علم الدلالة مع نصوص وتطبيقات، بيت الحكمة، ط1، الجزائر، 2009م.
117. بلعيد صالح: في أصول النحو، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005م.
118. بلعيد صالح: في فقه اللغة العربية، دار هومة، الجزائر، 2003م.
119. البركاوي عبد الفتاح: دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق، دار المنار، القاهرة ط1، 1411هـ.
120. الجبوري كامل سالم: معجم الأدباء من العصر الجاهلي إلى 2002م، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط1، 2002م.
121. جبل عبد الكريم محمد حسن: في علم الدلالة، دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997م، د ط.
122. جبنكه الميداني عبد الرحمن حسن: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق والدار الشامية، بيروت، ط1، 1416هـ/1996م.
123. جيفري سامسون: مدارس اللسانيات، التسابق والتطور، ترجمة مجد زياد كبة، مطابع جامعة الملك سعود، 1994م.
124. الجندي أحمد علم الدين: اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1983م.
125. الداية فايز: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، دراسة تاريخية تأصيلية نقدية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1988م
126. الدوسري إبراهيم بن سعيد: معجم المصطلحات في علمي التجويد والقراءات، سلسلة معاجم المصطلحات، السعودية، ط1، 1425هـ/ 2004م.
127. دلدار غفور حمد أمين: تفسير الزمخشري، دراسة لغوية، دار دجلة ناشرون، الأردن، ط1، 2007م.
128. هادي أحمد فرحان الشجيري: الدراسات اللغوية والنحوية في مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في استنباط الأحكام الشرعية، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ/2001م.
129. هارون عبد السلام: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 5، 1421هـ/2001م.
130. الهاشمي السيد أحمد: القواعد الأساسية للغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت.
131. هلال عبد الغفار حامد: الصوتيات اللغوية، دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2009.
132. وافي علي عبد الواحد: فقه اللغة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، مصر، 1972.
133. الوصابي (أبو عبد الله أحمد بن ثابت بن سعيد): التحفة الوصابية في تسهيل متن الأجرومية، دار الآثار، صنعاء، ط1، 1427هـ، 2006.
134. زبير دراقي: محاضرات في فقه اللغة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.
135. زيدان جرجي: تاريخ آداب اللغة العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1425هـ، 2005م.
136. أبو زيد بكر بن عبد الله: التعالم، الكتاب الأول، المجموعة العلمية، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، 1408هـ.

137. الزيدي مفيد: موسوعة التاريخ العربي المعاصر والحديث، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2004م.
138. زهير غازي زاهر: أبو عمرو بن العلاء، جهوده في القراءة والنحو، جامعة البصرة، العراق، 1967م.
139. زيوان فاتح: دروس ميسرة في علم الصرف العربي، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1427هـ، 2006م.
140. زينب جابر: معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002م/1424هـ.
141. زرقة أحمد: أسرار الحروف، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 1993م.
142. الحباس محمد: محاضرات في فقه اللغة، دار غبريتي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1 2006م.
143. حجازي محمود فهمي: مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998.
144. بوحجر آمنة: موسوعة المدن العربية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، 2001م.
145. الحديثي خديجة عبد الرزاق: أبنية الصرف في كتاب سيبويه، مكتبة النهضة، بغداد، ط1، 1965.
146. ابن حويلي الأخضر ميدني: المعجمية العربية في ضوء مناهج البحث اللساني والنظريات التربوية الحديثة، دار هومة، الجزائر، 2010م.
147. حيدر فريد عوض: علم الدلالة نظرية وتطبيق، دار العلوم الجامعية، القاهرة، ط1، 2000م.
148. الحمادي يوسف وآخرون: القواعد الأساسية في النحو والصرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، 1415هـ/1994م.
149. الحمد علي توفيق ويوسف جميل الزعبي: المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، دار الأمل، إربد، الأردن، ط2، 1414هـ/1993.
150. الحمد غانم قدوري، المخل إلى أصوات العربية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1325هـ، 2004م،
151. الحمد غانم قدوري: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 1428هـ، 2007م.
152. الحمزاوي محمد رشاد: من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1986.
153. حسان تمام: اللغة بين المعيارية والوصفية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1950م.
154. حسان تمام: مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، 1955م.
155. حسان تمام: قرينة السياق، بحث مقدم في (الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم)، مطبعة عبير للكتاب، 1413هـ/1993م.
156. حسان تمام: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1997.
157. حسان تمام: البيان في روائع القرآن، دار عالم الكتب، القاهرة، 2000م.
158. نصار حسين: المعجم العربي، نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، مصر، ط4، 1988م/1408هـ.

159. حسن عبد القادر، فن البديع، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ/ 1983.
160. حركات مصطفى: الصوتيات والفونولوجيا، المكتبة العصرية. صيدا، بيروت، ط1، 1418هـ/ 1998م.
161. حركات مصطفى: نظرية الوزن، دار الآفاق، الجزائر، د ط، 2005.
162. الحر عبد المجيد: المعجمات والمجامع العربية، دار الفكر العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1994.
163. طبل حسن: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر، القاهرة، ط1، 1998م.
164. طويلة عبد الوهاب عبد السلام: أثر اللغة في اختلاف المجتهدين، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، 2000.
165. الطنطاوي محمد: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، مصر، 1995.
166. ياقوت الحموي: معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1993م.
167. يونس علي محمد محمد: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1، 2004.
168. يونس علي محمد محمد: المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2007م.
169. يعقوب ايميل بديع: المعجم المفصل في المذكر والمؤنث، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ/1994م.
170. يعقوب طاهر محمود محمد: أسباب الخطإ في التفسير، دراسة تأصيلية، دارا بن الجوزي، السعودية، ط1، 1425هـ .
171. الكراعين أحمد نعيم: علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1413هـ/1993م.
172. لاينز جون: علم الدلالة، ترجمة مجيد عبد الحليم الماشطة وآخرون، مطبعة جامعة البصرة، العراق، 1980م.
173. لوشن نور الهدى: علم الدلالة دراسة وتطبيق، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، دط، دت.
174. المبارك محمد: فقه اللغة وخصائص العربية، دراسة تحليلية مقارن وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط7، 1971.
175. مجاهد عبد الكريم: الدلالة اللغوية عند العرب، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1985م.
176. مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان.
177. المجذوب محمد: علماء ومفكرون عرفتهم، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط3، 1986م.
178. مطهري صفية: الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، منشورات إتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 2003م.
179. محمد حسن عبد العزيز: مصادر البحث اللغوي في الأصوات والصرف والنحو والمعجم وفقه اللغة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1 1430 هـ /2009.
180. محمد علاء جبر: المدارس الصوتية عند العرب، النشأة والتطور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2006م.

181. محمد علي عبد الكريم: فصول في علم اللغة العام، دار الهدى، الجزائر، 2009.
182. محمد أبو سليمان صابر حسن، مورد الظمآن في علوم القرآن، الدار للسلفية، بومباي، الهند، ط1، 1404هـ/1984م.
183. محمود فهمي حجازي: المدخل إلى علم اللغة، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، د ط، 1978.
184. مكرم عبد العالي سالم: المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة، مؤسسة الرسالة، الكويت، ط2، 1990م.
185. منقور عبد الجليل: علم الدلالة، أصوله ومباحثه في التراث العربي، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 2001م.
186. مقلد محمد يوسف: موريتانيا الحديثة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1960م.
187. مسعودي فضيلة: التكرارية الصوتية في القراءات القرآنية، قراءة نافع أنموذجا، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2007م.
188. معهد البحوث والدراسات العربية: الجمهورية الإسلامية الموريتانية، دراسة مسحية شاملة، جامعة الدول العربية، القاهرة، 1978م.
189. المصطفى عواطف كنوش: الدلالة السياقية عند اللغويين، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع، لندن، ط1، 2007م.
190. المرصفي عبد الفتاح السيد العجمي: هداية القاري إلى تجويد كلام البارئ، دار الفجر الإسلامية، المدينة المنورة، ط1، 2001.
191. مرتاض عبد الجليل: الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008م.
192. النادري محمد أسعد: نحو اللغة العربية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط2، 1418هـ/1997م.
193. ناصف حفني وآخرون: الدروس النحوية، دار الإمام مالك، البليدة، الجزائر، 1428هـ/2007م.
194. نجا إبراهيم: التجويد والأصوات، مطبعة السعادة، القاهرة، مصر، 1972.
195. نهر هادي: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 1427هـ/ 2007م.
196. نور الدين عصام: المصطلح الصرفي: مميزات التذكير والتأنيث، دار الكتاب العالمي، ط 1، 1409هـ/1988م.
197. نصر محمد مكي: نهاية القول المفيد في علم التجويد، مراجعة الشيخ علي محمد الضباع، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1349هـ.
198. سليمان أحمد عطية: الدلالة الاجتماعية واللغوية للعبارة في كتاب الفاخر في ضوء نظرية الحقول الدلالية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، 1995م.
199. السليم فريد بن عبد العزيز الزامل، الخلاف التصريفي وأثره الدلالي في القرآن الكريم، دار ابن الجوزي، ط 1، 1427هـ.
200. السعران محمود: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دط، دت.
201. سفر عبد العزيز علي: الممنوع من الصرف في اللغة العربية، مجلس النشر العلمي، لجنة التأليف والتعريف والنشر، الكويت، 2000م.

202. سقال ديزيره: نشأة المعاجم العربية وتطورها (معاجم المعاني- معاجم الألفاظ)، دار الصداقة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1995.
203. سقال ديزيرة: الصرف وعلم الأصوات، دار الصداقة العربية، بيروت، ط 1، 1996.
204. عادل فاخوري: علم الدلالة عند العرب، مقارنة مع السيمياء الحديثة، دار الطبيعة، بيروت، لبنان، ط1، 1985.
205. العاكوب عيسى علي وعلي السعد الشتيوي: الكافي في علوم البلاغة العربية (المعاني والبيان والبديع)، مطبوعات الجامعة المفتوحة، مصر، 1993م.
206. عبد الحميد سعاد: تيسير الرحمن في تجويد القرآن، دار مشكاة العلوم، دمشق، سوريا، ط2، 1425هـ/2004م.
207. عبد التواب رمضان: مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، ط1، 1982م.
208. عبد العزيز محمد حسن: مصادر البحث اللغوي في الأصوات والصرف والنحو والمعجم وفقه اللغة، مع نماذج شارحة مكتبة الآداب، القاهرة، ط1 1430 هـ /2009.
209. عبد العظيم فتحي خليل ا لشاعر: الأعلام الممنوعة من الصرف في القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 1425هـ/2004م.
210. العبيدي رشيد: مباحث في علم اللغة واللسانيات، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، 1995م.
211. أحمد عزوز: أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، م2002.
212. عطية جرجي شاهين: سلم اللسان في الصرف والنحو والبيان، دار ريحاني للطباعة والنشر، بيروت، ط 4. د ت.
213. عطية الله أحمد: القاموس السياسي، طبعة دار النهضة، القاهرة، 1980م.
214. العطية خليل إبراهيم: في البحث الصوتي عند العرب، الموسوعة الصغيرة، دار الحرية للطباعة، بغداد، دط، 1983م.
215. العيدان موسى بن مصطفى: دلال تراكيب الجمل عند الأصوليين، دار الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2002م.
216. عيد محمد: أصول النحو العربي في نظر النحاة وابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 1410هـ/1989م.
217. عكاوي إنعام فوال: المعجم المفصل في علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1417هـ/ 1996.
218. عكاشة محمود: أصوات اللغة، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة ، الطبعة الأولى.
219. بوعناني مختار: الأصيل والحديث عند رواد المدارس الصرفية، مطبوعات جامعة وهران، كلية الآداب واللغات والفنون، وهران، ط1، 1420هـ، 1990م،.
220. عفيفي أحمد: ظاهرة التخفيف في النحو العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1417هـ، 1996م.
221. عتيق عبد العزيز: علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، 1405هـ/1985م.
222. الفاسي الفهري عبد القادر: المعجم العربي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1986.

223. الفخراني أبو السعود أحمد: البحث اللغوي عند إخوان الصفا، مطبعة الأمانية، مصر، ط1، 1411هـ/ 1991م.
224. صاحب جعفر أبو جناح: الظواهر اللغوية في قراءة أهل الحجاز، مطبعة جامعة البصرة، 1408هـ/ 1988م.
225. الصالح صبحي: دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط13، 1997.
226. الصباغ محمد لطفي: لمحات في علوم القرآن، المكتب الإسلامي: بيروت، ط3، 1410هـ/1990.
227. الصيغ عبد العزيز: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر دمشق، ط1، 2000م.
228. صليبا جميل: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1979.
229. الصفدي سفيان: الموسوعة التاريخية لدول العالم وقادتها، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2000م.
230. القاسمي علي: المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
231. القاسمي علي: علم اللغة وصناعة المعجم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط3، 2004.
232. ابن قدامة المقدسي: روضة الناظر وجنة المناظر، مطابع الجزيرة، الرياض، 1319هـ.
233. قدور أحمد محمد: مباديء في اللسانيات، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، ط2، 1999م.
234. القطان مناع: مباحث في علوم القران، مكتبة وهبة،القاهرة، ط11، 1421هـ/2000م.
235. الراجحي عبده: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعارف، مصر، 1969م.
236. الراجحي عبده: فقه اللغة في الكتب العربية، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط7.
237. الراجحي عبده: التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
238. الرافعي مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 2004م.
239. رجب مصطفى: دراسات لغوية، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط1، 2009.
240. الرومي فهد بن عبد الرحمن بن سليمان: دراسات في علوم القرآن الكريم، مكتب الملك فهد الوطنية، الرياض، ط14، 1426هـ/2005م.
241. رياض قاسم: المعجم العربي، بحوث في المادة والمنهج والتطبيق، دار المعرفة، بيروت، لبنان،1987 .
242. شاهين عبد الصبور: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1966.
243. شاهين عبد الصبور: في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط4، 1984.
244. شاهين عبد الصبور:أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي: أبو عمرو بن العلاء، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1987.
245. التهانوي محمد علي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، تقديم وإشراف ومراجعة، د.رفيق العجم، تحقيق علي دحروج، نقل النص من الفارسية إلى العربية، د.عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية د.جورج زيناتي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ، لبنان، ط1، 1996م.
246. التواتي بن التواتي: المدارس النحوية، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008م.

247. تللو نبيل: الموسوعة الجغرافية العالمية المصورة، دول العالم، دار علاء الدين، سورية، دمشق، ط1، 2005م.
248. بوخدود علي بهاء الدين: المدخل الصرفي، تطبيق وتدريب في الصرف العربي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1408هـ/1988م.
249. الخولي محمد علي: معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، د ط، 1982م.
250. خليل حلمي: الكلمة، دراسة لغوية ومعجمية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، مصر، 1980م
251. الخماش سالم سليمان: المعجم والدلالة، موقع لسان العرب، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، 1428هـ
252. خفاجي محمد عبد المنعم: ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1949.
253. الذهبي محمد حسين: علم التفسير، دار المعارف، القاهرة، دط، دت.
254. ضيف شوقي: المدارس النحوية، دار المعارف، مصر، ط7، 1992.
255. غالي وجدي رزق: في المعاجم العربية، بيبليوغرافيا شاملة مشروحة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1971.
256. الغلاييني مصطفى: جامع الدروس العربية، عناية الدكتور كوكب ديب دياب،المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط 1، 2004م.
257. الموسوعة الحرة: ويكيبيديا، (موريتانيا).......................www.wikipedia.org

ثالثا: المراجع باللغة الاجنبية:

258. Dubois jean et autres, dictionnaire de linguistique, édition larousse, paris, 1973.
259. Geoffry leech, semantics: the stady of meaning; penguin books;1983.
260. Jhon lyons: Sémantique Linguistique; édition Larousse, Paris, 1980.

رابعا: الدوريات:

261. جلول دواجي عبد القادر: ظاهر المجاز عند الشنقيطي، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، جامعة الجلفة، عدد 13، مارس 2013.
262. اليافي نعيم: عودة إلى موسيقى القرآن، مجلة التراث العربي، عدد 25 و26، دمشق، سوريا، 1986م، 1987م.
263. صمود حمودي: التفكير البلاغي عند العرب، أسسه إلى القرن السادس، منشورات جامعة تونس، تونس، السلسلة 6.
264. بوشيبة عبد القادر: المعجم وقضاياه، مجلة القلم، جامعة وهران، العدد 21، 2011.

خامسا: الرسائل والأطاريح الجامعية:

265. أنجب غلام نبي بن غلام محمد: الإعلال والإبدال في ضوء القراءات القرآنية واللهجات العربية، مخطوط دكتوراه، كلية البنات، مكة المكرمة، 1410هـ/1980م.

266. الطلحي ردة الله بن ردة بن ضيف الله: دلالة السياق، مخطوط دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1427هـ.
267. بولنوار سعد: آليات تحليل الخطاب في تفسير أضواء البيان للشنقيطي، تحديد المفاهيم النظرية، مخطوط دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة ورقلة، الجزائر، 2011م/ 2012م.
268. المطيري عبد الرحمن عبد الله بن سرور جرمان: السياق القرآني وإثره في التفسير من خلال تفسير ابن جرير، مخطوط ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1429هـ/2008.
269. الصوفي محمد الأمين: المحاضر الموريتانية وآثارها التربوية في المجتمع الموريتاني: مخطوط ماجستير، جامعة الملك سعود بالرياض، كلية التربية،1406هـ.
270. القاسم عبد الحكيم: دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير، دراسة نظرية من خلال تفسير ابن جرير، مخطوط ماجستير، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
271. الرومي فهد بن عبد الرحمن بن سليمان: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر هجري، مخطوط دكتوراه من كلية أصول الدين، إشراف الدكتور مصطفى مسلم محمد، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية،1404هـ -1405هـ.
272. الشهراني سعيد بن محمد: السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، مخطوط دكتوراه، جامعة أم القرى، 1427هـ/2006م
273. الشيمي: أحمد سيد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير في كتابه "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" إشراف الدكتور أحمد يوسف سليمان مخطوط ماجستير، جامعة القاهرة، كلية العلوم قسم الشريعة، القاهرة، 2001م.
274. عبد الله سليمان محمد أديب: التوجيه اللغوي والنحوي للقراءات القرآنية في تفسير الزمخشري، مخطوط ماجستير، جامعة الموصل، العراق، 1423هـ/ 2002م.

فــهرس الموضوعــات

الصفحة	العنوان
	شكر
	إهداء
أ – ج	**مقدمة .**
35-1	**المدخل: محمد الأمين الشنقيطي: قراءة في سيرته وآثاره.**
02	1- بيئة الشنقيطي.
05	2- سيرة الشنقيطي وحياته .
07	أ- اسمه ونسبه.
09	ب- نشأته وتعلمه.
12	ج- منهجه في التحصيل العلمي.
14	د- الشنقيطي والشعر.
16	هـ- الشنقيطي والزواج.
17	و- أخلاقه
20	ز- مروءته وتواضعه وهيبته.
21	ح- أعماله.
21	1- في بلاد شنقيط
22	2- رحلته إلى الحج
23	3- الشيخ في المدينة المنورة
23	4- تدريسه في المسجد النبوي
23	5- تدريسه في الرياض
24	6- الشنقيطي وهيئة كبار العلماء
24	7- الشنقيطي ورابطة العالم الإسلامي
25	8- في مسجد الشيخ المفتي الحفيد
25	9- بيت الشنقيطي
26	10- الشنقيطي في المؤتمر العالمي للحج
26	11- تنقلاته في البعثات الدعوية
27	ط- الشنقيطي والمرض.
28	ي- وفاته.
29	ك- تقدير المسئولين له في حياته وبعد مماته.
30	1- الملك عبد العزيز
30	2- الملك سعود
30	3- الملك فيصل
30	4- الملك محمد الخامس
31	ل - مكتبة الشنقيطي .
31	1- المخطوطات
31	2- المؤلفات المطبوعة
33	3- التسجيلات
34	4- المفقودات

5- المؤلفات المنسوبة له	34
الفصل الأول: وحدات النظام اللساني ومستوياته البحثية.	108-36
1- المستوى الصوتي: نحو تأسيس الدرس الصوتي عند العرب.	37
أ- ماهية الصوت.	37
ب- أنواعه.	39
1- الصوت العام	39
2- الصوت الخاص	39
ج- جهود العرب في الدرس الصوتي.	39
1- جهود أبي الأسود الدؤلي	40
2- جهود الخليل بن أحمد الفراهيدي	41
3- جهود سيبويه	41
4- جهود ابن جني	42
5- جهود إخوان الصفا	42
6- جهود ابن سينا	43
7- جهود علماء القراءات والتجويد	44
د- الجهاز الصوتي الإنساني.	46
هـ- مخارج الحروف.	49
و- صفات الحروف.	50
1-الصفات العامة (الزوجية) (المميزة)	51
2-الصفات الأحادية (الخاصة) (الفردية) (المحسنة)	52
ز- الظواهر الصوتية في اللغة العربية.	53
1-الإظهار	54
2-الإخفاء	54
3-الإدغام	54
4- الإقلاب (القلب)	54
5-المد والقصر	54
6-الوقف	55
7- الروم والإشمام	55
2- المستوى التركيبي: ملامحه في علمي الصرف والنحو.	55
أولا ـ المستوى الصرفي:	56
1- ماهية الصرف والتصريف.	56
2- المستوى الصرفي وميدانه.	57
3- الميزان الصرفي.	59
4- جهود القدامى في البحث الصرفي.	59
5- موضوعات علم الصرف.	60
ثانيا ـ المستوى النحوي:	60

1- ماهية النحو	60
2- واضعه (واضع النحو العربي).	61
3- مراحله.	62
أ- مرحلة البدايات	62
ب- مرحلة النضج والتطور	64
ج- مرحلة التأثر بعلم الكلام	64
د- مرحلة التأثر بالمنطق اليوناني	65
هـ- مرحلة الانحطاط والتقليد	66
4- مدارسه.	66
1- مدرسة البصرة	66
2- مدرسة الكوفة	67
3- مدرسة بغداد	68
4- مدرسة الأندلس	68
5- المدرسة المصرية	70
6- المدرسة المغربية	70
5- مصنفات النحو العربي.	71
3- المستوى الدلالي: بحث تأثيلي في المعجم العربي:	74
أولا- المستوى الدلالي:	74
1- في مفهوم الدلالة.	74
2- المسار التطوري والمرحلي لعلم الدلالة.	76
أ- المعنى والدلالة عند الإغريق	76
ب- المعنى والدلالة عند الهنود	77
ج- جهود العرب القدامى	77
د- جهود علماء الأصول	79
هـ- جهود النقاد وعلماء البلاغة	81
و- جهود المحدثين الغربيين	84
ز- جهود المحدثين العرب	85
3- أنواع الدلالة.	85
1- الدلالة الصوتية	87
أ- النبر	88
ب- التنغيم	88
ج- المقطع الصوتي	89
2- الدلالة الصرفية	90
3- الدلالة نحوية	91
4- الدلالة المعجمية	93
ثانيا- المستوى المعجمي:	94
أ- تعريف المعجم لغة.	94

ب- تعريفه اصطلاحا.	96
ج- بين المعجم والقاموس والموسوعة.	96
د- المدارس المعجمية العربية.	98
1- معاجم الموضوعات (المعاني) (المبوبة)	99
2- معاجم الألفاظ (المعاجم المجنسة)	101
1- مدرسة الترتيب الصوتي	101
2- مدرسة الترتيب الألفبائي	102
أ- وضع الكلمة تحت أسبق حروفها	102
ب- وضع الكلمة تحت حروفها الأصلية	103
ج- وضع الكلمة تحت أول حروفها دون تجريد	103
د- وضع الكلمة تحت حرفها الأخير	104
هـ- وضع الكلمة تحت حرفها الأصلي الأخير	104
3- مدرسة الترتيب بحسب الأبنية	106
1- معاجم أبنية الأسماء والأفعال	106
2- معاجم أبنية الأفعال	107
3- معاجم أبنية المصادر	107
الفصل الثاني: تجليات الظواهر الصوتية في مؤلفات الشنقيطي:	**152-109**
1- الهمز وتسهيل الهمز.	110
2- الإدغام.	114
3- التشديد والتخفيف.	117
4- المد والقصر والإشباع.	120
5- الإعلال والإبدال والقلب.	124
6- التنوين وتركه:	130
7- التماثل والتجانس والتقارب والتباعد.	131
8- الوقف والابتداء.	134
9- الإشمام.	138
10- المقاطع الصوتية.	140
أولا- ما جاء من الأسماء على صورة خطية واحدة متغيرة الحركات	140
ثانيا- ما جاء من الأفعال على صورة خطية واحدة متغيرة الحركات	142
ثالثا- ما جاء على صورة خطية واحدة لكن باختلاف في بعض الحروف من نفس الرسم	144
رابعا- الحروف المقطعة في أوائل السور	146
خامسا- المقاطع الصوتية والإيقاع الصوتي	149
الفصل الثالث: الشنقيطي والمستوى التركيبي.	**229-153**
أولاً: المستوى الصرفي:	153
1- المشتقات.	153

أ- اسم الفاعل	154
ب- اسم المفعول	156
ج- المصدر	157
د- المصدر الميمي	159
هـ- اسم الجنس	160
و- صيغ التفضيل	161
ز- اسما الزمان والمكان	162
ح- الصفة المشبهة	164
ط- صيغة المبالغة	165
2- الفعل المتصرف والجامد.	167
3- الفعل المجرد والمزيد	169
4- الفعل اللازم والمتعدي.	171
5- الفعل الصحيح والمعتل.	175
6- الميزان الصرفي.	181
7- التذكير والتأنيث.	182
8- النسبة.	184
9- الممنوع من الصرف.	185
10- الإفراد والتثنية والجمع.	186
ثانياً: المستوى النحوي:	189
1- ما يتعلق بالأسماء:	190
أ- المرفُوعات.	191
ب- المنصوبات.	193
ج- المجرورات.	199
1- المجرور بالحرف	200
2- المجرور بالإضافة	201
3- المجرور بالمجاورة	202
د- الاسم بين الرفع والنّصب.	203
هـ- الاسم بين الرفع والجر.	203
و- الاسم بين النَّصب والجر.	204
2- ما يتعلق بالأفعال.	204
أ- الفعل الماضي	205
ب- الفعل المضارع	208
ج- فعل الأمر	209
د- الفعل بين الجزم والحركات	210
3- ما يتعلق بالحروف والأدوات.	219

4- ما يتعلق بالضمير.	
5- ما يتعلق بالإعمال والتعلق.	221
6- ما يتعلق بالحذف.	223
7- ما يتعلق بالتقديم والتأخير.	224
8- الشنقيطي والإعراب.	225
الفصل الرابع: الشنقيطي وعلاقة الدلالة بالمعجم	**306-229**
أولا: البحث الدلالي عند الشنقيطي:	230
1- المنطوق والمفهوم.	230
2- العام والخاص.	235
3- المطلق والمقيد.	243
4- التأويل والمحكم.	247
5- المجمَل والمبيَّن.	250
6- الناسخ والمنسوخ.	254
7- السياق والدلالة.	256
8- الدلالات البلاغية وأثرها في توضيح المعنى.	260
أ- المجاز والحقيقة.	260
ب- الاستعارة.	264
ج- التشبيه (التمثيل).	264
د- الكناية.	265
هـ- الالتفات.	266
و- القسم.	267
ز- القصر والحصر.	269
ح- الاستفهام.	270
ط- التعجب.	272
ي- التمني.	273
كـ- البديع.	274
1- الجناس.	274
2- مراعاة النظير	274
3- الحذف.	275
4- اللف والنشر المرتب.	276
5- تجاهل العارف.	276
6- تأكيد المدح بما يشبه الذم.	276
7- المشاكلة.	277

8- القلب.	278
9- القياس والدلالة عند الشنقيطي.	280
ثانيا: موضوعات البحث المعجمي في آثار الشنقيطي:	283
1- المشترك اللفظي.	284
2- التضاد.	289
3- الترادف.	294
4- الحقول الدلالية.	297
خاتمة	306
قائمة المصادر والمراجع	309
فهرس الموضوعات	324